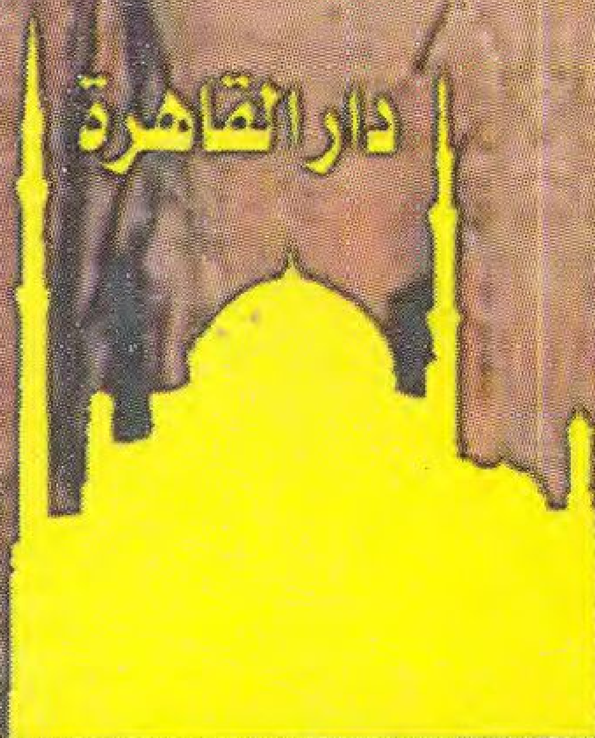
جهاد المسلمين خلف جبال البرتات

من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري

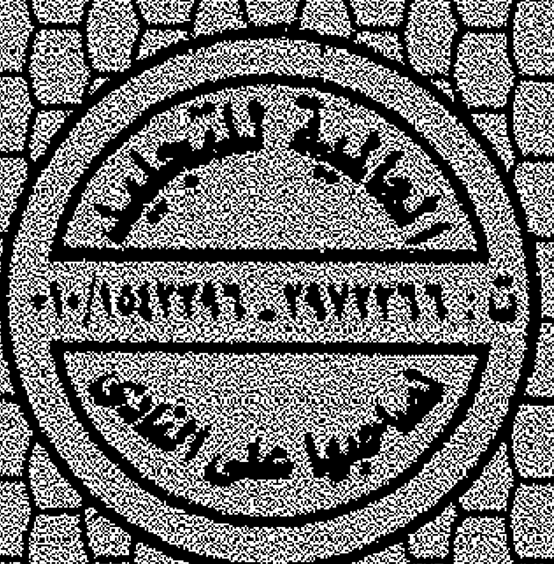
الدكتورة

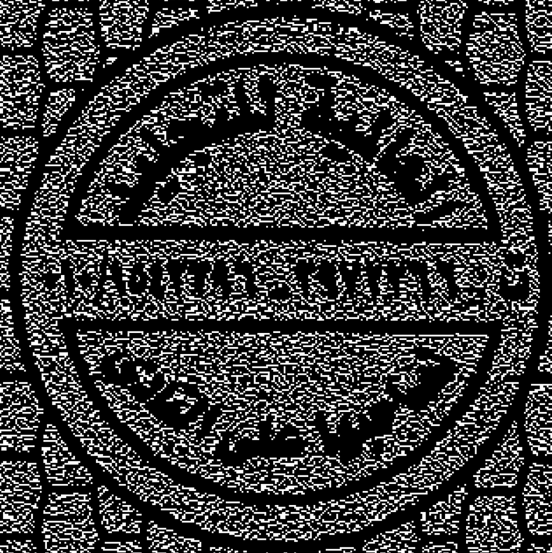
وفاء عبد الله بن سليمان المزروع



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

ت: ٣٩٢٩١٩٢٠


العالمية للتجليد
ت: ٢٩٧٢٢٦٦ ـ ٢٩٧٢٢٩٦ ـ ٠١٠/١٥٤٢٢٩٦
لصاحبها علي الناجي



جهاد المسلمين خلف جبال البرتات

من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجرى

الدكتورة
وفاء عبد الله بن سليمان المزروع

الناشر
مكتبة دار القاهرة
١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة
تليفون ٣٩٢٩١٩٢

اسم الكتاب	جهاد المسلمين خلف جبل البرتات
اسم المؤلف	الأستاذة الدكتورة / وفاء عبد الله بن سلمان المزروع
رقم الطبعة	الأولى
رقم الإيداع	١٠٥٤١
الترقيم الدولي	I. S. B. N
	977 - 6048 - 06 - 4
سنة النشر	٢٠٠٣
الناشر	دار القاهرة
عنوان الناشر	١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة
بلد الناشر	القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
التليفون	٣٩٢٩١٩٢ ـ ٠١٢/٣١٧٧٥١٠
فاكس	٣٩٣٣٩٠٩ ـ ٣٩٢٩١٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء ..

إلى

أبى وأمى وزوجى

إلى من بذر فى حب العلم ..

إلى من نمى تلك البذرة ورعاها وسقاها

حتى استوت .

إلى من أكمل بناء ذلك الغرس الطيب .

إلى هـؤلاء جميعًا أديـن بكـل نجـاح

فى حياتى ..

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين وخاتم النبيين المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحابته أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، فلما كان التاريخ من أعذب علوم الأدب منهجًا وأهنئها مشربًا وأنورها مطلعًا وذا فوائد فريدة ، تشوق الناس إلى معرفة أخبار من سلف حتى يستفيد الخالف من محاسنهم فكأنه عاصرهم وشاهدهم (١).

ففى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ من أخبار الأمم السابقة وأنبائهم ما فيه عبرة لذوق البصائر فقد وقع الاستدلال بالتاريخ فى الكتاب الكريم فى قوله تعالى ﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء ﴾ (٢) فكان من ذلك القصص التى حكاها الله عن السالفين فتفتح بها أعين عمى ، وتوقظ بها قلوب غلف ، وتلين لها أفئدة لانتقاد لهداية وآذان لا تسمع لداعية . وحكى لنا رسوله المصطفى ﷺ شيئا من تلك القصص لتكون فيها لأمته العبرة ، ولاتباعه العظة .

وقد كان من توفيق الله لى أن وقع اختيارى على دراسة صورة مشرقة من تاريخ المسلمين ألا وهى جهادهم خلف جبال البرتات منطلقًا من مبدأ المساهمة فى أبحاث هذا التاريخ المجيد والوقوف على حال المسلمين فى غرب أوروبا ، وإلقاء الضوء على تلك المناطق التى تم لهم فتحها ، ونشروا بين ربوعها دين الإسلام محتملين كل عناء فى سبيل الوصول إليها ، ومن هنا كان تاريخ المسلمين يدل على ما اتصفت به طلائع الإسلام من قوة الإرادة ومضاء العزيمة والتحمل ، فقد عبروا البحار والمحيطات لا مقاتلين فحسب بل سعوا إلى العالم بأسره دون حدود سعى المسالم الذى يدعو لعقيدة التوحيد ، وأثناء ذلك عرف المسلمون كيف يكيفون حياتهم فى كل المجتمعات التى حلوا بها .

---

(١) محمد بن محمد الأندلسى : الحلل السندسية فى الأخبار التونسية ، جـ١ ، ص ١١١ .

(٢) سورة يوسف ، آية ١١١ .

ولا شك أن فترة جهاد المسلمين خلف البرتات لها أهمية بالغة فى تلك الفترة المبكرة خلال عصر الولاه ، إذ كانت تلك المرتفعات تشكل خطراً لا يستهان به على الوجود الإسلامى فى بلاد الأندلس لمجاورتها للفلول النصرانية التى فرت إلى الجبال الشمالية والغربية من شبه الجزيرة من جهة ، والفرنجة من جهة أخرى .

فحرص المسلمون على استكمال فتح البلاد وتأمين حدود دار الإسلام وإقامة فريضة الجهاد والرباط فى سبيل الله ، فأقاموا الثغور وأنشأوا الحاميات ورابط المرابطون فكان لذلك ما كان من أحداث ومعارك ونتائج يأتى بيانها فى هذا البحث.

كما قصدت إلى بيان ما كان عليه أهل تلك البلاد التى فتحها المسلمون خلف تلك الجبال من أحوال سيئة باستبداد الحكام ، وظلم للمحكومين وجهل تلك الشعوب . مما يؤكد الحاجة لتعريفهم بهذا الدين ودعوتهم إليه ليخلصوا من تلك الأوضاع المتردية ، على حين كان أولئك المسلمون على النقيض حضارة ، ومعرفة وعدلا ، وهداية ، مع ما يتحلى به هؤلاء من رغبة فى الدعوة إلى دينهم الجديد وما عرفوا به من جهاد لنش إسلامهم ولو كان ذلك بأموالهم وأنفسهم ، وقد ظهر أثر ذلك فى معاملتهم لأهل تلك الأقاليم وغيرها ، وفيما أوصى به الخلفاء والأمراء تلك الجيوش من الرحمة والشفعة والحكمة ، وحمل الخير إلى أهل البلاد المفتوحة مصداق لقوله تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة السنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (١) .

وآمل أن يسد هذا البحث حاجة المكتبة الإسلامية لهذه الدراسة التى تبين ما كان عليه المجاهدون المسلمون فى تلك البقعة من صبر وأناة وإيمان وما لاقوه من عنت ومشقة فى سبيل نشر هذا الدين ودعوة الناس إليه .

ولعل هذا من الدوافع التى دفعتنى إلى اختيار هذا الموضوع . وقد بذلك الجهد اللازم لإبراز الصفحات المشرقة من تاريخ المسلمين فى الأراضى الأوروبية ذلك التاريخ

---

(١) النحل آية (١٢٥) .

الذى شوهه بعض كتاب الغرب القدامى والمعاصرين من رجال الدين الرهبان المتعصبين ورجال الكنيسة ، فنسبوا إلى المسلمين فى فتوحاتهم كل أعمال الفتك والسلب والنهب ، ووصموهم بكل نقيصة وصفة ذميمة ، ولقبوهم بالقراصنة والسفاكين ... إلخ . وقد تلقى بالقبول ما كتبوا كثير من كتاب المسلمين ومؤرخيهم ، فرأيت من الواجب عليَّ أن أسهم بكتابة شيء عن هذا الموضوع يجلوا القيقة ، ويزيل الغموض ، ويدفع التهم ، ويضع الأمور فى مواضعها ويعرف بما كان للمسلمين من تاريخ فى تلك المنطقة ، وما كان لهم من أثر فيها وما قدموه من تضحيات ، رغبة منهم فى إخراج أهلها من ظلمات الشرك والكفر إلى نور الإيمان وبرد اليقين .

لذا فإن إلقاء الضوء على تلك الفتوحات فى المعاقل البعيدة طوال عصر الولاه لم يكن بالأمر السهل لأن تلك المناطق التى فتحها المسلمون وان انتهى سلطانهم عليها سياسيًا وعسكريًا فإنه لم تنته فكريًا وثقافيًا وحضاريًا وإنسانيًا وهذا هو الفتح الحقيقى فتح العقول والقلوب ، وترك الآثار التى مازالت تشهد له بالعظمة والوجود والاستمرار رغم رحيلهم .

ولم تكن هذه الدراسة بالأمر اليسير ذلك أن مصادر التاريخ الإسلامى عامة ومصادر تاريخ الأندلس بصفة خاصة لم تقدم لنا إلا إشارات بسيطة وموجزة ، وقد اتسمت تلك بالايجاز الشديد تارة وبتناقض بعضها تارة أخرى ، هذا بالإضافة إلى أن معظم ما كتب عنها بلغات أجنبية سواء أكتب بالإنجليزية أ الفرنسية أو الاسبانية ، لذا فقد وجدت الكثير من الصعوبات فى الحصول عليها لمعرفة وجهة النظر الأوروبية التى تناولها الكتاب والرد على ما فيها من مفتريات على المسلمين وجهادهم ، وعرضها بصورة واضحة مظهرة للحق فى كل الجوانب ومتعرضة لتلك المعاقل التى خفقت فيها راية الإسلام عالية ، وأن الإسلام قد وصل إلى ربوع غاله وأجزاء من إيطاليا وسويسرا وجبال الألب والبروفانس بعد أن تخطى بلاد الأندلس عابرا جبال البرتات وهذا ما لا يعرفه الكثير .

ولما كانت هذه الدراسة تحتاج إلى الوقوف على هذا البلد الذى سأتحدث عنه وقوفًا وإطلاعًا ميدانيًا فتحملت مشقة السفر إلى تلك الأماكن للوقوف على آثارها ، للبحث عن مصادر بحثى من كتب ودوريات وغير ذلك من مصادر لا يستغنى عنها من يريد التقصى والتثبت فيما يكتب مما كان له أثر واضح فى هذا البحث وذلل كثيراً من صعوباته .

ولم اترك وسيلة لها شأن بدراستى إلا سعيت بالبحث وراءها والوصول إليها من هذه المصادر والمراجع سواء ما كتب بلغة عربية أو أجنبية من مراجع قديمة ودوريات وسأوضح ذلك فى موضعه إن شاء الله .

ولقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وثمانية فصول ثم الخاتمة مع بعض النتائج والتوصيات التى توصلت إليها .

ففى المقدمة أوضحت أسباب اختيارى لهذا الموضوع والدراسة الميدانية التى قمت بها حتى وصلت إلى ما وفقنى الله إليه فى إخراج هذه الدراسة فى هذا الموضوع الدقيق واشتملت المقدمة على التعريف بالجهاد وفضله وأنه واجب على المسلمين وفرض لاعلاء كلمة الله بالإضافة إلى التعريف بأهم المصادر والمراجع العربية والأجنبية والبحوث التى استقى منها البحث مادته العلمية مع التعريض لبعض مؤلفى هذه المصادر بإلقاء الضوء عليهم حتى يمكن الوقوف على قيمة هذه المصادر علميًا وتاريخيًا .

وهذا عرض موجز لمحتويات هذا البحث :

أولاً : أحوال الفرنجة فى غاله ، موضحة فيه تكوين تلك المملكة الفرنجية مع بيان أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبيل عبور المسلمين إلى تلك البلاد .

ثانيًا : طلائع الجهاد من موسى بن نصير إلى الحر عبد الرحمن الثقفى ، أما الفصل الثانى فقد خصصته لفترة جهاد السمح بن مالك ، وتناولت فى بدايته ولاية السمح بن مالك على الأندلس ، ثم استقرار المسلمين فى المدن الفرنجية التى فتحوها والاهتمام بتحصين المراكز الإسلامية فى غاله .

ثم انتقلت إلى الفصل الثالث المخصص لجهاد عنبسه بن سحيم الكلبى وخلفائه فتعرضت فى البداية إلى تقدم المسلمين نحو الشمال حتى مدينة سانس فى حوض الرون ، ثم عودة عنبسة لضبط أحوال الأندلس واستشهاده فى الطريق إليها ، ثم استئناف عذره بن عبد الله الفهرى الجهاد ، ثم جهود الهيثم بن عبيد الكنانى فى وادى الرون .

أما الفصل الرابع فتحدثت فيه عن جهاد عبد الرحمن الغافقى فى غاله وتناولت فيه عدة مباحث مهمة كان المبحث الأول عن اتجاه الغافقى إلى قلب غاله بعد توطيد أمور الأندلس وجمع الشمل وسد الخلل .

أما المبحث الثانى فهو عن معركة بلاط الشهداء واستشهاد الغافقى ، تلك المعركة التى كان لها دوى عظيم لدى الفرنجه الذين بالغوا فى أهميتها ونتائجها .

أما المبحث الثالث شرحت فيه الأبعاد التاريخية لمعركة البلاط ، ثم عالجت فى الفصل الخامس أسباب تعثر جهاد الطلائع خلف البرتات ، وقد قسمته إلى أربعة مباحث .

يختص المبحث الأول بأسباب توزع السلطة بين دمشق والقيروان وقرطبه وكيف أن ذلك التوزيع كان له أسوأ الأثر فى عدم الاستقرار وحلول الاضطراب وقيام المشاكل فى وقت الجهاد . وخوف الخليفة عمر بن عبد العزيز من توزيع القوة الإسلامية فى بلاد الأندلس نظراً لبعدها وعدم وصول الأخبار منها بسرعة .

أما المبحث الثانى فيوضح الصراعات القبلية وأثرها فى تعثر جهاد المسلمين إلى توقف مسيرة الجهاد خلف البرتات ، ومن ثم هجرة البربر من أماكنهم الشمالية فى بلاد الأندلس مما اتاح الفرصة للقوى النصرانية فى الظهور فكانت بداية التجمع المسيحى ضد المسلمين .

ويظهر فى المبحث الرابع من هذا الفصل كيف توسع التجمع المسيحى فى اشتوريا وغاليسيه ونافار ضد المسلمين بالأندلس وأخذ ينمو ويكبر دون أن يشعر به أحد من المسلمين نظراً لانشغالهم بمشاكلهم وفتنهم القائمة بينهم .

أما الفصل السادس فهو عن جهاد المسلمين بعد معركة البلاط فقد تناولت فيه جهاد عبد الملك بن قطن الفهرى واتمامه مسيرة الجهاد بعد الغافقى واثبت أن المسلمين لم يتوقفوا بعد الهزيمة فى بلاط الشهداء وإنما تابعوا مسيرتهم بعزم وتصميم حتى استطاعوا ضم مناطق جديدة لنفوذهم ثم جاء جهاد عقبة بن الحجاج السلولى خلف البرتات وتثبيت سلطة المسلمين فى سبتمانيا وبروفانس وبرجنديا .

وتغيرت الأحوال فى تلك الفترة فى كل من دولة الفرنجة ودولة بنى أمية فى المشرق ، وعلى الرغم من ذلك لم يكن باستطاعة المسلمين استغلال الفرصة لتدعيم أحوالهم بسبب قيام الفتنة بين العرب والبربر واستمرار الثورات حتى نهاية الدولة الأموية .

ويختص الفصل السابع بجهاد أمراء الأمويين ضد الفرنجة ، وقد تناولت فيه استئناف أمراء الأندلس للجهاد خلف البرتات منذ عصر عبد الرحمن الداخل والاهتمام بالبحرية الأندلسية ثم انتقل الجهاد من عبور بوابات جبال البرتات إلى الجهاد البرى فى جنوب غاله وأثبت فى هذا الفصل أنه حينما توقف غزو المسلمون برا واتجهوا إلى البحر ، وكانت لهم فيه صولات وجولات حتى استطاعوا تأسيس معاقل إسلامية بعيدة فى كل من البروفانس وجبال الألب وسويسرا وإيطاليا .

ويمثل الفصل الثامن والأخير الأبعاد الثقافية والآثار الحضارية التى تركها المسلمون فى تلك المناطق وهى مازال تشيد بحضارتهم وبدورهم الإنسانى حتى يومنا هذا على الرغم من إنكار بعض المستشرقين من الحاقدين .

أما الخاتمة فهى عبارة عن النتائج التى توصلت إليها فى بحثى .

والحق أن هذه الرسالة التى أقدمها بين يدى الباحثين هى دراسة متواضعة على طريق البحث الجاد والدراسة المنهجية لتكون ومضه صادقة تعطى لمحة عن الفتوحات الإسلامية خلف جبال البرتات .

ولم يفتنى ان أشفع كل فصل بخارطة توضح كثيراً من مقاصده ، وتقف القارئ

على ما تحدثت عنه ، فيكون على تصور بين بالاطلاع على الخارطة . كما توخيت من الخرائط أن تبين حدود الفتح الإسلامى . ومواضع القتال . ومما يقرب الأمر إليه .

وكل ما أرجوه أن أكون قد وفقت فى إلقاء الضوء على الأحداث التاريخية التى صاحبت هذه الفترة الزمنية من القرن الأول إلى الخامس الهجرى ، على الرغم من كثرة الآراء وتضاربها والاختلافات الواردة عند المؤرخين الغربيين والمسلمين على السواء ، ولكن هذه هى طبيعة البحث والدراسة ، وأتمنى أن أكون قد وفقت فى بحثى هذا ، وهذا أملى ومطلبى وحسبى من ربى الأجر والثواب ، وان كانت الأخرى فحسبى ما قاله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فأخطأ فله أجر اجتهاده .

ويبقى بعد ذلك أن تعرض فى هذا الملخص لأهم المصادر والمراجع التى استقيت منها مادة هذه الرسالة وكانت نصوصها وما ورد فيها من آراء خير عون لى فى تتبع حركة الجهاد الإسلامى خلف جبال البرتات حتى أضحت هذه المصادر والمراجع مصدر البنية الأساسية للموضوع بعد إخضاعها للتمحيص والجرح والتعديل وتقييم ما فى دفيتها من أخبار . وتنقسم هذه المصادر والمراجع إلى ما يأتى :

أولا : المصادر العربية ويأتى فى مقدمتها :

١ ـ المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب (ت ١٠٤١هـ) .

وقد عظمت استفادتى من هذا الكتاب القيم وخصوصًا الأجزاء الثلاثة الأولى فيما يتعلق بولاه الأندلس والحروب الواقعة بينهم وفتنة البربر ، وأخبار ظهور النصارى ، ولقد غطت هذه المعلومات معظم جوانب البحث فى فصوله السبعة الأولى ، لذا يعد هذا الكتاب الشامل موسوعة تاريخية هامة لا غنى لدارس فى تاريخ الأندلس عنها نظراً لاعتماده على جميع مؤرخى الأندلس وخصوصاً من فقدت كتبهم مثل الرازى وابن حيان وغيرهم .

ويعيب هذا الكتاب أنه غير منظم فى سرد معلوماته مما تتطلب منى جهداً كبيراً

فى ترتيب المعلومات ، وأخيراً فكتاب المقرى يكاد يكون العامل المشترك لجميع فصول الرسالة . ومصدراً مهما فى تاريخ الأندلس وحضارتها .

٢ ـ ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب (ت ٦٩٥ هـ) تقريبا .

يعد كتاب ابن عذارى الذى عاش فى القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى الأساسى الذى اعتمد عليه من أتى بعده من المؤرخين ونقلوا عنه نقلا حرفيا دون أن يشيروا إليه ، وهو من أهم ما لدينا من المصادر عن تاريخ المسلمين بالأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ويعد من أشمل تاريخ لحوادث الأندلس السياسية والاجتماعية والحروب التى دارت بين العرب والفرنج ونصارى الاسبان وبين العرب بعضهم مع بعض ، ولذلك كان اعتمادى كبيراً عليه فى جميع فصول البحث ولا سيما أنه أورد نصوصا هامة نسبها لأصحابها ، ولقد انفرد ابن عذارى ببعض الروايات التى لم نجدها فى المصادر الأخرى وخصوصاً فيما يتعلق بثورة البربر فى المغرب والأندلس ، والصراع القائم بين العرب البلديين والداخلين وأثر هذا الصراع على إضعاف وحدة الأندلس بشكل عام وتشجيع الدويلات المسيحية على التوسع على حساب المسلمين .

٣ ـ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر (٨٠٨هـ) .

يعد كتاب ابن خلدون من أهم الكتب فى الحديث عن الفتوحات ، وقد اعتمد ابن خلدون فى كثير من الأحيان على الرازى وابن حيان مما يزيد من أهمية كتابه وقد عظمت استفادتى من الجزء الرابع والسادس خصوصاً ما يتعلق بأخبار الولاه والفتن الواقعة بينهم وأسباب ثوراتهم ، وجذور أجناسهم ، كما اعتمدت على مقدمة الكتاب .

٤ ـ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم . ويبدو أن هذا الكتاب قد كتب لعهد الخليفة الثانى فى

الأندلس الحكم المستنصر ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر (١) ٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ . ويتناول هذا الكتاب دراسة الدولة الإسلامية في الأندلس من الفتح إلى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقد ذكر المؤلف تفاصيل مهمة عن الأحداث السياسية في عصر الولاة ، وأبدى اهتمامًا خاصًا بحركة المقاومة النصرانية التي تفجرت بانشغال الولاه في فتنهم ، كما وضح انتشار الإسلام في غاله واستقرار المسلمين بها ، الظروف التي أدت إلى دخول طالعة بلج بن بشر القشيرى إلى الأندلس ، وظهور الصراع بين العرب البلديين والعرب الشاميين ، وتطوره إلى صراع قبلي بين القبائل اليمنية التي وقع عليها عبء الفتح والقبائل القيسية الداخلة من الشام ، وانتهاء الصراع لصالح القيسية ولقد استفدت منه استفادة عظيمة وخصوصاً في الفصل السادس .

٥ ـ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس (ت ٣٦٧هـ) يعد من الكتب المهمة في تاريخ الأندلس ، فقد تناول فيه المؤلف سرد الحوادث من فتح الأندلس إلى عهد الأمير عبد الله . وانفرد بذكر أخبار هامة عن مصر الولاه وعن علاقة العرب بالبربر والفتن الواقعة بينهم كما يلقى الضوء على عامل رئيسى هو وحدة الأندلس وهو الصراع القبلي .

٦ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ (ت ٦٣٠ هـ).

يتكون الكتاب من تسعة أجزاء جمع فيه ابن الأثير خلاصة الكتب التي سبقته ولكن بعد أن هذبها ونقحها فاستحق أن يسميه الكامل . وهو كاتب مشرقي اهتم بتاريخ المغرب ، ويعد من أحسن المؤلفين الذين ظهروا في المشرق وكتب عن الأندلس أثناء سرده لحوادث المشرق الإسلامي باعتباره أن ذلك جزء من تاريخ الدولة الإسلامية وهو يتناول تاريخ الأندلس بصورة مختصرة ولكنها لم تخرج عن المنهج الذى اتبعه في تاريخه ، وهو منهج الحوليات أي سرد الأحداث حسب السنين ، وقد كانت استفادتي منه فيما يتعلق بحكم الولاة والفتن الواقعة بين العرب والبربر من جهة ، وما كان بشأن علاقة الداخل بالفرنجة من جهة أخرى .

٧ ـ كتاب الإمامة والسياسة المنسوب (١) لابن قتيبه (ت ٢٧٦هـ) .

أورد هذا الكتاب تفصيلات هامة عن فتح الأندلس وخصوصاً فيما يتعلق بموسى بن نصير وأبنائه حيث أورد معلومات مفصلة . وكان مؤلف الكتاب يتميز بذكر سند الرواية عند ذكر الأخبار المهمة ، وقد نشر نص ابن قتيبه حول فتح الأندلس فى كتاب ابن القوطيه الذى سبق ذكره .

٨ ـ الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقه والمغرب (ت ٤١٧هـ) .

ويعد من أهم الكتب فى تاريخ أفريقيا والمغرب ، إذ انفرد الرقيق بأخبار مفصلة غاية فى الأهمية وبتفاصيل مهمة وخصوصاً فيما يتعلق بثورة البربر ، لذلك يعد هذا الكتاب من المصادر المهمة التى حفظت لنا أخبار الفتح الإسلامى وأخبار عصر الولاة الأمويين ، وعنه ينقل ابن عذارى فى بيانه .

٩ ـ الغسانى : كتاب رحلة الوزير فى افتكاك الأسير (١١١٩هـ) .

يعد نص الرسالة الشريفة إلى الأقطار الأندلسية الملحق بكتاب ابن القوطية مستلا من هذا الكتاب الذى أورد أحكامًا مهمة عن نظام الأرض فى الأندلس وخصوصًا فى عهد موسى بن نصير والسمح بن مالك الخولانى .

ثم تأتى بعد ذلك كتب التراجم وهى تشكل مصدراً من مصادر التاريخ الأندلسى ورجعت إلى معظم هذه المصادر واستفدت من ابن الفرضى فى تاريخ علماء الأندلس (ت ٤٠٣هـ) .

والحميدى فى جذوة المقتبس (ت ٤٨٨ هـ)

والضبى فى بغية الملتمس (ت ٥٩٩ هـ)

وابن الأبار فى الحلة السيراء (٦٥٨هـ) وقد كانت استفادتى منه كثيراً فقد نهج ابن الأبار منهجًا يختلف عن بقية كتب التراجم حيث نظم تراجمه حسب الفروق الهجرية مبتدئًا بالقرن الأول ومنتهيًا بالقرن السابع الهجرى دون الاهتمام بالترتيب الأبجدى للأسماء بخلاف ما سارت عليه كتب التراجم الأخرى .

أما الكتب الجغرافية التى تناولت بلاد الأندلس والفرنجه فهى فى غاية الأهمية من

حيث استعانتى بها فى إعداد تعريفات المدن ومواقعها ، ومن حيث سير المعارك والمواقع، والجبال والأنهار التى عبروا منها ، ويأتى فى مقدمة هذه الكتب .

١ ـ أبو عبيد البكرى : المسالك والممالك (ت ٤٨٧ هـ)

وهو من أحسن كتب الجغرافية تحقيقًا ، وقد أفرد المؤلف فيه تفاصيل جغرافية وتاريخية مهمة وتعاريف عن المدن والمواقع ، وعن منطقة جبال البرتات بخاصة حيث كان لتلك التوضيحات أهمية كبيرة فى معرفة قواعد المسلمين ومراكزهم . وقد عظمت استفادتى منه وخصوصًا فى الجزء الأول من البحث .

٢ ـ ابن غالب الغرناطى : كتاب فرحة الأنفس (ت ٥٧١) والمنشور منه قطعة حققها الدكتور لطفى عبد البديع ، وقد تميزت هذه القطعة النادرة بإيراد تفاصيل مهمة عن جغرافية أهم المدن الأندلسية وخصوصًا ذات الأهمية البحرية مثل طرطوشه وكركونه .

٣ ـ انفرد ياقوت الحموى : معجم البلدان (٦٢٦هـ) المرتب حسب الحروف الهجائية بمعلومات فى غاية الأهمية عن المدن والبلدان ومواقعها وما إلى ذلك من معلومات سهلت إلى حد كبير معرفة مواقع تلك المدن ومدى أهميتها وقد استفدت منه فى التعريفات الخاصة بالمدن والملحق فى أخبار البحث .

٤ ـ ويعد كتاب القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد (ت ٦٨٢هـ) من أهم الكتب التى ذكرت مدن الأندلس ، فقد أفرد المؤلف تفصيلات هامة عن المدن الأندلسية حسب الحروف الهجائية وما اشتهرت به هذه المدن من المعادن والنبات والأنهار .

ثانيًا : المراجع الحديثة :

وتشمل ما صدر حديثا من كتب ومقالات سواء أكان بالعربية أو بغيرها ومن أهم المراجع العربية التى رجعت إليها :

١ ـ كتاب الدكتور حسين مؤنس : فجر الأندلس ، فهو كتاب شامل للفترة الأولى من تاريخ المسلمين بالأندلس من لدن الفتح إلى دخول عبد الرحمن الداخل ، ولقد عظمت استفادتى فى جميع فصول البحث منه لأنه كتاب شامل تناول كثيراً من الأحداث الهامة التى تعرضت لها .

٢ ـ جوزيف رينو : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، ويأتى فى طليعة الكتب المترجمة ، وترجمة أمير البيان شكيب أرسلان ، ولقد استفدت من هذا الكتاب القيم فى الفصل الخاص بالفتح الإسلامى لغاله وما جاورها من مناطق ، واعتمدت عليه فى تغطية معظم فصول الرسالة نظراً لأهميته ، وللكتاب ترجمة أخرى مهمة لإسماعيل العربى . رجعت إليها ونبهت على ذلك فى مواضعه .

٣ ـ محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس . يعد هذا المرجع من أهم المراجع الحديثة فى تاريخ المغرب والأندلس ، وقد تركز اهتمامى به فى الجزء الأول منه، وهذا الكتاب موسوعة شاملة لتاريخ الأندلس لا غنى للباحث عنه .

أما المراجع الأجنبية التى استفدت منها فسيجد القارئ لها فى القائمة الخاصة بالمصدار والمراجع فى نهاية البحث .

وهناك مراجع مهمة جدا ، وظهرت استفادتى منها جلية فى الفصل السابع وما يتعلق بجهود المسلمين فى منطقة البروفانس وجبال الألب وسويسرا وإيطاليا ولعل أهمها .

1 - Y. A. A. : Aubenas : Histoire de Frejus . Ed. la ffirtereprints Marseille . 1974 .

تارى فريجوس

2 - Victor de Saint Genis : Histoire de Savoie,

تاريخ منطقة السافورى

3 - Edouard Baratier : Histoire de la Provence . Privat Editeur, Toulouse . 1969 .

تاريخ البروفانس

4 - Theodore Gautier " Historie de la ville de Gap et Du Gapencais .

تاريخ مدينة غاب وسكانها .

5 - Fernand Nathain : Histoire de Provinces De France .

مجلد ٨ ـ البروفانس

6 - Paul Guichonnet : Histoire et civilizations des Alpes .

تاريخ منطقة جبال الألب وحضارتها

7 - Yeen Prieur " La Savoie desoriginesa L'an 1000 .

السافوى منذ البداية وحتى العام ١٠٠٠

8 - Lucien musset : Invasions le Second assalit Conrre l' Europe. Chretlenne . (viie - xlesiecles).

الاحتياجات العسكرية ، الهجمة الثانية ضد أوروبا المسيحية (من القرن السابع إلى القرن الحادى عشر) .

9 - Georges Reymond et Yean Edouard dugnd Monco antique .

موناكو القديمة

10 - E. Poupe & F. Mineur : Pepite Histoire de Draguianon .

موجز تاريخ دراغينيون

11 - Charles Lentheric : Provence Maritime Ancienne et Moderne.

منطقة البروفانس البحرية القديمة والحديثة

الفصل الأول

جهاد الطلائع الإسلامية في الأرض الكبيرة

أولا : أحوال الفرنجة فى غاله « فرنسا » .

ثانيا : طلائع الجهاد من موسى بن نصير .

إلى الحر بن عبد الرحمن الثقفى .

أولا : أحوال الفرنجة فى غاله :

ينبغى علينا قبل أن نمضى قدما فى تتبع حركة الجهاد الإسلامى خلف جبال البرت أن نمهد بنبذة عن أحوال مملكة الفرنجة وأن نحدد المقصود بكلمة (الافرغ) أو (الفرنجة) Franks فنذكر أن هناك اختلافا بين المؤرخين المحدثين والقدامى الشرقيين والغربيين حول تحديد لفظ الافرغ . فظهر فريق من المؤرخين المسلمين يحدد شعب الفرنجة تحديدا دقيقا بأنه هو الشعب الذى يعيش تحت حكم الدولتين الميروفنجية والكارولنجية (وحدودها شمال إسبانيا وفرنسا الحالية وإيطاليا وألمانيا) من هؤلاء المؤرخين ابن عذارى [١] والبكرى[٢]. والمسعودى[٣] الذى حذا حذوه كثير من المؤرخين لأنه من أعلام الجغرافيين ، ويضاف إلى هؤلاء الرازى وابن حيان[٤] .

أما المعنى العام فيعنى الشعوب المسيحية الغربية عامة ولا يعنى مسيحى الشرقى[٥].

الحالة السياسية :-

استمرت دولة الفرنجة أكثر من غيرها واختلفت عن سائر الجرمان مثل القوط والوندال والبرجنديين واللومبارديين وغيرهم لسببين :

الأول : أن حركة الفرنجة كانت تتصف بالتوسع والامتداد وليس بالهجرة وغزو مناطق جديدة وحسب ، وترك مواطنهم الأولى كبقية الشعوب الجرمانية التى تخلت عن مواطنها الأولى ، وأخذت تنتقل خلال الأقاليم الأوروبية حتى استقرت بعيدا عن موطنها الأول ، ومن ثم انقطعت صلتها تماما ، أما الفرنجة فقد تميزوا بأنهم لم

---

(١) ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج. س . كولان وليفى بروفنسال ، ص٩٢ ـ ٩٧ ، ١٠٨ .

(٢) البكرى :جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص١٤٣ ـ ١٤٥ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٤) المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص ٣١٠ ـ ٣٤٣.

(5) Abdurahma Ali. El. Hajji : Andalusiandplomatic Relation with western europa During The Umayyad Period : P.113 .

يهاجروا ولم يتركوا موطنهم الأول عند الراين الأدنى . وإنما أخذوا ينتشرون منه ويضيفون إليه إقليما بعد آخر دون أن يتركوا مراكزهم الأساسية أو يقطعوا صلتهم بمواطنهم الأم . مما ترتب عليه احتفاظ الفرنجة بأصولهم وحضارتهم وحياتهم الجرمانية فى الوقت الذى انقطعت فيه صلة بقية الشعوب الجرمانية بموطنها الأصلى وذابت عناصرها مع العناصر الجديدة التى عاشت معها(١) .

ويعتبر مجيء الفرنجة إلى داخل ولايات الإمبراطورية الرومانية أهم حدث فى تاريخ الغزوات الجرمانية الأولى فى الغرب . فلقد حقق مجيئهم بقاء طويلا داخل حدود الإمبراطورية واستطاع مزج مقومات الحضارة الرومانية بالكثير من خصائصهم وتقاليدهم . والفرنجة ينقسمون إلى عناصر رئيسية أهمها عنصر البحرين وعنصر البريين .

ويعتبر كلوفس Clovis هو الممثل الحقيقى لدولة الفرنجة البحريين (٤٨٦ ـ ٥١١ م) إذ استطاع أن ينزل الهزيمة فى سواسون Soisson بسياجريوس Syagrius الذى يعتبر آخر بقايا الإدارة الرومانية فى حوض السين(٢) .

على الرغم من سقوط الإمبراطورية فى أوروبا الغربية قبل ذلك بعشر سنين أى فى سنة ٤٧٦م . وقد أخذ كلوفس يعمل بعد انتصاره فى سواسون على مد نفوذ الفرنجة على الجهات الشمالية من غاله ، واتخذ عاصمة جديدة بدلا من سواسون وهى باريس Paris وهكذا أصبحت غالة الرومانية مقسمة بين ثلاث دول :

١ ـ دولة القوط الغربيين فى منطقة الحدود بين غاله واسبانيا وهى المنطقة المعروفة باسم سبتمانيا Septemanie أى منطقة المدن السبعة بعد أن طردهم الفرنجة من اكيتانيا (٣) .

---

(١) سعيد عاشور : أوروبا والعصور الوسطى . ص٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) هـ. موسى : ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز جاويد . ص١١٥ .

(٣) اكيتانيه Aquitania وكان يحكمها دوق Dux وامتدت من اللوارالى البرنات ومن أشهر مدنها تولوز Tolose وبوردو Bordeaux وبجوارها كانت توجد إمارة خاضعة للقوط تعرف =

٢ ـ دولة البرجنديين فى حوض الرون ومنطقة سافوى وقد أقام البرجنديون دولتهم فى جنوب غاله منذ أواخر القرن الخامس الميلادى بعد أن قضى الهون [١] Huns على دولتهم فى فرمز Warms ومايتز Mayence وسبير Speyer .

٣ ـ دولة الفرنجة :

إلا أن مملكة الفرنجة التى أجهد « كلوفس » نفسه فى سبيل توحيدها وجعلها وحدة سياسية متكاملة لم تستمر على هذا الوضع بعد وفاته ، فهذه المملكة الاى جمعت الفرنجة المؤلفين من عدة قبائل وامتدت من البرت إلى ما وراء نهر الراين فى جرمانيا حتى الفيزر والدانوب انهارت بعد كلوفس وذلك نتيجة للنظام السياسى الذى سار عليه الفرنجة الميروفنجيين وهو نظام تقسيم المملكة بين الأبناء[٢] وكأنها ارث خاص بهم[٣].

وهذه القاعدة فى اقتسام الأرث عند الفرنجة تعتبر من الحقائق الأساسية فى تاريخ الدولة الميروفنجية[٤] وكانوا يسيرون على قاعدة تقسيم الأرث بين الأبناء الذكور دون الإناث[٥] مع الأخذ بعين الاعتبار أن الفرنجة كانوا يتخذون أكثر من زوجة مما أدى إلى

= باسم Gothle (جوتيه) وهناك مقاطعة أخرى عرفت باسم بريتانى . انظر عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ص٤٥ .

(١) الهون Huns وهم إحدى القبائل الأسيوية التى هاجمت الامبراطورية الرومانية وكان يتزعمها ملك يدعى أتيلا Atila ، وقد هاجموا مدن غالة وشاع عنهم قصص طويلة تعبر عن بطشهم وقسوتهم ولقد هزمهم الرومان فى موقعة شالون سنة ٤٥١م .
انظر : سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ، جـ١ ، ص٩٠ ـ ٩١ .

(٢) سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، جـ١ ، ص١٠٠ .

(٣) محمود سعيد عمران : معالم تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ص١٠٢ .

(٤) عرفت الدولة الميروفنجية The Merovingians إلى ميروفنج Merovch جد كلوفوس وواضع أساس تلك الدولة .

(٥) هـ. موسى : ميلاد العصور الوسطى ، ص١١٩ . عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوروبية ، ص٨١ .
Einhard : The life of Charlemegne P. 57 .

كثرة الفتن وازدياد المشاكل[1].

وقد قسم كلوفس مملكته بين أبنائه الأربعة وفقا للنظام الذى ذكرناه لذلك أصبحت المملكة التى تمتد على جانبى الراين وتشمل جميع غاله ما عدا بريتانى وجاسكونى وبروفانس مقسمة إلى ثلاثة أجزاء تقريبا :

١ ـ اوستراسيا Austrasia أى الأراضى الشرقية الممتدة حتى ألمانيا

٢ ـ نويسترياNeustria أى البلاد الجديدة الغربية التى ضمها الفرنجة أثناء توسعهم غربا .

٣ ـ اكوتين Aquitan ثم أضيفت إليها مملكة رابعة هى برجند يا Burgandia وهى البلاد التى توسعوا فيها بين الرون والألب ، ثم أن الملوك من أسرة كلوفيس كانوا على درجة كبيرة من الانحلال والضعف حتى أطلق عليهم المؤرخون « الملوك العاطلين » أو الكسالى أى الذين لا يعملون شيئا Rois Faineants .

ونتج عن هذا الوضع المضطرب وعن ذلك التقسيم أن تفتتت الدولة الميروفنجية وضعفت أجزاؤها[2] .

صحيح أن لوثر الأول (كلوتير) Koltar استطاع توحيد مملكة الفرنجة سنة ٥٥٨م بعد وفة اخوته الثلاثة أى أنه حكم جميع مملكة كوفس بالإضافة إلى برجنديا وبروفانس وبافاريا وثورنجيا إلا أن تلك الوحدة لم تلبث أن انفصمت عراها وتشتت شملها بين أبناء لوثر نفسه عند وفاته سنة ٥٦١م وغرقت الدولة فى الخلافات والعداوات والانقسامات[3] .

---

(١) جون . أ. هامرتن : تاريخ العالم ، ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم ، ص٨١ . نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا ، ص٨١ .

(٢) نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا ، ص٨١ ، عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٤٦ .

(٣) سعيد عاشور : أوروبا ، جـ١ ص١٠٠ ـ ١٠١ . إبراهيم العدوى : المجتمع الأوروبى فى العصر الوسيط ، ص٩١ .

وفى عهد داجوبيرت Degobert (ابن كلوتيـر الثـانى) وهو من آخـر ملوك الميروفنجيين نرى أن هذا الملك حاول أن يجمع كلمة الفرنجة تحت لوائه وأن يفرض سلطانها على المناطق الشرقية من غالة (ألمانيا) .

وبعد وفاة داجوبيرت ٦٣٩م لم يعد تاريخ الميروفنجيين مرتبطا بالملوك وإنما برؤوساء البلاط فى الأقسام الثلاثة التى انقسمت إليها الدولة الميروفنجية . فقد بدأت ظواهر كثيرة تطفو على السطح ومنها أن كثيرين من الملوك كانوا يصلون إلى العرش فى سن مبكرة بسبب وفاة آبائهم فأمثال هؤلاء لا يديرون السلطة فى البلاد . وإنما يديرها حاجب القصر الذى يتمتع بالسلطة الحقيقية ويجمع حوله أنصاره ويعتمد عليهم ، وأصبح الملوك فى هذه الفترة عبارة عن أطياف ملكية حتى وصفوا بأن الملك منهم (لم يكن له سوى اسمه وذوائب شعره المرخاة على لحيته الطويلة)[1] .

ولعل ظهور نظام رؤساء البلاد يرجع إلى ظهور نظام الإقطاع والعشائر الذى كان يسود المملكة وكانت مجموعة لأمراء والدوقات والكونتات تتقاسم السلطة فى مختلف الولايات والأرجاء وكلما ضعف سلطان العرش اشتد نفوذ الزعماء والأمراء المحليين حتى استطاعوا خلال العصور المتعاقبة أن يحدوا من سلطة العرش وأن يحرزوا لأنفسهم كثيرا من الامتيازات والسلطات وقد برز بين هرستال Pepin De Herstal كرئيس للبلاط فى قصر داجوبيرت ، وأصبح هذا الرئيس أقوى شخصية فى مملكة داجوبيرت . وبمضى الزمن أصبح هذا المنصب الذى تقلده بين هرستال يستأثر صاحبه بكل السلطات الحقيقية وإليه منتهى الأمر فى أخطر شئون الدولة يباشره باسم العرش ومن ورائه ولا يباشر الملك إلى جانبه غير رسوم الملك الأسمية وبعد وفاة بيبن هرستال فى أواخر القرن السابع تولى بعده ابنه شارل مارتل Charles Mertel سنة ٧١٤م وهو

---

(١) هـ/ أ. ل. فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة مصطفى زيادة ، السيد الباز العرينى ، جـ١ ، ص٧٠ ـ ٧١

(من عادة ملوك الفرنجة أنه كانت لهم لحى طويلة وذوائب شعر طويلة تتدلى على لحاهم وهو مظهر من المظاهر التى تميزوابها فى العصور الوسطى .

الذى استطاع أن يدعم نفوذه حتى غدت السلطة الفعلية فى يده سنة ٧١٩م وعندئذ أصبحت دولة الفرنجة فى حالة يرثى لها بسبب التنافس الطويل بين رؤساء البلاط فى نوستريا واستراليا من جهة ولسبب الأخطار الخارجية التى أحاطت بدولة الفرنجة من جهة أخرى[1]. وكان لابد من الإسراع بالوقوف أمام تلك المشاكل ومحاربتها واحدة تلو الأخرى . ذلك بادر بالقيام بسلسلة طويلة من الحروب لتأمين وضع دولة الفرنجة فحارب السكسون والفريزيين والبافاريين[2] على أن أخطر الأكبر الذى أصبح يدق أبواب دولة الفرنجة بشدة جاء من الجنوب بالذات . أى من جانب المسلمين الذين زحفوا وخرجوا من الأندلس عبروا جبال البرت حتى استولوا على اربونة عاصمة سبتمانيا سنة ١١٢هـ ٧٣٠م ثم توجهوا إلى برجنديا ووجد شارل مارتل نفسه أمام خطر يستلزم التعبئة والاستعداد العام للتصدى لهؤلاء فحشد كل اتباعه لمواجهتهم [3]. كما سنعرف فى موضعه من الصفحات التالية :

وقد استطاع شارل مارتل أن يتغلب على جميع أعدائه وبخاصة السكسون فى ميادين القتال .

ويرجع السر فى توفيقه وبراعته فى الحروب إلى جنوده الفارعين الأقوياء من السكسون الذين لم تفسدهم حياة المدن فلهم يرجع الفضل فيما حققه من ظفر ونجاح فى جميع الميادين التى خاضها [4].

وفى عام (١٢٣هـ) ٧٤١م توفى شارل مارتل وخلفه ابنه بيبين القصر فى رئاسة البلاد .

ونلاحظ أن أهم ما يميز دولة الفرنجة والأسرة الكارولنجية بصفة خاصة هو التحالف الوثيق الذى ربط الدولة بالكنيسة .

---

(١) عاشور : أوروبا ، جـ١ ص١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢) من هذه الفئات سيتألف جيش شارل مارتل الذى سيوجهه ضد عبد الرحمن الغافقى .

(٣) سعيد عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص١٩٣ .

(٤) فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، جـ١ ص ٧٧ ـ ٧٨ .

فقد حرص بيبين على التقرب من الكنيسة التى رحبت به كل الترحيب إذ كان كلاهما فى حاجة للآخر وكانت الظروف مواتية للطرفين فالبابوية فى حاجة إلى قوة تساعدها للحد من نفوذ اللومباردين فى إيطاليا[1]، وبيبين يحتاج إلى أن يضفى على حكمه صفة شرعية بأن يتوج من قبل البابوية .

وكان الوضع السياسى القائم فى البلاد غير سليم من حيث حكم رؤوساء البلاطة وهم الحكام الفعليون فى البلاد ، أما الملك الشرعى فستضعف لا حول له ولا قوة لذلك أجمع المجلس العام لشعب الفرنجة وقرر فى عام ١٣٤هـ / ٧٥١م عزل شيلد برت Childebert آخر ملوك استراليا وإحلال بيبين القصير محله على العرش .

وهنا يدخل تاريخ دولة الفرنجة مرحلة هامة تتمثل فى عقد التحالف بين الدولة والكنيسة إذ يستغل بيبين الفرصة التى أتت إليه طائعة فيقوم بمراسلة البابا زكريا فى روما لاستشارته وأخذ رأيه . ولسنا فى حاجة لنؤكد مدى حاجة البابوية إليه ، فما أن استشاره فى موضوع تتويجه وانتقال السلطة إليه حتى جاء رد البابا بالموافقة التامة[2] وأنه من الأفضل أن يكون الملك لمن بيده السلطة الفعلية فى البلاد .

وهكذا تشجع بيبين القصير وأعلن عزل الملك واعتلى عرش الفرنجة سنة ١٣٥هـ ـ ١٥١ هـ (٧٥٢م ـ ٧٦٨م) وبذلك انتهت الأسرة الميروفنجية من سلالة كلوفيس وبدأت الأسرة الكارولنجية من سلالة رؤساء البلاط فى أستراليا .

وفى هذه الفترة توفى البابا زكريا وخلفه البابا ستيفن الثانى وفى عهده قام اللومبارديين بهجوم على الممتلكات البابوية لذلك لم يجد البابا أمامه غير مملكة الفرنجة فتوجه إلى هناك لعرض الأمر على بيبين حيث وعده بإعداد جيش لصد الهجمات اللومباردية وانتهز البابا ستيفن هذه الفرصة وقام بتتويج بيبين وزوجته وولديه شارل وكارلمان . وطلب من النبلاء أن يقسموا يمين الولاء لبيت بيبن وعرف ذلك التصرف

---

(١) عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص٩٧ .

في التاريخ باسم هبة ببين[1] .

وقد استمر ببين في الحكم حتى وفاته (١٥١هـ) ٧٦٨م وعندئذ قسمت أملاكه بين ولديه شارل وكارلومان . وبوفاة كارلومان سنة (١٥٥ هـ) ـ ٧٧١م ، الذى تنتسب إليه الدولة الكارولنجية اتيح لشارلمان الفرصة لتوحيد مملكة الفرنجة تحت سيادته من مصب الراين حتى مصب الرون . ومن نهر المين حتى خليج بسكاى[2] .

الحالة الدينية :ـ

اعتنق كلوفيس الديانة المسيحية على مذهب أهل البلاد الاثناسيوسى[3] فحدث بذلك تقارب كبير بينه وبينهم وخالف بذلك بقية الشعوب الجرمانية التى اعتنقت المذهب الاريوسى[4] فظلت ممقوتة في الغرب بسبب اريوسيتها وتعتبر خطوة كلوفس ذات أثر كبير فى تحديد مصير الفرنجة ومستقبل دولتهم لأنه باعتناق الكارولنجيين لمذهب الكنيسة الغربية اكتسبوا عطف الكاثوليك ليس فى غالة فقط ، وإنما فى جميع أرجاء أوروبا . ومعنى ذلك قيام رباط وثيق بين الفرنجة والرومان .

وقد ساعد كلوفيس على اعتناق الديانة المسيحية على المذهب الاثناسيوسى زوجته كلوتلدا المسيحية الكاثوليكية وقد أدى اعتناقه للمسحية (الكاثولكية) وارتباط دولة

---

(١) فشر : تاريخ أوروبا ، جـ١ ، ص ٨٤ ، عفاف صبره : الامبراطوريتين البيزنطية والرومانية فى زمن شارلمان ، ص٤١ ـ ٤٢ . هـ.موسى : ميلاد العصور الوسطى ، ص٣١٦ . وحاطوم : تاريخ العصر الوسيط ص٩٣ .

(٢) عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص٢٠٠ .

(٣) المذهب الاثناسيوسى نسبة إلى كاهن سكندرى يدعى اثناسيوس ومذهبه يتلخص فى أن المسيح له طبيعة تتشابه مع طبيعة الخالق فى الصفات وقد أصبح ذلك مذهب البابوية فى الغرب جميعاً خاصة فى دولة الفرنجة .
عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص٥٦ ـ ٥٧ .

(٤) المذهب الاريوسى: نسبة إلى كاهن سكندرى يدعى اريوس ومذهبة يتلخص بأن المسيح مخلوق ولا يتشابه مع الإله الخالق فهو دونه أى من طبيعة بشرية ، ولقد شاد هذا المذهب فى الشرق واعتنقه معظم القبائل الجرمانية . للمزيد انظر عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص٥٦ ـ ٥٧ .

الفرنجة بالبابوية فى روما إلى التأثير على تطور الأحداث فى أوروبا العصور الوسطى وسؤدى ذلك إلى نتائج سياسية هامة فى مستقبل الفرنجة(١) .

وإذا ما نظرنا إلى غالة فى تلك الفترة نجد أن ملوك البيت الميروفنجى(٢) عندما ادركوا أن مملكتهم أصبحت جزءا هاما من العالم المسيحى أخذوا على عاتقهم حماية الشعب وقاموا بالتوسع وضم أجزاء كبيرة إلى بلادهم ، ونستطيع أن نطلق على المجتمع الذى قام فى غالة فى القرن السادس أنه كان مجتمعا رومانيا عمل على تهذيب الفرنة ورفع مستواهم عن طريق الكنيسة ومؤسساتها(٣) .

ولقد اعتمدت دولة الفرنجة اعتمادا كبيرا على رجال الدين فى القيام بالتبشير والدعوة المسيحية(٤) خصوصا فى الأقاليم الوثنية البربرية مثل بلاد السكسون والألمان وغيرهم . تلك العناصر التى اعتبرت أهم أداة الحرب فى دولة الفرنجة ويتضمن التبشير بالمسيحية نقل المدن الرومانية والقانون الرومانى إلى تلك الأصقاع وتحمس الفرنجة لحماية العقيدة السميحية . فليس من باب الصدفة أن تكون غالة هى الدولة المتزعمة دون غيرها من سائر دول الجرمان فهى التى ساهمت بنصيب وافر فى الحروب الصليبية فيما بعد بالإضافة إلى أن لغتها هى التى سادت فى الإمارات الصليبية فى الشرق(٥) .

وأثر اعتناقهم للمسحية تأثيرا كبيرا فى تطوير وتهذيب عقليتهم الوثنية وتقاليدهم الوحشية(٦) .

---

(١) عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوروبية ، ص٧٩ ـ ٨٠ . ج. م والاس هارديل : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٢) سعيد عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص٩٨ . إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص٤٧ .

(٣) عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٤) لقد استخدمنا كلمة تبشير فى غير موضعها لأنها أصبحت مألوفة ولا ينطبق عليهم إلا كلمة تنصير لأن المبشر هو الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ﴾ .

(٥) إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٤٧ .

(٦) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ٧٨ .

الناحية الاقتصادية :-

كانت الحروب التى خاضتها دولة الفرنجة فى عصر رؤوساء البلاد كثيرة ومتعددة الميادين وقد كلفت الدولة نفقات باهظة مما أدى ألى عجزها عن تدبير الأموال اللازمة لذلك رأى شارل مارتل أن يقوم بمنح إقطاعات حربية للفرسان يتعايشون منها ويقدمون له فى مقابلها الخدمات الحربية . وظلت هذه الإقطاعات الحربية هى النواة الأولى لنشأة النظام الإقطاعى فى أوروبا العصور الوسطى .

وعندما أحس شارل مارتل أنه من الصعب توفر الأرض لأعداد كبيرة من الفرسان وأن ذلك قد يضعف من مواد الحكومة بدأ يتطلع إلى أراضى الكنيسة ليجبر رجالها على منح إقطاعات من الأرض لجنوده حتى استطاع تكوين جيش كبير .

والواضح أن هذا النظام الذى لجأ إليه شارل مارتل أدى إلى تغيير فى المفهوم الاقتصادى فأصبح يعتمد على الزراعة دن غيرها من الموارد الاقتصادية مما أضر كثيرا بالنواحى المالية وانتهى بذلك نظام المدن الرومانية القديمة وحلت محلها الضياع الزراعية الإقطاعية .

وقد أصبحت جميع السلطات فى مملكة الميروفنجيين كالقضاء والضرائب وتجنيد الأجناد أو النفير العام أصبحت فى أيدى كبار الملاك الإقطاعيين سواء كانوا مدنيين وكنسيين على حد سواء . فأصبح الكونت هو الممثل العام للحكومة الملكية فى المدينة وصبحت جميع تلك الأمور من ضرائب وتجنيد وغيرها من حقوق المتملك على الجهة والمسؤول عنها فكان هو المسئول عنها ويؤديها للملك أى أنه مع بقائها تابعة للملك الشرعى اسميا فقط تبعية غامضة غير واضحة المعالم ، أما الملك فأصبح مجرد صورة واهية يحكم باسم هؤلاء الكونتات ولكنهم يديرون المملكة من وراء ستار(١) .

أما بالنسبة للتجارة فى عهد الدولة الميروفنجية فقد كان لغاله علاقات تجارية هامة مع موانى الشرق فى البحر المتوسط سنة ٦٠٠م ولكن هذه العلاقات ما لبثت أن ذبلت

---

(١) هـ. أ. فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، جـ١ ص ٧٥ .

نتيجة لقوة المسلمين البحرية من القرن السابع الميلادى مما جعل تجارة الفرنجة شبه محلية ولكن لم تكن قوة المسلمين البحرية هى السبب المباشر(١) لضعف التجارة الميروفنجية والكارولنجية ، وإنما أهم من ذلك النظم الإقطاعى ونشأة الضياع الزراعية وإهمال الطرق المحلية والخارجية البرية والنهرية والبحرية ولعل من أهم أبرز مظاهر الإقطاع تناقص فى عدد الأحرار وصغار الملاك وازدياد عدد الأقنان الذين فقدوا حريتهم لارتباطهم بالأرض أى أنهم أصبحوا عبيد الأرض الذين ارتبطوا بالنظام الإقطاعى .

الناحية الاجتماعية :-

حينما غزا الفرنجة غالة وانتزعوا نصفها الشمالى من حاكمها الرومانى ونصفها الجنوبى من القوط قامت فى غالة سلطة جديدة ومجتمع جديد فقد كانوا يقيمون ملكهم على القوة ويقتسمون السلطة فى نوع من الإقطاع ، فلا يمضى وقت حتى تقوم فى غالة فى القطر الواحد عدة إمارات محلية ، ولقد خالف الفرنجة جميع العناصر الجرمانية فى سياستهم الحكيمة التى امتازت بعدم الإفراط فى العنف والإساءة إلى أهالى البلاد الأصليين فقد احترموا شعور أهالى غالة ، ولم يؤذوهم فى أملاكهم وأرواحهم ، وهذا المسلك قرب بينهم وبين أهالى البلاد الأصليين من الغال والرومان ولا يعنى المساواة المطلقة فقد كانت كبرياء الفرنجة تأبى عليهم الاعتراف بالمساواة المطلقة بينهم وبين أهالى غالة الأصليين(٢) .

وقد كانت هناك طبقات عدة فى المجتمع الفرنجى وهى طبقات توزع حسب الأوضاع المادية والثروات الخاصة بأصحابها فالطبقة الأولى كانت تتكون من النبلاء وأصحاب الدماء الزرقاء Sangblue ومعظمهم من الجرمان والفرنجة حيث قسمت البلاد بينهم إلى إقطاعات ، بحيث أصبح النظام الإقطاعى من معالم الحياة فى العصور

---

(١) عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص١٩٩ . ارشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ص١٣٠ ـ ١٣١ .

(٢) عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص١٩٧ .

الوسطى قد أخذت تتضح هذه الظاهرة الإقطاعية فى المجتمع الفرنجى إقطاع تداول فيه النبلاء ، فكل واحد منهم يعيش فى إقطاعيته Manor وله جنوده ومحاكمه وله أن يفرض حق الحياة أو الموت على رعاياه ، وله ألقاب متوارثة تدرجت فى ظهورها حسب الترتيب الآتى :

الأمير Prince ـ الدوق Due ـ المركيز Marquis[1] الكونت Count[2] الفيكونت Vicoune ـ البارون Baron ـ الفار Sir أى السيد .

وهناك طبقة ثانية هى الدنيا وهم الأقنان Serfs وقد سادت هذه الطبقة فى المجتمع الفرنجى فجعلت منه مجتمعا مختلا قائما على أساس هرمى يسود بين أفراده البغض وتحامل كل على الآخر .

وبذلك نرى أن النظم السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية كانت تحمل بين طياتها بذر الضعف فى دولة الفرنجة حتى انحط بذلك مستواهم . وقد سهلت جميع هذه المظاهر السبيل أمام المسلمين الذين كانوا موجودين فى شمال إفريقيا والأندلس يرفعون راية الإسلام ويدفعهم الحماس الدينى للاستجابة لنداء الله والجهاد فى سبيله ونشر الإسلام بين أمم العالم كافة كلما أمكن ذلك[3] .

---

(١) المركيز : الماركية مقاطعة على الحدود وتقابل الثغر فى المصطلح الإسلامى ويحكمها رجل يدعى المركيز أى حاكم المنطقة ، وكانت له اختصاصات مهمة ، وهو أعلى درجة من الكونت .

(٢) الكونت : أمير منطقة داخلية ، ويعلونه نواب يسمون فيكونات أى نائب الكونت .

(٣) عبد القادر اليوسف : العصور الوسطى والأوروبية ، ص١٢٨ .
عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٤٤ ـ ٤٥ .
الفمراوى : مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط ، ص٢٢٣ .

جدول بأسماء الولاة فى جهاد الطلائع

١ ـ عبد العزيز بن موسى بن نصير	٩٥ ـ ٩٧هـ (سنة وعشرة أشهر)
٢ ـ أيوب بن حبيب اللخمى	٩٧هـ (ستة أشهر)
٣ ـ الحر بن عبد الرحمن الثقفى	٩٧هـ ـ ١٠٠ (سنتان وثمانية أشهر)
٤ ـ السمح بن مالك الخولانى	١٠٠ ـ ١٠٢هـ (سنتان وثلاثة أشهر)
٥ ـ عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى (ولايته الأولى)	١٠٢ (شهران)
٦ ـ عنبسة بن سحيم الكلبى	١٠٣ ـ ١٠٧هـ (أربع سنين وستة أشهر)
٧ ـ عذره بن عبد الله الفهرى	١٠٧هـ ـ (شهران)
٨ ـ يحيى بن سلمة الكلبى	١٠٧ ـ ١١٠هـ (سنتان وستة أشهر)
٩ ـ حذيفة بن الأحوص القيسى (الأشجعى)	١١٠هـ (ستة أشهر أو أكثر)
١٠ ـ عثمان بن أبى نسعه	١١٠هـ (ولايته خمسة أشهر)
١١ ـ الهيثم بن عدى (عبيد) الكلابى (الكنانى)	١١١ هـ (خمسة أشهر أو أكثر)
١٢ ـ محمد بن عبد الله الأشجعى	١١١هـ (ولايته شهران)
١٣ ـ عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى (ولايته الثانية)	١١٢هـ ـ ١١٤هـ (سنتان وثمانية أشهر)
١٤ ـ عبد الملك بن قطن الفهرى (ولايته الأولى)	١١٤هـ ـ ١١٦هـ (سنتان)
١٥ ـ عقبة بن الحجاج السلولى	١١٦هـ ـ ١٢١هـ (خمس سنوات وشهران أو أكثر)

١٦ ـ عبد الملك بن قطن الفهرى ١٢٣هـ (سنة واحدة وشهر واحد)
(ولايته الثانية)

١٧ ـ بلج بن بشر بن عياض القشيرى ١٢٤هـ (ولايته احد عشر شهرا أو أقل)

١٨ ـ ثعلبة بن سلامة العاملى ١٢٤هـ (ولايته عشرة أشهر أو أقل)

١٩ ـ أبو الخطار حسم بن ضرار الكلبى ١٢٥هـ (أربع سنوات وستة أشهر أو أقل)

٢٠ ـ ثوابه بن سلامة الجذامى ١٢٨هـ (ولايته سنة واحدة أو أكثر)

٢١ ـ عبد الرحمن بن كثير اللخمى ١٢٩هـ (ولايته بضعة أشهر)

٢٢ ـ يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ١٢٩هـ ـ ١٣٩هـ (تسع سنوات وتسعة أشهر أو أكثر) انتهت ولايته بولاية عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ آخر ولاة الأندلس .

للمزيد : انظر عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٠٧ ـ ٢١٠ .

خليج بسكاي

البحر الابيض (المتوسط)

١

طلائع الجهاد
من موسى بن نصير
إلى الحر بن عبد الرحمن الثقفي

ثانيا : طلائع الجهاد من موسى بن نصير إلى الحر بن عبد الرحمن الثقفى :

ما من حضارة إلا وتقوم على عقيدة توجه سلوك الإنسان وتنظيم تصرفاته فى كل ميدان من ميادين العلم والمعرفة ، مما يجعل لكل تاريخ صفة حضارية تميزه باختلاف هذه العقيدة ، لذا كان لكل تاريخ دوافع نفسية واجتماعية منبثقة من تصور هذه العقيدة للوجود والحياة وهو أمر متفق عليه لدى جميع الأمم فى مختلف العصور ، حتى عصرنا الحديث الذى تقوم حضارته على المفاهيم الأوروبية الوثنية والمسيحية والتى تختلف تماما عن مفهوم الإسلام للإنسان والحياة مما انعكس ذلك واضحا وجليا فيما يكتبون عن الوجود الإسلامى والفتوحات الإسلامية . إذ إذ التبست عليهم الأمور فأشابوها بالكثير من التهجم والافتراء مع التركيز الشديد على الهفوات والأخطاء التى بالغوا فيها وشوهوا تصويرها .

وبناء على هذا التصور الخاطئ حاول كثير من الباحثين فى حركة الفتوحات الإسلامية بالمغرب والأندلس وغالة أن يضعوا تفسيرات متضاربة لنجاحها وامتدادها السريع ، فذهب البعض إلى تفسيرها بالأطماع الاقتصادية وذهب آخرون إلى تفسيرها بالدوافع الحربية إلى غير ذلك فاختلفت الآراء وتباينت الاستنتاجات .

ومما زاد الأمر بشاعة انضمام طائفة من المؤرخين من بنى ديننا إلى هؤلاء وباعتناق آرائهم وتقديسهما مبهورين مخدوعين بمقدرتهم فى التحليل والدراسة فنقلوا إلى العربية ثمرة هذه الأحقاد والضغائن بلا وعى أو تدبر فنشروها بين عامة المثقفين ثم اضطروا إلى محاولة التوفيق بين هذه المفاهيم الخاطئة لهذا الفتح ومفهوم الإسلام له باعتباره جهادا لنشر الإسلام .

فهم بهذا الغزو الفكرى وانقيادهم له تولد لديهم الإحساس بالضعف أمام الغرب مما دفعهم إلى محاولة تبرير كل ما يتعارض مع روح الحضارة الغربية وتصوراتها الفكرية والسلوكية .

إن وصف حركة الفتح بأنها دفاعية هى فى الحقيقة محاولة تبريرية لا تصمد لأية مناقشة جادة ، فهل اعتدى سكان غالة على حدود المسلمين ليغتنموها ؟ وهل تزمين

الحدود يقتضى التوغل فى أوروبا حيث وقعت الأحداث الخطيرة والمواقع الحاسمة بعيدا عن جزيرة العرب ، فكانت بلاط الشهداء جنوب فرنسا ، وكان فتح جنوب إيطاليا وبعض إقليم سويسرا .

إن التفسير الصحيح لحركة الفتح هو أنها تطبيق لفريضة دينية هى الجهاد الذى وصفه الحديث الشريف « بأنه ذروة سنام الإسلام » لذا قبل أن نتعرض للفتوحات الإسلامية خلف جبال البرت يلزم أن نقف على مدلول الجهاد فى الإسلام لنتبين الدوافع التى دفعت المسلمين الأوائل أن يحملوا أرواحهم على أكفهم اعلاء لكلمة الله .

فالجهاد لغة : الاجتهاد فى الأمر وبذل كل ما فى الوسع والطاقة فى طلبه ليبلغ بجهوده ويصل إلى غايته .

فالجهاد فرض على المسلمين فإذا قام به من يدافع العدو ويغزوهم فى عقر دارهم ويحمى ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين وإلا فلا [١] .

واصطلاحا : بذل المسلم طاقته وجهده فى نصر الإسلام ابتغاء مرضاة الله[٢] .

ولهذا قيد الجهاد فى الإسلام بأنه فى سبيل الله ليدل على هذا المعنى الضرورى لتحقيق الجهاد الشرعى .

وجاءت الآيات القرآنية معلنة أنما هو جهاد فى سبيل الله بخلاف الكافرين فإن جهادهم فى سبيل الشيطان قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ﴾[٣] .

وقد طلب الله سبحانه وتعالى الجهاد من عباده المؤمنين مع ما يترتب على ذلك

---

(١) صالح اللحيدان : الجهاد فى الإسلام بين الطلب والدفاع ، ص١٤٢ .
(٢) أبو الفتح ناصر الدين المطرزى : المغرب فى ترتيب المعرب ، ص١٧١ .
العمرى : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ص٧٩ .
(٣) سورة النساء ، آية ٧٦ .

من قتل النفوس وإزهاق الأرواح لأن المحافظة على الدين محافظة على النفس والمال .

فالغرض من الجهاد إعلاء كلمة الله ، والقضاء على الفساد ، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله . وكانت الغاية منه إقامة المجتمع الإسلامى وقيام الدولة الإسلامية الصحيحة لتحقيق السلام وكف أيدى الظالمين عن الاعتداء على الإنسان ، وليس المقصود الإنسان المسلم فحسب بل الناس كل الناس فى كل بقعة من بقاع الأرض ، ولم يعرف فى التاريخ كله أسلوب يراعى كرامة الإنسان كأسلوب القتال فى الإسلام ، فلا تعذيب ولا تمثيل ولا عذر بعد عهد ولا مفاجأة بل إعلام العدو بالخيارات الثلاثة المعروفة الإسلام أو الجزية أو القتال[1] .

لقد انطلق المسلمون للفتح بدافع العقيدة ولفتح القلوب للإيمان بالله وتحريرها من العبودية وليس بدافع القتال ، بل الهدف هو السلام والسلم والإيمان والتحرير من العبودية .

لذا لم يكن تقدم الجيش بهذا الشكل إلا باسلامه . وبه كان نصر الله لهم وبهذه السرعة ـ إلى ضعف قوة أعدائهم كما يدعى البعض ـ فالمسلمون فى الأندلس واجهوا الأمم القوطية القوية التى وصفت بالأمجاد العسكرية الكثيرة ولكن استطاع المسلمون بقوة عقيدتهم التى ميزتهم وجعلتهم فى مرتبة عالية فسموا بها فصغر أمامهم كل تجمع وقوة[2] .

وبهذه العقيدة هزموا أمة القوط وغيرها . رغم قلة جيشهم وحققوا ما عجزت عن تحقيقه الجيوش بحرارة لأن المسلمين كانوا يومها أمة واحدة خرجوا من أجل غاية واحدة وهدف واحد هو إيصال كلمة الله إلى العالم وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ولم يقتصر هدفهم على مكان دون آخر فما أن انتهوا من مكان حتى اتجهوا إلى غيره . فبعد اتمام فتح إفريقيا والمغرب اتجهوا إلى الأندلس ومن هناك عبروا جبال البرتات وهكذا دون حدود أو توقف .

(١) محمد نعيم ياسين : اقتراءات حول غايات الجهاد ، ص ٣٠ .
(٢) عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

لقد تمكنت الجيوش الإسلامية من فتح بلاد الأندلس خلال أربع سنوات من عام ٩٢هـ ـ ٩٦هـ / ٧١١ ـ ٧١٥م وما أن تم لهم السيطرة على شبه الجزيرة الأيبيرية حتى هربت القبائل القوطية إلى أراضى غالة مخترقين الحاجز الجبلى المعروف بجبال البرتات أو البرت[1] الذى يفصل إسبانيا عن قارة أوروبا أما بقية القوط فقد هرب

---

(١) برت وجمعها برتات وأصلها كلمة لاتينية Portus وتعنى الممر أو الميناء SP. Paerto وهى ذات صلة بالكلمة اللاتينية Porta أى الباب أو المدخل . واستعمل الكتاب الأندلسيون تسمية الجبال الفرنجية كما سموها ، وجمعت أحيانا فقالوا جبال البرت أو جبال البرتات وترجمتها الأبواب .

عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٩٦ .

أما الرازى : فقد ذكرها حين تحدث عن الجبال الأندلسية فقال بعد ذكر جبل قرطبة « أما الجبل الثانى فمبتدؤه عند ساحل البحر الشرقى مقبلا من ناحية اربونه ، وهو الحاجز بين الأندلس وبلاد أفرنجه، والفرنجه تسمية رونشغاله ويبدو موازيا لبلد بشقايه وبلد اشتريش ومنتهاه عند البحر فى جليقيه فى أقصى الشمال .

حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ص٦٤٠ ، المجلدات ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ .

ثم يعدد بقية الجبال فيقول « وبينهما / البحر المحيط (المحيط الأطلسى) والبحر المتوسط / البر الذى يعرف بالأبواب وهو المدخل إلى بلد الأندلس من الأرض الكبيرة على بلد أفرنجية ومسافته بين البحرين مسيرة يومين » .

المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، جـ١٠ ، القسم الأول ، ص ١٣٠ . كذلك يذكر أبو بكر عبد الله بن النظام عن جبال البرت : « منه المدخل إلى الأرض الكبيرة التى يقال لها الأبواب ، ومن قبله يتصل بلد الأندلس بتلك البلاد المعروفة بالأرض الكبيرة ذات الألسن المختلفة » .

المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، القسم الأول ، ص ١٣٣ .

أما البكرى فيذكر « ومنها جبل البرت وهو الحاجز بين بلاد الإسلام وبلد غاليش ومبتدؤه من البحر القبلى المتوسط المجاور طرطوشة ومنتهاه إلى البحر الغربى بين الاشبونه وجليقيه .

البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص٨٥ .

أما ابن سعيد الأندلسى فيذكر وهنالك الحاجز الذى يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ذات الألسن الكثيرة ، وفى هذا المكان جبل البرت الفاصل من الحاجز المذكور وفيه الأبواب .

المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ١٢٨ .

أما ابن غالب الزندلسى فيذكر حين حديثه عن جبال الأندلس (والجبل الثانى المنتهى إليه الحاجز بين الأندلس وبلد أفرنجة ، ومبدؤه من البحر القلبلى ومنتهاه البحر الغربى وهو المحيط ، المسمى البرتيه .

ابن غالب الأندلسى : قطعة عن كتاب فرحة الأنفس ، ص٣٠٧ . =

معظمهم إلى الشمال الغربى من إسبانيا عند مناطق الباسك Baysques التى ظلت

= وتوجد فى جبال البرت أربعة ممرات أو خمسة . وصف الإدريسى أربعة منها يبدؤها بالترتيب من الشرق إلى الغرب عند خليج بسكاى « وفيه أربعة أبواب فيها مضايق يدخلها الفارس بعد الفارس ، وهذه الأبواب عراض لها مسافات ، وهى مخونة الطرق وأحد هذه الأبواب الذى من ناحية برشلونة ويسمى برت جاقة ، والباب الثانى الذى يليه يسمى برت أشبره ، والباب الثالث منها سمى برت شيزرو ، والباب الرابع يسمى برت بيونه ويتصل بكل برت منها مدن فى الجهتين » .

الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ص ٢٥٢ _ ٢٥٣ .

أما شكيب أرسلان : فيذكر أن العرب كانوا يسمونها البيرانه جبل البورتات وهذه اللفظة مشتقة من الكلمة اللاتينية Portus وبالاسبانية Puerto أى « الممر » ، وذلك لأن من هناك كان الممر بين الأندلس إلى الأرض الكبيرة وكان يوجد فى جبال البيرنيه أربعة أبواب أو خمسة معروفة عند العرب حتى استخدموها فى جهادهم .

١ _ عن طريق برشلونه إلى أربونه على مدينة بربنيان Perpigngn on قاعدة ولاية روسيونه أو البيرانه الشرقية وهى التى سماها الإدريسى ممر جاقه Jaca .

٢ _ طريق بويسردا Puycerda على منطقة سردانة (شرطانيه) ، ولم يذكره الإدريسى .

٣ _ طريق اشبره Asperi . وتقع مدينة جاقة أمام بابه .

٤ _ طريق شيزروا أو الشزرى Cisereus وهو رونشفاله Roncesvalles ويقع فيه الطريق الواصل من مدينتى بنبلونه Pamplona إلى شنت جوان Saint Jean .

٥ _ طريق بيونه Bayonne ويؤدى إليه طريق طلوشة (تولوزه) Tolosa إلى Bayonne .

انظر شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ١٥٣ .

عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٩٨ .

ويختلف الكتاب المحدثون فى وصف البرت فمنهم من يرى أن تلك الجبال هى الحاجز الطبيعى بين فرنسا وأسبانيا ، وتوجد الممرات فى أطرافها الغربية والشرقية .

انظر دولت صادق وآخرون : جغرافية العالم ، ص ٤٩٩ .

فى حين يرى آخر أنها تمثل حاجزاً بين فرنسا وأسبانيا يرتفع أرتفاعا فجائيا من السهول فى الجنوب وتحوى سلاسلها الضيقة كتلال الصخور وتتميز بأنها أكثر اتصالا وأقل احتواء للممرات من الألب ولكنها ليست فى ارتفاع بعض ، وتمتد فيما بين فرنسا وأسبانيا فى نطاق التوالى معقد يزيد طوله عن ٤٠٠ كم من خليج بسكاى إلى البحر المتوسط لذلك يصعب عبور هذه الممرات .

انظر جوده حسين جوده : جغرافية أوروبا الإقليمية ، ص١٤٨ _ ٢٤٤ .

وكان يقع على مدخل تلك الأبواب التى عرفت بذلك الاسم سواء فى شمال الأندلس أو جنوب بلاد الغال مدن هامة صارت مراكز للدفاع وتجمعات الجيوش وللإغارة كذلك اتخذ المسلمون تلك المعاقل مراكز للحراسة لأنها تقع على القمم المشرفة على الممرات ، وهى عبارة عن أبراج متقابلة بحيث إذا شعروا بمرور العدو أوقدوا النيران من برج إلى برج حتى تأخذ الجيوش حذرها .

عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٩٧ _ ٩٨ .

اوكارا لهم حيث تمت فيها حركة المقاومة المسيحية ضد مسلمى الأندلس[1] ولم يعبأ الولاه المسلمون بفلول القوط المجتمعة فى منطقة اشتريش وجليقية لأنهم رأوا أن بقاء ذلك الإقليم فى يد القوط إنما هو مجرد رمزا لبقائهم دون ما حول لهم ولا قوة .

وحينما فتح المسلمون الأندلس لم يكن قد أصبح لجبال البرت ذلك المعنى السياسى المعروف اليوم ، وإنما كانت تعد فاصلا بين إسبانيا وغالة ولقد كانت بلاد الفرنجة فى نظر المسلمين يومذاك امتدادا لبلاد الإسبان ، ولذا رأى المسلون حفاظا على بلادهم بالأندلس وصونا لحدودهم أن يمدوا فتوحاتهم إلى الأقطار المجاورة لهم وأن يسطوا نفوذهم عليها وينشروا الإسلام بين ربوعها حتى يضمنوا عدم اعتدائهم فيبعدوا خطرهم عن أراضيهم وديارهم التى تم فتحها بشبه جزيرة أيبريا .

وبالإضافة إلى ذلك نجد أن اتجاه المسملين إلى عبور البرتات وقيامهم بتلك الفتوحات فى جنوب بلاد الغال كانت ضرورة حتمية حربية أملاها سقوط دولة القوط فى الأندلس ، فعلى الرغم من سيطرة المسلمين على شبه جزيرة إيبيريا وإخضاعهم للقوط الغربيين إلا أنه كان هناك بقايا فى إقليم سبتمانيا بجنوب الغال والباسك[2] .

ويعتبر تفكير المسلمين وانطلاقهم إلى فتح إقليم سبتمانيا تفكيرا جيدا يدل على مهارتهم الحربية ومحاولتهم تأمين ممتلكاتهم بالسيطرة على مناطق الأطراف المجاورة والتى يمكن أن تكون مصدرا خطرا على سلامتهم واستقراره فى شبه جزيرة أيبيريا .

والحق أن استمرار القوط فى ذلك الإقليم كان بمثابة الخطر الذى يهددهم[3] حيث يمكن أن يكون ملاذا لجميع العناصر الساخطة على المسلمين ، لذلك اضطر ولاة الأندلس إلى تكريس ومضاعفة الجهود لفتح إقليم سبتمانيا لتدعيم سلطانهم

---

(١) انظر الفصل الخاص بأسباب تعثر جهاد المسلمين خلف البرتات الخاص بالتجمع المسيحى فى اشتوريش ص٢٤٦ .

(٢) عمر فروخ : العرب والإسلام ، ص ١١١ ـ ١١٢ .

(٣) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٧٥ ـ ١٧٦ .

عمر فروخ : العرب والإسلام ، ص ١١١ ـ ١١٢ .

وإداراتهم فى شبه الجزيرة الأيبيرية ولذلك حرص المسلمون فى كل حملاتهم فى عهد الولاة على فتح إقليم سبتمانيا تحقيقا لأهدافهم الدينية ورغبة فى استطلاع الأراضى الجديدة المجاورة لذلك الإقليم المسماه بالأرض الكبيرة(١) .

والمعروف طوال تاريخ الفتوحات الإسلامية الزاهرة منذ عهد الخلفاء الراشدين والأمويين وقوف الخلفاء جميعهم بالتصدى لكل قائد يتمادى فى تنفيذ أعماله العسكرية ولا يسمح له بالانتقال والتوسع من جهة إلى جهة إلا بعد التأكد من سلامة وتأمين القواعد الأولى مما جعل الجيوش الإسلامية تسير دوما بثبات واطمئنان وتحقق نصرا وفتحا تلو الآخر .

فلم تفتح بلاد الأندلس مثلا إلا بعد أن دعم كل من القواد والفاتحين الكبار أمثال حسان بن النعمان وموسى بن نصير شمال إفريقيا . بحيث صارت كل من القيروان وتونس وسبتة قواعد حصينة تزود المسلمين فى شبه الجزيرة الإيبيرية بالعدة والعتاد الحربى وتحمى ظهورهم وتقدمهم وانطلاقهم فى نفس الوقت . وعندما بدأ المسلمون فى التحرك صوب جبال البرتات عرفوا أن القوط يملكون إقليم سبتمانيا الذى يشتمل على إقليم تمتد من جبال البرتات إلى مصب الرون Rhon . وكانت عاصمة هذا الإقليم أرجون Arjona . أما فيما يلى جبال البرتات فى الشمال فكانت تحتله فى الغرب دوقية (أقطانية) Aquitaine أكيتانيا وعاصمتها (بردال) بوردو Bourdux وكان يحكمها دوق Duc سمى أودو Eude ، وكانت تحتل حوض الجارون وإلى شمالها تقع مملكة الفرنجة وفى ناحية الشرق شمال سبتمانيا Septema-nia كانت تقوم دوقية برجندية Burgundia وتشمل بقية حوض الرون ومستقلة عن مملكة الفرنجة فالمسلمون فى محاولاتهم للاتجاه شمالا كان عليهم أن يستعدوا لمواجهة قوات أربع :

---

(٢) ولم يكتفوا بفتح الإقليم بل حرصوا على تقسيم المناطق المتاخمة لجبال البرت من شمال الأندلس إلى كور ومقاطعات أطلقوا عليها اسم الثغور كانت تعبر منها الجيوش الإسلامية .
عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٩٨ .

١ ـ بقايا القوط فى سبتمانيا Septemania

٢ ـ قوات دوقية أقطانية Aquitqnia

٣ ـ قوات دوقية برجندية Burgundia

٤ ـ قوات مملكة الفرنجة [١]

لقد جاءت محاولة المسلمين للوصول إلى ما وراء جبال البرتات مبكرة أى منذ انتهائهم من فتح الأندلس مباشرة .

وكانت خطة موسى بن نصير هى فتح القسطنطينية بطريقة تختلف عن غيره من الفاتحين السابقين وهو أن يصل إليها عن طريق أوروبا لا عن طريق الشرق ذلك بأن يقتحم جبال البرنية فيبدأ بافتتاح مملكة الفرنجة ثم يقصد مملكة اللومبارد فى شمالى إيطاليا ثم يتجه إلى روما قاعدة النصرانية فيفتحها ثم يتابع سيره شرقا إلى سهول الدانوب ثم يخترق أراضى الدولة البيزنطية حتى القسطنطينية ثم يعبر آسيا الصغرى قاصدا إلى دمشق فيصل أملاك الخلافة الإسلامية فيما بين المشرق والمغرب عن طريق الشمال كما اتصلت عن طريق الجنوب .

وفى هذا الصدد يذكر المقرى أن موسى « وكان يؤمل أن يخترق ما بقى عليه من بلاد أفرنجة ويقتحم الأرض الكبيرة حتى يتصل بالناس إلى الشام مؤملا أن يتخذ مخترقة بتلك الأرض طريقا مهيعا يسلكه أهل الأندلس فى مسيرهم ومجيئهم من المشرق إليه إلى البر لا يركبون بحرا » [٢].

وقد قيل أن موسى بن نصير هو أول من فكر فى تحقيق هذا الهدف فبعد اتمامه فتح بلاد الأندلس توجه هو وطارق وواضعا خطة لافتتاح ما بقى من الأندلس فتوجها للإقليم الشرقى واخترقا ولاية أرجون (الثغر الأعلى) وافتتحا سرقسطة Zaragoza وطركونه Tarazona وبرشلونه Barcelona وغيرها من المدائن والمعاقل ثم افترقا فسار

---

(١) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٣ .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٥٩ .

طارق نحو الغرب متجها إلى جليقيه Galicia ليتمكن من القضاء على القوط واتجه موسى قاصدا جبال البرت[1] .

وفي هذا الصدد يذكر المقرى أن موسى ـ أمر طارقا ـ بالتقدم أمامه فى أصحابه «وسار موسى خلفه في جيوشه ، فارتقى إلى الثغر الأعلى وافتتح سرقسطة وأعمالها وأوغل فى البلاد وطارق أمامه لا يمران بموضع إلا فتح عليهما ، وغنمهما الله تعالى ما فيه ، وقد ألقى ارعب فى قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد إلا بطلب صلح وموسى يجيء على أثر طارق فى ذلك كله ، ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله طامن نفوس من أقام على سلمه ، ووطأ لأقدام المسلمين فى الحلول به ، أقام لتمييز ذلك وقتا ، وأمضى المسلمين إلى أفرنجة ففتحوا وغنموا وسلموا وعلوا وأوغلوا ، حتى انتهوا إلى وادى ردونه ، فكان أقصى أثر العرب ومنتهى موطئهم من أرض العجم (الفرنجة) ، وقد دوخت بعوث طارق وسراياه بلد أفرنجة فملكت مدينتى برشلونة وأربونة وصخرة اينيون وحصون لودون على وادى ردونه »[2] .

أما ابن خلدون فيذكر أنهم « اثخنوا فى أمم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة الشرق وحصنوا قشتالة وبسائطها من جهة الجوف وانقرضت أمم القوط وأزر الجلالقة ومن بقى من أمم العجم إلى جبال قشتالة وأربونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها وأجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة ختى احتلوا بسائطها وراءها وتوغلوا فى بلاد الفرنجة وعصف ريح الإسلام بأمم الكفر من كل جهة »[3] .

ويبدو أن موسى كانت لديه فكرة يريد تحقيقها أثناء عزمه على التوجه إلى جبال البرت وهى أن يربط بين العرب فى الأندلس والعرب المجاورين فى آسيا الصغرى بفتح بلاد الأرض الكبيرة الممتدة من الأندلس حتى القسطنطينية . وكانت رغبته أن يفتحها عبر الطريق البرى من بلاد الغال وإيطاليا وهنغاريا حتى يصل إلى القسطنطينية من

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، القسم الأول ، ص ٢٥٥ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١١٨ .

الشمال بعد أن عجز المسلمون عن فتحها من ناحية الشرق .

وبعد ذلك يرجع إلى الشام عبر الطريق البرى فى آسيا الصغرى ، وقد كان معظم الفاتحين يرغبون فى أن يكونوا هم الذين بشر بهم الرسول ﷺ حين قال « لتفتحن القسطنطنية فلنعم الأمر أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » [١] .

ويؤكد هذه المقولة ابن خلدون الذى يذكر أن موسى فكر « أن يأتى المشرق على القسطنطينية ويتجاوز إلى الشام ودروب الأندلس ويخوض ما بينهما من بلاد الأعاجم أم النصرانية مجاهدا فيهم مستلحما لهم إلى أن يلحق بدار الخلافة » [٢] .

ويروى ابن قتيبه عن موسى حينما أوغل فى الفتوح ونبهه إلى ذلك أحد رجاله قال أثناء انصرافه عن الأندلس : « أما والله لو انقادوا إلىّ لقدتهم إلى روسيه ثم يفتحها الله على يدي إن شاء الله » [٣] .

ولعل موسى بن نصير كان جادا فى فتح تلك المناطق فتحا مستقرا ثابتا لإيصال ذلك المد المنير إلى تلك الأماكن المظلمة وهذا ما دعاه إلى تنفيذ عزمه هذا لولا وصول مغيث الرومى رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك برسالة يطلب من موسى فيها العودة مباشرة إلى دار الخلافة بدمشق وعدم استكمال عمليات الفتح .

ويبدو أن الوليد بن عبد الملك لم يقدم على هذه الخطوة إلا بعد أن بلغه عزم موسى على تلك الفتوحات والوصول إلى القسطنطينية . وهذا ما يؤكده ابن خلدن «ونمى الخبر إلى الوليد فاشتد قلقه بسكان المسلمين من دار الحرب ورأى أن ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث إليه بالتوبيخ والإنصراف وأسرّ إلى سفيره أن يرجع بالمسلمين إن لم يرجع هو وكتب له بذلك عهده » [٤] .

---

(١) صحيح مسلم ، جـ٨ ، ص١٧٥ ـ ١٧٦ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٧ ـ ١١٨ .
(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ٢ ، ص٦٦ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٨ .

ولا غرابة فى ذلك فإن مشروعا مثل هذا قد أثار هواجس الخليفة الوليد بن عبد الملك فى دمشق ودعاه إلى تصميمه على رجوع موسى لأنه قد وصل إلى مسافات بعيدة من عاصمة الخلافة مما قد يؤدى إلى حدوث أخطار لجيوش المسلمين .

ويظهر أن الوليد كان متردد فى السماح بعملية الفتح نفسها حتى لا يغرر بالمسلمين ولا شك أن طول المدة وقلة الأخبار هى التى أثارت قلق الخليفة ودعته إلى استدعائه موسى[1] .

وهذا ما يؤكده ابن الشباط الذى يذكر « ولما اتصل بالوليد بن عبد الملك رحمه الله تلوّم موسى بن نصير بأرض الأندلس ، وتقحمه بالمسلمين فى أرض العدو من غير مؤامرة ولا مشاورة بعث مغيثا مولاه وأمره أن يعنفه ويقفله إلى إفريقية »[2] .

ورأى موسى أن الوقت غير مناسب للعودة وأن الوضع يستدعى منه الاستمرار على الأقل لترتيب الأمور ووضعها فى نصابها وتركها فى يد أمينة قبل مغادرته ، لذلك استمهل رسول الخليفة حتى ينتهى من مهمته ويعودا معا إلى دمشق فوافق على ذلك وسارا معا .

وفى ذلك يذكر المقرى أن موسى لاطف مغيثا رسول الخليفة وسأله انظاره إلى أن ينفذ عزمه فى الدخول إليها والسير معه فى البلاد أياما ويكون شريكه فى الأجر والغنيمة ففعل »[3] .

عندها قام موسى باتمام ما بدأه إذ لم يكن فى الأندلس بلد لم تدخله العرب إلى وقته ذلك غير جليقية وكان موسى حريصا على فتحها[4] .

وفى أثناء عزمه على فتحها وصله مغيث وبعد إقناعه سارا سويا لفتح المناطق

---

(١) محمد عبد الحميد عيسى : الفتح الإسلامى للأندلس ، ص١٤٨ ـ ١٤٩ .
محمد عبد اله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ص ٥٤ .
(٢) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس لابن الكردوبوس ووصفه لابن الشباط ، ص١٥١ .
(٣) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٥٨ .
(٤) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص٢٥٨ .

الشمالية من الأندلس الواقعة فى حوض نهر الابرو Ebero واستخدام الطريق الرومانى ، ثم اتجه عبر جبال البرت حتى وصل إلى مدينة ليون Leon ومنها اتجه إلى مدينة استرقه Asturga ومنها إلى مدينة لوغو Lugo ودخلت فى طاعته كل المدن ولأقاليم الواقعة فى هذه الجهات من بلاد الفرنجة وأكمل طارق بن زياد فتح أراغون Aragon واستكمل موسى فتح بعض مدن قشتالة ومنها إلى مناطق البشكنس الشمالية حتى وصل مع طارق إلى خليج بسكايه وإلى مناطق جليقية الجبلية الوعرة . وفى هذا الصدد يذكر المقرى أن مغيثا سار مع موسى « فافتتح حصن بارو وحصن لك فأقام هناك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاى على البحر الأخضر »[١] .

أما ابن عذارى فيذكر أنه فتح بلاد البشكنس وأوغل فيها حتى أتى قوما كالبهائم وغزا بلاد الأفرنج »[٢] .

أما ابن قتيبة فيذكر : أن موسى لما وغل وجاوز سرقسطة أشتد ذلك على الناس وقالوا : أين تذهب بنا ؟ حسبنا ما فى أيدينا ، وكان موسى قال : حين دخل إفريقية ، وذكر عقبة ابن نافع : لقد كان غرر بنفسه حين وغل فى بلاد العدو ، والعدو عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه ، أما كان معه رجل رشيد ؟ فسمعه جيش الشيبانى قال : فلما بلغ موسى ذلك المبلغ ، قام حبيش فأخذ بعنانه . ثم قال أيها الأمير : أنى سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع تقول : لقد غرر بنفسه وبمن معه ، أما كان معه رجل رشيد ؟ وأنا رشيدك اليوم ، أين تذهب ؟ تريد أن تخرج من الدنيا ، أو تلتمس أكثر وأعظم مما أتاك الله عز وجل ، وأعوض مما فتح الله عليك ودوخ لك إنى سمعت من الناس ما لم تسمع وقد ملأوا أيديهم ، وأحبوا الدعه . قال : فضحك موسى ثم قال : أرشدك الله ، وكثر فى المسلمين مثلك »[٣] .

وعندما وصل موسى إلى بلاد البشكنس وغزا بلاد الإفرنج وبينما هو ينتقل من نصر إلى نصر أتاه رسول آخر من الخليفة يستعجله فى العودة إلى دمشق وهنا يذكر

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٥٨ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ٢ ، ص ٦٦ .

المقرى : « .... وبينما موسى كذلك فى اشتداد الظهور وقوة الأمل إذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر أردف به الوليد مغيثا لما استبطأ موسى من القفول ، وكتب إليه الخليفة يوبخه ويأمره بالخروج ، وألزم رسوله ازعاجه ، فانقلع حينئذ من مدينه لك بجليقية ، وخرج على الفج المعروف بفج موسى ، ووافاه طارق فى الطريق منصرفا من الثغر الأعلى ، فأقفله مع نفسه ومضيا جميعا ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من آثر السكنى فى مواضعهم التى كانوا قد اختطوها واستوطنوها ، وقفل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر »[1] .

وهكذا بادر موسى وطارق ورسولا الخليفة إلى جنوب الأندلس وبقى من أثر من الجنود الاستقرار فى المواضع التى اختطوها واستوطنوها ، ولنا أن نتساءل هل استطاع أن يحقق موسى ما يصبوا إليه واستطاع أن يفتح بلاد الفرنجة خلف البرت ؟ فى الواقع أن موسى كان حريصا حتى آخر الوقت على اتمام هذا المشروع العظيم ولعل السرايا التى وصلت إلى أربونة وحولها فى المناطق الجنوبية من غالة خلال وجوده تقوى واقعية هذه الفكرة وتؤكد توثيقها[2] . وفى هذا يذكر ابن خلدون أثناء الحديث عن فتوح الأندلس « وتمم موسى الفتح وتوغل فى الأندلس إلى برشلونة من جهة الشرق وأربونة من الجوف وضم قادس فى الغرب »[3] .

ويؤكد وصوله إلى أربونة أيضا رواية الرقيق القيروانى الذى يذكر « أن موسى بن نصير نهض بفتح مدائن الأندلس مدينة مدينة حتى انتهى إلى أربونه »[4] . أما مؤرخونا المحدثون فإن لكل منهم رأيا خاصا حول إمكانية وصول موسى إلى تلك المناطق ، فيرى أحدهم أن استعجال موسى فى فتح جليقية بعد استمهاله مندوب الخليفة دليل على ذلك[5] ويرى آخر أن موسى اخترق جبال البرنية وغزا ولاية اللانجدوك Langue-doc أو سبتمانيه واستولى على قرقشونه وأربونه ثم نفذ إلى مملكة الفرنجة وغزا وادى

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٢٥٨ .
(٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١١٥ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٧ .
(٤) الرقيق القيرونى : تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجى الكعبى ص٨٠ ـ ٨١ .
(٥) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١١٥ .

الرون حتى وصل إلى مدينة ليون واضطرب أمراء الفرنجة لذلك وأخذوا فى الاستعداد لرد العرب وصدهم وكانت المعارك الأولى بين العرب والفرنجة قد وقعت فى السهول على مقربة من أربونة[١] . ويرى آخر أن موسى قد وصل فعلا بغزواته إلى غالة ودخل أربونة ووجد فى أحد الكنائس تماثيل فضية منقوشة[٢] .

فى حين يرى آخر أنه من المحتمل أن يكون موسى قد أرسل حملات استطلاعية لكشف المنطقة وربما اجتازت هذه الحملات جبال البرت حتى وصلت إلى قرقشونه Carcasson [٣] .

ويستبعد آخر قيام موسى بكل هذه الفتوحات فى فترة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة شهور، ويعتقد أن هناك خلطا بين أعمال موسى فى فتح قطالونية Cataluna ووصول عسكره إلى قرقشونه Carcasson وبين أعمال عنبسة وعذرة الفهرى وغيرهم من الولاه[٤] .

أما الآخر فيرى أن موسى بن نصير قد أشرف من ذروة جبال البرت على أوروبا واستعد لقهر الأمم القاطنة فيما بين بلاد الغال والأربونية والبسفور ، وباستدعاء الخليفة له نكبت أمة الإسلام فى الغرب[٥] .

فى حين يرى آخر أن موسى بن نصير كان أول من بدأ بالخطوات الأولى لفتح غالة وراء البرت وتعد غاراته هذه من قبيل الغارات التمهيدية التى قام بها المسلمون من قبل الفتح الحقيقى والتوغل فى تلك البلاد[٦] .

وإننا نرى أن موسى بن نصير كان له الفضل فى وضع اللبنات الأساسية لعبور المسلمين جبال البرت لفتح بلاد الغال فى تلك المرحلة الهامة من عمر الدولة الإسلامية .

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ص ١١٥ .
(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٥١ .
(٣) خليل إبراهيم السامرائى : الثغر الأعلى الأندلسى ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .
(٤) السيد عبد العزيز : تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .
(٥) ل. أ. سيديو : تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعتر ، ص ١٦٦ .
(٦) عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا ، ص ١٢٧ .

وأخيرا بادر موسى وطارق ورسولا الخليفة بالعودة إلى جنوب الأندلس وبقى من جنود المسلمين من رغب فى الاستقرار فوصلوا إلى طليطلة ومنها إلى قرطبة فاشبيليه .

وفى هذه المدينة استخلف موسى ابنه عبد العزيز سنة ٩٥ هـ / ٧١٣م بعد أن اختار أشبيلية عاصمة للأندلس(١) وترك معه حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع وزيرا ومعينا له(٢) وعبر القائدان إلى إفريقيا يحملان معهم الغنائم بعد أن استخلف موسى ابنه عبد الله على إفريقيا وابنه مروان على طنجة والسوس ، ثم مضى إلى دمشق عاصمة الخلافة .

وبمغادرة موسى بن نصير الأندلس ورحيله إلى المشرق انتهى دور موسى ومحاولاته فتح غالة وأصبح ابنه عبد العزيز واليا على بلاد الأندلس فتابع مسيرة أبيه الجهادية المباركة رغم أن مدة ولايته كانت قصيرة .

وفى ذلك يذكر ابن عذارى « لما قفل موسى بن نصير استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس ، فضبط سلطانها ، وسد ثغورها ، وافتتح مدائن كثيرة وكان من خير الولاء إلا أن مدته لم تطل »(٣).

أما ابن خلدون فيذكر أنه « حينما عزم موسى بالقفول قام بعد أن أنزل الرابطة والحامية بثغورها واستعمل ابنه عبد العزيز لغزوها وجهاد أعدائها وأنزله بقرطبة فاتخذها دارا لإمارته »(٤).

وليست لدينا أخبار مفصلة من مصادرنا الرئيسية عن الأماكن والبلدان التى افتتحها عبد العزيز وإن كان المؤرخون يشيرون باقتضاب إلى أنه أتم فتح مدن كثيرة فى عهده فيقرر بن خلدون « أنه كان خيرا فاضلا وافتتح مدائن كثيرة »(٥) ويؤيد المقرى ما رواه ابن خلدون من أن عبد العزيز « ضبط سلطانها الأندلسى وضم ونشرها وسد

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٦ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٩ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص٢٣ .
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٢٤ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١١٨ .
(٥) ابن خلدون : المصدر السابق .

ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة »[1] ولعل فى رواية ابن قتيبه نقلا من ابن القوطية ما يعزز افتتاح عبد العزيز فى ولايته مدائن كثيرة ، فيذكر أن ابن قتيبه أن موسى استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس فغزا بالناس حتى بلغ أرض القوطيين [2] وهي جنوب غالة خلف البرتات ويؤيد هذا الرأى جوزيف رينو الذى يذكر أن إقليم سبتمانيا الواقع في جنوب فرنسا والذى يسمى اللانجدوك Languedoc وقاعدته تولوز Toulouse (طولوشه) يقال لها بلاد القوطية Gotie لأن القوط استقروا فيها فترة طويلة[3] وعلى هذا الأساس يمكن تفسير نصّ ابن قتيبه ورينو على أن عبد العزيز بن موسى قد وصل إلى جنوب فرنسا[4] وأنه كان له دور فى استكمال الفتوحات فى عهد أبيه في بلاد الأندلس[4] وخلف جبال البرت .

ولم تقتصر فتوحات عبد العزيز بن موسى على هذا الحد ، فقد ذكر كوديره Codera أنه طالع مخطوطا عربيا ذكر فيه أن عبد العزيز بن موسى خرج مع الناس فى حملة حتى بلغ أربونه ، ويرى كوديره أنه لابد قبل أن تصل جيوش عبد العزيز إلى أربونه من افتراض سقوط برشلونه Bercelona وجرنده Gerona ويرى أن هذه أول مرة يرد فيها خبر صريح وواضح عن وصولهم حتى أربونه وهو خبر له دلالته . ويعتقد أن سقوط تلك المدن كان قد حدث بين عامى ٩٥هـ ـ ٩٧هـ / ٧١٣ ـ ٧١٦م[5] ولقد قاتل عبد العزيز البشكنس وتم له فتح بمبلونه Pampluna وقد أورد كل من ابن عذارى وابن قتيبه أنه وصل إلى بلاد البشكنس[6] وربما يكون المؤرخون قد خلطوا فى

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٢٦٣ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٥٣ .

(٣) خليل السامرائى ، الثغر الأعلى ، ص ١٢٣ ـ ٢٤ .

(٤) وقد اقتضينا فى ذكر الدور الذى قام به عبد العزيز بن موسى فى استكمال فتح بلاد الأندلس ، وذلك لأن هذا الموضوع خارج عن نطاق دراستنا .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١١١ ـ ١١٢ . نقلا عن كوديره.

Codera : Narbona , Gerona Y Barcelona Bajo la domincion musulamna en estudios criticos de la historia arab. P. 293 .

(٦) ابن عذارى ، جـ٢ ، ص١٦ . ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ص ٦٤ .

وصوله إلى هذه المنطقة أثناء ولايته وإنما كان وصوله إليها أثناء حملة أبيه السابقة .

وقد تعرض عبد العزيز بن موسى للقتل عام ٩٧هـ / ٧١٥م واجتمع أهل الأندلس على أيوب بن حبيب ابن أخت موسى بن نصير[١].. وهكذا انتهت حياة عبد العزيز ابن موسى بعد أن شهد له الجميع بأنه كان من خيرة الولاه ، رغم قصر مدته وتولى أمر الأندلس إيوب بن حبيب اللخمى وكان عاقلا صالحا فهدأت الخواطر نوعا ما واستقرت الأمور واستمر فى ولايته ستة أشهر نقلت خلالها قاعدة الحكم من أشبيليه إلى قرطبة باتفاق الجماعة[٢] وبالرغم من قصر مدة حكمه فإنه يبدو أنه قام بحركة جهادية لتطهير البلاد من مقاومة القوط ، وقد استطاع أن يترك اسمه على مدينة من تأسيسه هى قلعة أيوب Calatayud التى تقع إلى الشمال الشرقى من مدينة طليطلة Toledo [٣].

ثم اقاله محمد بن يزيد الذى خلف عبد الله بن موسى فى ولاية إفريقيا واختار لولاية الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفى الذى قدمها عام ٩٧هـ[٤] وتتفق المراجع[٥] على أن الحر بن عبد الرحمن خليفة أيوب كان رجلا ذا نشاط ملحوظ فى الغزوات فيما وراء جبال البرتات . وبدأ من عهده الاتجاه الحقيقى للفتح الإسلامى فيما وراء البرت . ولقد قام الحر فى قمع الفتن والمنازاعات وإصلاح أمور جيشه وتنظيم إداراته ، ثم استعد للقيام بحركته الجهادية ، ولقد عرف واشتهر بالصرامة والجور وشدة الوطأة فاتجه نحو الشمال فى جيش كبير واستطاع أن يعبر جبال البرت

---

(١) ترددت أقوال كثيرة من قبائل المؤرخين حول أسباب مقتل عبد العزيز بن موسى ، ولسنا فى مقامنا هذا فى مجال المناقشة هذه الآراء وللاستزادة انظر : ابن عبد الحكم : فتوح أفريقيا والأندلس ، ص٨٤ ـ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٢ ـ ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص ٤٤٤ ـ المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٢٦٣ .

(٢) هناك رواية تذكر أن الذي نقل القاعدة ، هو الحر الثقفى . انظر ابن عذارى : جـ٢ ص٢٤ ـ ٢٥ .

(٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ٤ ، ص١٣ ـ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٤٤ .

(٤) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص٢٥ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٢ ، ص١١٨ .
الناصرى : الاستقصا فى أخبار المغرب الأقصى ، جـ١ ، ص ١٠٠ .

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٤٤ ـ محمد عبد الله : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص ٧٣ .

إلى سبتمانيا Septemania واللانجدوك Languedoc سنة ٩٩هـ / ٧١٨م ويستولى عليها . وكانت مدن سبتمانيا يسكنها أعداد كبيرة من القوط الذين فروا أمام الفتح الإسلامى ، وقد تخلفت تلك المناطق عن الطاعة بعد أن فتحها المسلمون لأول مرة بقيادة موسى بن نصير فقام الحر بافتتاحها والاستيلاء عليها واستمر فى زحفه المظفر حتى ضفاف نهر الجارون . ولكنه اضطر إلى الرجوع حينما وصلته أخبار تجمع النصارى فى منطقة نافار (البشكنس) وعزمهم على التصدى له فرجع إليهم لقمع فتنهم[١] وقد ذكر المؤرخ الاسبانى كوندى : أن الحر هو الذى تجاوز حدود الأندلس إلى بلاد إفرنجة ونواحى أربونه فسبى وغنم وقفل بالأسرى والغنائم ولقد قيل أن خروج الحر للجهاد فى بلاد غاله كان من الأسباب التى سهلت للمسيحيين الملتجئين إلى جبال استوريا[٢] الاجتماع على العصيان والثورة منتهزين فرصة غيابه فوضعوا نواة المقاومة النصرانية كما وصعوا أساس دولة جديدة فى الأندلس محل الدولة التى كانت قد بادت وقضى عليها المسلمون[٣] .

ويذكر ايزيدور الباجى[٤] أن الغزوات الحقيقية فيما وراء البرت لم تبدأ إلا فى عهد الحر بن عبد الرحمن الذى كان ذا نشاط ملحوظ فى الغزوات فى غاله ووراء جبال البرت ، فقد ذكر أنه قام بغزو جنوبى غالة حتى أربونه عاصمة غالة النوربونيه Gallia Narabonesis وظل يحارب أهل هذه النواحى حتى اضطروا إلى طلب الصلح فمنحهم إياه .

ولكن مؤرخى العرب والفرنجة لا يؤيدون رأى ايزيدور هذا[٥] إذ الواقع أن الطلائع الأولى من لدن موسى بن نصير إلى الحر بن عبد الرحمن الثقفى كانت قد استطاعت

---

(١) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) جبال استوريا : هى المنطقة التى سكنها قبائل الباسك التى كانت نواة لنشأة الإمارات النصرانية فى الشمال .

(3) Codera : Limites Probables de la conguista araben la cordillera Pirenaica. P. 111 .

(٤) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٤ نقلا عن ايزيدور الباجى .

أن تصل إلى تلك المعاقل المهمة فيما وراء جبال البرت ووضعت النواة الجهادية الأولى التى استمر عليها من جاء بعدهم من أمثال السمح وغيره .

أما الحر بن عبد الرحمن فقد استمر فى قمع الفتن والمنازعات حتى عزله عمر بن عبد العزيز في منتصف سنة مائة لقسوته وصرامته . فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر[١] وولى الخليفة عمر السمح بن مالك بدلا منه .

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٨ ـ المقرى : نفح الطيب ، الجزء الأول ، المجلد الأول ، ص ٢١٩ .

الفصل الثانى

جهاد السمح بن مالك الخولاني

أولاً : ولاية السمح بن مالك

ثانياً : استقرار المسلمين فى المدن الفرنجية .

ثالثاً : الاهتمام بتحصين المراكز الإسلامية فى غالة .

٢

جهاد السمح بن مالك
الخولاني
خلف البرتات

مسار الحملة

أولا : ولاية السمح بن مالك على الأندلس :

كان الخليفة عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ قد وقف على مادب من الخلل والضعف فى موقف العرب بالأندلس ، فاختار لها السمح بن مالك الخولانى بعد أن قرر عزل الحر بن عبد الرحمن[1].

وكانت هناك حادثة هامة أدت إلى اختيار السمح ووضعته موضع الثقة من الخليفة وفى ذلك يقول صاحب أخبار مجموعة : « وذلك أن الخلفاء كانوا إذا جاءتهم جبايات الأمصار والآفاق يأتيهم مع كل جباية عشرة رجال من وجوه الناس وأجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذى لا إله إلا هو ما فيها دينار ولا درهم إلا أخذ بحقه وأنه فضل أعطيات أهل البلد من المقاتلة والذرية بعد أن أخذ كل ذى حق حقه فأتى وفد إفريقية بخراجها وذلك أنها لم تكن يومئذ ثغرا فكان ما فضل بعد أعطيات الأجناد وفرائض الناس ينقل إلى الخليفة فلما وفدوا بخراج أفريقية فى زمان سليمان أمروا بأن يحلفوا فحلف الثمانية ونكل إسماعيل بن عبيد الله مولى بنى مخزوم ونكل بنكوله السمح بن مالك الخولانى فأعجب عمر بن عبد العزيز من فعلهما ثم ضمهما إلى نفسه فاختير منهما صلاحا وفضلا فلما ولى عمر ولى إسماعيل إفريقيا وولى السمح بن مالك الأندلس »[2].

وهكذا بعد أن أبقى عمر بن عبد العزيز الرجلين فترة فى دمشق إلى جانبه واختير منهما دينا وخيرا أمر بتعينهما بعد أن وثق فيهما واطمأن على أن يكون حكم المسلمين فى يد أمينة . وهذا هو الأصل التاريخى لولاية السمح وهو أصل منطقى ومقبول .

وكان أول ما تبادر إلى ذهن الخليفة بعد تلك الولاية أن يأمره بأن يحمل الناس

---

(١) يقال أن سبب عزله يرجع إلى قسوة الحر وفظاظته فى معاملة كل من المسلمين والمسيحيين على السواء فكثرت منه الشكايات .

للمزيد انظر محمد عبد الله : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ص٧٣ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

على طريق الحق وألا يعـدل بهم عن منهج الرفق[1] وكـانت هذه أول وصـايا أمير المؤمنين للسمح وأن يحرص على تنفيذها بدقة فكانت ولايته على الأندلس مثار رضى من مختلف الفئات الأندلسية لما رأوا فيه من الصفات الجيدة والتصرفات العادلة ويدلنا على ذلك التفافهم حوله[2].

فقد كان من خيار زمانه ثقة وعدالة[3] . وإنه امتثل ما أمره به عمر بن عبد العزيز من القيام بالحق واتباع العدل والصدق[4].

وولى السمح عام ١٠٠هـ/ ٧٢٠م وفى ذلك يقول ابن خلدون : « بعث عمر ابن عبد العزيز على الأندلس السمح بن مالك الخولانى على رأس المائة من الهجرة[5] وقرر عمر أن تكون الأندلس ولاية مستقلة عن إفريقيا وتابعة للخلافة مباشرة لما رآه من أهميتها واتساع شئونها وعظم مكانتها وفى ذلك يقول ابن عذارى : « فانفرد السمح بولايتها وعزلها عمر عن ولاية إفريقيا اعتناء بأهلها واهتماما بشأنها »[6].

وتميز السمح بأنه كان حاكما وافر الخبرة والحكمة والعقل وحسن التصرف فى الأمور فقبض على زمام الأمور بحزم وهمة وبادر بقمع المنازعات والفتن وإصلاح الجيش والإدارة ، فقد كان رائدا فى تنظيم جهاز الحكم على أسس جديدة ومتطورة ، وكانت سياسته الإصلاحية عامة وشاملة فنشطت الإدارة وتحسن الاقتصاد وتطور الجيش ونهض العمران ، ولقد أبدى فى جميع أعماله حزما وعدلا فالتف الزعماء حوله وخبت نار الفتنة واستقر النظام والأمن ويعد ذلك نقطة تحول هامة فى تاريخ الأندلس بحيث ظهرت تلك الشخصية المتميزة فى تلك الفترة الحاسمة وسيكون لهذا أثره فى موقف المسلمين خلف البرتات . واستطاع السمح فى فترة بسيطة أن يثبت بأنه

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٦ .

(٢) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ١٢ .

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٣٤ .

(٤)و(٥) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١١٨ .

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٦ .

الرجل القدير والقائد الباسل والسائس الحازم إذ قام فرتق الفتوق ووازن بين الداخل والخارج ، وانصف الجند فى الأعطيات ، ووزع على المجاهدين جانبا من الأراضى وعهد بما بقى منها إلى وكلاء أمناء ذوى دراية واسعة ، واستطاع أن يبعث تقريرا مفصلا وافيا إلى الخليفة ببيان عن البلدان التى فتحت ، وما فيها من النفوس والجبايات ليبرم فى الأندلس رأيه . وأوفاه عن طبيعتها وإمكاناتها ، ومشاكلها السياسية والاقتصادية[1] بناء على ما أمره به ، وفى ذلك يقول صاحب أخبار : مجموعة لما ولى أمير المؤمنين عمر بن العزيز السمح بن مالك على الأندلس « أمره أن يخمس أرضها ويخرج منها ما كان عنوة خمسا لله من أرضها وعقارها ويقر القرى فى يدى غنامها بعد أن يأخذ الخمس وأن يكتب إليه بصفة الأندلس وانهارها »[2] .

وكان رأيه نقل المسلمين منها واخراجهم عنها لانقطاعهم عن المسلمين واتصالهم بأعداء الله الكفار فقيل له « أن الناس قد كثروا بها وانتشروا فى أقطارها فاضرب عن ذلك[3] واستطاع السمح أن ينقنعه بوضع المسلمين هناك وطمأنه عليهم وبأنه لا خوف عليهم فى تلك الديار ، وأنه لا يبعد اليوم الذى تصير فيه تلك الديار بأجمعها تدين بدين محمد صلى الله عليه وسلم[4] .

ثانيا : استقرار المسلمين فى المدن الأندلسية :ـ

وبعد ذلك بدأت الخطوة الثانية للسمح بناء على رغبة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى أمره أن يخمس[5] أرضها ويخرج ما كان عنوه[6] خمسا لله من أرضها وعقارها

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ص ٦٤ ، إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ١٥٠ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٣ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٦ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص ٢٦ .

(٤) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٧١ .

(٥) التخميس :ـ قال أبو يوسف : فأما الخمس الذى يخرج من الغنيمة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فلله وللرسول سهم ولذوى القربى سهم ولليتامى والمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم =

ويقر القرى من يد غنامها بعد أن يأخذ الخمس[١] ومعنى ذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أمر بتخميس الأرض امتثالا لقوله تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾[٢] كما أن عمر بن عبد العزيز أمر بتوزيع الأراضى على المقاتلة فى الأقاليم المفتوحة على أن يؤدوا الخراج عنها[٣].

= بدليل الآية : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ سورة الحشر ـ آية ٦ .

وانظر أبو يوسف : (يعقوب بن إبراهيم) صاحب أبى حنيفة : الخراج ، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ، ص٦٣ .

وروى أبو عبيده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس ، فأربعة منها لمن قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم على أربعة فربع لله وللرسول .... إلخ . وقال أيضاً : أن الأصل فى الخمس عندى : أن يوضع فى أهله المسمين فى التنزيل. وقال: فهذا حكم الخمس النظر فيه إلى الإمام وهو مفوض إليه على قدر ما يرى ، وأما الصدقة فلم يأتنا عن أحد من الأئمة والعلماء أنه رأى صرفها إلى أحد سوى الأصناف الثمانية الذين هم أهلها .

انظر أبو عبيد : الأموال : تحقيق محمد خليل هراس ، ص٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

وهناك خلاف فى تعريف الخمس : ملخصه أن الشافعى يرى : أن يقسم خمسة أسهم على الخمسة المعينين فى الآية ثم يصرف سهم الرسول يفرقونه على مصالح المسلمين كأرزاق الجيش والقضاة ونحو ذلك . وقال أبوحنيفة : أن سهم الرسول قد ارتفع بعد موته وكذا أسهم ذوى القربى فيقسم الخمس عنده على الثلاثة الباقين ، أما مالك : فإنه يفوض التصرف إلى الإمام باجتهاده يضع الخمس كله فى مصالح المسلمين .

انظر أبو عبيد : المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

(٦) أرض العنوة : العنوة : القهر والغلبة ، وفى حديث الفتح أنه عليه السلام دخل مكة عنوة : أى قهراً وغلبة وهو من عنا يعنوا إذا خضع وذل .

انظر : ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، جـ٣ ، ص٣١٥ .

وقال ابن سيده : فتحت هذه البلدة عنوه : أى فتحت بالقتال قوتل أهلها حتى غلب عليها ، وفتحت البلدة الأخرى صلحا : أى لم يغلبوا ولكن صولحوا على خراج يؤدونه .

انظر ابن منظور : لسان العرب ، جـ١٥ ، ص ١٠١ .

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٣ .

(٢) آية ٤١ من سورة الأنفال .

(٣) الخراج ما يخرج من غلة الأرض ، ثم سمى ما يأخذه السلطان خراجا فيقال : أدى فلان خراج أرضه ، وأدى أهل الذمة خراج رؤوسهم يعنى الجزية . =

كما قام السمح بإعادة بناء القنطرة الرومانية على نهر الوادى الكبير باستشارة من الخليفة . وبعد تلك الإصلاحات التى قام بها السمح أدرك أن الوقت قد حان للاستعداد لتكملة جهاد المسلمين فى الأرض الكبيرة خلف جبال البرتات . ولعل السبب الرئيسى الذى أدى إلى تأجيل السمح عن التحرك السريع صوب الشمال هو الإصلاحات العامة والتنظيمات المهمة التى قام بها فى بلاد الأندلس حتى لا يخرج تاركا خلفه أى مشاكل أو ثغرات تؤدى إلى عرقلة حركة الجهاد خلف البرت .

ثالثا : الاهتمام بتحصين المراكز الإسلامية فى غالة :ـ

يعد عبور جبال البرتات وغزو جنوب غالة (فرنسا) أهم عمل قام به السمح أثناء ولايته (ويلاحظ أن فرنسا كاصطلاح جغرافى لم تكن قد وجدت بعد ، ولم تكن هناك لغة تسمى اللغة الفرنسية وكانت الأراضى الممتدة خلف جبال البرتات شمالا تعرف وقتئذ بالأرض الكبيرة Tere - Majoro ، أو بلاد الفرنجة أو بلاد الغال أو غاليا Gaulia[(١)] .

وتعتبر فتوحات السمح بن مالك البداية المنظمة تلك الفتوحات فى الأرض الكبيرة فقد عرف عنه أنه جندى جرئ وقائد عظيم[(٢)] استطاع أن يدرك منذ الوهلة الأولى ومنذ بداية خطواته الجهادية أهمية إقليم سبتمانيا وخطورة استمرار القوط فيه على وضع ومراكز المسلمين أثناء سير جيوشهم ، ولم يصل إلى هذه النتيجة إلا بعد دراسة

= المطرزى : المغرب ، جـ١ ، ص ٢٤٩ .
الجرجانى : التعريفات ، ص ٥٢ .
القونوى : أنيس الفقهاء ، ص ١٨٥ .
قال أبو عبيد : فهذا هو المحفوظ عندى أن عمر أعطاهم الأرض البيضاء بخراج معلوم كالرجل يكرى أرضه بأجرة مسماه وكذلك معنى الخراج فى كلام العرب إنما هو الكراء والغلة ألا تراهم يسمون غلة الأرض والدار والمملوك خراجا .
للمزيد انظر أبو عبيد القاسم بن سلام ، الأموال ، ص٧٤ ـ أبو يوسف : الخراج ، ص ١٢٩ .

(١) أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٦ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، الجزء الأول ، ص ٧٥ .

دقيقة شاملة لشئون المسلمين فى كل من الأندلس وغالة . فقرر الاهتمام بتحصين المراكز الإسلامية فى غالة فاتجه إلى مقاطعة سبتمانيا تلك الولاية الساحلية فقام بتخطيط يضمن سيره وتحركه بثبات واطمئنان فقرر أن يتخذ من برشلونه Barcelona قاعدة لتجمع الجيوش المتجهة إلى فرنسا . ويعتبر اختيار هذه المدينة اختيارا صائبا لعدة أسباب، منها موقع برشلونة البحرى وصلاحيته كميناء لرسو السفن ، بالإضافة إلى ذلك قرب المدينة من ممرات جبال البرتات وخاصة ممر باربنيان Perpignan الموصل بين برشلونه وأربونه ومن هذا الممر سارت الجيوش إلى جنوبى غالة وخاصة إلى سبتمانيا وأعادت فتحها وأختيرت أربونه[1] قاعدة عسكرية لفتوحاته فى منطقة سبتمانيا وجنوبى غالة للأسباب التالية ـ قربها من البحر مما يجعلها قاعدة بحرية هامة للمسلمين لتلقى الإمدادات عن طريق الأساطيل بدلا من اجتياز جبال البرت المليئة بالمخاطر والممرات المتعددة الضيقة فضلا عما بها من قبائل متوحشة لا عمل لها إلا السلب والنهب والاعتداء بالإضافة إلى ذلك طبيعة أربونه فمناخها المعتدل القليل البروده يشبه إلى حد كبير مناخ مدن العالم الإسلامي وخاصة مدن المغرب والأندلس ، لذلك وقع اختيارهم لها قاعدة عسكرية للجيوش الإسلامية لتنطلق منها لفتح بقية المدن فى غالة .

ومعنى ذلك أن برشلونه Bercelona أضحت القاعدة الجنوبية لتجمع القوات الإسلامية القادمة من الأندلس ومنها تتجه إلى القاعدة الشمالية أربونه ومن هناك تسير الجيوش مجتمعة لفتح مدن غالة[2].

استهل السمح استعداداته الحربية كما ذكرنا بأن جعل من برشلونه فى مقاطعة قطالونيا قاعدة لغزو سبتمانيا ، ثم اجتمعت له الجيوش هناك ، فعبر بها جبال البرتات، ثم نزل إقليم سبتمانيا وزحف على عاصمته أربونه واستولى عليها بعد حصار دام

---

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٤ .

(٢) خليل السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ شكيب أرسلان : غزوات ، ص ٨٥ ـ إبراهيم العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٧٨ ـ سيديو : تاريخ العرب المطول ، ص ١٦٦ .
Edward Jams : The Origins of France . P. 15 .

ثمانية وعشرين يوما ثم أخذ يحصنها ويزودها بالحاميات لتكون قاعدة الجيوش الإسلامية ومنها تقدمت الجيوش وعلى رأسها السمح فاستولت على المدن المجاورة لأربونة مثل قرقشونه Carcassonna وبيزيه Beziers وماجلونه Mague Lone [1] واستطاعت أن تشتت كل القوى التى تصدت لمقاومتها ، وكان ذلك عام ١٠١هـ / ٧٢٠م ثم اجتاح المسلون بعد ذلك منطقة غالة القوطية كلها وأخضعوا جميع قواعد سبتمانيا Septimania حتى تمكنوا من الوصول إلى تولوز Toulouse ، ثم اتجه بعد ذلك نحو الشرق ليغزوا مملكة الفرنجة الجنوبية .

وقد عرفنا مما سبق[2] أن غالة كانت تحكم من قبل الأسرة الميروفنجية منذ أواسط القرن ٥ م . وأن ملوكها قد بلغوا درجة كبيرة من الضعف والعجز حين دخول المسلمين إلى بلاد الأندلس ومنها إلى غالة ، وأصبح يدير البلاد حجاب عرفوا باسم حجاب القصر وصاروا يتصرفون فى كل الأمور ، وفى تلك الفترة كان الحاجب هو ببين هرستال Pepin de Herstal الذى لم يستطع رغم قوة شخصيته أن يفرض سلطته على المقاطعات الفرنجية التى استقل أمراؤها بها بعد ضعف الملوك ، وكان من تلك المقطاعات المستقلة مقاطعة أكتيانيا التى كانت تحت امرة الدوق أودو Eudes ووقع عليه عبء الدفاع عنها [3].

وكان أوده آنذاك أقوى أمراء الفرنج فى غالة وأشدهم بأسا واستطاع بعد الاستقلال باكوتين Aquitain أن يبسط حكمه على غالة الجنوبية من اللوار إلى البرتات والتف حوله القوط والبشكنس والنافار وأخذ يطمح فى الاستقلال وانتزاع ملك الفرنجة وبدأ العدة لقتال شارل مارتل (ابن ببين هرستال) رئيس بلاط مملكة الفرنجة المتغلب عليه

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، الجزء الأول ، ص١٧٩ .
Haroon Khan Shewani : Muslim Colonies in France, Morthern Italy Switzerland . P. 35 .

(٢) انظر الفصل الأول .

(٣) سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ص ١٩٣ .

ولكنه عدل عن ذلك لأنه أحس بخطر قدوم المسلمين الداهم عليه فتوجس خيفه (١).

تقدم السمح بن مالك واتجه نحو عاصمته تولوز (طولوشه) Toulouse ، وأخذ المسلمون بمخنقها وقاموا باستعمال المنجنيقات وسائر آلات الحصار فى قتاله حتى أوشك أهلها أن يسلموها ، وإذا بأدو قد أقبل بجيش يسد الفضاء حتى قال مؤرخوا العرب أن العثير المتطاير من زحف أقدامهم كان يغطى عين الشمس من كثرتهم ، فتلا السمح لعسكره الآية القرآنية ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ ولما تدانى الجمعان خيل أن الجبال تلاقى بعضها ببعض ، وكانت المعركة من أهول ما يتصوره العقل ، وكان السمح يظهر فى كل مكان وسيفه ينطف دما وهو يشدد عساكره بقوله وبفعله ، وكان كالفحل الهائج لا يرد رأسه شيء أو كالأسد الزائر يحمل على العدو فلا يقف أحد فى وجهه ، فما هو إلا أن أصابته طعنه خر بها صريعا عن جواده ، فلما رآه المسلمون مجندلا فت فى أعضادهم ونكصوا على أعقابهم » (٢).

وهكذا قتل السمح بأسرع مما كان يظن ، قتل وهو فى قمة انتصاراته وتقدمه الزاحف ، ولكنها إرادة الله . ولو انتصر المسلمون فى معركة طولوشه لأمكنهم من التحكم فى وادى نهر الجارون وفى الحدود الشمالية لمقاطعة غشقونيه Gascony(٣).

ولقد أختلف المؤرخون فى تعيين مكان وتاريخ المعركة التى استشهد فيها السمح

---

(١) سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ، ج١ ، ص١٩٣ ـ محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ص ٧٦ ،

Edward james : op. cit., P. 15 - watte and cachia history of islamic spain P. 21 .

جوزيف رينو : الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وإيطاليا وسويسرا ، ترجمة وتعليق إسماعيل العربى ، ص٤٧ .

(١) شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص٩٥ ـ ٩٦ ـ جوزيف رينو : الفتوحات ، ص٥١ .

(2) Levi-Provencal : histoire L'Espagne Musulmane . P. 58 .

إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص١٤٣ .

فتذكر بعض المصادر أن السمح استشهد في طرسونه Tarzone [1]. في أرض الروم[2]. وهذا المصطلح « الروم » يستعمل أحيانا كثيرة لكل الشعوب الأوروبية وهو غير مقصور على سكان الأندلس[3].

وهناك المصادر التى لا تذكر مدينة أو مكانا لاستشهاده وإنما تشير إلى أن السمح استشهد بأرض الفرنجة فى ذى الحجة سنة اثنتين ومائة [4].

أما لفظ (الفرنجة) فهو يدل على سكان بلاد ما وراء جبال البرتات أى الأرض الكبيرة ولا سيما غالة . ويوجد جنوب غالة مدينة اسمها قريب من طرسونه وهى طرسكونه ولعله تحريف حدث أثناء النسخ فأصبحت طرسكونه (جنوب غالة الفرنجية) طرسونه (شمال شرق سرقسطة في الأندلس)[5] وكانت طرسونه قاعدة من قواعد شمال الجزيرة الأندلسية وهى (عاصمة كورة تطيلة وربما كانت مدينة أربونه تابعة لمدينة طرسونه إداريا[6].

أما تاريخ المعركة التى استشهد فيها السمح فراجح أنه فى ذى الحجة سنة اثنتين ومائة فى يوم التروية أو يوم عرفة[7].

---

(١) طرسونة Trazona مدينة بالأندلس تقع إلى الجنوب الغربى من تطيلة مسافة ٢٢كم واسمها عند الرومان تورياسو Turiaso ، وهى من المدن العربية المعروفة وكان يسكنها العمال والقواد بالثغور ، انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص٣٨٩ .

(٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ص١٩٥ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٦ .

(٣) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص٨٦ .

(٤) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ، ص١٩٥ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٢٦ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٨ ـ المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الثالث ، ص١٤ .

(٥) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص١٨٦ .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص٣٨٩ .

(٧) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص٢٣٧ ـ الضبى : بغية الملتمس ، ص٣٣٦ . ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ، ص١٩٥ ـ ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص٢٦ ـ المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الثانى ، ص١٤٠ .

ويخطىء ابن حيان فيما يرويه عن المقرى أنه يسمى ذلك اليوم الذى استشهد فيه السمح بوقعة البلاط فيذكر أنه « قتل فى الوقعة المشهورة بالبلاط »[(١)] وبعد استشهاد السمح فى تولوز وقع الاضطراب فى الجيش الإسلامى كله وارتد المسلمون إلى منطقة دفاعهم وحصنهم أى إلى سبتمانيا[(٢)] بعد أن فقدوا زهرة جندهم ، وسقط منهم عدد من الزعماء الأكابر ، وتولى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى قيادة الجيش ونجح فى الانسحاب بغلوله إلى أربونه وكان لمقتل السمح أثر سىء على معناويات المقاتلين وبعثرة صفوفه ولو لم يعنهم الله بالقائد الهمام الذى لم شعثهم وأنقذ البقية الباقية لضاع الجيش بعد الاضطراب الذى وقع فى صفوفه ، وتعتبر هذه الولاية الأولى لعبد الرحمن الغافقى . ولكن رغم قصرها لم تدم أكثر من ستة أشهر[(٣)] إلا أن رجوع الغافقى بالجيش سيكسبه تجربة يعود منها بعدها إلى فتح تلك المناطق على نطاق أوسع[(٤)] وهكذا كانت تولوز أول صدمة للعرب[(٥)] خلف جبال البرت .

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى القسم الثالث ، ص١٥ .

(2) Leviprovecal : histoire, I. P. 58. codera : Narbona , gerona y barcelona bajo la dominacion musulman en estudios criticos de la historia arabe espanole, VIII. P. 307 .

(٣) المقرى : النفح ، المجلد الثانى ، القسم الثالث ، ص١٥ .

(٤) عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا ، ص١٢٧ ــ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٤٦ ــ شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص٩٥ .ــ إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص١٥١ .ــ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس ، ص١٣٨ .

(٥) يذكر شكيب أرسلان فى كتابه غزوات العرب ، ص٩٦ ــ ٩٧ ــ وريتو : الفتوحات الإسلامية ، ص٥٢ . أنه بعد عزيمة المسلمين فى تولوز دبت الحماسة فى قلوب أهل اللانجدوك والبيرانه وهبوا لخلع طاعة العرب ، ويحاول المستشرقون هنا نسبة أعمال غير إنسانية للعرب الفاتحين فيذكرون مثلا أنه فى أربونه بعد وصول النجدات من العرب قام العرب بشن الغارة على البلدان المجاورة الذين كان الرهبان والقسيسون فى ذلك الوقت هم أصحاب الكلمة وكانت الكنائس والأديار ملأى بالنفائس والذخائر ، وقام العرب على حد قولهم ــ بتدمير الأديار والبيع وأنهم هدموا دير جوسل بقرية بيزيه Beziers ودير صنجيل بالقرب من أرل Arles والدير المشهورة المسمى بالتراتيل .
وغيره من الأديرة وكان العرب يقومون إلى الأجراس والنواقيس فيكسرونها ولكن الواقع أن العرب لا يسيئون معاملة الذين يدخلون فى طاعتهم بدون مقاومة وإنما هذه الأحاديث المبالغ فيها مدسوسة على المسلمين ، فالمسلمين منذ بداية عهودهم لم يشهد التاريخ أفضل وأعدل وأرحم منهم . =

=

ويرد سيديو فى كتابه تاريخ العرب عن تلك الاعتداءات فيقول « واليوم ولا يزال قومنا يعزون إلى الشرقيين ـ وهذا ما كان الغربيون يسمون به العرب جميع التخريبات التى ترى آثارها فى الولايات التى حاربوها مع أن العرب كانوا يظهرون معتدلين عند النصر ولم يحاربوا بمثل ما كان يحارب الهون والنورمان من اندفاع والهمجية ، أفلم تكن تلك التهم نتيجة ما كان العرب يؤثرون به خيال القوم ، وكانت وجوه العرب السمر ، ونظرتهم الحادة ، وسرعة انقضاض خيولهم وغرابة أزيائهم ، وأقاصيص الجنود الهاربين المملؤة بالمبالغات تطير منها النفوس جزعا ، وكان العرب قد أتوا بلسان غير معروف وكان العرب قد أتوا حاملين دينا جديدا إلى أناس مؤمنين بتعاليم أساقفهم ، فما كان غير الحقد على أعداء إله النصارى ليصدر عن هؤلاء الأساقفة .

سيديو : تاريخ العرب العام ، ص١٦٦ ـ ١٦٧ .

الفصل الثالث

جهاد عنبسة بن سحيم وخلفائه

أولاً : تقدم المسلمين نحو الشمال حتى مدينة سانس « فى حوض الرون »

ثانيًا : عودة عنبسة لضبط أحوال الأندلس واستشهاده فى الطريق إليها .

ثالثًا : جهاد عذره بن عبد الله الفهرى .

رابعًا : جهاد الهيثم بن عبيد الكنانى .

٣ جهاد عنبسه بن سحيم
الكلبي
خلف البرتات

←←← خط سير الحملة

منطقة
النفوذ
الاسلامي

أولا : تقدم المسلمين حتى مدينة سانس فى حوض الرون :ـ

بعد عودة جيش السمح بقيادة عبد الرحمن الغافقى سالما إلى أرض الأندلس استمر الغافقى يرتب الأمور بوضعها فى نصابها حتى قدم عنبسة بن سحيم الكلبى واليـا على الأندلس سنة ١٠٣هـ ، وفى ذلك يقـول المقـرى : « قـدم أهل الأندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى إلى أن قدم عنبسة بن سحيم الكلبى من قبل يزيد بن أبى مسلم عامل إفريقيا فقدمها فى صفر سنة ثلاث ومائة [١]

ولما قتل يزيد بن أبى مسلم استعمل الخليفة هشام بن عبد الملك على إفريقيا بشر ابن صفوان فأقر عنبسة على الأندلس[٢] .

وكان ولاة إفريقيا يضعون فى اعتبارهم تولية ولاة الأندلس حسب اعتبارات قبلية فإذا كان والى إفريقيـا يمينا كـان والى الأندلس يمينا وإذا كـان قيسيـا كـان والى الأندلس قيسيا ، ولكن لحسن الطالع كان عنبسة بن سحيم الكلبى والى الأندلس الجديد رجلا بعيدا عن كل تعصب قبلى .

ولقد سبق أن أوضحنا المكانة الكبيرة والقتالية للسمح بن مالك الخولانى وقدرته على فتح دولة الفرنجة وانتصاراته العظيمة وتوطينه للمسلمين فى تلك المدن واهتمامه بتحصين المراكز الإسلامية فى غالة لذلك كان استشهاده خسارة كبيرة على الإسلام والمسلمين فى جهادهم بالأرض الكبيرة أدت إلى اضطراب الجيش الإسلامى وفقدانه عددا كبيرا من زعمائه وجنوده الأبطال ، ولكن الله تعالى هيأ للمسلمين من يتولى أمرهم حيث تمكن القائد عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى بسرعة من سحب الجيوش الإسلامية إلى أربونه ليستطيع هناك لم شمل المسلمين وإعادة تنظيم رجاله ومعرفة أسباب الهزيمة فى موقعة تولوز التى تعتبر أو نكبة لقيها المسلمون فى أوروبا ، وعاد بجيش المسلمين سالما إلى الأندلس فاستمر فى تنظيم وترتيب صفوف الجيش

---

(١) المقرى : نفح الطيب : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

(٢) القيروانى : تاريخ أفريقيا والمغرب ، ص١٠٢ .

الإسلامي وإخماد الفتن حتى قدم عنبسة بن سحيم الكلبي الذى اختاره والى إفريقيا واليا على الأندلس .

ويذكر بعض المؤرخين أن والى إفريقيا الذى عين عنبسة هو بشر بن صفوان ومنهم من يقول : إنه يزيد بن أبى مسلم(١) .

وبما أن الخليفة يزيد بن عبد الملك قد قام بتعيين بشر بن صفوان واليا على إفريقيا بعد مقتل يزيد بن أبى مسلم وأن وفاة السمح بن مالك كانت فى ذى الحجة سنة اثنتين ومائة من الهجرة وقدوم عنبسة واليا للأندلس فى صفر سنة ثلاث ومائة من الهجرة وقتل يزيد بن أبى مسلم كان بعد ولاية عنبسة وعلى هذا فإن مباشرة عنبسة لولايته كانت بعد مقتل يزيد بن أبى مسلم ولا يمنع الجمع بين القولين من أن يزيد ابن أبى مسلم قد عين عنبسة على الأندلس وايد بشر بن صفوان توليته هذه وأقر عنبسة على ولاية الأندلس وما فى أيدى المسلمين من أرض الفرنجة .

ويعد الوالى الجديد الذى تولى أمر الأندلس رجلا من طراز كبار الفاتحين(٢) فقد كان رجلا عظيما تقيا ورعا مجاهدا عسكريا وإداريا على درجة عالية ، كما كان حريصا أمينا على الدولة الإسلامية التى أوكلت إليه إداراتها ، وتبين لنا ذلك من خلال

---

(١) وقد اختلف المؤرخون فيمن ولى عنبسه ، فيذهب صاحب بغية الملتمس وصاحب جذوة المقتبس إلى أن بشر بن صفوان أمير أفريقية هو الذى قلده الولاية فى سنة ١٠٦هـ .

انظر : الحميدى : جذوة المقتبس ، ص٣١٩ ـ الضبى : بغية الملتمس ، ص٤٣٢ ـ ويذكر ابن عذارى والمقرى الذى ينقل عن ابن حيان الأندلسى وعن ابن خلدون أن قدومه كان فى سنة ١٠٣هـ. واليا من قبل يزيد بن أبى مسلم .

ابن الأثير : الكامل جـ٥ / ١٣٥ ، ابن عذارى : البيان جـ٢ / ٢٧ ، المقرى : المجلد الثانى ، الجزء الثالث ، ص١٦ ـ ١٨ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٤ ـ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الزندلس ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، ص١٨ ـ الرقيق القيروانى : تاريخ أفريقية والمغرب ، ص١٠٢ ـ المراكشى : المعجب ، ص٣٦ ـ المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الثالث ، ص١٦ ـ ابن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان ، ص٨٩ .

جهوده وأعماله حينما قدم على الأندلس فاستقام أمرها وحالها[1] فقد بادر عنبسة منذ البداية إلى إزالة الأثر السيء الذى ترتب على هزيمة السمح ابن مالك ومقتله فى تولوز فحرص قبل الخروج إلى الجهاد خلف البرت فى أن يصلح من شأن ولايته فقضى السنوات الأولى منها فى تنظيم أمور الأندلس وتهدئة مطامع الخلافات فيها بين العرب بعضهم وبعض ، وبينهم وبين البربر ، لأن الأندلس كانت حين قدومه تعيش حالة من الاضطراب والمشاكل ولقد شغل أهلها بتصفية ثأرهم القبلية أكثر من انشغالهم بالقضاء على بقايا القوط فى الأندلس أو عن اتمام إخضاع البربر فى إفريقيا ، وذلك استغرق عنبسة وقتا من الزمن فى تنظيم تلك البلاد المضطربة وضبط نواحيها وإصلاح جيشها[2].

وكانت مهمة عنبسة مهمة دقيقة بحق فقد جاءت ولايته إلى الأندلس وعربها حديثوا عهد بهزيمة ، حيث تلقوا أول هزيمة قاسية فى تاريخهم العسكرى الأوروبى خلف جبال البرتات ، حيث تركت تلك الهزيمة آثارها الواضحة على بنية السلطة القائمة أصلا بل على التوازن القبلى فإذا اليمنيون[3] يحتاجون الولاية ويقبضون على زمامها فترة من الزمان ، وفى المقابل كان القيسيون[4] يتلاعب بهم الغضب فى انتظار

---

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص٨٢ .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ص٨٢ ـ العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٨١ ـ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٤٦ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ، ص١٣٨ .

(١) اليمنيون : لتنتسب القبائل العربية التى عاشت فى النصف الجنوبى من شبه جزيرة العرب التى تتكون من العرب العاربه أى الحقيقة إلى قحطان باعتباره الجد الأعلى ، وكان ذلك القسم الجنوبى ينقسم إلى قسمين عظيمين هما كهلان وحمير ، ويتفرع من كهلان فرعان هما مالك وعريب ومن أشهر قبائل مالك الازد التى هاجرت من موطنها شعبين (سبأ) أثر انهيار سد مأرب إلى موطنهم الجديد فى عمان والسراه ومكة ويثرب والشام وكان ذلك قبيل القرن الخامس الميلادى ، وفى الإسلام تدفقت أعداد كبيرة من أزد السراة وازد عمان إلى الكوفة والبصرة .

السمعانى : الزنساب ، ص٢٨٨ ـ النويرى : نهاية الأرب ، ص٧٨ ـ ٧٩ .

Encyclopedie of islam. I P. 529 .

(٢) القيسيون : لتنتسب القبائل العربية التى عاشت فى النصف الشمالى من شبه الجزيرة العربية والتى تتكون من العرب المستعربة إلى عدنان باعتباره جدها الزعلى ، وكان ذلك القسم الشمالى ينقسم =

الفرصة المناسبة(١) .

وعلى الرغم من أن السياسة القبلية هى التى جاءت بعنبسة إلى السلطة لكنه أثبت أنه الرجل القدير المتمكن الذى استطاع أن يملأ المكان والذى حرص على فرض التوازن المطلوب بين العرب فى الأندلس ونجح فى بعض سنوات من حكمه تنظيم إدارة ولايته ورتق فتوقه وإصلاح ما فسد منها . أما السنة الأخيرة من ولايته فكسرتها للغاية الأصلية وهى استمرار جهاد المسلمين خلف البرتات ونشر الإسلام فى الأصقاع التى لم يصلها بعد(٢) .

لذلك بادر عنبسة إلى محاولة إزالة الأثر السيىء الذى ترتب على هزيمة ومقتل السمح عن طريق استئنافه للجهاد واستعادة سائر إقليم سبتمانيا(٣) .

ففى أواخر سنة ١٠٥ هـ / ٧٣٤م استنفر عنبسة المجاهدين لعبور جبال البرتات فتكون لديه جيش كثيف قرر أن يتجه به إلى بلاد الفرنجة لذلك قاد الجيش الإسلامى من قاعدة برشلونة وعبر ممر باربنين Perpignan (٤) واستقر فى القاعدة الثانية أربونة وعمل على تدعيم خطها الدفاعى أمامه لكى يتسنى له فتح المناطق المجاورة لذلك أصبحت أربونه المقر الرئيسى له فقام بتحصينها وشحنها بالرجال والعتاد واستقر فترة من

= بدوره إلى قسمين هما مضر وربيعة ، وامتازت قبائل مضر بالكثرة العددية حتى قيل أكثر من ربيعة ومضر وتنقسم مضر إلى قسمين كبيرين أولها قبائل خندق وثانيها قبائل قيس ، أما قبائل خندق فتنقسم إلى قسمين كبيرين بنى مدركة وطابخه ، أما قبائل قيس فتشمل ثلاثة أقسام كبيرة هى : سعد وجديلة وحفصه . للمزيد انظر : السمعانى : الأنساب ، ص٥٢٣ ـ اليعقوبى : البلدان ، ص١٢٣ .

إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .

(1) Levi-Provencal : op. cit., P. 58 . Codera : narbone. P. 113 .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ .

(٣) خليل إبراهيم السامرائى : الثغر الأعلى ، ص١٢٨ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص١٣٨ ـ ١٣٩ .

Levi-Provencal : op. cit. 1. P. 58 - Codera : Narbona P. 311 .

شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص٩٨ .

الزمان يرتب أموره وينظم أحواله وهكذا دانت له سبتمانيا واسترد كثيرا من معاقلها التى سبق أن فقدها المسلمون بعد مقتل السمح ثم زحف على امتداد نهر الرون حتى اقترب من قرقشونه .

فى أوائل سنة ١٠٦ هـ فحاصرها حصارا شديدا حتى صالحه أهلها على ما يلى :

١ ـ أن يتنازل له أهلها عن ما يتبع أعمال المدينة (أى الأراضى التابعة لها)

٢ ـ أن يطلقوا جميع من عندهم من أسرى المسلمين ويردوا إليهم أسلحتهم وأمتعتهم .

٣ ـ أن يعطوا الجزية لعنبسة .

٤ ـ أن يلتزموا بأحكام الذمة فيحاربوا من حارب المسلمين ويسالموا من سالمهم[١].

ثم اتجه عنبسة إلى مدينة نيم Nimes [٢] فدخلها بلا مقاومة وأخذ منها رهائن نقلهم إلى برشلونه أى أن عنبسة لم يسر فى الاتجاه الذى سار فيه السمح وسط أراضى غالة بل سار إلى الشرق فى محاذاة البحر حتى وصل إلى نهر الرون فاستولى حينذاك على نيم وأخذ من أهلها رهائن نقلهم إلى مدينة برشلونه قاعدة الثغر الأعلى[٣] وهنا تتضح لنا أهمية الثغر الأعلى فى اتخاذه حصنا ومركزا للجهاد وراء البرتات ، ثم واصل عنبسة سيره ولم يشأ أن يتجه إلى مقاطعة أكيتانيا Aquitaine لأن دوقها آثر مهادنة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص١٩٧ .

(٢) انظر الملحق الخاص بتعريفات المدن فى نهاية البحث .

(٣) تعتبر منطقة الثغر الزعلى قاعدة للفتوحات وراء البرتات ، كما أن الأسرى الذين يأسرهم المسلمون يرسلون عادة إلى مدن الثغر ومن هنا يفرقون فى البلاد ، وكانت مدينتا برشلونة وطركونة بصورة خاصة قواعد عسكرية يكمن المسلمون فيها عند طلب الفرصة فى الغزو وكانت مراكز التجمع للأسرى ومنها يفرق إلى سائر أنحاء الأندلس ، وقد عامل المسلمون هؤلاء بكل عطف ورحمة كعادة المسلمين فى تلك المواقف .

للمزيد انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص١٢٦ ، السامرائى : الثغر الأعلى ، ص١٢٨ .

أمير على: مختصر تاريخ العرب ، ص١٢٦ .

المسلمين والتودد إليهم بعد أن رأى تصميمهم على الاستيلاء على سبتمانيا حتى لا يوقع نفسه بين المسلمين وبين رئيس بلاط مملكة الفرنجة شارل مارتل[1] لذلك لم يتجه عنبسة إلى هناك وواصل سيره حتى أدرك مجرى نهر الرون ووجد الطريق أمامه مفتوحا فسار مسرعا دون أن يلقى أى مقاومة وصعد مع النهر حتى أدرك نهر الساءون ودخل إقليم برجنديه Burgunda [2] واستولى على أوتون Autun [3] وغنم منها مغانم كثيرة وافرة سنة ١١٢هـ/ ٧٣١م ولم يكتف بذلك بل اتجه متوغلا حتى استولى على ماسون Macon [4] وشالون Chalon [5] ومن هناك قسم جيشه إلى قسمين : القسم الأول سار إلى ديجون [6] Dijon ولانجر Langres [7] ، والقسم الثانى توجه إلى اوتون Autun [8] ومنها إلى مدينة سانس Sens ولا شك أن سانس كانت أقصى نقطة وصل إليها الجيش الإسلامى داخل غالة ، وفى سانس تصدى للمسلمين أسقف المدينة ويسمى أيبون Ebbon استعدادا لوقف زحفهم ، فحصن المدينة وجمع مواطنيه الذين اتجهوا معه لحماية مدينتهم « ولكن الله قذف الرعب فى قلوب الكفار ، فلم يكن أحد منهم يقف فى وجه المسلمين إلا ويطلب الأمان ، ولم يزل المسلمون يتقدمون فى البلاد ويؤمنون العباد إلى أن وصلوا إلى وادى الرون وهناك ابتعدوا عن السواحل وأولوا فى الداخل » [9].

ويذهب المؤرخون الأوروبيون إلى أن حملة عنبسة لم تقف عند هذا الحد بل

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص١٣٨ ــ ١٣٩ ، العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٨٢ .

(٢) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٣) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٤) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٥) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٦) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٧) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(٨) انظر الملحق الخاص بالتعريفات فى نهاية البحث .

(9) Levi-Provencal : op. cit., I. P. 59 .

شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص١٠٢ ــ ١٠٣ .

وصلت إلى أوزه Ozes[1] وفيين Vienne [2] ووصلت فى نواحى فالنس Va-lance[3] وإلى ليون Lyon [4].

وفى الحقيقة أن تراجع المسلمين عن مدينة سانس لم يكن بسبب مقاومة أسقفها بل بسبب وعورة المنطقة التى أحاطت بهذه المدينة[5] ويبدو أن قائد المسلمين أدرك أن بقاء الجيش فى هذه المنطقة ربما يعرضه للإبادة إذا تهيأت للعدو فرصة الهجوم فقرر العودة .

ثانيا : عودة عنبسة لضبط أحوال الأندلس واستشهاده فى الطريق إليها :ـ

عاد عنبسة بمن معه من الجند محملين بالغنائم بعد أن وصلوا إلى قلب بلاد غالة وزوا حوض الرون كله وتخطوا نهر اللوار وأصبحوا على مسافة قصيرة من نهر السين نفسه وقد تم ذلك خلال سنتى ١٠٢ ـ ١٠٣ هـ (٧٣٠ ـ ٧٣١م) وطبيعى أن تثير هذه الانتصارات التى أحرزها عنبسة المخاوف فى مقاطعات فرنجية كثيرة فارتاعت معظم الدوقيات الجنوبية والوسطى ، وشعرت مملكة الفرنجة أنها أمام خطر حقيقى ـ وشعر الفرنجة أن الحملات المقبلة للمسلمين ستكون حاسمة من كل وجه، فأما أن يتم المسلمون فتح مملكة الفرنجة أو يرتدوا عنها ولكن للأسف كانت أحوال مسلمى الأندلس فى تفكك واندحار بعد أن تفشت بينهم الاضطرابات وسادت المشاكل بسبب العصبية القبلية بين العرب بعضهم بعضا والمنازعات بين العرب والبربر، ذلك عزم عنبسة بعد هذا الفتح الظافر وبعد أن ترامت إلى مسامعه أنباء الاضطرابات على الرجوع لإصلاح ما فسد أثناء غيابه فعاد بعد أن أدرك الفرنجة قوة المسلمين بعد تلك الإغارة الواسعة المدى[6]، وكان محقا عندما قرر عدم ترك المسلمين فى تلك

---

(١) (٢) انظر الملحق الخاص بتعريفات المدن .

(٣) (٤) انظر الملحق الخاص بتعريفات المدن .

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٤٦ ، العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٨٢ .

(٦) السامرائى : الثغر الأعلى ، ١٢٩ ، مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٤٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ، ص ١٣٩ .

المناطق الوعرة خوفا من الهجوم المباغت عليهم وبالفعل ما أن قرر العودة حتى داهمته جموع من الفرنجة ، وهاجمه الأعداء على غرة فأصيب بجروح توفى على أثرها فاستشهد رحمه الله سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م فقام بقيادة الجيش من بعده عذره ابن عبد الفهرى[١] .

أما عن الكيفية التى انتهت بها حياة عنبسة فقد صمتت عنها المصادر العربية [٢] والأجنبية [٣] وإن اجمعت كلها على أنه استشهد خلال بعض المناوشات فى طريق العودة وذلك فى شعبان عام ١٠٧هـ / ٧٢٦م وكانت مدة ولايته أربع سنوات وثمانية أشهر .

غير أن الخطأ الذى وقع فيه عنبسة أنه بالغ فى اطمئنانه للفرنجة وخاصة أدو دوق أكيتانيه ، ولم يخطر بباله أن الفرنجة كانوا يتربصون به وأن استسلامهم كان خوفا من قوته وجيوشه الإسلامية ولذلك فإن حين انتهى عنبسة من عملياته الحربية وترك سبتمانيا واتخذ طريقه إلى الأندلس داهمته جموع من الفرنجة فقضت عليه [٤].

والحق أن حملة عنبسة كانت أقرب إلى استكشاف حربى منها إلى حملة تستهدف الفتح ، لأنه لم يعمل على الاستقرار فى أى بلد خارج نطاق إقليم سبتمانيا، ولو كان عنبسة على نية الفتح الثابت والاستيطان لأتم الاستيلاء على ما غلب عليه من المدائن ، ولأقام الحاميات على الأقل فى بعضها إن لم تكن كلها على عادة العرب فى فتوحهم ، وربما كانت نيته من أول الأمر أن يقوم بحملة تشبه حملات عقبة الكبرى أى غارة بعيدة المدى تشق البلاد شقا وتطلع المسلمين على أحوالها

---

(١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ، ص٣٤٤ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص٤٣٢ ـ ٤٣٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص١٩٧ . المراكشى : المعجب ، ص ٣٥ ، ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص٢٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٨ ، المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص٢١٩ .

(٣) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص١١٣ ، خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٢٤٤.

(٤) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٨٢ ـ ١٨٣ ـ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

وتمهد لما بعدها ولو استقر عنبسة فى ليون مثلا أو فى أحد مراكز غالة الوسطى لكان فى إمكاننا أن نقرر أن عنبسة قد فتح جنوبى غالة ووسطها . أما وقد عاد أدراجه بعد أن سار نحو ألف ميل شمالى قرطبة فلا نستطيع القول إلا أن حملة عنبسة الرائعة لم تكن أكثر من حملة استكشافية طويلة أتت بمغانم وفيرة ونشرت فى نواحى غالة كلها أخبار وجودها ومهدت لمن جاء بعده .

وإراد عنبسة السيطرة على ما تبقى للقوط من أملاك ، ودراسة البيئة الجديدة التى تجاوز ممتلكات سبتمانيا وليس العمل على فتحها والاستقرار بل أراد من مناوراته أيضا أن يشعر جيرانه المسيحيين فى سبتمانيا بقوة الإدارة الجديدة فيها والقضاء على الشائعات التى راجت عن ضعف قوة المسلمين فى جنوب بلاد الغال بعد موت السمح بن مالك(1) .

لذلك نرى صحة الرأى القائل بأن حملات عنبسة لم تكن أكثر من حملات استيطانية طويلة أتت بمغانم وفيرة ونشرت فى نواحى غالة وجودها ومهدت لمن جاء بعده وأنه اشبه بالمناورات الحربية التى عرفها المسلمون منذ عهد رسول الله ﷺ فلقد كان القائد يقوم باستكشاف الأرض قبل الدخول إليها ودراسة أحوالها والبيئة التى سيغزوها قبل أن يقرر الاستقرار فيها فكان المسلمون يكتشفون ويوفدون العيون لجمع كل الأخبار حتى إذ ما تحرك الجيش بعد ذلك للاستقرار يكون تحركه فى أمن وسلام وطمأنينه ويستطيع أن يترك الحاميات للدفاع عن تلك المناطق التى ستكون فى حوزته. ولكن الحاميات التى وضعها عنبسة لم تكن كافية ، ولم يؤمن طريق عودته مما كان سببا فى أن يتتبع الفرنجة طريقه ويداهموه ، ولا شك أن قتله بهذه الصفة وهو ذلك القائد العظيم الذى أحرز الانتصارات الرائعة والسريعة للإسلام والمسلمين خلف البرت

---

(1) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩ .
إبراهيم العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٨٢ .
Reinauel : op. cit., P. 23 - Levi Provencal : op. cit., P. 41 - 42 .
Sherwani ; op. cit., P. 35 .

كانت خسارة على الأمة الإسلامية التى فرحت بالانتصارات الكبيرة التى استطاع تحقيقها فى فترة وجيزة ، ولكن إرادة الله فوق كل شيء . والذى يتتبع أخبار الفرنجة اثر حملات عنبسة يجد أنه أدخل فى قلوبهم الرعب من سرعة اقتحام جيوش المسلمين بلادهم وهم لا يعرفون عنها شيئا .

ومهما يكن فإن فتوحات عنبسة فى غرب أوروبا هى من أعظم الفتوحات الإسلامية ووصل إلى ما لم يصل إليه أى قائد آخر فرحم الله عنبسة ومن سبقه من قادة المسلمين فقد انفرد بهذا الفخر العظيم بين الفاتحين فخر الوصول برايات الإسلام إلى قلب أوروبا الغربية[1] .

ويذكر أن أودو دوق اكيتانيا رأى أن يفاوض المسلمين ويهادنهم خوفا من هجومهم عليه ، لذلك استطاع المسلمون بسط سيادتهم على جنوبى شرقى غالة ، وتذكر أيضا أن سبب عدول عنبسة بن سحيم عن التوغل فى اكيتانيا هو صداقته للدوق أوده الذى كان وقتئذ على علاقة سيئة بشارل مارتل ابن ببين هرستال صاحب الدولة الميروفنجية ، وتذكر بعض المراجع أيضا أن من أسباب هزيمة السمح بن مالك عند تولوز كان أودو ، وأن عنبسة أثناء حملته تلك اتجه نحو بلاد الدوق رأسا واستولى على قرقشونه ثم انحرف إلى سبتمانيا من جديد وسار نحو نيم وأن الدوق لم يحارب المسلمين ولم يعترض طريقهم كما فعل يوم ساروا إليه بقيادة السمح بل لم يحاول أن يهاجم من خلفهم بعد أن تركوا بلاده خلفهم وساروا نحو نهر الرون حتى قاربوا نهر السين[2] .

ويعلل ذلك الموقف بأن الدوق كان فى ذلك الحين صديقا مواليا لهم ، وربما كانت هذه الصداقة هى مصدر بعض الروايات الفرنجية التى تتهم الدوق بأنه استدعى

---

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٨ .
Levi Prevencal : op. cit., p. 41 - 42 .

(٢) نهر السين : انظر الملحق الخاص بالتعريفات .

العرب لغزو غالة بسبب علاقته السيئة بشارل مارتل .

والواقع أن أودو لم يكن على وئام مع دولة الفرنجة ، وربما كان شارل يحسده على مكانته ويود لو أزال تلك الولاية ولاية اكيتانية الغنية من يد أودو [1] فلقد أوردت لنا الروايات اللاتينية أخبارا متفرقة عن عداء الرجلين وما كان بينهما من خصومة وليس هذا بغريب فقد كان معظم الإقطاعيين فى غالة يخافون شارل ويكرهونه وكان الكثيرون منهم فى حالة حرب معه ، وهذا هو السبب الذى دعى أودو إلى مصادقة العرب ولم يكن انصراف عنبسة عن أراضى الدوق مصادفة بل كان أمرا طبيعيا أملته الظروف العامة ، فقد انصرف العرب عن أراضيه لأنه حليفهم وربما كان هذا الحلف هو السبب فيما وفق إليه المسلمون من انتصارات فاقت كل ما كان منتظرا من حملة عنبسة[2] .

وتذكر بعض المصادر اللاتينية أن دوق أودو صاهر رجلا بربريا يدعى مونوسه Mu-nuza وقام بتزويجه من ابنته التى تدعى لاميبحه أو مينين Lampegie or Minine [3] وأنه ساعد عنبسة فى غزو برجندية ليبعد خطر المسلمين عن بلاده .

---

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، السيد عبد العزيزسالم : المرجع السابق ص١٣٩ .

ورغم هذه الآراء التى أوردها المؤرخون نقلا عن مؤنس حول علاقة عنبسه بالدوق أود أولا أننا لا نرجح هذه الآراء لتجعلها سببا رئيسيا فى انطلاقه نحو أرض الغال ، وإنما كان الدافع الدينى الغرض الجهادى والحماس الإسلامى هم الأساس الأول فى سياسة عنبسة واتجاهه نحو أرض غالة بتلك الصورة الرائعة .

(٢) عن علاقة مونوسه باودو انظر الفصل الرابع المتعلق بعبد الرحمن الغافقى .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص١٣٩ .

٤ جهاد عذرة بن عبد الله
الفهرى
خلف البرتات

خط سير الحملة

منطقة
النفوذ
الاسلامى

ثالثا : جهاد عذرة بن عبد الله الفهرى :-

رغم استشهاد عنبسة بن سحيم إلا أن الحركة الجهادية لم تتوقف بل استكملها ولاة خلفوه ساروا على نهجه واقتفوا أثره رغم ما ساد الأندلس من أحداث .

والمتتبع لأحداث الأندلس يجد أنه توالى عليها فى مدى الأعوام الخمسة التى تلت وفاة عنبسة ستة ولاة أولهم عذرة بن عبد الله الفهرى والذى تسميه المراجع الأجنبية باسم Hodeyra أو Hodra والذى تولى قيادة الجيش عقب وفاة عنبسة فارتد به إلى قاعدة المسلمين الحصينة فى أربونه وقام بنفس الدور الذى قام به عبد الرحمن الغافقى بعد استشهاد السمح [(١)].

ويذكر أن عذرة واصل جهاده فى بلاد غالة بعد أن وصلته الامدادات اللازمة من الأندلس وهو فى القاعدة الحصينة أربونه[(٢)] ولقد اهتم عذرة بإقليم سبتمانيا بصفة خاصة ، ويرجع السبب فى احتفاظ المسلمين بهذا الإقليم إلى نشاط الولاة بعد عنبسة وأولهم عذرة الذى نظر إلى إقليم سبتمانيا على أنه أحد الثغور الهامة[(٣)] التى تتولى الدفاع عن دولة الإسلام بالأندلس وأنه لابد من حمايتها من أى عدوان خارجى يقع

---

(١) أختلف المؤرخون المعاصرون حول ولاية عذرة ، فيرى بعضهم أن عذرة لم يكن من الولاة الرسميين وأن ولايته كانت غير رسمية حتى مجيئ الوالى الرسمى ، واعتمدوا فى تفسيرهم هذا على رواية ابن عذارى : جـ٢ ، ص٢٦ ، ومن هؤلاء محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص٨٣ .
واختلف البعض فى مدة ولايته فيرى مؤنس أن عذرة ظل فى ولايته سنتين وثلاثة أشهر (شوال ١٠٧هـ - ربيع الأول ١١٠هـ) فبراير - مارس ٧٢٦م - يونيو ، يوليه سنة ٧٢٨م . بمعنى ذلك أن رأى مؤنس هو الأقوى .
أما السامرائى : الثغر الأعلى ، ص١٣٣ : فيرى أن ولاية عذرة لا تتعدى الشهرين بدليل قدوم يحيى بن سلمة الكلبى واليا من قبل أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فى شوال سنة ١٠٧هـ ، ٧٢٦م واعتمد فى رأيه هذا على رواية ابن عذارى : جـ٢ ، ص٥٧ ، والمقرى : المجلد الأول ، القسم الأول، ص٢٧٩ . ولكن لو أبقينا بفتوحات عذرة استنادا إلى المراجع الأجنبية فمعنى ذلك أن رأى مؤنس هو الأقوى لأنه ليس من الممكن فى تلك المدة القصيرة التى لا تتجاوز شهرين أن يفتح عذرة كل تلك المناطق .
(٢) خليل إبراهيم السامرائى : الثغر الأعلى الأندلسى ، ص١٣٢ .
(٣) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص ٩ .

عليها فى السنوات التى تلت عنبسة ، لذلك تابع المسلمون إغارتهم فى جنوب بلاد الغال لإرهاب عدوهم حتى قيل أن رياح الإسلام أخذت تهب على تلك المناطق من كل ناحية ، فدعم المسلمون سلطتهم فى سبتمانيا وانطلقوا خارجها بعد أن شجعهم ضعف المقاومة التى صادفوها فى طريقهم إلى التوغل والاستمرار فى لافتوح ، بعد ذلك عادوا إلى حوض الرون حيث أغاروا على بلاد الألبيين (Les Albegeois) وإقليم رويرج Le Rouergue وجيفودان Gevaudan وليفليه Levelay وصارت سبتمانية ولاية إسلامية عزيزة الجانب لا يستطيع أن يمسها أحد بسوء أو يطمع فى أخذها من يد المسلمين ، بل أخذ أمراء الفرنجة فى الجهات المجاورة لسبتمانيا يعملون على التقرب من المسلمين ، كما أن أهالى تلك المنطقة صاروا ينعمون بحضارة وإدارة مستقرة(١) .

ذلك أن المسلمين وضعوا لسبتمانيا نظاما جيدا للحكم باعتبارها أهم منطقة من مناطقهم الدفاعية عن دولة الإسلام بالأندلس ، ولكن دون الاضرار بمصالح سكانها الأصليين وقد كانت أربونه Narbonna العاصمة هى الحامية الإسلامية الرئيسية على حين توجد حاميات إسلامية صغرى فى كل بلد كبير من سبتمانيا(٢) .

---

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٢٥ ، رينو : الفتوحات ،. ص٥٤ .
Sherwani : muslim colonies in france,northern italy and swizerland. P. 36 .

إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص١٤٧ ـ ١٤٨ .
Reinaud : Invasions des sarrazins en france. P. 25 codera : Narbona. P. 312 - 313 .

(٢) كان لتلك الحاميات أثر كبير فى إقرار السلام بين الأهالى إذ ترتبت جميع الأمور فى مسائل جمع الضرائب وغيرها ، وقام المسلمون بالاحتفاظ بعدد كبير من الجند للغزو والإغارة حين تتطلب الأمور الدفاع فى منطقة غاله ، ولقد خفف المسلمون عن الأهالى الضرائب التى عانوا منها فى حكم الفرنجة القاسى ونعموا بالعدالة والحرية فى عهدهم ، حتى أن كبار الحكام من دوقات المدن والمقاطعات صاروا حلفاء للمسلمين حيث تمتعوا بالحكم الذاتى . ومن ذلك ما عامل به المسلمون دوق مرسيليا المدعو (مارونت) فقد كان يحكم تلك المدينة وما حولها من أراضى دوقتية ويؤدى للمسلمين ما يقررون عليه من الأموال ، ثم أن المسلمين تركوا الأراضى التى فتحوها عنوة فى =

وليس باستطاعتنا أن نجزم بالحد الذى توقف عنده عذرة فى فتوحاته بغالة وإن كنا نقبل ما تذكره الروايات اللاتينية عن الأعمال التى تمت أثناء ولايته لأن عبد الرحمن الغافقى الذى جاء بعد ذلك وجد المسلمين فى وضع جيد فى غالة ، ولو كان أمرهم وقف عندما انتهت إليه أعمال عنبسة بن سحيم وهو الرجوع إلى الأندلس ، لما استطاع الغافقى أن يقوم باتمام الفتوحات بتلك الصورة الرائعة ، لأن الولاة الذين سبقوه قد مهدوا له ، لذلك تقدم تقدما ظافرا واستطاع أن يحقق ما حققه من فتوحات[1].

ولكن الروايات الإسلامية جميعها لا تنسب لعذرة أى فتوحات ولا أى تقدم بل تحصر ولايته فى شهرين فقط ، وتعتبر مدة حكمه مدة غير قانونية وغير رسمية بل استمر فيها مؤقتا حتى يعين الخليفة فى المشرق هشام بن عبد الملك الوالى الرسمى[2].

وتنسب الرواية الفرنجية كثيرا من أعمال التخريب والفساد إلى المسلمين فى تلك الفترة بعد وفاة عنبسة إلى تولية عبد الرحمن الغافقى ، وتذكر أن المسلمين قاموا بالنهب والسلب ، وعاثوا فى الأرض فسادا ، وأن معظم المناطق قد امتلأت بالمهاجمين وعمها التخريب . وما تبقى منها فقد اشتعلت فيه النيران ، وقد أصاب الذعر معظم أهالى البلاد وقام الفاتحون بحمل جميع المقتنيات الثمينة التى يسهل حملها والأدوات المختلفة والأسلحة والخيول التى يمكن أن تزيد من قوتهم وتضعف من شأن أهل البلاد

= تلك الأرجاء بيد أهلها ، وفرضوا عليهم تقديم حصة تتراوح ما بين ثلث وربع المحصول ، وبذلك أقبل أهل سبتمانيا وجيرانهم على الحكام المسلمين وتعاونوا معهم فى إغارتهم ونهموا بالأمن والطمأنينة فى ظلهم ولم يفكر أودو أو شارل مارتل فى انتزاع تلك الجهات من أيديهم ، بل أدرك أودو قوتهم فعمل على مصادقتهم ، أما شارل مارتل فقد شغل بالتصدى للثورات فى بلاده وصارت سبتمانيا بعد غارة عنبسة وعذرة حتى مجئ الغافقى موضع رهبة للفرنجة ولم يحاولوا التصدى للمسلمين .

للمزيد انظر العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٨٤ ـ ١٨٥ .

(١) حسين مؤنس : فجر الإسلام ، ص٢٥٥ ، السامرائى : الثغر الأعلى ، ص١٣٢ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص٢٧ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٧ ، المقرى : نفح الطيب : المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص١٦ ـ ١٧ .

الفرنجية وعادوا بها إلى الأندلس . ومن بين الأماكن التى وقعت فى أيديهم وتضررت من غزوهم مقاطعة ديوسيزدوديس Dioceseder bodes فاستقروا فيها وتحصنوا فى قلعة منيعة تسمى روكبريف Roquebrive وفى قلعة تسمى بالاجير Balaguier وقد استولوا على هذه المدن بدون أى مقاومة بل أن الأهالى أنفسهم قدموا لهم المساعدة وقد انتشرت قصة ظهرت على شكل رواية شعرية كتبت فى بداية القرن التاسع الميلادى(١) .

ولقد نسبت الروايات النصرانية الكثير من الحوادث المخزية إلى المسلمين وذكروا أن أغلب الظن أن تلك الحوادث قد وقعت ما بين سنتى ١٠٧ ـ ١١٢هـ ٧٢٥ ـ ٧٣٠م حيث قام المسلمون بالغزوات التى تنسبها إليهم الروايات النصرانية فى إقليم دوفينيه Duphne وليون Lyon ـ وبورجونيا Bourgogne .

ويذكر رينو أن المسلمين تركوا الأماكن التى وصلوا إليها مليئة بالخراب والدمار ففى ضواحى فيين Vienne على ضفاف نهر الرون لم تعد الكنائس والأديرة سوى ركام من الخرائب ، وكذلك أصيبت كنائس ليون (Lyon) بالخراب ودمرت كل من مدينتى ماكون (Macon) وشالون (Chalon) كما تعرضت مدينة بون (Beaune) لخراب فظيع والتهمت النيران (٢) كنائس سانت نزير (Saint Nazure)

---

(١) تقول القصة أن هناك شابا صغيرا يدعى داتون حمل سلاحه عند اقتراب المسلمين وابتعد عن أرضه مع عدد من المقاتلين لمحاربة المسلمين وترك أمه وحيدة ، وتوجه إلى ساحة القتال وبينما هو فى الطريق غزا المسلمون منزله وأسروا أمه ، فلما عاد وسمع الخبر حمل سلاحه ومضى إلى الحصن يريد اقتحامه وسخر منه المسلمون خلف أسوارهم ، وقال له بعضهم إذا أرادت أن نرد لك أمك فاعطنا الحصان الذى تمتطيه وإلا قتلناها أمام عينيك فرفض دادون أن يجيبهم إلى طلبهم فذبحوا أمه ، ورموا إليه برأسها ، فبلغ من رعب الفتى وحزنه أن ذهب فترهب فى ناحية على ضفاف نهر الدردون Dourdon وقد انشئ فيما بعد ديركويك Cougue بتصرف من Sherwani : op. cit., P. 35
. 37 - 36 - ينو : : الفتوحات ، ص٥٤ ـ ٥٥ Reinaud : op. cit., P. 26 - 29
حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

(٢) وينسب الأستاذ سيد أمير على هذه الأعمال إلى الهيثم بن عبيد الكنانى وليس إلى علوه انظر مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكى ، ص١٤٦ .

وهدم دير سانت مارتن (Saint Martin) وغيره من الكنائس والأديرة[١] .

هذا ما يذكره المؤرخون الأوربيون ، أما المصادر العربية ومؤرخوا الإسلام فلا يذكرون شيئا عن تلك الحوادث على الإطلاق حين ينفرد المقرى بذكر توغل المسلمين فى داخل بلاد الفرنجة بقوله : « إن الله ألقى الرعب فى قلوب النصارى ولم يعد أحد منهم ليظهر إلا ليستأمن فاستولى العرب على البلاد ومنحوا الأمان لمن أراد وساروا مصعدين حتى وصلوا إلى حوض رودانه وهناك ابتعدوا عن الشواطئ وتوغلوا داخل البلاد[٢] ولم يذكر المقرى البلاد التى وصلوا إليها حينما توغلوا فى تلك المناطق .

ويرد الدكتور حسين مؤنس فى كتابه فجر الأندلس على تلك الروايات الأوروبية فيذكر ردا على رينو بأن المراجع التى أشار إليها رينو لم تشر إلى أن العرب هم الذين خربوا تلك النواحى بل كان ذلك العصر عصر اضطراب وحروب بين النصارى بعضهم مع بعض فى غالة ، وأن أمراءهم هم الذين أنزلوا بالكنائس والأديرة التخريب والاضرار ما يفوق كل وصف ، أما العرب فطوال تاريخهم المليء بالفتوحات والظفر لم يخربوا كنيسة قط ولم يحرقوا ديرا فتعاليم دينهم السامية تمنعهم من ارتكاب ذلك ، ولو قارنا المسلمين بالشعوب التى كانت تسود غالة من فرنجة وقوط وبرجنديين يتبين لنا أن المسلمين كانوا أعظمهم حضارة وأبعدهم عن السلب والنهب وهذا هو القول الذى اتصف به المسلمون فى كل حروبهم السابقة واللاحقة[٣] .

ومما يؤكد هذا الرأى ما ذكره السير توماس أرنولد[٤] عن عدالة الإسلام وأهله

---

(١) جوزيف رينو : الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وإيطاليا وسويسرا فى القرن الثامن والتاسع والعاشر الميلادى : تقديم : إسماعيل العربى ، ص٥٨ ـ ٥٩ .

Sherwani : op. cit., P. 40 - 41 .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص٢٥٥ .

(٣) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٦٠ ـ ٢٦١ ، وانظر نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم لجيش زيد بن حارثة فى غزوة مؤتة وقد وصفت دستور الحرب بين المسلمين وغيرهم فى دار الحرب ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ، ص١٨٩ ـ ١٩٠ .

(٤) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ، وإسماعيل النحراوى ، ص١٥٨ ـ ١٥٩ .

حيث يقرر أن الرهبان والراهبات عاشوا فى أمن وطمأنينة لم يتعرض لهم حكام المسلمين بسوء ، ولم يكن ثمة ما يدعو القسيس إلى إخفاء شارته الدينية وفى الوقت نفسه لم تحل المناصب الدينية دون تقلد المسيحيية المناصب العالية فى البلاط .

هذا ما ذكر عن الأحداث فى ولاية عذرة بن عبد الله الفهرى ، ولا يمكن أن أسلك أعماله وما قام به فى سلسلة الفتوحات المنظمة التى قام بها الولاه فى غالة ، وإنما يعد نشاطا عاما قام به المسلمون من قاعدتهم التى استقروا فيها أربونة ومن بعض قواعد جنوبى غالة مثل تولوز وطرسونة ، أما الفتوحات الثانية المستقرة المعروفة فتبدأ بعد تلك الفترة[1] .

فقد تتابع ولاة الأندلس من قبل أمراء إفريقيا ، « فكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبى انفذه بشر بن صفوان الكلبى والى إفريقيا لما طلب منه أهل الأندل واليا بعد مقتل عنبسة بن سحيم فقدمها يحى بن سلمة آخر سنة سبع ومائة وأقام فى ولايتها سنتين ونصف ولكنه لم يغز وقدم إليها عثمان بن أبى نسعة اللخمى واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى صاحب إفريقيا وعزله لخمسة أشهر بحذيفة بن الأحوص القيسى فوافاها سنة عشر ، وعزل عاجلا يقال لسنة من ولايته واختلف هب تقدمه عثمان أو هو تقدم عثمان[2] .

ولا يذكر لهؤلاء الولاة من مجهودات خلف جبال البرتات أو أى محاولات للوصول بالمسلمين إلى أماكن جديدة ، بل تعد تلك الفترة من أسوأ الفترات التى امتلأت بالفتن والمشاكل ، إذ ما يولى وال واحد حتى تقام الدعاوى ضده فيعزل ويولى آخر بدلا منه . وتميزت تلك الفترة بالعدد الكبير من الولاة ، ففى أقل من سبع سنوات تعاقب على الحكم سبعة من الولاة وكان تعاقبهم على هذا النحو سببا فى تفاقم

---

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٦١ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٣٤ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٣١ ، ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص٢٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٨ ـ ١١٩ ، المقرى : نفح الطيب المجلد الأول ، القسم الأول ، ص٢٢٠ ، ابن أبى الضياف ، اتحاف أهل الزمان ، ص٨٩ .

(٢) جهاد الهيثم بن عبيد الكناني خلف البرتات

← ← ← خط سير الحملة

منطقة النفوذ الاسلامى

الخلل بين الزعماء والقبائل وتخلف المسلمين عن الخروج إلى الجهاد خلف جبال البرتات[1] وتلت تلك الفترة من الجمود العسكرى الذى حفل بالأزمات والمشاكل الداخلية ، ففقد الاستقرار السياسى ولعبت العصبية القبلية دورها الكبير دون أن يتمكن أحدهم من الاحتفاظ بمنصبه أشهراً ومعظم هؤلاء الولاة لم يتركوا أثر يذكر فى تاريخ الأندلس أو غالة ، بل كان لتخلفهم عن الفتح والجهاد أثر كبير فى تشجيع الفرنجة على مهاجمة القواعد الشمالية ومشجعا للخوارج من القوط والبشكنس على تنظيم وإعداد قواتهم للتصدى للمسلمين[2].

رابعا : جهاد الهيثم بن عبيد الكنانى :ـ

تولى الهيثم بن عبيد الكنانى بعد فترة لم يستقر فيها وال مدة تمكنه من التنظيم فيذكر ابن بشكوال « أن الهيثم ولاه عبيدة بن عبد الرحمن السلمى صاحب إفريقيا » فى الأندلسى فى المحرم سنة إحدى عشرة ومائة ، وقيل أنه ولى سنتين وأياما وقيل أربعة أشهر وكان بقرطبة[3].

أما ابن عذارى فيذكر أن ولايته كانت عشرة أشهر[4]. أما ابن تغرى بردى فيذكر فى حوادث سنة ١١١ هـ أن عبيدة بن عبد الرحمن عامل إفريقيا ولى عثمان بن أبى تسعة على الأندلس واستعمل عليها الهيثم بن عبيد الكنانى[5].

ولقد كانت سياسة الهيثم سياسة مبنية على التحدى والعصبية الضيقة ولا يستغرب ذلك عندما نعرف أن الهيثم قد فرض على ولاية الأندلس أثر استلام القيسين للسلطة

---

(١) للمزيد من المعلومات حول سبب تفاقم المشاكل وكثرة تولى الولاة فى تلك الفترة . انظر الفصل السادس عن أسباب تخلف جهاد المسلمين وراء البرتات وما نتج عنه من مشاكل أدت بانهيار الدولة تدريجيا .

(٢) إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص٩٦ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص٨٣ ـ ٨٤ .

(٣) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الثالث ، ص١٧ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٢٨ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ١ ، ص٢٧٠ .

فى القيروان بقيادة عبيدة بن عبد الرحمن السلمى الشديد التعصب لقيسيته ، وامتدت آثار هذه الحركة إلى الأندلس ففرضت عليها سنوات من الحكم القيسى المتطرف[1].

أما شكيب أرسلان فيصف الهيثم بن عبيدة بأنه كانا شاميا فظا بخيلا جاسيا ، فأسف شيوخ العرب والبربر وساءت ملكته فيهم[2] ، فاتحدوا عليه فألقى بهم فى السجون وأهلك بعضهم .

ولكنه يذكر له أنه قمع الفوضى ورد النظام وكان حازما قوى العزم ولكنه كان صارما شديد الوطأة فطارد الشغب والفوضى بشدة واضطهد معظم الزعماء والمخالفين له فى الرأى وبالأخص اليمنية وقام باضطهادهم ومطاردتهم[3] .

ثم بعد القضاء على المشاكل توجه الهيثم للفتوحات ، فسار بجيشه إلى الشمال ليقمع الثورة التى بدأت تظهر فى الولايات الجبلية واستأنف الغزو فعبر جبال البرتات مخترقا مقاطعة سبتمانيا إلى وادى الرون ففتح ليون Lyon وماسون Macon وشالون Chalon على نهر الساءون واستولى على اوتون Autun وبون Beaune وأراضى برجنديا Burgunda الجنوبية .

ولكن هذا الفتح الكبير لم يكلل بالنجاح ولم يكن له أثر ثابت ، نتيجة لاختلاف القبائل وتمرد البربر مما أدى إلى تفكك الجيش الفاتح وإلى تخلف المدن المفتوحة عن قبضة الفاتحين فاضطر الهيثم للعودة إلى الجنوب ولكنه لم يلبث أن توفى بعد أن حكم الأندلس مدة عامين[4] .

---

(١) إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أشبانيا ، ص٩٦ ، رينهارت دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، جـ١ ، ص١٣٤ ـ ١٣٥ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٢٩٦ .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص١١٤ .

Codera : Narbon op. cit., P. 313 .

(٣) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٨٣ ـ ٨٤ .

(٤) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٨٤ .

أما أرسلان : فيرى أن نهاية الهيثم كانت بسبب جوره وظلمه ورميه بالناس فى السجون وذكر أنه كان من جملة هؤلاء المسجونين رجل يدعى زياد ابن زيد رفع شكواه إلى الخليفة هشام بن عبد الملك واتهم الهيثم أنه يسير فى سيره لا مناص من أن تنتهى ببوار الأمة وتجلب عليها الشقاء والنكبات فأرسل الخليفة محمد بن عبد الله وأمره بالتحقيق فى الشكاوى بحق الهيثم وأمره أن ينزل به العقاب ويعزله ويقتص منه إذا ثبت اجراءه فجاء محمد هذا ومضى بالتحقيق اللازم على أحسن وجه ، وعندما ثبت لديه جرمه ألقاه فى السجن وأطلق الذين نكبهم ورد إليهم أموالهم ، وقيل أنه نفاه إلى إفريقيا ، وأمر بتطويقه فى شوارع قرطبة راكبا على حمار تشهيرا له ونكالا وفاقا[١] .

أما المصادر العربية المعتمدة فتذكر أن الهيثم بن عبيد غزا أرض مقوسة[٢] وافتتحها وقيل أرض منوسة[٣] وقيل أرض مقوشة[٤] .

ولقد اختلف المؤرخون المعاصرون حول هذا الاسم هل اسم منوسة هذا لشخص ؟ أو مكان ؟ فى حين أشارت بعض الدراسات الأوروبية الحديثة أن منوسة اسم لأحد القادة المسلمين من البربر دخل الأندلس مع طارق بن زياد وعين واليا لشمال الجزيرة الأندلسية ، وأرادوا نقاشا حول شخصيته وأحداثا تتعلق به فى ولاية عبد الرحمن الغافقى بلت المصاهرة مع أودو دوق اكتيانية ثم كان مصرعه بأيدى فرقة من الجند المسلمين[٥] كما خلطت الرواية بينه وبين عثمان بن أبى نسعة[٦] وتحكى بعض الروايات أن اسم منوسة أو مقوشة اسم لمكان فهل تكون مدينة ماسون Macon الفرنسية الواقعة شمال مدينة ليون Lyon الواقعة على نهر الرون Rhone هى المنطقة

---

(١) أرسلان : غزوات العرب ، ص١١٤ .

(٢) المقرى : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص٢٢٠ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص٢٨ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٩ .

(٥) أرسلان : غزوات العرب ، ص٣٨ ـ ٦٩ .

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ص٩٩ ـ ١٠١ .

(6) Sharwani : op. cit., P. 45 .

التى توصل إليها الهيثم[1] .

فى حين يرى آخر أنه اسم قائد بربرى له علاقة باودو فى زمن عبد الرحمن الغافقى[2] .

ونرى أن هذا الإبهام قد أوقع المؤرخين جميعا فى خلاف حول الموضوع كله فيرى كوندى Conde ورينو Reinau ودوزى Dozy وبرفنسال Provencal أن مونوسه زعيم مسلم بربرى ثار على المسلمين فى نواحى بنبلونه ، وعارض هذا الرأى جماعة من الإسبان وعلى رأسهم كوديرا Codera فيرى أن مونوسه ما هو إلا تحريف لاسم مكان هو منريسا Manresa معتمدا على أن لفظ مونوسة قد ورد فى المصادر العربية مبهما دون تحديد بينما يرى ايزيدور الباجى Isidoro Oacence أن مونوسه اسم لشخص بربرى لعب دورا خطيرا فى العلاقات بين المسلمين والنصرى[3] .

وعلى كل حال فإن الأراضى التى غزاها الهيثم بن عبد الكنانى تؤكد أن هذا الوالى قد سار على سنة من سبقه من الولاة فى بلاد الأندلس ورغم هذه الآراء المختلفة التى أوردها المؤرخون والتكهنات التى تكهنوها حول هذه الشخصية أو المكان ، الا أننى أرى أن كل هذه الآراء مجرد احتمالات لا أساس لها من الصحة وأن جميع الأدلة التى أوردوها لا تأتى ببرهان أكيد ، يوضح لنا طبيعة هذه الشخصية أو هذا المكان .

ويرى هذا الرأى أيضا خالد الصوفى حيث يذكر أن مونوسة شخصية وهمية لا أساس لها من الصحة .

كما أن د. الحجى يشاركنا الرأى فيرى أن جميع ما ورد عن مونوسة يعتبر من قبل الأقاصيص الوهمية ويرى أن اسم مونوسة ليس اسم إنسان وإنما اسم لمكان[5] غزاه الهيثم فى بلاد غالة .

---

(١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص١٩٢ ـ ١٩٣ .
(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٥١ وهذا وسنتناول علاقة أودو بمنوسة فى الفصل الخاص بعبد الرحمن الغافقى ـ للمزيد انظر الفصل الرابع .
(٣) عن حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٥٠ ـ ٢٥١ .
(٤) خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص٢٣٠ ـ ٢٣١ .
(٥) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص١٩٣ .

الفصل الرابع

جهاد عبد الرحمن الغافقي في غالة

أولاً : اتجاه الغافقى إلى قلب غالة .

ثانياً : معركة بلاط الشهداء واستشهاد الغافقى .

ثالثاً : الأدعاد التاريخية لمعركة البلاط .

أولا : اتجاه الغافقى إلى قلب غالة :ـ

٦ جهاد عبد الرحمن
بن عبد الله
خلف البرتات

←←← خط سير الحملة


منطقة
النفوذ
الاسلامى

أولاً : إتجاه الغافقي إلى قلب غاله :

عرفنا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أثناء عودته بجيش المسلمين من بلاد الفرنجة بعد مقتل قائدهم السمح بن مالك الخولاني وكان عبد الرحمن قد بلى بلاء حسنا في تولوز (طولوشه) فأجمع جند العرب وهم لا يزالون فوق أرض المعركة على انتخابه قائدا لهم فتولى عبد الرحمن جمع شتات الجيش والرجوع به سالما إلى الأندلس وتولى مقاليد الحكم فيها ، ولكن تلك الفترة كانت مؤقتة فلم تستمر إلا شهرين فقط تولى بعدهما وال جديد هو عنبسة بن سحيم الكلبي . وكان من الطبيعي أن يتحول ذلك القائد المؤقت إلى وال دائم على الأندلس ، فالولاية آنذاك كانت تجمع بين القيادتين العسكرية والمدنية وبعد أن أثبت الغافقي قدرته العسكرية برجوعه بالجيش إلى الأندلس ، اختاره أهلها وال عليهم دون انتظار أمر الخليفة من دمشق بتعيين وال جديد مكان السمح وكانت هذه هي فترة [1] ولايته الأولى على بلاد الأندلس .

أما ولايته الثانية فقد كانت بعد وفاة الهيثم بن عبيد الكناني فيذكر المؤرخون[2] أن عبيدة بن عبد الرحمن السلمي كان واليا على إفريقيا والمغرب فبلغته وفاة الهيثم بن عبيد كما بلغه أن أهل الأندلس قدموا على أنفسهم محمد ابن عبد الله الأشجعي[3] ولكنه لم يوافق على تعيينه ووجه إلى الأندلس عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي المكي[4] فاستبشر أهل الأندلس به ورحبوا بقدومه . فقد كان عبد الرحمن من أعظم

---

(١) خالد الصوفي : تاريخ العرب في الأندلس ، ص٢١٧ . عمر فروخ : العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، ص١٢٦ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، ص٩٢ ، ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، تحقيق عبد المنعم عامر ، جـ١ ، ص٢١٦ . ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص١١٩ . الناصري : الاستقصا ، تحقيق جعفر ومحمد الناصري ، جـ١ ، ص١٠٤ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل جـ٥ ، ص١١٩ ، ابن عذاري : البيان ، جـ٢ ، ص٢٨ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٩ ، المقري : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص٢٢٠ .

(٤) يقال له الغافقي : نسبة إلى غافق قبيلة من الأزد ، وهو ابن الشاهد بن عك بن عدنان بن عبد الله ابن الأزد ، وقيل بل هو غافق بن الحارث بن عك بن الحارث بن عدنان ، وإليهم ينسب الحصن المعروف بغافق في الأندلس على مسافة مرحلتين من قرطبة ، وقيل أنه حصن بالأندلس من أعمال فحص البلوط .
ابن حزم :جمهرة أنساب العرب ، ص٣٠٩ ، أرسلان : غزوات العرب ، ص١٢٤ .

قواد المسلمين فى الأندلس عرف بحسن القيادة والشجاعة وقوة الإرادة والشكيمة والنزاهة والحياد وعدم التعصب لعنصر أو فريق دون آخر ، لذلك قوبلت ولايته بفرحة عمت قلوب الناس على مختلف طبقاتهم ، فقد كان يطوف بالمدن ويستمع لشكاوى الناس ويحقق فيها ولا يميز مسلما على مسيحى واستطاع أن يعزل كثيرا من القواد والولاة الذين ثبت ظلمهم للرعية واستطاع أن يقوم بزيارة الكثير من المناطق الأندلسية المختلفة للاطلاع على شئونها وتنظيمها ، وعهد بإدارتها إلى رجال أكفاء قادرين وعادلين يقومون على السهر عليها ، وكان الغافقى مصمما على الثأر الذى منى به المسلمون فى السنوات الماضية فى غالة ، وكان فى نيته إخضاع هذا البلد كله ، وكان يفكر فى مد حدود الفتوحات الإسلامية إلى أوسع مدى ممكن[1]. كما أنه قام برد الكنائس وبعض الأملاك إلى النصارى واستطاع أن يفرض الضرائب على الجميع بالتساوى ، واهتم بتقوية الجيش فضم إليه عناصر جديدة وحسن الثغور واستعد لإخماد أية بادرة للثورة ، وحرص على أن يبقى نفسه دائما بعيدا عن التورط فى الانقسامات الداخلية السياسية لذلك وصفه شكيب أرسلان : بأنه من أبطال الإسلام المعدودين وأنه من أفذاذ الرجال جمع الشجاعة والإقدام والعدل فى الأحكام والسهر على مصالح الأنام وبعد النظر فى السياسة[2].

ويذكر المقرى عن ابن بشكوال « أنه كان من التابعين الذين دخلوا الأندلس وكان يروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما »[3].

كما وصفه الحميدى : « بأنه حسن السيرة والعدل فى قسمة الغنائم »[4].

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص١٤٠ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ص٨٤ ـ ٨٥ ، إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص١٤٩ ، خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص٢١٧ .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص١٢٦ ، رينو : الفتوحات الإسلامية ترجمة إسماعيل العرى ، ص٦١ .

Sherwani : op. cit., P. 42 - 43 .

(٣) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، جـ٣ ، ص١٤ .

(٤) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص٢٤٧ .

وكان عبد الرحمن من الذين دخلوا الأندلس للجهاد والرباط وكان هؤلاء بضعة وعشرين شخصا وهم الذين أسسوا جامع قرطبة ومن أشهرهم حنش بن عبد الله الصنعانى وموسى بن نصير وغيرهم[١].

روى عن عبد الله بن عمر، كما روى عنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعياض بن عياض وسواهما[٢].

ومن هذه الروايات مجتمعة نستطيع أن نستنتج أن الغافقى كان نسيجًا وحده[٣] والدليل على ذلك تولية عبيدة بن عبد الرحمن القيسى عامل إفريقيا المتعصب لقيسيته لعبد الرحمن على الأندلس على الرغم من أنه يمنى من غافق وخصوصا إذا علمنا أن تلك الفترة غالبا ما كانت تسير على نظام تولية اليمنين فى كل من إفريقيا والأندلس أو تولية القبسيين بحسب ميول والى إفريقيا وقد عرفنا أن عبد الرحمن كان رجلا من طراز آخر من الناس مسلما سليم الإيمان حريصا على أصول الشريعة وتحرى الحق والعدل لا يحفل فى سبيل الله بغضب من بيدهم الأمر، ولا يخشى فى سبيله لومة لائم وفى هذا يذكر ابن عبد الحكم وغيره من المؤرخين عن إحدى غزوات عبد الرحمن « وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزبرجد، فأمر

---

(١) حنش بن عبد الله السبائى الصنعانى رضى الله عنه من أهل الفضل والدين يروى عن جماعة من الصحابة منهم على وابن عمر، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وروى عنه الحارث بن يزيد وابن انعم وقيس بن الحجاج وعامر بن يحيى، وغزا المغرب مع رويفع، وشهد غزوات الأندلس، وموسى ابن نصير له بافريقيا آثار ومقامات وسكن القيروان واختط بها دار ومسجد وينسب إليه، الآن فى ناحية (باب الريح) وتوفى بافريقية سنة مائة. انظر المالكى : رياض النفوس، تحقيق حسين مؤنس، ص١٢١، المقرى : نفح الطيب، جـ١، القسم الأول، ص٢٦٠.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط، ص١٨٧، الحميدى : جذوة المقتبس، ص٧. الغسانى: رحلة الوزير فى افتكاك الأسير، ص١١٢، المقرى : نفح الطيب، المجلد الأول، القسم الأول، ص٢٥٩.

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والأندلس، ص٩٢، الحميدى : جذوة المقتبس، ص٢٧٤، ابن الفرض : تاريخ علماء الأندلس، جـ١، ص٢٥٦، الضبى : بغية الملتمس، ص٣٦٦، ابن الأثير : الكامل، ص٢١٤ ـ ٢١٥، المراكشى : المعجب، ص٣٧.

بها فكسرت ثم أخرج الخمس وقسم سائر ذلك بين المسلمين الذين كانوا معه فبلغ عبيدة فغضب غضبا شديدا فكتب إليه كتابا يتوعده فيه فكتب إليه عبد الرحمن أن السماوات والأرض لو كانتا رتقا لجعل للمتقين منها مخرجا[1].

وهذه إشارة إلى مدى رفعة وسمو خلقة ووقوفه عند حكم الله وفقهه في دينه[2].

ولقد اختلف في سنة ولايته وفيمن ولاه . فيتفق الحميدى والمراكشي والضبي على أن ولايته كانت في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب إفريقيا[3] أما القرى فيذكر أن عبد الرحمن الغافقي قدم من قبل بن الحبحاب صاحب إفريقيا فدخلها سنة ثلاث وعشرة[4] في حين يذكر ابن عذارى أنه تولى في صفر سنة ١١٢هـ[5] ويرجح ولايته سنة ١١٢ هـ استنادا على الرأى الأخير الذى سرد سنوات جميع الولاة من قبله .

ونعود لولاية الغافقي فنذكر أنه كان خير من تولى قيادة الأندلس في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المسلمين فيما وراء البرت فقد قرر بعد التنظيمات التى أقرها إكمال فتوحات المسلمين في غالة فهو لم ينس مصرع السمح بن مالك الذى قتل أمامه فكان مقتله مثيرا للأشجان دافعا له للانتقام من هؤلاء الفرنجة مرغبا في الفتح لرفضهم الإسلام . لذا يعد عبد الرحمن الغافقي من طراز يختلف عمن سبقه من الولاة فإذا كان عنبسة بن سحيم من الرجال الذين تستهويهم الغارات البعيدة المدى والضربات

---

(١) إشارة إلى آية (٣٣) سورة الزنبياء « أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والأندلس ، ص٩٢ ، الحميدى : جذوة المقتبس ، ص٢٧٤ ، الضبي: بغية الملتمس ، ص٣٦٦ ، ابن الأثير الكامل ، جـ٤ ، ص٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٣) الحميدى : المصدر السابق ، ص٢٧٤ ، الضبي : المصدر السابق ، ص٣٦٥ ، المراكشي : المصدر السابق ، ٣٦ .

(٤) المقرى : نفح الطيب ، الجزء الأول ، المجلد الأول ، ص٢٢٠ .

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٢٨ .

المدوية فإن الغافقى من طراز آخر حتى شبه بحسان بن النعمان[1] أى من الفاتحين الذى يرسمون خطة الفتح الثابت المستقرة فيعمد إلى مهاجمة مراكز القوة والمقاومة الفعلية لكى يتم له فتحها بخطى ثابتة ومستقرة وناجحة ليضمن انضمام تلك المناطق إلى حوزة الإسلام[2].

وكان الغافقى يدرك تماما أهمية المعركة القادمة فى مصير غالة كلها ، وكان متحرقا ومتعطشا إلى تبليغ دعوة الله أو كما قيل يهتز شوقا إلى القتال ، وكان يعلم أنه مقبل على معركة حربية أشد خطرا من معركة طارق بن زياد فقد كانت ظروف طارق أفضل منه بكثير إذ كان التمهيد والاستعداد للفتح الإسلامى واضحة ، فالبلاد منقسمة على نفسها والثورات تجتاح إسبانيا شمالا وجنوبا ، وطارى يعتمد على الكثير من العناصر الساخطة لكشف عورات البلاد بالإضافة إلى اليهود الذين هللوا لمقدم المسلمين وكانوا عاملا مساعدا على الفتح أما الغافقى فقد اختلفت ظروفه عن طارق لعدة أسباب مهمة منها : أنه وسط بلاد تختلف اختلافا واضحا عن بلاد الأندلس من حيث المناخ والسكان ، ولم يكن للمسلمين قواعد ثابتة يمكن أن يستنجد عبد الرحمن منها بما يشاء من النجدات ثم أن المسلمين توغلوا فى البلاد وأثقلوا أنفسهم بالغنائم التى كانوا يحملونها معهم ، وشكلت هذه الغنائم عبء كبيرا عاق سرعة الفتح ، وإن كانوا يقصدون من هذه الغنائم إضعاف عدوهم وتقوية مراكز القوة الإسلامية[3].

وأخذ الغافقى منذ البداية يتطلع إلى إقليم سبتمانيا Septemania ورأى أن سلطة

---

(١) هو حسان بن النعمان بن عدى بن مغيث بن عمرو مزيقيا بن عامر بن ماء السماء بن الأزد ، كان من التابعين ، وقد حدث عن عمر بن الخطاب وكانت له مكانة مرموقة عند بنى أمية حتى أطلق عليه الشيخ الأمين ، أرسله عبد الملك بن مروان انتقاما لمقتل زهير بن قيس البلوى فما علم أحد أكفأ منه . للمزيد انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٣٣١ ، المالكى : رياض النفوس ، جـ١ ، ص٣١ ، الناصرى : الاستقصا ، جـ١ ، ص٨٢ .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص١٤٣ ، العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٩ ، على حبيبة : مع المسلمين فى الأندلس ، ص١١٨ .

المسلمين فيها لن تستقر طويلا بسبب أطماع الدوق أودو Eude دوق اكيتانيا Aquitania أما الهدنة التى حرص الدوق منذ عهد عنبسة على بقائها مع المسلمين فما هى إلا وسيلة ليتقى بها خطرهم حتى ينجلى موقفه مع قارله رئيس بلاط مملكة الفرنجة ولم يكن إحساس عبد الرحمن من قبيل الوهم وإنما جاء نتيجة للخبرة والدراسة وحسن الدراية ، فهو الذى شهد قوات الدوق أودو تقف فجأة أمام السمح بن مالك ، وهو الذى قاد فلول الجيش إلى الأندلس بعد مقتله وهو أيضا الذى علم كيف لقى عنبسة مصرعه غدرا على يد الفرنجة ، لذا لابد أن يكون الهدوء الذى ساد سبتمانيا مقدمة للغدر مرة أخرى ولابد أن تكون هناك خطة مرتبة لهؤلاء لمباغتة المسلمين حينما يجدون فى أنفسهم القوة لاجتياحهم ، ولم يكتف الغافقى بهذا الإحساس بل بدأ يراقب تحركات الدوق ومحاولاته للتقرب من قادة المسلمين خفية . وسرعان ما جاءت الأخبار بما ينبئ بصدق مخاوفه من اتصال أودو بالمسلمين[١] .

وتذكر بعض الروايات أن أودو[٢] دوق اكيتانيا نتيجة لقوة المسلمين رأى أن يفاوضهم ويهادنهم خوفا من هجومهم عليه ، وهناك روايات تحدثنا عن صلاته بالعرب وصلته بثورة مونوسه Munuza .

أما عن علاقة أودو بالمسلمين وكيف أنه زوج ابنته بالزعيم البربرى لكى يأمنهم فيروى الدكتور حسين مؤنس أن هذا الرأى فيه ضعف لأن مونوسة قام بثورته تلك حينما بلغته أخبار ومظالم العرب فى نفس الوقت الذى قامت فيه ثورة البربر ولم تقع هذه الثورة إلا بعد حركة مونوسة بعشر سنوات لذلك لا يستقيم هذا الرأى . ربما استطعنا القول بأن مونوسة قام بهجومه على العرب نتيجة لسوء معاملتهم للبربر وكان أودو حليفا له وحميا له قبل أيام الغافقى أى فى أيام السمح أو أيام عنبسة وربما كان هذا سببا فى هزيمة السمح ومما يؤيد هذا الرأى أن عنبسة حينما قام بتوسعه فى غالة

---

(١) العدوى : المرجع السابق ، ص١٨٥ .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٥٠ _ ٢٥١ ، حسين مؤنس : بلاى وميلاد اشتوريش ، ص١٩ _ ٢٠ .

سار إلى بلاد الدوق ثم استولى على قرقشونه ومنها انحرف إلى سبتمانيا ثم سار إلى نيم[1] ويرى بعض ا مؤرخين المعاصرين أن هناك صداقة قامت بين أودو وأحد قادة المسلمين من البربر وكان حاكما للمناطق الشمالية من الأندلس بما فيها منطقة جبال البرتات ويتبعه إقليم سبتمانيا ، وزادت تلك الصداقة حين تزوج مونوسة بابنة الدوق لامبيجه Lampegie وقيل مينين Minine وصارت المصاهرة قناعا يخفى نوايا أودو فيما يزعمه من بطش المسلمين[2] ، ونال أودو ثمار هذه المصاهرة بأن عدل عنبسة عن الاقتراب من أراضيه تحت تأثير مونوسة واتجه إلى حوض الرون[3] .

ويروى آخر أن زواج منوسة كان من شقيقة بلاى الزعيم المسيحى الذى بدا فى جمع قوى المسيحية ضد المسلمين فى الأندلس[4] ويروى البعض أن مونوسة شخصية وهمية لذا تنهار القصة من أساسها[5] .

وإذا كان مونوسة هو والى الأندلس الذى تحدثنا عنه المصادر أن اسمه عثمان بن أبى نسعة وأن اسمه قد حرف على لسان الفرنجة فنطقوه بهذا الشكل[6] فإن ولاية عثمان هذا كانت على الولايات الشمالية من غالة من قبل الغافقى فحدثته نفسه بالاستقلال ونبذ طاعة أميره ونظرا للخلاف بين العرب والبربر سمت نفسه لذلك فهادن أودو وتزوج ابنته وحارب المسلمين[7] .

فى حين يرى آخر أن عثمان بن أبى نسعة أرسله الغافقى وأمره بأن يشاغل العدو

---

(١) حسين مؤنس : بلاى وميلاد اشتوريش ، ص٢٠ ـ ٢١ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص٨٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص١٣٩ .

(٣) العدوى : ص١٨٦ .

(٤) خالد الصوفى : تاريخ ، ص٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٥) الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص٨٥ .

(٦) خير الله طلفاح : معارك العرب الكبرى ، ص١٦٢ .

(٧) بطرس البستانى : معارك العرب فى الشرق والغرب ، ص٧٥ .

بالغارات حتى يقدم عبد الرحمن ، ويذكر أن الغافقى أساء الاختيار فى عثمان هذا لأن عثمان كان يحسد عبد الرحمن الغافقى على ولايته وكان يحز فى نفسه أن يعمل تحت امرته بعد أن كان أميرا على الأندلس كلها .

وتزعم الروايات أن عثمان أسر فى إحدى غاراته ابنة أودو الرائعة الجمال فأعجب بها وتزوجها ونبذ عصا الطاعة وأصبح عينا لاودو على المسلمين[1] .

ويرى آخر أن منوسة ما هو إلا الزعيم البربرى عثمان بن أبى نسعة وسماع الفرنة تحريفا مونوزه وأنه ولى الأندلس فترة قصيرة تقدر بخمسة أو ستة أشهر عام ١١٠هـ واشتهر بالبسالة والنجدة فى الحروب غير أن أصحابه حقدوا عليه ونقلوا أخبارا عنه إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فعزله وولاه بعد عزله حكم منطقة البرتات وكان يعرف بأمير الثغر[2] وقد أسر ابنة الدوق فى إحدى غزواته ثم تزوجها ونهاية القصة معروفة كما أوردناها من قبل[3].

ويرى آخر أن مونوسة كان كما تصفه الرواية النصرانية زعيما قويا شديد المراس وأن مونوسة هو ما تصفه الروايات النصرانية المعاصرة (وهى وحدها مصدر التعريف عنه) فيكون من المشكوك فيه أن يكون مونوسة هو عثمان ، ذلك أن عثمان كان زعيما عربيا ينتسب إلى خثعم إحدى البطون العربية العريقة ، ولم يتول إمارة الأندلس فى تلك الفترة من عصر الولاة سوى زعماء العرب ولم تسند إلى أحد من البربر[4] فعثمان لم يكن من البربر[5].

---

(١) عمر فروخ : العرب والإسلام ، ص١٢٧ ـ ١٢٨ ، طلفاح : معارك العرب الكبرى ، ص١٦٤ .

(٢) المقصود بالثغر مدينة الباب الواقعة فى إحدى ممرات جبال البرتات ، وهى تابعة لاسبانيا ، وفى شمالها حصن يظهر أنه مقر لأمير الباب من قبل المسلمين .

(٣) إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوربا ، ص١٥٠ ـ ١٥١ .

(٤) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص٨٥ .

(5) Sarvedra : Estudio sobre la invasion d'e los arabesen espagna Madrid, 1882. P. 118 - leviprovencel V. I. P. 60 .
Codera : Estudios criticos de arabe espanoles volsi VIIIX . P. 141 .
- Reinaud : op. cit., P. 34 .

وبالإضافة إلى ذلك تقدم إلينا الروايات النصرانية عن نهاية مونوسة ونهاية عثمان ، فعثمان ولى الأندلس فى شعبان سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م واستمرت ولايته خمسة أشهر ثم عزل ، ثم انصرف إلى القيروان فمات بها[١] أما مونوسة فقد مات محاربا فى ساحة القتال .

فى حين يرى آخر أن جميع الآراء السابقة التى وردت بشأن مونوسة وما قيل بصددها مستبعدة ، فبمقابلة الروايات اللاتينية والإسلامية يمكننا القول بأن منوزا Munnuz ـ منيز Munniz اللاتينى لم يكن اسما لمكان وإنما كان لشخصية لم تكن بربرية بل كانت عربية الأصل ونعتقد أنه لاحرج فى القول أن صاحبها هو المنيذر الإفريقى الذى ورد اسمه فى المصادر الإسلامية ولأن قدم إلى الأندلس عام ٩٣هـ/ ٧١٢م مع موسى بن نصير واشترك معه فى الفتح ، ولم يتول ولاية الأندلس وإنما أصبح أميرا على إقليم اشتوريش وحده فيكون هو نفسه الرجل الذى أوفده موسى لمدينة خيخون Jegione لفتحها واتخاذها قاعدة إسلامية لإقليم اشتوريش ، ثم مات مقتولا بها عام ١٠٣هـ/ ٧٢٢م أو عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م ، ولا محل هنا لخلط المؤرخين بينه وبين عثمان ، ووجه الاعتراض يكمن فى أن عثمان هذا لم يقدم إلى الأندلس عام ٩٣هـ/ ٧١٢م مثل المنيذر وإنما قدم فى شعبان عام ١١٠هـ/ ٧٢٨م ومع أنه تولى ولاية الأندلس كلها وليس اشتوريش وحدها فإن ولايته لم تستمر سوى خمسة أو ستة أشهر وعزل بعدها وظل بالأندلس حتى انصرف عنها عام ١٢٥هـ/ ٧٤٣م إلى شمال إفريقيا حيث توفى هناك ، وذلك بعد مقتل منوزايا بإحدى عشرة سنة على الأقل[٢].

ونعود إلى عبد الرحمن الغافقى الذى لم يقبل أن تكون المصاهرة سببا فى صرف

---

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٤٦ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح المسلمين ، ص٤٥ ، ابن عذارى : جـ٢ ، ص٢٨ وأن اختلف أكان موته بالقيروان أم بطنجة .

(٢) عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة الاسبانية ضد المسلمين فى الأندلس ، جـ١ ، ص١٨٤ ـ ١٨٦ .

أى قائد مسلم عن حماية سبتمانيا من أى خطر يهددها فأمره أن يقوم بالإغارة على اكيتانيا فرفض مونوسة بالإضافة إلى ذلك كانت أخبار نشوب الخلافات بين العرب والبربر عاملا فى حقده على العرب ، فقرر عبد الرحمن التخلص منه لكنه بعد أن وصلته أخبار عقد هدنة بينه وبين الفرنجة ليصبح فى حل من تنفيذ أى حرب فى بلاد الغال ، وحمل مونوسة شروط الهدنة إلى الغافقى ، فعرف نواياه فأصبح المسلمون نتيجة لتلك الهدنة لا تصلهم أخبار عن تلك المواقع فى بلاد الغال ، فبادر الغافقى بإخماد ثورته وأسند الأمر إلى أشهر وأقوى رجاله فى الحرب ويدعى ابن زيان ، ولم يكن القضاء على مونوسة بالأمر السهل ذلك لأنه اعتصم فى جبال البرتات حيث جعل من إحدى مدنها الحصينة وهى مدينة الباب Cuidad de la Puerta الواقعة فى إحدى الممرات الهامة مركزا له وكشفت خطته تلك عن الخطر الذى يكمن للمسلمين فى اتصالهم بإخوانهم فى جنوب بلاد الغال إذا ما سيطر عليهم عدو لهم فى منافذ البرتات وممراتها ، ولكن ابن زيان استطاع التصدى له وطارده حتى أراده قتيلا سنة ١١٣هـ ـ ٧٣١م وأصبحت جبال البرتات وممراتها ثابتة تحت سيطرة الغافقى(١) .

ولا شك أن هذه الحركة التى بذل فيها الجيش الإسلامى قصارى جهده قد أرهقت الجيش وجنوده ـ فما لبثوا بعد خروجهم من هذه الفتنة التى حققوا فيها الانتصار الكبير الذى رد اعتبار المسلمين أن يبدأوا فى الاستعداد للقاء الأكبر . فقد كانت هذه الحركة (حركة مونوسة) ، سببا من الأسباب التى أدت إلى هزيمة الجيش فى موقعة بلاط الشهداء ، وكان الأولى بالقيادة الإسلامية بعد خروجها من هذه الفتنة أن تنظم صفوفها وتوحد قواها ، وتحمى ثغورها ثم تفكر فى الخروج إلى معركة أخرى ، ولكن المسلمين بقيادة الغافقى واصلوا جهادهم إلى معركة كبيرة هى معركة بلاط الشهداء فكانت الهزيمة .

---

(١) إبراهيم العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٨٦ ـ ١٨٧ .

ثانيا : معركة بلاط الشهداء واستشهاد الغافقى :

حرص الغافقى على إقناع جيشه بحتمية القضاء على مونوسة هذا الثائر الذى شكل خطرا كبيرا على الإسلام والمسلمين وأن فى القضاء عليه تطهيرا للجبهة الداخلية من الدسائس والفتن التى كان من الممكن أن تترك أثرها على مستقبل الأحداث ليس فى غالة وحدها بل فى بلاد الأندلس ، كما أنها كشفت النقاب عن حقيقة أخلاق الكونت أودو وسوء نيته تجاه المسلمين ، وجعلت المسلمين يستعدون استعدادا تاما لمواجهة أعدائهم متخذين خطة جديدة نظمها لهم وإليهم عبد الرحمن الغافقى .

وكانت الخطة قد أعدت على أساس تجميع الجيوش فى مدينة بمبلونه Pampo-na حيث قام الغافقى بالاحتفال بجنوده أعظم احتفال ليرفع من روحهم المعنوية . وقد تحركت الجيوش بعد أن اجتمعت فى بمبلونه متخذة طريقها إلى غالة مخترقا مدينة أرجوان Aragon (الثغر الأعلى) ونافار Navar (بلاد البكشنس) ودخل غالة متوجها إلى مدينة آرل Arles ويصف رينو تحرك الجيوش صوب غالة بقوله أن مؤرخى العرب أشاروا إلى هذا الحصار بدون تسمية هذه المدينة التى اكتفوا بوصفها ، وأنها تقع على ضفاف نهر كبير ، وهو أكبر نهر فى تلك البلاد كانت تصعد به السفن فى البحر ويظن مؤرخو الفرنجة أن حملة العرب على أرل لم تكن إلا خدعة قصدوا بها صرف نظر الإفرنج عن وجهة الحرب الحقيقية وهى الجبهة الشمالية(١) .

وفى الواقع أن اتجاه الغافقى إلى أرل كانت له مبررات عدة فهو من جهة كى يخدع الدوق فلا يدعم ظهره فى سبتمانيا ضد أى هجوم مباغت ، ولأن أرل كانت قد خرجت عن طاعة المسلمين وتوقفت عن دفع الجزية(٢) .

---

(١) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص١٢٨ . رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص٦٤ .
Sherwani : op. cit., p. 46 - 47 .
Levi-Provencal : op. cit., P. 60 .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات ، ص١٢٨ ، السامرائى : الثغر الأعلى ، ص١٣٥ .

وبعد فتح مدينة ارل عبر المسلمون جبال البرتات ، وبدأ الغافقى يفكر فى خطوط جديدة لكى يتقدم بها داخل غالة ، فجرت محاولات عديدة لاكتشاف الطريق المؤدى إلى غرب البرتات Pyrenees وتقدم داخل غالة عابرا ممر الرونسفال Roncesvalles عـام ١١٤هـ/ ٧٣٢م والذى يطلق عليـه باب شـزورا[١] متجها إلى اكيتانية Aquitania وفى طريقه استولى على تولوز Toulouse [٢] وفتح مدينة غشقونيا[٣] Gascony ثم التقى بقوات الدوق أودو فى مكان يلتقى فيه نهر الجارون Garonne بنهر دوردنى Dordonia أو بالقرب منه[٤] وكان اختيار الغافقى للممرات الغربية من جبال البرتات له ما يبرره وهو ضرب إقليم اكيتانيا وعاصمته بوردو ، ويبدو أن الطريق الذى اتخذه الغافقى فى حملته كان موجها للزحف على مدينة باريس ، وما ذكرته بعض المراجع من أن اتجاه الغافقى إلى غرب غالة للحصول على الغنائم لا صحة له ، لأن المسلمين فى جميع فتوحاتهم كان قصدهم إعلاء كلمة الله ونشر الدين الإسلامى فى بقاع الأرض وأن الغنائم التى يحصل عليها المسلمون بعد انتصارهم تكون لتقوية الجيش الإسلامى وإضعاف جيوش الأعداء .

وحاول أودو التصدى لعبد الرحمن الغافقى الذى استطاع أن يطوقه وأن يوقع به شر هزيمة وخسر اودو أعدادا كبيرة من جيشه ، ولم يكتف عبد الرحمن بما حققه بل استمر يطارده ويتتبعه حتى وصل إلى عاصمته بوردو Bordeaux واستولى عليها بعد حصار قصير ، وفر الدوق مع عدد من أصحابه وجنده نحو الشمال وسقطت اكيتانيا بيد الجيوش الإسلامية[٥] .

---

(1) Watt and Cachia : A history of Islamic spain P. D. M. Dunlop : Arab civilization . A. D. 1500. P. 15 .

(٢) جون هامرتن : تاريخ العالم ، ص٤٠٢ .

(٣) يورد رينو ان الغافقى جعـل طريقـه على أرغون ونافار داخل أراضى غاله من أوديه بيغور Bigorr وبيرن Bearn انظر أرسلان : غزوات ، ص١٢٩ ، رينو : الفتوحات ، ص٦٥ .

(4) Levi Provencal : op. cit., P. 61 .

(٥) مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية ، ص٥٠ ـ ٥١ ، إبراهيم العدوى : المرجع السابق ، ص١٨٩ . سالم : تاريخ ، ص١٤٢ . =

ويظهر أن عدد قتلى الفرنجة فى هذه الموقعة كان أكثر من أن يحصى وأن الله تعالى وحده هو القادر على إحصائهم[1].

ويلاحظ أن الغافقى فى طريقه هذا لم يسلك الطريق المألوف الذى سار فيه العرب أثناء جهادهم فى غالة وه طريق ساحل البحر المتوسط المؤدى إلى سبتمانيا وحوض الرون بل سلك طريقا وعرا فى وسط الجبال يفضى إلى قلب دوقية اقطانية مباشرة وربما قام بهذا العمل حتى لا يشعر به الدوق أثناء مروره لو عبر الطريق المألوف فاختار هذا الطريق لمباغتته[2].

وأدرك الدوق أودو بعد تلك الهزيمة الساحقة عدم قدرته على الوقوف والتصدى للمسلمين وانقاذ ولايته منهم ، لذا أقدم على خطة جرئية ومفاجئة غير متوقعة للمسلمين ، وخصوصا أن الأوضاع فى بلاد الغال لم تكن تحمل أحدا على أن

=

Cond : Historia de la cominacion de los Arabes en Espana Scada de vairos Manusctitos Y. Memorias arabigas . 3 vds Madrid 1820 - P. 86. 87 .

(١) بالغ المؤرخون الأوروبيون فيما أحدثه المسلمون من خراب ونهب وسلب للأديرة والكنائس بروايات يشوبها الكثير من المبالغة والتحامل والتعصب الواضح الذى يصف مصائب غالة والنصرانية من جراء حملات العرب وتضعهم فى صورة مشينة ونخزية متهمتهم بالوحشية والقسوة وتدمير ما يجدونه أمامهم ونهب وحرق دور العبادة والاستيلاء على الكنوز والذخائر ودخول المدن الغنية بغرض نهبها وسبى حموعها وخراب ربوعها ، ولكن هذه الروايات لا يمكننا الاعتماد عليها إلا أن أقدم مدونتين وصلتنا مدونة ايزيدور الباجى Isidor Pacense ومدونة بلدة مواسياك Mossiac فقد كتبت الأولى بعد الحادث بعشرين عاما ، وكتبت الأخرى بعده بنحو قرن .

أما المدونات الأخرى التى وصلت فمعظمها مدونات متأخرة تشوبها روح القصص والأساطير ، وتشيد بالنصرانية ومعظم كتابها كانوا من رجال الدين والأحبار وهؤلاء لا يعتمد عليهم اطلاقا لما فى كتاباتهم من حقد واضح على الإسلام وأهله ، وهذه المدونات جميعها لا يمكن أن تعد مصدرا موثوقا به .

انظر : حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٧٣ .

شكيب أرسلان : غزوات ، ص١٢٩ .

(٢) إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبة ، ص١٥٢ ـ ١٥٣ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص١٤٢ .

يتكهن أو يعلم بحدوثها أو معرفتها ، لذلك أقدم أودو على تلك الخطوة واتجه إلى قارله له رئيس بلاط مملكة الفرنجة يطلب منه العون والمساعدة ضد المسلمين ، ووجد شارل سيد القصر في المملكة الميروفنجية أن الفرصة مواتية لاستيلائه على دوقية اقطانية التى كان يفكر دوما فى ضمها إلى أملاكه بالإضافة إلى جميع ممتلكات الدوق الأخرى ، وأن مصلحتهم أصبحت مشتركة أو على الأقل يجب أن يتحدوا حتى يخرجوا المسلمين من بلادهم وأدرك قارله أن خطر المسلمين أصبح مباشرا وموجها إليه خصوصا بعد أن اجتاح المسلمون معظم ولاية أقطانية وأدرك أنهم لن يكتفوا بما حققوه بل سيستمر زحفهم وضمهم لجميع المدن وخصوصا بعد أن لمس من القواد الذين سبقوا الغافقى توجههم وغزوهم لإقليم برجندية[1] .

وقد تبادر إلى أسماع شارل توغل المسلمين وتوسعهم وضمهم للعديد من المدن ، ولنا أن نذكر هنا ما رواه الحجازى فى المسهب : وهو أن كثيرا من أمراء الإفرنج نزعوا إلى قارله وشكوا إليه الأضرار التى حلت بهم من المسلمين وقالوا له « ما هذا الخزى الباقى فى الأعقاب ؟ كنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها ، واستولوا على بلاد الأندلس وعظيم ما فيها من العدة والعتاد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم ، فقال لهم ما معناه : الرأى عندى أن لا تعترضهم فى خرجتهم هذه ، فإنهم كالسيل يحمل من يصادره ، وهم فى إقبال أمرهم ولهم نيات تغنى عن كثرة العدد وقلوب تغنى عن حصانة الدروع ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا فى الرئاسة ويستعين بعضهم على بعض»[2] .

هذا هو موقف شارل مارتل حينما وصلته أخبار الكونت أودو ، ووصلته أنباء الزحف الإسلامى ، أما عن الغافقى فإنه قد استكمل مسيرته بعد سقوط اقطانية وارتد

---

(1) Levi-Provencal : op. cit., P. 61 .

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ص٩٧ .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص٢٥٧ .

إلى الرون واخترق برجندية Burgundia وفتح ليون Lyon وبيزانون Besanson ووصلت سرياه إلى مدينة سانس Sans التي تبعد مائة ميل عن باريس Paris وكانت هذه هي المرة الثانية التي يقترب المسلمون فيها من باريس إلى هذه المسافة فالأولى كانت أيام جهاد عنبسة الكلبي والثانية في أيام جهاد الغافقي . وارتد الغافقي إلى اللوار ليتم فتح المنطقة ثم يتجه بعدها إلى عاصمة الفرنجة ، وتم هذا السير الظافر الذى افتتح فيه الغافقي نصف غالة الجنوبي كله من الشرق إلى الغرب من بضعة شهور[١] وبعد انتهاء الجيش الإسلامي من زحفه السريع أخضع السهل الممتد بين مدينتي تور[٢] Tour وبواتييه Poitiers وفتح المسلمون بواتيه وأخذوا وغنموا ما فيها ثم اتجهوا إلى مدينة تور[٣] الواقعة على ضفاف اللوار في الجهة اليسرى واستولوا عليها وأخذوا وغنموا ما فيها[٤] .

أما مكان المعركة فلا يمكن تحديد موقع الميدان الذى دارت أحداث معركة بلاط الشهداء فيه بدقة ، فالرواية النصرانية مبهمة فهي تذكر أن المعركة كانت شمال بواتييه في اتجاه تورای على الطريق الروماني القديم بين البلدين وتذكره على الطريق لأن اسم المكان كما تحدده الرواية العربية باسم (بلاط الشهداء) يفهم منه أنها وقعت على مقربة من قصر كبير أى بلاط[٥] .

---

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص٩٠ ـ ٩١ .

Levi-Provencal : op. cit., P. 60 - 61 .

(2) Arthure. E. R. Book Preston. W. Slosson

Haward. R. Amderson The History of World Hall Bartett P. 188 .

(٣) تور كانت تمثل العاصمة الدينية لبلاد غاله ولعل اسمها تور لا يزال يحمل في طياته شيئا من معناها الأول أو مقامها القديم فكلمة Tour أو تورس Tours معناها الأبراج أو أبراج القلعة والحصون أو أبراج الكنائس التى تقرع منها الأجراس . انظر عمر فروخ : العرب والإسلام ، ص١٢٨ .

(٤) علل المؤرخون الغربيون ذهاب الغافقي لفتح تور للحصول على الكنوز الثمينة التى اشتهر بها دير سان مارتين Saint Martin الموجود في هذه المدينة ، ونسجوا حوله الأساطير التى تظهر مدى جشع المسلمين وكله ادعاءات واتهامات أوردناها فيما سبق . شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص١٣٠ .

P. M. Halt : The Cambridje history of islam. P. J6.

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٧٠ .

Levi-Provencal : op. cit., P. 61 - 62 .

ويذهب آخرون أنها كانت على مقربة من طريق رومانى يصل بين شاتلرو -Cha tellerault على نهر فيين فرع اللوار . وبواتييه وبينهما حوالى ثلاثين كيلو متر من مكان يبعد حوالى عشرين كيلو متر شمال شرق بواتييه وهناك رأى آخر يرى أنها بدأت عند مدينة تور Tour [1]. أما شكيب أرسلان فيرى أن الواقعة قد حصلت بالقرب من تور وهو ينقل عن لذريق شمينيس الذى يدعى أنه ينقل عن مؤرخين عرب لم يذكر مصادرهم[2].

أما مؤرخو الإفرنج فأكثرهم يذهبون إلى أنها وقعت فى إحدى ضواحى بواتييه . ومن الممكن جمع الروايتين والقول بأن بداية المعركة حصلت بالقرب من تور وانتهت بقرب بواتييه .

ويحاول المؤرخون الأوربيون أن يحددوا بالدقة مكان اللقاء الكبير بين الجيوش العربية والفرنجة فيذكر فيليب حتى أن اللقاء كان عند التقاء نهر الكلين Clain وفيين Vienne [4].

ويرى فريق آخر أنه من المحتمل أن تكون المعركة قد حدثت بجوار خندق -Fosse Le-Roi الواقع بين مدينتى تور وبواتييه حيث اكتشفت بعض السيوف العربية[5].

ومهما كان تحديد الباحثين لمكان المعركة إلا أنهم لم يختلفوا فى أن المكان لم يخرج عن المنطقة الواقعة على نهر اللوار Loire وبواتييه الواقعة على كليين رافد فيين Vienne أحد فروعه ، والمسافة بين المدينتين ٩٠ كم[6].

وفى ذلك الوقت كان الجيش قد وصل إلى اللوار دون أن يشعر المسلمون بقدومه

---

(1) Conde : Historia op. cit., P. 20 - 21 .

(٢) أرسلان : غزوات العرب ، ص١٣١ ، رينو : الفتوحات ، ص٦٨ .

Sherwani ; 49 - 50 - 51 .

(٣) أرسلان : غزوات ، ص١٣١ .

(٤) فيليب حتى : تاريخ العرب ، ص ٥٩٧ .

(٥) الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٦) مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية ، ص ٥٢ .

فى بادئ الأمر ، وكانت خطة شارل مارتل فى إرسال هذا الجيش إلى اكيتانيا عقب استنجاد أودو به رغبته فى التغرير بالمسلمين على التوغل فى البلاد حتى تطول خطوط تموينهم وتبتعد قواتهم عن مراكز إمداداتهم ونجداتهم ، وبالفعل فقد ابتعد المسلمون عن مصادر الإمداد فالمسافة بين دمشق وقرطبة مسافة هائلة ، كما أن المسافة بين اللوار حيث وقف المسلمون وبين قرطبة لا تساعد على مجىء أى امدادات سريعة[١].

فلما أراد الغافقى اقتحام اللوار فوجىء بالجيش الضخم يقوده شارل مارتل وكان هذا الجيش يتألف من القبائل الجرمانية المرتزقة من مختلف العناصر المتوحشة ومن أبرزهم قبائل السكسون[٢] الوثنية والعصابات المرتزقة فيما وراء الراين يمتزج فيه المقاتلة من أم الشمال مع الجنود غير النظاميين وكانوا أقوياء أشداء لا يقلون عن العرب والبربر فى القوة والشجاعة والفتك ويملكون من الأسلحة الشىء الكثير ، أما مظهرهم الخارجى فهم يكتسون جلود الذئاب ويسدلون شعورهم على أكتافهم العارية فكانوا كالوحوش منظرا[٣].

ويصف مؤرخو الفرنجة هؤلاء الأقوام بأنهم جنود أجلاف أقوياء يحاربون شبه عراه من مثل هذا الجو البارد ، وكانت أيديهم كالحديد ترسل ضرباتها القاصمة فى سرعة وقوة ، وكان هؤلاء من الفرنجة الساليين ، ومن الأقوام البدوية التى لا تقل عن العرب صلابة وضجاعة ، فقد مهدوا بحرابهم وصدورهم غاله كلها وغلبوا البرجنديين

---

(1) Gibbon : The hidtory of the decline and fall of the roman - empire P. 802 - 803 .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص١٤٣ ، جون هامرتن : تاريخ العالم ، ص٤٠٢ ، العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٩٠ .

(٢) السكسون : وتنقسم هذه الشعوبية الوثنية الشديدة المراس إلى أربعة أقسام الوستفاليين الذين يسكنون بالقرب من جبهة الفرنجة وبجانبهم شرقا النجيريين ، ثم اليستيفاليين ثم النوردلبيجينيين الذين يسكنون حول الألب وهم اخطر وأقسى اجناس السكون .

Oman . c. the dark ages. P. 349 .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص ٩٧ ، الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص٢٠٢ .

Gibbon : op. cit., p. 803 .

والقوط الغربيين وبقايا الرومان ودانت لهم الكثير من الجماعات لامتبربرة ، واستطاع شارل أن يجمع الناس حوله بالقوة تارة وبالحيلة تارة أخرى حتى استطاع أن يحشد كل هذه الإمكانات البشرية والمداية الهائلة لمقابلة الجيوش الإسلامية بنفس الروح المتطلعة والمتعطشة للقتال[1] .

فارتد شارل مارتل من ضفاف النهر إلى السهل الواقع بين مدينتى تور وبواتييه ثم عبر اللوار غربى تور وعكسر بجيشه إلى يسار الجيش الإسلامى بأميال قليلة بين كل من نهرى كليين وفيين فرعى اللوار[2] .

وكانت كل هذه المقدمات بداية الصراع بين الطرفين حتى حدث الاصطدام بينهم أى بين طلائع الجيش الإسلامى بقيادة عبد الرحمن الغافقى وبين الجيش الفرنجى بقيادة شارل مارتل فى شعبان سنة ١١٤هـ الموافق الثانى عشر أو الثالث عشر من شهر أكتوبر عام ٧٣٢م . وكان كلا الفريقين يشعر بخصورة هذا الصراع وأهميته . لذلك لم يتقابلا ويشتبكا فى الحرب بسرعة بل استمرا عدة أيام وهما يدوران ويتناوشان بل إن هناك اختلافا بين المؤرخين حول من الذى بدأ المعركة ؟ هل كان المسلمون هو الذين بدءوا الهجوم أم الفرنجة ؟ وهناك روايات تذكر أن الفرنجة هم الذين أخذوا زمام المبادرة وبدأوا هجومهم الكاسح بكل ما يملكون من عدة وعتاد فى محاولة للقضاء على المسلمين وتثبيت جهودهم ، ولكن الفرنجة لم يستطيعوا تشتيت قواهم بل بدا المسلمون متفوقين عليهم بما يتحلون به من الثبات وقوة روحهم المعنوية وعدم خوفهم من الموت وكانت هذه الصفات عند المسلمين تفوق تظيرتها عند الفرنجة، وأحسن العرب البلاء[3] جهاد فى سبيل الله .

وهناك من يذكر أن المعركة استمرت ثمانية أيام وأن المسلمين هم الذين بدأوا

---

(١) حسين مؤنس : فجر ، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨ ، عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص١٠٢ .

(٢) عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص ١٠٠ ، محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام، ص ٥٠ .

(٣) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص١٥٣ ـ ١٥٤ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٧٤ .

القتال فحدثت مناوشات قليلة فى اليومين الأولين ، ثم تحول القتال إلى صدام مروع ورجحت كفة المسلمين ولكنهم عندما حاولوا اختراق صفوف الفرنجة ذهبت محاولاتهم عبثا إذ تماسك الفرنجة ومن معهم من الجيوش كالأسوار المنيعة ، ولم يتركوا للمسلمين مجالا لاختراقها[1] وفى هذا الصدد يذكر رينو أن المسلمين هم الذين بدءوا القتال وكان الفرنج قادمين من حروب اتسق لهم فيها النصر فكانت حماستهم تغلى فى مراجلها ويزيدها فيهم وجود شارل مارتل الذى كان كلما ظهرت ثلمة خف وسدها بنفسه ، وقد هاجم المسلمون بخفة حركاتهم على الخيل هجمات شديدة محاولين بها خرق صفوف الإفرنج . فكانوا يجدون أمامهم صفوفا أشبه بالجدران فى ثباتها فكانت تتكسر عليها حملات العرب ، فاستمر القتال أول يوم طول النهار ولم يحجز بينهم سوى الظلام ، وفى اليوم التالى تجدد القتال ورخصت النفوس فى سوق المنايا وحمل المسلمون حملات البائسين إذ لم يكونوا ينتظرون من الإفرنج مثل هذا الثبات ولكنهم لم ينالوا منهم وطرا[2] .

وهكذا اثبت الفرنج للمسلمين ثباتا كبيرا ويحلل الصوفى ذلك الثبات قائلا : إن جند العرب كلهم فرسان فتمكنوا من إزالة الصفوف الأولى لجند الفرنجة بيد أن هؤلاء كانوا من الكثرة بمكان وقد رصوا صفوفهم على شكل مربعات ، فكلما أزيل صف ظهر صف بعده وهكذا وهو أسلوب جديد للحرب اتخذه الفرنجة[3] .

---

(١) أرسلان : غزوات العرب ، ص١٣١ . Reinaud : op. cit., p. 49 .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربى ص٦٩ .

Sherwani : op. cit., P. 52 .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

P. M. Holt : The Cambridge hustory of islam P. 94 - 95 .

W. Montgomery : The Magest that was islam P. 41 .

Edward James : The Origins of france . P. 151 .

هامرتن : تاريخ العالم ، ص٤٠٣ ـ محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة ، ص٥١ ـ ٥٢ ، طلفاح: حضارة العرب ، ص٣٩ ، طلفاح : معارك العرب الكبرى ، ص١٦٣ .

(٣) خالد الصوفى : تاريخ العرب ، ص٢٣٤ ، حسين مؤنس : فجر ، ص٢٧٤ .

وبعد تلك المناوشات التى استمرت عدة أيام حدث بعد ذلك أن اندفعت فرقة من فرسان الإفرنج وقامت باختراق صفوف المسلمين ثم اندفعت إلى خلف الصفوف حيث غنائم المسلمين المتراصة هناك وسببت هذه الحركة ارتباكا كبيرا للجيش فصاح أحدهم ينبه إلى خطر ضياع الغنائم ووقوعها فى أيدى العدو .

وبلغ خبر هذا الهجوم المسلمين الذين كانوا يحاربون فى ميمنة الجيش الإسلامى وسميرته فتراجع الكثير منهم إلى المعسكر بغية انقاذ الغنائم من أيدى الفرنجة دون إذن من القائد العام .

وتدفق المسيحين متجهين إلى الخلف مما أدى إلى أن دب الخلل والوهن بين الصفوف ، ويبدو أن هذه الحركة وهى الاعتداء على مؤخرة الجيش حيث الغنائم ما هى إلا حركة مدروسة قام بها الدوق أودو الذى كان يعلم جيدا موضع تلك الغنائم ونقطة ضعف المسلمين فى الاحتفاظ بها خصوصا أنهم كانوا قد ظفروا بها خلال انتصاراتهم الموفقة حتى وصلوا إلى تور فوضعوها وراء خطوطهم فأراد أن يشغلهم بها ، وكان يعلم مدى كثرتها وما سببته من ثقل على المعسكر ، وقد قدر الغافقى خطورة هذه الأثقال والغنائم التى حملها وجرها المسلمون وراءهم ومدى ما تثيره فى نفوسهم من إنشغال وحرص على أن يحملهم على تركها أو على الأقل ترك جزء منها لتسهيل مهمة انتقالاتهم ولكنه لم يشدد فى ذلك خوفا من التمرد والخروج عليه(١) .

ويعلل أحد المؤرخين تصرف جند المسلمين قائلا « حينما صادف الحظ السعيد المسلمين فى مسيرته وحصل رجاله على مغانم كبيرة فى البلاد الواقعة فى طريق المعركة وأصبحوا حريصين على المكاسب المادية وغير مدركين لمخاطر المستقبل مما

---

(١) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص١٥٦ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص١٤٤ ـ ١٤٥ ، العدوى : المرجع السابق ، ص١٩١ ، مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٧٤ ، غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص٣١٤ .

Conde : Histoire de la dominacion : P. 86 - 87 - 88 .

يكفي لحفظ الحياة أو لسلامة الوجود في ذاته وعرف عدوهم نقطة ضعفهم فاستغلها »[١] .

وكان نتيجة تراجع بعض الفرق لحماية المؤخرة أن دب الخلل في الصفوف واستغل الفرنجة الفرصة وقتلوا الكثيرين منهم وكانت الفاجعة هي مقتل قائد الجيش عبد الرحمن الغافقي الذي أصيب بسهم ارتد على أثره مجروحا جرحا بالغا ما لبث أن أودى بحياته[٢] .

وهكذا استشهد الغافقي في الموضع الذي يقع بين مدينتي تور وبواتييه وانتهت الوقعة بانكسار الجيش الإسلامي واستشهاد قائده وانسحابه من الميدان[٣] .

وأصبح الجيش الإسلامي دون قائد وفت ذلك في عضد الجند واضطربت نفوسهم وارتبكت صفوفهم وانتهزت الفرنجة الفرصة فأحاطوا بهم من كل مكان وراحوا يحصدونهم حصدا وصبر المسلمون على مدافعتهم منتهزين فرصة قدوم الليل ليستتروا تحت جنحه ، وأرجع كبار الجيش للمشاورة ، ثم اتفق رأيهم على الانسحاب تحت جنح الظلام والرجوع إلى معاقلهم ومراكزهم في سبتمانيا بعد أن تركوا خيامهم ملأى بكل ما كسبوه من أحمال ثقيلة وغنائم مصطحبين ما خف حمله .

وفي صباح اليوم التالي استعد الفرنجة للقتال الذي كانوا يحلمون به طوال الليل ولكنهم انتظروا خروج المسلمين من معسكراتهم التي كانت لا تزال قائمة أمامهم ، بيد أنهم انتظروا طويلا دون أن يسمعوا صوتا أو يروا حركة تعبر عن وجودهم فاقتربوا من المعسكر حذرين وجلين ولكنهم ما لبثوا أن اصطدموا بالواقع إذ رأوا خلو المعسكر من الجند الذين تركوا امتعتهم وغنائمهم خلفهم فشعروا بالراحة والاستقرار واعتبروا أن

---

(١) علي حبيبه : مع المسلمين في الأندلس ، ص١٠٩ .
(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٧٤ ، سالم : تاريخ ، ص١٤٥ .
(٣) الحجي : التاريخ الأندلس ، ص١٩٥ .
Jean del Perugia : Nomes de lieu d'origine berbere dans les sud - Quest de la france P. 27 .

خطر المسلمين قد زال على الأقل ولو مؤقتا ولكنهم خشوا أن تكون هذه خدعة رتبها لهم المسلمون لكى يجروهم ويوقعوا بهم فى كمين آخر كعادتهم فى القتال ، فلم يحاولوا أن يتتبعوهم بل اكتفوا بما حققوه وما حصلوا عليه من ذخائر وغنائم بعد أن لمسوا منهم فى المعركة قوة وصلابة وآثروا العودة مكتفين بما حققوه منسحبين إلى الشمال منهين هذه الحرب(1).

وليس لدينا من المصادر العربية ما يمكننا الاعتماد عليها فى وصف طريقة انسحاب الجيش الإسلامى عند رجوعه لقواعده فى سبتمانيا سوى الروايات النصرانية الغير موثوق بصحتها إذ تذكر أن المسلمين اندفعوا نحو الجنوب مسرعين ، واتجهت جموعهم نحو أربونه فمروا على مقربة من جيريه Gueret وغزوا فى طريقهم بلدة ليموزين وخربوا كنيسة سولنياك Solignac (2)

وهكذا استطاع شارل مارتل أن يكسب لنفسه موقفا فى سجل المعارك الحاسمة فى تاريخ العالم وأضفى عليه هذا الانتصار قوة ومكانة استحق عليهما لقب Martel أى المطرقة بعد أن بدا فى نظر العالم الغربى بطل المسيحية الأول(3) .

---

(1) Reinaud : op. cit., P. 49 - 50 . Sherwani : op. cit., p. 52 - 53 . Jean Duche : op. cit., P. 95 - 96 . Dunlop : Arab cilvilization to A. D. 1500. P. 14 . Levi Provencal . V. I. 60 - 62 .

حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، السامرائى : الثغر الأعلى ، ص١٣٣ ، طرخان : المسلمون ، ص١٥٦ ـ ١٥٧ ، سالم : تاريخ ، ص١٤٥ ، جون هامرتن : تاريخ العالم ، ص٤٠٣ ، مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٥٨ .

(2) Reinaud ; op. cit., p. 49 .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص٧١ ، شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٣ .

(3) عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص١٩٤ ، جيبون ، ص٨٠٣ .

ثالثا : الأبعاد التاريخية لمعركة بلاط الشهداء :

ولنا أن نحل الآن الآراء التى وردت فى المصادر العربية والأجنبية حول هذه المعركة التى احتلت الصدارة وكن مع اختلاف فى التحليل بين مؤرخى النصارى ومؤرخى الإسلام .

فالمصادر الإسلامية انقسمت إلى عدة أقسام منها الرواية المشرقية والرواية المغربية والأندلسية . فالرواية الشرقية تتمثل فى رواية ابن عبد الحكم الذى يذكر أن عبيدة كان قد ولى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى على الأندلس وكان رجلا صالحا فغزا الأفرنجة وهم أقاصى عدو الأندلس فغنم غنائم كثيرة وظفر بهم ثم خرج إليهم أيضا غازيا فاستشهد وعامة أصحابه وكان قتله فى سنة خمس عش ومائة[1] .

أما ابن الأثير فيروى فى حوادث سنة ثلاث عشر ومائة « أن عبيدة استعمل على الأندلس عبد الحمن بن عبد الله فغزا وتوغل فى أرضهم وغنم غنائم كثيرة ، ثم خرج غازيا ببلاد الفرنج فى هذه السنة وقيل سنة أربع عشر ومائة فقتل هو ومن معه من الشهداء[2] .

أما الرواية المغربية فتتمثل فى رواية ابن عذارى المراكشى الذى يذكر أن عبد الرحمن الغافقى ولى الأندلس وغزا الروم واستشهد مع جماعة من عسكره سنة ١١٢هـ بموضع يعرف ببلاط الشهداء .

ثم يذكر فى موضع آخر أيضا أنه ولى الأندلس مرة ثانية ، وكان جلوسه لها فى صفر سنة ١١٢هـ فأقام واليا سنتين وسبعة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر واستشهد فى أرض العدو فى رمضان سنة ١١٤هـ[3] .

أما ابن خلدون فيذكر أنه قدم بعده (أى بعد الهيثم) محمد بن عبيد الله ابن

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقيا والأندلس ، ص٩٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٦٤ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ص٣٩ ، ٥١ ، جـ٢ ، ص ٢٨ .

الحبحاب صاحب إفريقيا فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا فرنجه ، وكانت له فيهم وقائع وأصيب عسكره فى رمضان سنة أربع عشرة »[1].

أما الرواية الأندلسية فلا تمدنا بمعلومات كافية عن هذه الموقعة الهامة فيذكر صاحب أخبار مجموعة عند ذكره لولاة الأندلس أن على يدى عبد الرحمن بن عبد الغافقى « استشهد أهل بلاط الشهداء واستشهد معهم واليهم عبد الرحمن »[2] فى حين يتفق كل من ابن الفرضى ، والحميدى والضبى ، فيذكرون أن « عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقى وهو العكى أمير الأندلس وليها فى فى حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسى صاحب أفريقيا وعبد الرحمن الغافقى هذا من التابعين ويروى عن عبد الله بن عم بن عبد العزيز وعبد الله بن عياض استشهد فى قتال الروم بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة ذكر ذلك غير واحد، وكان رجلا صالحا جميل السيرة فى ولائه كثير الغزو للروم ، عدل القسمة فى الغنائم وله فى ذلك خبر مشهور ... [3].

أما المقرى فهو أكثر وضوحا إذ يذكر فى عدة مواضع نقلا عن ابن حيان وغيره «قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى من قبيل عبد الله بن الحبحاب صاحب إفريقيا فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا الإفرنجة وكانت له فيهم وقائع وأصيب عسكره فى رمضان سنة أربع عشرة فى موضع يعرف ببلاط الشهدء وبه عرفت الغزوة » ثم يذكر فى موضع آخر عن ابن حيان أنه قتل « أشار إلى السمح بن مالك وهى إشارة خاطئة فى الواقعة المشهورة عند أهل الأندلس بوقعة البلاط وكانت جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه فأحاطت بالمسلمين فلم ينج من المسلمين أحد ، قال ابن حيان فيقال أن الأذان يسمع بذلك الموضع إلى الآن ، ثم يقول : « دخل الأندلس (أى الغافقى) حين وليها ولايته الثانية من قبل ابن الحبحاب فى صفر سنة ثلاث عشرة ، وغزا الافرنج

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٩ . وينسب خطأ لابن الحبحاب والى مصر وافريقيا .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٥ .

(٣) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٥٦ ، الحميدى : جذوة المقتبس ص٢٧٤ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص٣٦٥ .

فكانت له فيهم وقائع جمة إلى أن استشهد وأصيب عسكره فى موضع يعرف ببلاط الشهداء . وقال ابن بشكوال وتعرف زوته هذه بغزوة البلاط »[1] .

ومن هذا المنطلق نلاحظ الروايات العربية لم تتعرض لذكر الأحداث التى سبقت وتلت معركة بلاط الشهداء ، وإنما اكتفت بالاختصار الشديد عند التعرض لتلك الموقعة وقائدها[2] أى أن ما تذكره هذه الروايات عبارة عن إشارات مختصرة أو غامضة أو خاطئة ، وإذا ما قارنا بين هذه الروايات مجتمعة أى التى ذكرها المؤرخون المشارقة أو المغاربة أو الأندلسيون لا تجدها تتعدى عبارة مفادها غزو عبد الرحمن الغافقى لبلاد الروم واستشهاده فى بلاط الشهداء .

ولقد اختلفت هذه المصادر حتى فى تاريخ المعركة فمنهم من جعلها سنة ١١٤هـ[3] . ومنهم من جعلها سنة ١١٥هـ[4] وقسم آخر جعل قائد الجيش هو ابن الحبحاب[5] .

ويبدو أن ذلك الاختصار يرجع إلى ما حل بالمسلمين من خطب فادح اثر تلك الهزيمة فلم يرغبوا فى الإشارة إلى آلامهم لمحاولة نسيانها أو التكتم عليها ، والدلائل على ذلك أنها سميت ببلاط الشهداء وهى تسمية يفهم منها أن عددا من استشهد فيها من المسلمين كان عظيما جدا[6] . وربما كان سبب صمتهم عن تفصيل هذه المعركة هو أنها لم تؤثر تأثيرا إيجابيا على مجريات الأحداث السياسية الإسلامية لا سيما وأنها كانت بعيدة جدا عن قلب العالم الإسلامى وعن المجال الحيوى للدولة

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، ص٢٢٠ ، والمجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص١٥ .
(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٥ ـ ٢٦ ، ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ، ص٢٦٥ ، الحميدى : جلوة المقتبس ، ص٢٧٤ ، ابن عذارى : جـ٢ ، ص٢٨ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٩ ، المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص٢٧٥ .
(٣) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص٢١٨ ، المقرى : جـ٣ ، ص١٦ .
(٤) ابن الفرضى : ص٢٩٨ ، الحميدى ، ص٢٧٤ ، ابن خلدون ، ص١١٩ .
(٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ٢ ، القسم الرابع ، ص١٥ .
(٦) مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٧٢ .

الإسلامية، ولعل ذلك يفصر لنا ورود الرواية العربية باختصار وبدون تعليق[1] من جانب من تصدوا لذكرها .

أما بالنسبة للمراجع الحديثة فقد اختلفت فى تفسير الهزيمة وإن لم تختلف جميعها فى أن الغنائم التى حملها المسلمون معهم أثناء فتحهم للبلاد كانت سببا رئيسيا فى الهزيمة ولنا أن نتساءل هل الغنيمة كانت حقا وراء الهزيمة .

يتفق كثير من المؤرخين المحدثين[2] أن قصة الغنائم حقيقية تاريخية ثابتة بدأت منذ فجر الإسلم ومنذ عهد الرسول الكريم ﷺ وفى حياته حدثت أول هزيمة للمسلمين فى أحد فقد خالف الرماة أمر قائدهم الأعلى رسول الله ﷺ وخرجوا على أميرهم عبد الله بن جبير واندفعوا مع رغباتهم فى حيازة الغنائم ففسدت بذلك الخطة المرسومة للجيش المحارب فكانت مخافة الجند سببا رئيسيا فى فساد الخطة وكان فسادها سببا فى اضطراب الجيش وكان اضطراب الجيش سببا فى الهزيمة ، لذلك لم ينج المجاهدون من الهزيمة رغم وجود رسول الله ﷺ بين ظهرانيهم فكأن الله أراد أن يعلم المسلمين أن صلاح العقيدة لا يكفى لتحقيق النصر فالنصر له أسبابه وأن الأخذ بالأسباب من صلاح العقيدة .

أما بالنسبة لمعركة بلاط الشهداء ، فقد رأينا تقدم المسلمين وخروجهم من نصر إلى نصر يحملون الغنائم ويجرونها وراءهم أينما حلوا .

وكان الغافقى بشعور القائد المجرب المحنك يدرك أن هذا خطأ كبيرا وأن تلك الغنائم ستكون حجر عثرة فى سبيل انطلاقهم وتحركهم بخفة وخصوصا أن

---

(١) العبادى : فى تاريخ المغرب ، ص٨٩ .

(٢) شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامى ، ص٣٧ ـ ٣٨ . على حبيبه : مع المسلمين فى الأندلس ، ص١٠٩ ـ ١١٣ ، خير الله طلفاح : معارك العرب الكبرى ، ص١٧٤ ، عبد الحليم عويس : دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية ، ص٢٢ ـ ٢٣ ، عبد الكريم التواتى : مأساة انهيار الوجود العربى بالأندلس ، ص٤٣٣ .

الجيوش الإسلامية تميزت دائما بالخفة وعدم حمل الأثقال معها (١) ولكنه كان يدرك أيضا تعلق رجاله الكبير بتلك الغنائم فخشى من تضجرهم وإثارتهم فلم يردهم عن ذلك رغبة فى استمرار حماسهم ، فما هى النتيجة ؟

أدرك العدو نقطة ضعفهم واستطاع إرباكهم ومحاصرتهم فى وقعة كادت كفة النصر ترجح لهم وخذل المسلمون وهم لا يدرون أن سبب تلك الهزيمة كانت المطامع التى ارتدوا من أجلها للدفاع عنها دون إذن من قائدهم الذى حاول جاهدا أن يعوض انسحابهم فوقع صريعا . وهكذا هزم المسلمون لأن بريق المادة غلب على شعاعات الإيمان .

ولكن هل حقا كان هؤلاء المجاهدون حريصين على المكاسب المادية ووضعها فى أولياتهم أثناء خروجهم للجهاد بعكس ما نعرفه عنهم من أنهم لم يخرجوا إلا لغاية واحدة هى الشهادة أو النصر ؟ وهل وضحت أهداف الجهاد أمامهم ؟ أم أصابهم الغرور لخروجهم من نصر إلى نصر فلم يدركوا أهمية تلك المعركة ؟ وللرد على هذه التساؤلات نذكر أن معظم الجيوش الإسلامية منذ فجر الإسلام تتخلل بداخلها عناصر شتى تخرج لغايات متباينة ، غير الغرض الأسمى من الجهاد ، وتخللت تلك العناصر فئة من المنافقين الذين لم يتذوقوا طعم الجهاد وحب الله ورسوله فكان حرصهم شديدا على المكاسب والغنائم والرجوع بها ونجد أن تلك الفئة المريضة لا تشكل جزءاً كبيرًا من الجيش ولكنها تعمل على إضعافه وتشتيت آرائه بسيادة الأفكار الخاطئة فيه، فكان هذا سببا من أسباب ضعف الجيش الإسلامى(٢) .

---

(١) لما كان السير والتقدم مرحلة من مراحل الحرب فمن المحتمل الالتقاء بالعدو خلال السير وفى أى وقت لذلك كان من الضرورى أن لا يستنزف السير قوة المقاتلين بحيث يلقاهم العدو وهم مجهدون متعبون لذلك حرص القواد أن لا يتخذوا من المتاع إلا ما خف حمله ومؤونته وعظمت مكانته لئلا تأخذ الأثقال من قوتهم وقابلياتهم . وللمزيد عن التعبئة فى السير والتقدم انظر خالد الجنابى : تنظيمات الجيش ، ص١٧٥ .

(١) على حبيبة : المرجع السابق ، ص١١٧ ،

ومن وصايا عبد الملك بن مروان لأحد قواده : ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة وكن فى احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك .

خالد الجنابى : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

ويرى الحجى أن موضوع الغنائم أسطورة لا أصل لها وهى مجانبة لكل ما عرفناه عن الفتح الإسلامى والتمسك بأهدافه العليا التى تعتمد على الجهاد فى سبيل الله فمما تذكره هذه الأسطورة أنه حينما انسحب الجيش الإسلامى ترك خيامه منصوبة والغنائم فى مكانها مطروحة وانسحب سريعا فكأنه بتلك العملية التى أقدم عليها كان ينفذ خطة مرسومة ومدروسة لأنهم رأوا أن الموقف يتطلب عدم الاستمرار فى معركة ظهرت بوادر ضعفها . وبعد استشهاد الغافقى كان الجيش الإسلامى مستمرا فى القتال ونال من الفرنجة رغم هذه الظروف ولكنه رأى بعد ذلك أن الموقف يتطلب الانسحاب فترك الخيام منصوبة كخطة دفاعية لم يدركها الفرنجة إلا صبيحة ذلك اليوم وهم يستعدون مجددا للقتال . وهذ أمر يشير إلى أن انسحاب الجيش كان من غير بوادر انكسار ، وهذا يفند التهويل فى المبالغة بكثرة قتلى الجيش الإسلامى بقدر ما يفند التهويل والمبالغة اللذين تشير إليهما الرواية الأوروبية [١] .

ومن نوع هذا التهويل عند المؤرخين الأوروبيين الإشارة إلى أن سبب هزيمة المسلمين يرجع أساسا إلى اتجاههم خلف البرتات الذى كان مجرد عمل انتحارى وفدائى لأن الجيوش كانت تتوغل فى البلاد بدافع من الحماس الدينى وحسب دون أن تعمل حسابا لخط الرجعة فى حالة التقهقر والإنسحاب فهزيمة الغافقى فى نظرهم هى نهاية طبيعية لامتداد غير طبيعى[٢] لهذا لم يكن لها تأثير إيجابى على مجريات الأحداث السياسية[٣] الإسلامية وخصوصا أنها كانت بعيدة عن النطاق الحيوى للدولة الإسلامية[٤] .

أما القول بأن سبب هزيمة المسلمين هى أعمالهم الانتحارية بالتقدم خلف البرت

---

(١) الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص١٩٨ .
(٢) أحمد الشعراوى : الأمويون أمراء الأندلس / الأول ، ص٢٥ ـ ٢٦ .
(٣) يبالغ الكتاب هنا أن تلك الأحداث لم يكن لها أثر على مجريات السياسة فعلى العكس فما وصلت تلك الأخبار إلى مسامع الخليفة حتى قرر أن يبعث جيشا بقيادة عبد الملك بن قطن للثأر لمقتل الغافقى وإتمام عملية الجهاد وهذا ما سنتناوله بالتفصيل . انظر الفصل الخامس من هذا البحث .
(٤) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والزندلس ، ص٨٩ ـ ٩٠ .

فهو غير صحيح إذ كان الدافع الحقيقى للجهاد فى الأرض الكبيرة هو نشر دين الله ولكن وجود بعض المرتزقة فى الجيوش الإسلامية وتراجعهم لحماية الغنيمة كان السبب الأساسي لتفكك الصفوف الأولى من المسلمين وبالتالى فسدت الخطة المرسومة للقتال من القائد الأعلى ، لأن المعركة في بدايتها كانت فى صف المسلمين ، وكانت نتيجة هذا التصرف من بعض المقاتلين أن قتل قائد المسلمين نفسه ، مما أدى إلى تشتيت الجيش الإسلامي وهزيمته فى معركة كاد النصر أن يتحقق لهم فيها[1] .

وهناك عدة عوامل أخرى غير الغنيمة تضافرت مجتمعة على هزيمة المسلمين فربما كان سبب الهزيمة هو ضخامة الجيش فلقد قاد الغافقى جيشا جرارا بالغ الفرنجة فى وصفه حتى قيل أنه بلغ خمسمائة ألف مقاتل . وكان هذا الجيش يحوى جماعات مختلفة ومتنازعة ويغلب على بعضها روح الطمع وضعف الإرادة فلم تقدر أهمية الدور الذى خرجت من أجله وأهمية المعركة القادمة ولم يكن المجتمع الأندلسى قد تحددت أهدافه التى كان يعمل لأجلها ، بالإضافة إلى مشكلات الخصومة بين العناصر التى لم يستطع أحد القضاء عليها حتى عبد الرحمن الغافقى برغم ما عرف عنه من حياده ومحاولته جذب الجميع له واتحادهم فى صف واحد ، إلا أن النفوس البشرية كانت قد جبلت على الاختلاف وحب الهوى ، وقد قيل أنه نتيجة لمعاناة الغافقى من خطر العصبيات القبلية أراد أن يشغل الناس بالجهاد فشغلوه بالخلافات الطويلة وهو فى طريقه إلى معركة هامة وهزموه وتخلوا عنه .

وبالإضافة إلى ذلك فإن وقوع العرب والبربر فى خلاف دائم صرف اهتمامهم عن الفتوح بالمعدل الذى كانت تسير به فجدت عليهم أحداث وآمال وأفكار جديدة كانت سببا فى صرف نفوسهم عن الغاية السامية التى جاءوا من أجلها[2] .

---

(١) العبادى : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(2) Levi - Provencal : op. cit., V. I. 62 - 63 .

شكيب أرسلان : غزوات ، ص١٣٣ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٦٣ ، بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص١٥٩ ، على حبيبة : مع المسلمين ، ص١١١ ـ ١١٢ .

وهناك أمر لم يضعه المسلمون فى خطتهم وهو إتحاد أودو مع شارل مارتل فى جيش واحد لمهاجمة المسلمين بسبب ما عرف عنهم من عداء شديد ولكن اتفقت آراؤهم نتيجة لإحساسهم بالخطر المشترك فتكتلوا دفعة واحدة لدرئه[1] وكانت مفاجأة غير منتظمة للغافقى ولا يخفى علينا أن مقتل الغافقى كان له أثره فى إضعاف نفسية ومعنوية الجند مما كان سببا فى اضطرابهم وانكسارهم وتخاذلهم[2].

ويمكن أن نضيف إلى ذلك توغل الغافقى فى مناطق بعيدة دون أن يعمل حسابا لذلك ولم يفكر على الأقل فى مدى حاجاته للإمدادت السريعة ، وبعد المسافة ما بين قرطبة وغالة وما بين قرطبة ودمشق مركز الخلافة ومنبع التموين ويرى جيبون فى هذا الصدد أنه يكفى أن يتصور الإنسان المسافة ما بين دمشق وجبل طارق وبين جبل طارق واللوار حتى يعلم أن الجيوش الإسلامية المحاربة في نواحي غالة كانت تقوم فى الواقع بمغامرة حربية أقرب إلى قصص الأساطير منها إلى حوادث التاريخ لأنها كانت فى وضع لا تسطيع معه أن تحصل على امدادت من الجند والعتاد من مركز الخلافة دمشق ولم يكن فى استطاعة هؤلاء المحاربين أن يحصلوا على امدادت من عامل الأندلس فى قرطبة لتفرق العرب من جهة ، ولأن العصبيات كانت قد مزقتهم شيعا وأحزابا[3].

وهناك نقطة هامة ينبغى للبحث ألا يجهلها وهى العامل النفسى للفرنجة فنتيجة لقوة العناصر الجرمانية التى كانت تشكل الجزء الأكبر من جيش شارل مارتل وإحساسها بالخطر من المسلمين جعلها تتكتل وتكون جدارا صلبا ضد المسلمين وخصوصا أن تلك العناصر كانت تتصف بالهمجية والبداوة والغلظة حتى شبهت ضرباتهم بالحديد ، فالعامل النفسى كان به أثر فى انتصارهم ووقوفهم كتلة واحدة

---

(١) شكيب أرسلان : غزوات ، ص١٣٤ ، العدوى : ص١٩٠ .

(٢) العبادى : فى تاريخ ، ص ٨٨ .

(3) Gibbon : op. cit., P. 802 - 803 .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص١٤٣ ، العدوى ، ص ١٩٠ .

للتصدى لتلك القوة الإسلامية الفتية الجديدة ، وعدم السماح لهم بالتجاوز أكثر من ذلك ولو لم ينتصر الفرنجة لانهارت عزائمهم وآمالهم لذلك صمدوا أمام المد الإسلامى وأجمعوا أمرهم وصادفوا من المسلمين تفككا وضعفا فنجحوا فى الانتصار عليهم[1] .

كما يجب ألا نغفل مسألة المناخ فى الوقت الذى دارت فيه هذه المعركة إذ كان الوقت خريفا أى وقت سقوط الأمطار الثقيلة والرياح الباردة والمسلمون لا يستريحون للبرد والمطر المستمر ، وكانوا يعبرون منطقة غابات والفارس العربى لم يحسن الحرب فى الغابات حتى أن الخيول العربية ضمرت نتيجة تلك الأجواء ، ولم تستطع التنقل والتحرك بخفة لأنها اعتادت الجو الدافئ الجاف . فتفاوت الجو المستمر ساعد على اجهاد الخيل وإلحاق الضرر بالفرسان مما كان سببا فى اعاقتهم وهزيمتهم[2] .

ولعل من أهم عوامل الهزيمة هو ما كان من نزاع واختلاف بين العرب والبربر وخصوصا بعد القضاء على مونوسة ، وحين نعلم أن غالبية جيش الغافقى الذى اتجه لفتح غالة كان من البربر ، عندها ندرك أن خلافا بين الطرفين ستصبح آثاره سيئة للغاية وهذا ما حدث وكان سببا من أسباب الهزيمة للمسلمين .

هذا ما ذكره المؤرخون المحدثون فى تحليل وتفسير أسباب هزيمة الغافقى فى بلاط الشهداء ونحن لا نستطيع إنكار أثر الغنائم فى إعاقة الجيش الإسلامى فى تحقيق النصر، وإن كنت لا أرى أن هزيمتهم فى بلاط الشهداء تستحق هذا التضخيم والتهويل والمبالغة فى البعد عن الحقائق والواقع .

وما من شك أن تغليف هذه الأحداث برداء اسطورى يخفى الوقائع التاريخية ، وتضيع معه الحقائق ، ولابد من التدقيق والتحفظ فى الأخذ منها . فلم تكن تلك

---

(١) سيديو : تاريخ العرب العام ، ص١٦٧ .
Sherwani : op. cit., p. 25 - Jean Duch : The History of France p. 95 .
(٢) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٥٧ .

الهزيمة هزيمة بحق فانسحاب المسلمين بهذه الصورة المنظمة فى ذلك الوقت من الليل دون أن يشعر جيش الفرنجة بذلك يدل على مهارتهم وقدرتهم واستغلالهم الليل لمصلحتهم ورجوعهم إلى أربونة بتلك السرعة رغم كثرة عددهم . أما تركهم المخيم مملوءا بالغنائم والعتاد فهذا أمر غريب فكيف يستبسل جيش للدفاع عن تلك الغنائم التى جرها معه من مكان إلى آخر ؟ ثم يترك جزءا عظميا منها لأعدائه ويرحل ؟ إن هذا أمر يدعوا إلى الحيرة والتساؤل فى تصديق مسألة الغنائم التى أعاقتهم وأدت إلى هزيمتهمَ . فهل تلك القضية كانت قضية مفتعلة ؟ أم أنها كانت من صنع رجال الدين النصارى لتصوير المسلمين بصورة المجاهد النهم الذى لا هم له إلا الغنائم والاستبسال من أجلها ؟ أو محاولة جمعها ؟ لذلك أقدم المؤرخون الأوروبيون على تضخيم موضوع إحراق المسلمين للمدن والكنائس والأديرة فى توغلهم وراء جبال البرتات رغم أن هذه الاتهامات لم توجه للمسلمين طيلة تاريخ فتوحاتهم منذ فجر الإسلام .

ولا شك أن المستشرقين قد بالغوا فى تصوير معركة بلاط الشهداء (اوتوروبواتييه) التى اعتبروها من المعارك الفاصلة فى التاريخ العام ، والتى ترتب عليها تغيير مجرى التاريخ إلى حد كبير . فأنقذت حضارة غرب أوروبا المسيحية ووضعت حد لسيادة الشرق على الغرب على حد زعمهم وقبل الرد على هؤلاء المستشرقين ينبغى أن نستعرض آراء بعض هؤلاء المؤرخين فادوارد كريزى Edward Greasy يرى أن هذا النصر الذى حققه شارل مارتل على المسلمين فى تورقد انقذ المسيحية من الإسلام وحفظ بقايا الحضارة القديمة وبذور الحضارة الحديثة ورد التفوق للجنس الآرى على السامى (٢).

واعتبر فون شليجل أن كارل قد انقذ بسيفه ام الغرب من قبضة الإسلام الفتاكة

---

(١) إبراهيم بيضون : الدولة العربية ، ص ٧٨ .

(2) Edward Greasy : The Fifteen Decisive Battles of the world from Marthon to water , Ch. VII . P. 152 .

الهدامة[1] أما جيبون فيرى أن هذه الموقعة من الوقائع الفاصلة Decisive Battle وأنه لولا انتصار قارله لكانت فرنسا جزءا من بلاد الإسلام ولقضى على المسيحية فى أوروبا ، ولكان صوت المؤذن يدوى فيها بدلا من أجراس الكنائس ، ولكان القرآن يدرس فى اكسفورد Oxford . ويقول أنه كان لانتصار قارله صدى فرح كبير فى جميع أنحاء أوروبا التى تحول الكثير من أهلها إلى المسيحية وكان البابا جريجورى الثالث Gregery III ٧٣١ ـ ٧٤١ أول من أظهر الابتهاج بانتصار قارله حتى أنه منحه لقب مارتل Martel أى « المطرقة » على اعتبار أنه مطرقة المسيح فى هزيمة المسلمين ، ثم يذكر فى موضع آخر « وامتد خط الظفر مدى ألف ميل من صخرة طارق إلى ضفاف اللوار . وقد كان اقتحام مثل هذه المسافة يحمل العرب إلى حدود بولونيا وربما اسكتلندا فليس الراين بأمنع من النيل والفرات ، ولعل أسطولا عربيا كان يصل إلى مصب التايمز دون معركة بحرية ، بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن فى معاهد أكسفورد وربما كانت منابرها تؤيد محمد بصدق الوحى والرسالة » ثم يقول أن تلك المعركة كانت من المعارك الحاسمة بالنسبة لمصير غرب أوروبا[2] .

أما هنرى مارتن Henry Martin فى كتابه تاريخ فرنسا الشعبى يقول « لقد تقرر مصير العالم فى تلك المعركة ولو غلب الفرنج فيها لكانت الأرض فى قبضة محمد ولخسرت أوروبا والدنيا مستقبلهما »[3] .

أما مونتجمرى وات Montgomery Wett فيذكر أن معركة تورا وبواتييه كما يسميها الفرنسيون تعتبر من المعارك الحاسمة فى العالم حيث أنها لم تكن مثل وقعة وترلوا Waterloo التى رسمت الحد الفاصل أو النهاية للبناء السياسى الذى أقامه نابليون ، ولكن موقعة تور لم تقلص نفوذ المسلمين فى إسبانيا بل تكمن أهميتها فى

---

(١) نقلا عن محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص ١١٠ .

(2) Edward Gibbon : The Decline and fall of the roman empire. V 6 III. P. 223 .

(٣) نقلا عن غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص٣١٦ .

أنها كانت أقصى نقطة وصل إليها المسلمون فى توغلهم شمالا ناحية فرنسا ، كما أنها ترمز لانحسار المد الإسلامى(١).

أما جون هامرتن صاحب كتاب تاريخ العالم فيرى : أن شارل عند بواتييه أعاد نفس الصورة الحاسمة لما فعله ليو قرب بيزنطة ، فالإسلام لم يوطد أقدامه فى أوروبا إلا فى شبه الجزيرة ولم يحدث قط أن تقدم وراء البرانس ومهما كانت الهزيمة نكراء لفقد استطاعت أن تطرد العرب طردا لا رجعة فيه ، ولكن انتصار العرب كان قمينا أن يجعل الفتح العربى من المحتملات العملية المعقولة ولذا فإن نصر شارل مارتل استطاع بضربة واحدة أن ينقذ الغرب من كفاح طويل منهك ونتيجة غير مأمونة(٢).

أما كاشياوات Cachia Watt فيرى أن معركة تور تعتبر وحدها من المعارك الحاسمة فى التاريخ كما يقال عنها دائما وبمفهوم آخر كما يقول : بأنها نقطة انحسار المد الإسلامى The Point at Which the tide turned ويرى أنه لم ينتج عن تور أى دمار يزلزل القوة السياسية والعسكرية لإسبانيا المسلمة ، ولكن أدرك قادة المسلمين أن الطريق إلى غرب البرتات لم يعد خطا مريحا للتوسع ، كما أن الهزائم التى لحقت بهم بواسطة شارل مارتل عام ١٢١هـ/ ٧٣٨م قد بينت أن التوسع إلى أعلى وادى الرون لم يعد ممكنا أو مرغوبا فيه(٣).

أما فشر Fisher فيقول : لو قارنا بين انتصار الفرنجة هذا على العرب وبين انتصار البيزنطيين على المسلمين عام ١٨٧هـ ـ ٧١٧م لوجدنا أنه لو دخل العرب القسطنطنية لوجدوا بين مسيحى شرق أوربا مجالا للدعوة الإسلامية وذلك بالقياس إلى نجاح العثمانيين فى القرن الخامس عشر الميلاد لذلك يسهل تخيل نجاح المسلمين الدينى قبل العثمانيين بسبعة قرون حين كانت الشعوب البلقانية والروسية لا تفقه فى

---

(1) W. Montgomery Watt : The Majesty that was Islam the Islamic world .

(٢) جون هامرتون : تاريخ العالم ، ص٤٠٣ .

(3) Watt and Cachia : A history of islamic spain P. 22 .

المسيحية إلا النزر اليسير ولا تدرى من النظم والمعتقدات من تراث الإمبراطورية الرومانية وجبروتها القديم ولو تم للمسلمين النصر فرضا فى تور لظل بينهم وبين مناخ فتسا وتحويلها إلى الإسلام عقبات دونها عقبات[1].

أما بطرس البستانى فيذكر أن معركة باتييه انقذت أوروبا الغربية كما انقذت أسوار القسطنطينية أوروبا الشرقية لأربع عشرة سنة خلون ولو وفق مسلمه ابن عبد الملك فى حصار البيزنطيين ثم وفق عبد الرحمن الغافقى لدحر شارل مارتل وعبور اللوار لكان الجيشان الأمويان الزاحفان من الشمال والجنوب التقيا ، ووقعت أوروبا بأسرها فى قبضة الإسلام والمسلمين[2].

وهذا وبعد استعراض آراء المؤرخين المستشرقين نرى أنه ينبغى علينا تحليل تلك الآراء والرد عليها ثم الاستشهاد بآراء المؤرخين الغربيين من أبناء جلدتهم الذين لم يحذو حذوهم ولم يحجب عامل التعصب والعامل السياسى وجه الحق فى طريقهم فنراهم يخترقون ذلك الحجاب الكثيف ويردوا ذلك الرد الواضح المتحرى للحق والصدق وهكذا شأن العلماء دائما ومن أمثلة هؤلاء غوستاف لوبون ، والعلامة المعاصر جارودى .

أما الرد على اعتبار شارل مارتل بطلا بطلا عظيما يدافع عن غالة ، فنقل أن شارل لم يكن فى ذلك إلا مغامرا جريئا ، فلم يكن الفرنجة الذين قصدو رد المسلمين عن غالة بأصحاب البلاد الأصليين بل كانوا غزاة قاهرين فإذا كان المسلمون أغرابا عن غالة فإن الفرنجة أغراب أيضا ، ولم يكن لديهم الحق فيها أكثر مما لغيرهم . ولقد كان أهل بيته ومعظم عناصر الفرنجة يبغضونه ويبغضهم ، ولم يخضعوا إلا خضوع المغلوب على أمره المقهور الذى لا حيلة له ، وقد حكم شارل تلك البلاد بالعنف والقسوة حكما أجنبيا خالصا وكان هو وأتباعه يترفعون عن سكانها الأصليين ويرون

---

(١) فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) بطرس البستانى : معارك العرب فى الشرق والغرب ، ص٨٠ .

أنهم ليس عليهم إلا الطاعة والخضوع ، فأى بطل وطنى ذلك الذى دافع عن بلادهم لم تكن له ؟[1].

أما القول بأنه كان يدافع عن الحضارة الغربية ، فنذكر أن شارل لم يكن مدافعا عن حضارة لأنه لم تكن ثمة حضارة فعلا فى تلك الفترة فسكان غالة كانوا لا يفهمون من اللاتينية شيئا ، حتى أنه هو نفسه لم يكن يعرف كيف يكتب اسمه ، فقد كان أميا لا يعرف شيئا عن الحضارة ومقوماتها ولم تكن أوروبا فى تلك الفترة بلادا متحضرة بالمعنى المفهوم عن الحضارة الإنسانية ، وكان البعد شاسعا بين حياة المسلمين فى الشرق وحياة الأوربيين فى الغرب ، فالمسلمون فى تلك الفترة هم وحدهم بناة الحضارة فى العصر الوسطى وقد ملكوا الدولة المتقدمة والنظم الحضارية المتطورة فى كافة مجالات الحياة فأى حضارة تلك التى دافع عنها شارل ؟[2].

أما القول بأن تلك الحرب كانت صراعا بين الإسلام والمسيحية فإن الفرنجة لم يكونوا مسيحيين مخلصين وإنما كانوا أجلافا متبربرين أقرب إلى الوثنية منهم إلى أهل الكتاب بدليل ما فعله فى الكنائس والرهبان وكانوا شديدى الوطأة على الجميع ، بخلاف المسلمين الذين كانوا يمثلون روح التسامح الإسلامى مع أولئك المدعين للدين ، لقد تناسى هؤلاء المؤرخون التفاف الدوقات فى جنوب بلاد الغال حول المسلمين ومحاولتهم التصدى لشارل ومحاربته ، فلم يغلب على الفرنجة الطابع المسيحى إلا فى أيام ببين الثانى Pepin ابن شارل بسبب تصديه لحماية البابوية من اللومبارديين فهى إذن حماية سياسية وليست دينية وليس هناك من شك فى أن كلا من السمح بن مالك والغافقى وأمثالهما من جند المسلمين كانوا يعرفون عن المسيحيين والمسيحية أكثر مما يعرفه شارل وجنوده ، ثم أن المسلمين كانوا أهل دولة منظمة ذات نظم وقواعد وقيم شرعية مقررة ومعروفة ، فى حين كانت نظم الفرنجة فى

---

(١) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٩٣ ـ ١٩٤ ، مؤنس : فجر الأندلس ، ص٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

(١) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٩٤ ، على حبيبة : مع المسلمين فى الأندلس ، ص١١٥ .

طور التكوين تعتمد على قوانين الجرمان الأولى وهى أشبه بقوانين العرب فى الجاهلية، فلم تكن إذن حربا بين الإسلام والمسيحية ، ولم يكن انتصار الفرنجة على المسلمين يعنى تغلب المسيحية على الإسلام ولا تغلب حضارة على حضارة وإنما كان يعنى وصول حركة الفتوح الإسلامية إلى المدى البعيد الذى يجب أن تقف عنده أو تعمل له حسابا أكثر ، فلقد تغيرت نفوس المسلمين حينذاك وغرتهم الحياة الدنيا . ومالوا إلى حب الدنيا ورغبوا فى مكانها لذلك هزموا برغم عددهم وعتادهم وقائدهم الفذ ، لأنهم أضاعوا ما جاءوا لأجله وأصبحوا من ذوى الرغبات المهزوزة وزاد ضعفهم بانصرافهم إلى المنازعات التى بلغت أقصى مداها فى تلك الفترة الحرجة التى كان لابد لهم من التحرر من كل مطمع وهوى والاتجاه للجهاد بنفس المؤمن المجاهد فى سبيله .

وفى الحقيقة أن المعركة لا تعدو أن تكون معركة من المعارك السابقة واللاحقة التى قامت بين الجيوش الإسلامية والجيوش الأوروبية داخل غالة وتبادلت فيها الجيوش الإسلامية والمسيحية الهزيمة والنصر فقد رأينا السمح ابن مالك الخولانى يحقق انتصارات فى البداية ويحقق التقدم والظفر ثم ينهزم ويقتل ، ثم يعاود عنبسة بن سحيم الكلبى ما بدأه السمح ويقود أكبر غارة شهدها جنوب فرنسا ، ثم ينهزم ويقتل ويتولى عذرة الفهرى العودة بالجيش إلى القاعدة الإسلامية أربونة ، ومن هنا نرى أن ما حدث للغافقى بعد هزيمته فى بلاط الشهداء أو توراو بواتييه لا يزيد ولا ينقص عما حدث فى أيام السمح وعنبسة فقد عاد الجيش إلى أربونة ولم يخرج من غالة ، فما هو إذن الفرق بين ما أحرزه وما انتهى إليه السمح وعنبسة وبين الغافقى ؟ إذن فليس هناك داع للقول : أن تلك المعركة وضعت حدا للسيادة الإسلامية على غرب أوروبا ، وأن الثابت أن شارل مارتل لم يتتبع الجيش الإسلامى ولم يجرؤ على ذلك خشية أن يكون وراء انسحاب المسلمين خطة معينة أو خدعة أو كمين يراد به الجيش الفرنجى بل

---

(١) على حبيبة : المرجع السابق ، ص١١٥ ، مؤنس : المرجع السابق ، ص٣٠٤ ، العدوى : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

اكتفى من الغنيمة بالنصر ثم عاد متوجها إلى الشمال . إذن فالمسلمون لم يهزموا فى تلك المعركة بل انسحبوا فى نظام أخاف أعداءهم ، ويعنى ذلك أن النتائج التى أسفرت عنه الهزيمتان السابقتان ثم لا يوجد مجال إذن لتضخيم هذه الانتصارات الفرنجية أبدا [١] .

ولو تساءلنا كما تساءل الأوروبيون عن مصير قارتهم اليوم[٢] فبماذا نجيب ويرد على ذلك العبادى الذى يذكر أن المؤرخ لا يستطيع أن يتكهن بما سيحدث فى المستقبل لو انتصر المسلمون ، لأن المؤرخ مهمته النظر فى الأحداث الواقعة ومحاولة تفسيرها على ضوء الحاضر ، أما المستقبل فالسياسى هو الذى يستطيع أن يتوقع بفراسته وحسن نظره لما سيكون من أحداث ، والواقع أن انهزام المسلمين فى تور وبواتييه لا يعنى توقفهم فكثير من المعارك التى خسرها المسلمون كانت بعدها انتصارات كبيرة[٣] .

أما قول جيبون أن بواتييه أنقذت آباءنا الإنكليز وجيراننا الفرنسيين وحفظت جلال روما وأخرت استبعاد القسطنطينية وشد أزر المسيحية ووقعت بأعدائها بدر التعرف والفشل[٤] .

فيرد عليه غوستاف لوبون ساخرا بجميع الأقوال التى ضخمت هذا الحدث العادى قائلا : « لو تم للعرب الانتصار ما طرأ تبديل على مقادير البلاد فإذا ما كان العرب غالبين انتهبوا بضع مدن على ما يحتمل زيادة على المدن التى انتهبوها ، ثم ارتدوا حاملين غنائمهم إلى ملجأ أمين ثم عادوا فى السنين القادمة إلى سيرتهم الأولى ريثما يلقاهم عدو آخر يدحرهم كما وفق له شارل مارتل ... ثم يقول لنفرض جدلا أن

---

(١) على حبيبة : مع المسلمين فى الأندلس ، ص١١٥ ، عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا ، ص١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٢) إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٣) أحمد مختار العبادى : من تاريخ العرب والأندلس ، ص٨٨ ـ ٩٠ ، العبادى : فى التاريخ العباسى ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

(4) Gibbon : op. cit., P. 223 .

النصارى عجزوا عن دحر العرب ، وأن العرب وجدوا أجواء شمال فرنسا غير بارد ولا ماطر كجو إسبانيا فطابت لهم الإقامة الدائمة به فماذا كان يصيب أوروبا النصرانية المتبربرة مثل ما أصاب إسبانيا من الحضارة الزاهرة تحت راية النبى العربى وكان لا يحدث فى أوروبا التى تكون قد هذبت ما حدث فيها من الكبائر والحروب الدينية ... وكل ما لم يعرفه المسلمون من الوقائع التى ضرجت أوروبا بالدماء عدة قرون » ثم يعود قائلا : « أن يكون المرء جاهلا بتاريخ حضارة العرب جهلا مطبقا ليوافق على ما زعمه ذلك المؤرخ العالم من أن النشاط الذى يحفز الناس إلى التقدم ليس مما تجده فى عبقرية المسلمين ومن أن أوروبا والدنيا كانت تخسران مستقبلهما فمزاعم مثل هذه ليست مما يقف أمام سلطان النقد عندما يعلم أن التمدن اللامع حل بالبلاد التى خضعت لاتباع الرسول محل الهمجية وأن النشاط الذى يحفز الإنسان إلى التقدم لم يكن قويا فى أمة مثل قوته فى العرب .

ثم يرد قائلا على من ادعى أن مارتل أنقذ أوروبا النصرانية[1] فيقول أن شارل لم يستطع طرد العرب من أى مدينة احتلوها عسكريا بل اضطر إلى التقهقر أمامهم تاركا لهم ما استولوا عليه من البلدان ، وأن النتيجة التى أسفر عنها انتصاره هى أنه جعل العرب أقل جرأة على غزو شمال فرنسا ونتيجة مثل هذه وإن كانت مفيدة لا تكفى أهمية انتصار هذا القائد الفرنجى »[2] .

إذن لم يكن شارل مدافعا قط عن النصرانية وحاميا لها بل كان مغتصبا فلم يحرص بعد خروج المسلمين عن تلك الأنحاء أن يرد العقارات والأملاك لرجال الكنيسة من رهبان وأساقفة ، بل حرص على توزيعها على رجاله وأنصاره ليضمن ولاءهم واستمرارهم لذلك بقيت كراسى الأسقفية خالية ، وكان الأحبار ورجال الدين النصارى يرون أن هذه المصائب التى أحاطت بهم من قبل شارل ورجال ما هى إلا

---

(١) وهذا ما ادعاه هنرى مارتن فى كتابه تاريخ فرنسا الشعبى الذى أورده غوستاف فى كتابه حضارة العرب ، ص ٣١٦ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٣١٦ ـ ٣١٧ .

عقاب من الله تعالى لعباده وتنبيه لهم للرجوع إلى طريق الفضيلة ، صحيح أن بعض الرجال من الأحبار والرهبان شاركوا فى جيش شارل وهم فى ثوب الأسقفية ولكن ذلك لا يعنى أنه كان حامى حمى الدين أبدا ! [1].

أما البرفسور جارودى الذى اعتنق الإسلام حديثا فقد ذكر فى محاضرته التى ألقاها فى تونس عن موضوع الحضارة الإسلامية وأصالتها ومتدادها إلى ما بعدها من الحضارات التى قامت على أساسها واهتدت بنورها ففى محاضرته هذه أورد آراء المشاهير من المنصفين من أمثال أناتول فرانسى الذى سجل فى كتاب الحياة الوردية رأيه فى انتصار شارل وانسحاب العرب ، فذكر عظم « ما خسرته فرنسا حين قاومت الجيوش الإسلامية فى معركة بلاط الشهداء لأن الذين تجمعوا تحت قيادة (شارل مارتل) كانوا من الهمجية المتوحشة بحيث ناصروا الظلام على النور ، فتراجع العلم والفكر من أوروبا بعد أن دق الأبواب بيد القائد المسلم عبد الرحمن الغافقى » .

إن صدور مثل هذا الكلام من مفكر فرنسى له وزنه لهو اعتراف فاضح لدعاية من يزعمون أن الإسلام دين الهمجية ، ولقد نبه جارودى الأذهان من جديد إلى معركة بلاط الشهداء وبيان نتائجها المؤسفة التى أخرت التقدم الأوروبى أربعة قرون على الأقل .

ولقد أوضح جارودى فى حديثه عن بناة الإمبراطورية المزعومين بالاستشهاد برأى كاتب فرنسى مشهور هو البيرلوتى الذى وازن بين همجية جيوش الاستعمار عماما وبين من يسمونهم بالبدائين المتوحشين فى إفريقيا ليثبت أن هؤلاء البدائيين لهم من تقاليد الرحمة والمؤازرة والمواساة للضعفاء ما ليس لأوروبى متحضر سواء كان فى إنجلترا أو فرنسا أو إيطاليا ، أو هولندا أو ألمانيا . وأن الذين يبيدون الآلاف باسم التقدم

---

(١) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

الحضارى هم قتلة وسفاحون ثم ينتقل فى حديثه ويذكر معركة بلاط الشهداء أوتور وبواتييه بعد أن وافق حديثه ما كتبه الأديب الفرنسى الشهير كلوت فاير [1] الذى يذكر فى صراحة تبلغ التحدى السافر فيذكر « أنه فى سنة ٧٣٢م حدثت فاجعة ربما كانت من أشأم الفجائع التى انقضت على الإنسانية فى العصور الوسطى ، هذه الفاجعة التى أمقت ذكرها وهى الانتصار البغيض الذى ظفر به على مقربة من بواتييه أولئك البرابرة المحاربون من الإفرنج بقيادة شارل مارتل على كتائب العرب المسلمين ، ويكفى المرء أن يطوف فى حدائق الأندلس بين الآثار العربية التى لا تزال تأخذ بالأبصار ومما يبدو من عواصم السحر والخيال اشبيليه وغرناطة وقرطبة وطليطلة ليشاهدوا والألم آخذ منهم ما عسى أن تكون بلادنا الفرنسية لو أنقذها الإسلام العمرانى المتسامح وخلصها من الأهاويل التى لا اسماء لها ، وكان من أثر ذلك أن نتج خراب غاليا القديمة فاستبعدها اللصوص من التاريخ بل هو التاريخ الحقيقى الذى يتعلمه المرء بنفسه بما يشاهد من خزائن كتب ويرى من مدن ويجتاز من بحار[2].

ثم يذكر جارودى رأيه بناءاً على مقاله أناتول فرانس الأديب الفرنسى الذى ذكر بأن البربرية الفرنسية أبعدت الحضارة الإسلامية القادمة إلى بواتييه فيقول « إن معركة بواتييه التى ندرس فصولها لأطفالنا فى المدارس ليست معركة حقيقية بل هى مواجهة لم تقع ، لقد حصلت عند مؤخرة الجيوش المقاتلة ، ولا يساورنى أدنى شك فى أنه لو استقر المسلمون فى فرنسا كاستقرارهم فى الأندلس لتغير وجه أوروبا ولأصبحت مسألة الحوار الأوروبى الذى تنادى به اليوم أسهل تناولا وأكثر فعالية » [3].

إذن ليس هناك أى خوف ووجل لو أن العرب انتظروا لحدث فى أوروبا كما

---

(١) محمد رجب البيومى : جارودى والإسلام ، ص٧٢ ـ ٧٥ منمجلة التضامن الإسلامى ، السنة ٣٨ ، جـ٩ ، ربيع الأول / ديسمبر ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

(٢) محمد رجب البيومى : جارودى والإسلام ، ص٧٢ ـ ٧٥ .

(٣) مقال بعنوان حوار مع الفكر الفرنسى غارودى عن مجلة الإصلاح ، السنة الثامنة ، العدد ٩٢ محرم/ سبتمبر ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

حدث فى إسبانيا ، ولصادر القرآن يتلى ويدرس فى جامعات باريس وكمبردج .

إذن فبعد دحض هذه الأقوال المبالغ فيها نرى أنه لم يكن هناك أى دوافع نبيلة وراء تضخيم تلك الأحداث الحربية ، وإذا كان هناك مبرر قوى للمؤرخين الأوروبيين المتعصبين الذين بالغوا فى تقديرهم أهمية تلك المعركة فمن الأجدر للمؤرخين العرب ألا ينزلقوا إلى هذه المبالغة والإسراف والتضخيم[1] .

(١) ومن أمثلة هؤلاء المؤرخين العرب محمد عبد الله عنان الذى ذكر أن العرب فقدوا سيادة العالم بأسره، وتغيرت مصاير العالم القديم فى سهول تور وبواتييه ، عنان ، جـ١ ، ص ١١١ .

الفصل الخامس

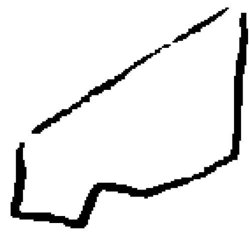
جهاد المسلمين بعد معركة البلاط

أولا : جهاد عبد الملك بن قطن الفهرى .

ثانيا : جهاد عقبة بن الحجاج السلولى .

٧ جهاد عبد الملك
بن قطن
خلف البرتات

← ← ← خط سير الحملة


منطقة
النفوذ
الإسلامي

أولا : جهاد عبد الملك بن قطن الفهرى :

لقد أثبت المسلمون عدم مبالاتهم بواقعة بلاط الشهداء بدليل أن تلك المعركة لم يكن لها أى أثر على مجريات الأحداث من حيث توقف جهادهم خلف جبال البرتات ، فلم يركن المسلمون إلى السكينة بعد تلك الوقعة وإنما تابعوا جهادهم فى جنوب غالة كما حدث من قبل ، وحافظوا على ولاية سبتمانيا من عدوان الفرنجة واتخذوها قاعدة لغزواتهم لبداية توغل جيوشهم فى أرجائها خلال حملاتهم المتعددة على نواحى مدنها ، وسنتناول الخطوات الجهادية خلف البرتات بعد معركة البلاط على يدى عبد الملك بن قطن .

فرغم ما أصاب المسلمين من خطب فى موقعة البلاط ، وما كان من وقع ذلك على مقر الخلافة فى دمشق فإن هذه الهزيمة أشبه برجوع المسلمين أمام أسوار القسطنطينية عاصمة البيزنطيين ، ورغم ذلك كله استمر الخليفة هشام بن عبد الملك فى اهتمامه الكبير بشئون الأندلس ومصير العالم الإسلامى فى الغرب ، فحرص على تولية رجل قدير لبلاد الأندلس ليعمل على حمايتها ويوطد هيبة الإسلام فيها ويستأنف جهاد المسلمين وتوسيعهم فى أوروبا يسترد هيبة المسلمين ، فأسرع فى تولية من يقوم بأمر المسلمين خلفا لسلفه فكانت ولاية عبد الملك بن قطن الأولى[1] .

وقد اختلف فى سنة ولايته فيرى ابن عبد الحكم أثناء حديثه عن ولاية عبد الملك بن قطن أن عبيدة ولى على الأندلس بعد عبد الرحمن ، عبد الملك بن قطن ثم خرج عبيدة إلى هشام بن عبد الملك فى شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة وكان قدوم

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص١١٢ .
السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٣٩ .

عبيدة بن عبد الرحمن من إفريقيا سنة خمس عشرة ومائة وفيها أمر ابن قطن على الأندلس ويؤيده فى ذلك ابن عذارى[2].

ويتفق ابن الفرضى والحميدى والضبى[3] أن ولايته كانت سنة خمس عشرة ومائة بعد عبد الرحمن الغافقى من قبل عبيدة بن عبد الرحمن بإفريقيا وقدم إلى الأندلس فى شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة [4] .

أما صاحب أخبار مجموعة فيذكر أنه ولى عبد الملك بن قطن المحاربى فهر من قريش ولايته الأولى نحوا من ستة أشهر لم تطل[5].

وهكذا تولى الأمير عبد الملك بن قطن الفهرى ، ويعتبر أحد زعماء القبائل اليمنية فى الأندلس إذ كان رئيسا لقبيلة محارب ويعتبر من حزب أهل المدينة وقد شهد يوم الحره[6] وبولايته بدأ دوره للقيام بأعباء الجهاد ، وفى هذا الصدد يذكر شكيب أرسلان : « قام النائب فى الإمارة الذى تركه عبد الرحمن الغافقى فى قرطبة وطير الخبر بهزيمة المسلمين فى بلاط الشهداء إلى القيروان والى دمشق فانزعج الخليفة لهذا الخطب وأرسل أميرا على الأندلس اسمه عبد الملك بن قطن الفهرى وجهز معه

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والأندلس ، ص ٩٣ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص٣٨ .

(٣) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ، ص ٢٦٩ ، الحميدى : الجذوة ص٢٨٧ ، ابن حزم: جكهرة أنساب العرب ، ص٤٥٦ ، الضبى : البغية ، ص٣٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٩ ، المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص١٧ .

(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٥ .

(٦) وقعت عام ٦١هـ فى عهد يزيد بن معاوية وأبيحت المدينة المنورة بواسطة قائد يزيد وهو مسلم بن عقبة المرى وكان من جبابرة العرب ودهاتهم فسار إلى المدينة وفتحها ثم أباحها للجند ثلاثة أيام وأسرف هو وجنده فى القتل والنهب . انظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٦ ص٢١٨ . المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ٩٢ . اليعقوبى : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص ٤ .

جيشا وأمره بالأخذ بثأر المسلمين وشفاء صدور المؤمنين واستنفاد الوسع فى هذا الأمر . فأقبل هذا الأمير على الأندلس يحاول رتق الفتوق ورفوا الخروق وأخذ بجيشه إلى البيرانه)[1].

إذن حرص عبد الملك منذ بداية عهده على أن يكمل فتوحات المسلمين فيما وراء البرتات ولم تفت هزيمة بلاط الشهداء فيه فخرج بالجيش لاستئناف تلك الفتوحات ، فأخذ يعمل على إشعال الحماس فى نفوس جيشه ليخرجوا بنفوس مشتاقة للجهاد ومتأهبة له ، فخطب فيهم خطبة رائعة حثهم فيها على فضائل الجهاد وعلو رتبة الاستشهاد ولكن تلك الخطبة لم تؤت ثمارها فقد فترت حماستهم وهمتهم وكانوا قد رغبوا عن ذلك الأمر[2].

أما الحال بالنسبة للمناطق الشمالية فى الأندلس فإن أهلها قد انتهزوا مقتل عبد الرحمن الغافقى ورجوع جيشه فثأروا وحاولوا أن ينزعوا عنهم الإسلام وحكمه فسار إليهم عبد الملك متجها إلى الثغر الأعلى إلى أراجون Aragon وتقابل معهم فى عدة مواقع هزمهم فيها ثم اتجه بعدها إلى بلاد البشكنس وتعتبر تلك البلاد من أكثر البلاد ضعفا بالثورات والفتن والمشاكل فقام إليهم عبد الملك وحاربهم حتى أرغمهم على طلب الصلح[3] ومن هناك اتجه إلى لانجدوك Laguedoc ، وكان الفرنجة بعد موقعة البلاط يريدون استرجاعها ويحاولون الإغارة عليها لضمها إليهم فقام عبد الملك بعدة تنظيمات هامة ثم اتجه إلى أراضى اكيتانيا Aquitaine وهناك اعترضه الدوق اودو Eude ورده ، ولم يفكر عبد الملك بالتوغل فى أراضى الفرنجة لأن جيشه لم يكن

---

(١) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ، رينو : الفتوحات الإسلامية ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

Sherwani : op. cit., p. 35 .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٤٦ .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ، رينو : المرجع السابق ، ص ٧٢ ـ ٧٣ ، سيد أمير على : مختصر ، ص ١٥٢ .

(٣) ابن الأثير : جـ٥ ، ص ٨٥ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١١٩ ، المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

ليحتمل ذلك لقلته إلى الجنوب وهناك وأثناء عبور جبال البرنات هاجمته العصابات الجبلية من البشكنس وهجمت عليه وحملته الكثير من الخسائر فارتد إلى قرطبة قبل أن يتمكن من إخضاعها فقد كانوا قوما جبليين شديدى المراس قد صبروا على حروب الجبال والعصابات ومرنوا عليها لذلك لم يستطع التصدى لهم فهزموه[١] بالإضافة إلى أن تلك الفترة التى هاجم فيها البكشنس عبد الملك كانت فترة ممطرة فسببت له الأحوال المناخية هزيمة وفشل فى تنفيذ خطته[٢].

أما إذا القينا الضوء على جيوش الفرنجة بعد انتصارهم يوم البلاط فنجد أنه بالنسبة إلى مقاطعة سبتمانيا كانت فى فوضى شاملة بسبب الحروب والاضطرابات التى حدثت بعد هزيمة البلاط ، وانتهز أهلها فرصة تلاشى أمر الدوق لكى يتوزعوا تلك المناطق فيها خوفا من أن يضمها الدوق إليه وقاموا يطلبون معاونة المسلمين .

وكان هناك دوق سمى مارونت أو (موورونتس) Maurontes اتخذ لنفسه لقب دوق مرسيلية Marseille وقام بمحالفة المسلمين ووصلت أطماعه فى السيادة على منطقة البروفانس Provance وكذلك أسقف اوكسير Ouxsr وغيرهم[٣].

أما شارل مارتل فإنه كان قد شغل فى تلك الفترة بتثبيت سلطانه فى ولايتى برجنديا Burgundia وليون اللتين تم له فتحهما ، وكان المسلمون قد تركوا بعد الهزيمة فى فوضى شاملة فقام شارل بضمها إليه وتولية نفر من أتباعه يطلق عليهم المخلصون Laudec أو الخلصاء ، ثم انشغل بإخضاع أهل فريزيا Friso[٤] وقضى وقتا ليس بالقصير ، وقرب إليه جنده وترك ذخائر الكنائس مشاعا لهم[٥].

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص ١١٣ .

(٢) رينو : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(3) Reinaud : op. cit., P. 52 .

(٤) فريزيا Friso شعب جرمانى كانت منازله بين بحر الشمال ونهر الراين الأدنى . للمزيد شكيب أرسلان : غزوات ، ص١٣٥ .

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٧٧ .

والواقع أن أهالي جنوبي غالة رغم انتصارات شارل مارتل على المسلمين كانوا يكرهون الفرنجة ، لأنهم برابرة في نظرهم في حين أنهم كانوا قد تشبعوا بالحضارة الرومانية ، وهكذا كان هناك اختلاف كبير بين سكان جنوبي غالة وشمالها ، فبينما كانت تسود حضارة البحر الأبيض اللاتينية والبيزنطية في الجنوب كانت تسود الطبقة الجرمانية في الشمال ، ولعل هذا هو سر عدم ولاء أهالي البروفانس للفرنجة والجرمان ، فضلا عن أنهم كانوا يكرهون شارل مارتل الذى لم تسلم كنائسهم من نهب رجاله لها [1].

ثم أرسل عبد الملك بن قطن قائده وحاكم أربونة يوسف الفهرى إلى غالة لكى يتمم فتح المدن وأطلقت عليه المراجع النصرانية Jussef فاتفق يوسف مع دوق مرسيليا فعبر نهر الرون واستولى على ارل Arles دون مقاومة عام ١١٧هـ - ٧٣٥م[2] ثم حاصرت الجيوش المتحالفة مدينة فرتا Fretta التى تعرف اليوم بسان ريمى San Remi ثم واصلوا زحفهما حتى بلغوا افنيون Avignon واستوليا عليها ويسميها العرب صخرة ابنيون وتعرف اليوم افنيون ، ووصل المسلمون إلى نهر دايرانس Du-rance أحد فروع الرون وتقع عليه مدينة أفنيون عند نقطة اتصاله بالرون ، وظل المسلمون يتحكمون في البروفانس طوال أربع سنوات لم يجرؤ أحد على منازعتهم أو التدخل في شؤونهم حتى عام ٢٢٤هـ (٨٣٨م)[3].

وهكذا وقف المسلمون عند هذا الحد واستطاعوا أن يحققوا بقيادة يوسف الفهرى

---

(1) Reinaud : op. cit., p. 53 - 54 .
Sherwani : op. cit., P. 58 .
حسين مؤنس : فجر ، ص٢٧٨ ،
شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٦ ، طرخان : المسلمون ، ص١٥٩ .

(2) Fichenau (H.) : The carolingin Empire P. 12 - 13 .
رينو : المرجع السابق ، ص١٣٦ .

(٣) رينو : المرجع السابق ، ص ١٣٦ ، حسين مؤنس : فجر الإسلام ، ص٢٧٨ ، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ ، ص١٤٧ .

استعادة جزء عظيم مما كانوا فقدوه بعد موقعة البلاط[١] ورسموا سياسة جديدة لحكم ما بأيديهم وهى إقامة حاميات قوية فى المدن وتحصين قلاعها واتخاذها مركز للحكم والحرب كما فى أفينون وارل وغيرها[٢] .

لذلك سرعان ما تهيأت الظروف للمسلمين وانتقلوا من الوضع الدفاعى فى جنوبى غالة إلى اتخاذ زمام المبادرة من جديد بتلك المناطق[٣] . وكان أودو دوق اكيتانيا قد توفى سنة ١١٧هـ / ٧٣٥م فقام شارل مارتل بالاستيلاء على بلاده وخضع له أولاد الدوق وأرغمهم على حلف يمين الطاعة والولاء ووافق شارل أن يخلف أودو ابنه هينود Hunaud فى منصب الدوقية من تبعيته لشارل فأقسم على ذلك وصار تابعا له [٤].

أما شارل مارتل فإنه لم يفكر فى لقاء المسلمين بعد معركة البلاط مما يدل على أن تجربة البلاط لم تكن عسيرة على المسلمين وحدهم بل عليه أيضا . وكان هو أعرف الناس بأنه لولا تفطنه إلى حيلة مهاجمة معسكر الغنائم لما استطاع كسب المعركة[٥] .

ونتيجة لكل هذا اطمأن الوالى عبد الملك لجهود قائده يوسف حاكم أربونه ولم يذهب مرة أخرى إلى الة بل اكتفى بمهاجمة قبائل البشكنس بالأندلس وقيل أنهم هزموه فى معركة كبيرة لم تزودنا المصادر بأى تفاصيل عنها[٦] .

---

(١) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص١٦٠ ـ ١٦٢ ، مؤنس : فجر ص٢٧٨ .
Sherwani : op. cit., P. 58 .
(٢) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٨ .
(٣) عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا ، ص١٤١ .
(٤) طرخان : ص١٦١ Levi - Provencal : op. cit., I. P. 63 .
حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٧٨ ، شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .
(٥) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٧٩ .
(٦) صمتت المصادر القديمة عن ذكر الأحداث ولم ترد إلا إشارات عابرة عن عبد الملك لا تفيد الباحث بتفاصيل هذه الأحداث ، لذلك اضطررنا إلى الاعتماد على المراجع الحديثة لاستكمال النقص فى هذه الأحداث .

ويتبين لنا أن أربونة القاعدة الحصينة كانت تؤدى واجبها فى مجاهدة الزعداء وتعزيز الفتح فى بلاد غاله حينما يكون والى الأندلس مشغولا(١).

وغضب عبد الملك لما حدث مع البشكنس وعاد إلى الحدود ولم يتجشم عناء المسير إلى الرون مرة أخرى ، ولكن تلك الهزيمة كانت عاملا مساعدا فى سوء الأحوال(٢) مما أدى إلى تعثره وعدم نجاحه بالإضافة إلى ما عرف عنه من الظلم والعنف(٣) فقد كان رجلا سيء السياسة يصفه المقرى بأنه ظلوما فى سيرته جائرا فى حكومته فعزل عن ولايته ذميما فى شهر رمضن سنة ست عشرة ومائة(٤) بعد أن وصلت أخبر هزيمته إلى إفريقيا ثم إلى دمشق مما أدى إلى التعجيل بعزله وكانت ولاية إفريقيا قد صارت إلى عبيد الله بن الحبحاب فعزله وولى بدلا منه عقبة بن الحجاج السلولى(٥) بعد أن كانت ولاية عبد الملك بن قطن الأولى نحو ستة أشهر لم تطل(٦) أما ابن عذارى فذكر أن ولايته كانت سنين(٧).

ونعتقد أن الرأى الأخير أقرب إلى الصحة والمنطق حيث أن الأعمال الحربية التى نمت فى عهده سواء فى الأندلس أو فى غالة لا يمكن أن تكون قد استغرقت ستة أشهر فقط .

وخلاصة القول أن الانتصارات التى حققها عبد الملك بن قطن فى الثغر الأعلى

---

(١) السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٤١ .
(٢) مؤنس : فجر ، ص٢٧٩ .
(٣) أجمع المؤرخون القدماء على وصف ابن قطن بالظلم والعنف وسوء السياسة رغم أن الأعمال التى قام بها لا توضح ذلك حيث أنه حقق نجاحا طيبا فى منطقة البروفانس على يد قائده يوسف الفهرى فى ولايته الأولى .
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ٢ ، ص ٢٩٣ ، ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والأندلس ، ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١١٩ ، المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، الجزء الرابع ، ص١٨ .
(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .
(٦) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٥ .
(٧) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص ٢٨ .

وجهاده ضد البشكنس الذين اتصفوا بحب الثورات والقلاقل والفتن أدى إلى رفع الروح المعنوية فى الجيوش الإسلامية والخلافة الأموية ، ولكن توغله فى أراضى الفرنجة مع قلة عدد جيشه ثم ارتداده لما علم عدم قدرة جيشه على مواصلة القتال وانهزامه أثناء عبوره جبال البرتات على يد البشكنس مع ظلمه وتشدده جعلت والى إفريقيا يعزلـه خوفا مـن زيادة تفتيت الجيوش الإسلاميـة وتوسيـع عصيان الأقطار الأخرى .

٨ جهاد عقبه بن الحجاج
السلولى
خلف البرتات

خط سير الحملة

منطقة
النفوذ
الاسلامى

ثانيا : جهاد عقبة بن الحجاج السلولى :

بعد عزل عبد الملك بن قطن الفهرى [1] ولى عبيد الله بن الحبحاب عقبة ابن الحجاج السلولى الأندلس . أما لماذا أختار عقبة لولاية الأندلس فهناك رواية أوردها كل من ابن عذارى وصاحب أخبار مجموعة تتلخص فى أن عبيد الله بن الحبحاب عامل مصر وإفريقيا قدم عليه عقبة بن الحجاج « وكان مولاه فأكرمه ، وبره ، ورفع شأنه وقدره ، وأنزله فى مكانه وخيره فى ولاية ما شاء من سلطانه ، وكان الحجاج أبو عقبة قد اعتنق الحبحاب أبا عبيد الله فولى هشم بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب مصر وإفريقية والأندلس فكان له من العريش إلى طنجة إلى بلاد السوس وطنجة والثالث بالأندلس وما بين ذلك ، وكان أحد بنيه بمصر والثانى بالسوس وطنجة والثالث بالأندلس وكان عبيد الله بإفريقيا ، فلما شرف عبيد الله ، وعلت منزلته وانتشر ذكره وفد عليه مولاه عقبة فأجلسه معه على فراشه ، وأدناه من نفسه وقربه حتى عظمت منزلته فى الناس ، فكان يقصده الطالبون وذوا الحاجات ، يتوسلون به إلى عبيد الله فغصّ به بنو عبيد الله وقالوا لوالدهم : « اصرفه عنا لئلا يكس شرفنا » فما زاده ذلك عنده إلا تعظيما وتكريما وخيره فى ولاية ما شاء من سلطانه فاختار الأندلس فولاه عليها »[2] .

وفى رواية مؤلف مجهول : أن عقبة اختار الأندلسى وقال إنى أحب الجهاد وهى موضع جهاد[3] .

هذا ما كان من أسباب اختيار عقبة لولاية الأندلس سنة ١١٦ هـ[4] .

---

(١) وقيل أن عبيد الله بن الحبحاب لم يعزل عبد الملك بن قطن لخيانة أو لنقمة ولكنه أراد أن يسر عقبة بن الحجاج بولايته لذلك عزله وولى عقبة بدلا منه . انظر عمر فروخ : العرب والإسلام ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص ٢٩ .

(٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٧ .

(٤) ابن عذارى : جـ٢ ، ص ٢٩ .

ويذكر المقرى نقلا عن ابن بشكوال : أن عقبة دخل الأندلس سنة سبع عشرة ومائة وقيل فى السنة التى قبلها[1].

وكان هذا الرجل من طراز كبار الفاتحين العظماء أمثال السمح بن مالك وعنبسة بن سحيم وعبد الرحمن الغافقى يتصف بالتقوى والشجاعة والعزيمة وحب الجهاد .

ويصفه ابن عذارى بأنه كان « صاحب بأس ونحدة ونكاية للعدو وشدة وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه دين الإسلام ويقبح له عبادة الأصنام فيذكر أنه أسلم على يديه ألف رجل »[2].

ولقد أعاد عقبة إلى الأذهان الصورة التقية الورعة المجاهدة لولاة الأندلس المجاهدين الكبار ممن سبقوه إذا استمر طوال ولايته التى بلغت الخمس سنوات يجاهد المشركين فى كل عام ويفتتح المدائن حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونه (الرون)[3].

وكان عقبة جنديا عظيما نافذ العزم والهيبة محمود الخصال والسيرة كثير العدل والتقوى[4] فأقام النظام والعدل ورد المظالم وقمع الرشوة والاختلاس ، وعزل الحكام الظلمة والقاهم فى غيابة السجن ، وأقام مكانهم حكاما من ذوى الحزم والنزاهة ، وأنشأ كثيرا من المدارس والمساجد فاستقرت الأحوال وخبت الفتنة وتراضت القبائل واعتزم عقبة أن يعيد عهد الجهاد والفتوحات العظيمة وراء البرت[5] لأنه كان يتقد حمية على الإسلام ويرى فى الجهاد قرة عينه[6] . فحرص على أن يصلح كل ما لم

---

(١) المقرى : النفح ، المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص ١٨ .
(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص ٢٩ .
(٣) المقرى : المجلد الثانى ، جـ٤ ، ص ١٨ .
(٤) المقرى : المجلد الثانى ، جـ٤ ، ص ١٨ .
(٥) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص ١١٣ .
(٦) شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٦ .

يصلحه عبد الملك[1] وأن يلم شعث المسلمين فصرف همه إلى اقرار الأمور وتهدئة الأحوال ثم الاستعداد للجهاد وقد بدأ النشاط الحربى الإسلامى فى سبتمانيا يأخذ صورة قوية وفى هذا الصدد يذكر صاحب أخبار مجموعة « أن عقبة افتتح الأرض حتى بلغ أربونة وافتتح جليقية والبة وبنبلونه ولم يبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة[2] .

ثم قام عقبة بلااهتمام بتحصين جميع المواقع التى يجب تحصينها بعد الفتح فاتجه إلى لانجدوك Languedoc حتى ضفاف الرون Rhone ثك شحنها بالمقاتلة وتوجه إلى شمالى الجزيرة وجعل أول اهتمامه القضاء على الثوار فى اشتوريش[3] .

ويبدو أن عقبة كان ينوى القيام بحركة كماشة على تلك المنطقة للقضاء كلية على الاضطراب السائد فيها بأن يبدأ بمهاجمة نبره (بمبلونه Pamplona ثم يواصل زحفه غربا إلى كنتيريه Cantabria (البه والقلاع) ثم يتجه إلى اشتوريش Asturias فى الوقت الذى تعاونه فيه الحاميات الإسلامية المقيمة فى جليقية فى الغرب بالزحف شقا فيضعف بذلك مقاومة المسيحيين فى تلك النواحى بتشتيت جهودهم وتفريق قواتهم للدفاع عن أنفسهم فى جبهتين ، وعلى هذا النحو بات مسيحيو اشتوريش وكنتبريه ونبره على وشك أن يواجهوا ضغطا قويا من جانب المسلمين ويشعروا من جديد بقوتهم ووجودهم[4] .

وحسب تلك الخطة اقتحم عقبة أراضى بمبلونه وفتحها وأقام فيها حامية إسلامية ثم أسكن المسلمين هنك[5] . وصارت بمبلونة تابعة للحكم الإسلامى مباشرة . ومن

---

(١) يزعم د. حسين مؤنس أن عبد الملك كان أفسد الأمور ونفر أهل الأندلس عربا وغير عرب مسلمين وغير مسلمين . مؤنس : فجر ، ص ٢٨٠ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٧ .

(٣) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٠ .

(٤) عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة الأسبانية ، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ، ابن عذارى : جـ٢ ، ص ٢٩ .
المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٢٠ ، جـ٤ ، ص ١٨ .

بمبلونه تابع تقدمه غربا وهاجم أراضى كنتبريه وفتح جزءها الشرقى المعروف بالبه Alava [١].

ولما أوفى غايته فى هذه الناحية انحدر إلى الشرق فنزل سرقسطة ومنها نحو البرتات وغالة [٢].

وفى هذا يذكر صاحب أخبار مجموعة فى حديثه عن عقبة وفتوحاته « ولم تبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة فإنه لاذ بها ملك يقال له بلاى فدخلها فى ثلاثمائة راجل فلم يزل يقاتلونه ويغاورونه حتى مات أصحابه جوعا وترامت طائفة منهم إلى الطاعة فلم يزالوا ينقصون حتى بقى فى ثلثين رجلا ليست معهم عشر نسوة فيما يقال إنما كان عيشهم بالعسل ولاذوا بالصخرة فلم يزالوا يتقوتون بلاعسل معهم جباح والنحل عندهم فى خروق الصخرة احتوزوا وأعيا المسلمين أمرهم فتركوهم وقالوا ثلثون علجا ما عسى أن يكون أمرهم واحتقروهم ثم بلغ أمرهم إلى أمر عظيم »[٣].

ومن ثم حرص عقبة على تحصين جميع المواقع الإسلامية بالأندلس حماية لظهر الجيوش المقاتلة فى غالة واتخذ من مدينة سرقسطة Zaragoza مركزا لتجمع الجيوش والاتجاه بهم إلى خلف البرتات ، متخذا من الثغر الأعلى قاعدة للانطلاق إلى غالة[٤].

وواصل عقبة فتوحاته حتى بلغ بالمسلمين اربونة وصار رباطهم على نهر ردونه «وكان قد اتخذ بأقصى ثغر الأندلس الأعلى مدينة يقال لها اربونة كان ينزلها للجهاد»[٥] واعد عقبة جيشا عظيما ليدخل به منطقة سبتمانيا وكانت القوات

---

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٧٣ .
Codera : op. cit., 8. P. 121 .
(2) codera : op. cit., 8. P. 122 - 123 .
(٣) أخبار مجموعة ، ص ٢٨ .
(٤) وهذا يؤكد أن المؤرخين قد تغالوا فى الحكم عليه .
(٥) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١١٩ . المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، الجزء الرابع ، ص١٨ .

الإسلامية المرابطة في أربونة بقيادة عبد الرحمن بن علقمة اللخمي [١] الموصوف بفارس الأندلس تنويها بشجاعته الفائقة[٢] .

وقد حرصت هذه القوات على القيام بواجبها أيام ولاية عقبة بعد ما رأت ما تكبدته الجيوش الإسلامية في معركة بلاط الشهداء[٣] .

وكان الدوق موورنتو مورنتوس Maurontes أمير بروفانس أقوى زعماء هذه المنطقة يحكم ما بين الرون وجبال الألب يطمع في توطيد استقلاله وتوسيع رقعة بلاده على نحو ما كان يفعل أودو دوق أكيتانيا مع العرب لذلك حرص على الاتصال بعبد الرحمن اللخمي وتحالف معه عام ١١٨هـ / ٧٣٦م . وعبر معا في جيش مشترك[٤] .

وكان المسلمون بعد أن ثبتوا أقدامهم في بروفانس قد تحصنوا في المدائن الكبرى وحولوها إلى رباطات ثم جعلوا يرقبون الحوادث ، فلما أقبل عليهم عقبة بحماسه ورغبته في الجهاد نهضوا معه لفتح البلاد[٥] واستولوا على مدينة ارل Arles [٦] ثم اتجهت جيوش عقبة إلى افينون Avignon رغم حصنتهم فضمت إليهم [٧] ثم اتجه إلى إقليم دوفينه Dauphine واستولى عقبة على سان ـ بول ـ تروا ـ Saint - Paul Trois Chateaux _ ودونزير Donzair [٨]، ثم اتجه نحو الشمال فاستولى على اوسيز Ozes وفنيبه Viviers وفالانس Valnce وفيين Vienne وليون Lyon وبرجنديا Burgundy [٩] وامتد نفوذ الإسلام إلى إقليم دوفينه حتى وصل إلى مدينة

---

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٣ .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثاني ، القسم الرابع ، ص ٢٠ ـ ٢١ .

(٣) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨١ ، شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٣٧ .

(٤) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص ١١٥ .

(٥) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٠ .

(٦) السامرائي : الثغر الأعلى ، ص ١٤٣ .

(٧) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٥٦ .

(٨) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٠ ـ العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ٢٠٠ .
Sherwani : op. cit., P. 59 - 60 - Reinaud ; Op. cit., P. 57 .

(٩) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص ١١٥ .

بيدمنت Bedment شمال إيطاليا ، وصارت المنطقة الواقعة ما بين الرون وجبال الألب بلادا إسلامية(١) .

وهكذا بدأ المسلمون باستعادة مراكزهم في غالة بعد أن استطاعوا تثبيت سلطتهم في كل من سبتمانيا وبروفانس وبرجنديا .

وكان هذا التقدم دليلا أكيدا على عظم مقدرتهم على الاستمرار في الفتوحات في غالة وعدم استكانتهم بعد بلاط الشهداء . وإنما واصلوا وتابعوا جهادهم وحافظوا على سائر ممتلكاتهم بل ضموا إليها ممتلكات جديدة(٢) .

ويبدو أن احتفاظ المسلمين بمنطقة برغنديا تلك الفترة الطويلة ساعدهم على تحويل جهادهم من الطريق البرى إلى الطريق البحرى وساعدهم ذلك على السيطرة على الموانئ البحرية في جنوب غالة مثل مرسيلية Marselie وماجلون Ma-gallona(٣) .

ولنا أن نتساءل هل لشارل مارتل بعد انسحاب المسلمين من بلاط الشهداء أن يترك المسلمين يستجمعون قواتهم ويستولون على المدن ويتقدموا في زحفهم حتى لاقوه مرة أخرى ؟ وللجواب على ذلك نذكر أن شارل كان مشغولا بحروبه ضد السكسون لذلك لم يستطيع التصدى للمسلمين ولكن بعد أن انتهت حروبه بهدنة مؤقتة عام ١١٩هـ / ٧٣٧م . استطاع التفرغ والسير نحو الجنوب(٤) ولكنه خشى ألا يواتيه الحظ كما حدث في بلاط الشهداء فأرسل يستنجد بملك اللومبارديين في إيطاليا لويتبراند Luitprand ليعاونه بجيشه في قتال المسلمين التحالفين مع دوق مرسيليا والمسيطرين على جبال دوفينه وبيدمنت شمال إيطاليا . ثم أرسل أخاه شيلدبران Childabrand لمهاجمة المسلمين في افينون Avignon واسترجاع ليون وإخراج

---

(١) مؤنس : فجر ، ص ٢٨١ .

(2) Reinaud ; Op. cit., P. 57 .

(٣) انظر ماسيلى من الأحداث عن اتجاههم بحريا .

(٤) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨١ .

المسلمين فى افينون Avignon وشددوا الحصار واستطاعوا فتح المدينة عنوة [1] ثم زحفت جيوش الفرنجة صوب مدينة أربونة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م وحاصروا أسوارها وكان أميرها حسب روايات الغربيين يدعى اتيما Athima ولعله ابن علقمة ، أو الهيثم[2] أو هرثمه[3] .

ولما ترامت هذه الأخبار إلى عقبة أرسل جيشا عن طريق البحر نظرا لوجود البشكنس والقبائل الجبلية على طول جبال البرتات مما شكل حاجزا يمنع ذهاب المسلمين إلى مراكزهم فى سبتمانيا برا[4] فلم يبق للقوات الإسلامية فى غالة إلا أن تتصل بمراكزها فى الأندلس عن طريق البحر فقط[5] بقيادة رجل يدعى عمر أو عمرو بن أو عامر بن الليث Amor Iben Ailet [6] .

ويبدو أن شارل مارتل قد علم بوصول النجدة ففاجاه على نهر برى (بير) Berre Fluvio على بعد فراسخ من مدينة أربونه واستطاع أن ينزل بهم هزيمة قوية ، قضى عليهم فيها وقتل قائدهم ولم ينج من المسلمين سوى أفراد قلائل استطاعوا بعد صعوبات جمة من الوصول إلى سفنهم . أما الباقون فاتجهوا إلى أربونة[7] .

وحاول شارل مارتل الاستيلاء على أربونة ولكن أهلها تصدوا له واستماتوا فى الدفاع عنها فاضطر راغما إلى رفع الحصر خصوصا بعد أن بلغه قيام الفريزيين والسكسون بالثورة عليه ، وبعد أن أحس بموقف أهل غالة العدائى منه أراد الانتقام

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص ١٤٨ ، ارسلان : غزوات ، ص١٣٧ .
Sherwani : op. cit., P. 57 .

(٢) شكيب ارسلان : غزوات ، ص ١٣٨ .
Sherwani : op. cit., P. 61 .

(٣) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص ٤١٨ ، أرسلان : غزوات ، ص ١٣٨ .
Reinaud : op. cit., P. 59 - 60

(٥) سالم : تارخ ، ص١٤٨ .

(٦) حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٢ .

(٧) مؤنس : فجر ، ص ٢٨٢ .

منهم ليعزى نفسه عن فشله أمام حصون أربونة فقام بالعسف والخراب[1] لكل ما يصادفه ، ولم يبق عامرا إلا خربه ، وكان مما خربه حصون بيزييه Beziers واجد Agde ونيم Nimes وماجلون Magallona .

وقد لقيت ماجلون من الويلات الشيء الكثير فهدت أسوارها ، وأطلقت عليها النيران ، مع أن هذه المدن أيام الحكم الإسلامى كانت زاهرا باسمه فحولها شارل إلى فقر ودمار ، وأسر من كان بهذه المدينة من المسلمين وأهل غالة ثم قادهم كرهائن يستخدمهم فى الوقت المناسب حتى يرغم أهالى سبتمانيا على خذلان المسلمين وعدم الوقوف معهم[2] .

وما كاد شارل يعود إلى الشمال حتى ظهر موررونت دوق مرسيليا Meurontus وأخذ يجدد علاقاته مع المسلمين[3] .

وفى ربيع سنة ١٢١هـ/ ٧٣٨م عبر عقبة بن الحجاج جبال البرتات بجيش ضخم ونفذ به إلى سبتمانيا Septimanie ثم عبر الرون واسترد مدينة ارل Arles للمرة الثالثة أو الرابعة ثم استولى بمعاونة الدوق مونتوس على افينون Avignon وعدة معاقل أخرى فى البروفانس[4] .

وفى تلك الأثناء كان شارل مشغولا بمحاربة السكسون فأرسل أخاه شبلدبراند Chibrand واستغاث بصهره ليتوبراند لغزو بروفانس من جهة الشرق لكى يضيق على قوات الدوق ، ثم اتجه شارل إلى الرون بجيش ثالث واجتمعت الجيوش الثلاثة وزحفت على مواقع المسلمين ، أما عقبة فاضطر إلى إخلاء البروفانس والارتداد إلى ما وراء

---

(١) مؤنس : فجر ، ص٢٨٢ . ارسلان : غزوات ، ص ١٣٨ .
(٢) وكان أهالى غاله يفضلون المسلمين على الفرنجة كثيرا لحسن معاملتهم ولرفعة حضارتهم ، العدوى: المسلمون والجرمان ، ص ٢٠١ . حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٨٤ . شكيب أرسلان : غزوات ، ص١٣٨ ـ ١٣٩ .
(٣) شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٠٤ .
(٤) عنان : دولة ، جـ١ ، ص ١١٦ .

الرون ، وقام الفرنجة بالاستيلاء على معظم سبتمانيا حتى لم يبق بيد المسلمين سوى أربونة ورقعة صغيرة من الأرض على الشاطئ بين أربونة والبرتات[1] .

أما دوق مرسيليا فقد طارد الفرنجة فى شعاب الجبال حتى فر ناجيا بحياته واستولى الفرنجة على أراضيه وقضوا بذلك على آماله فى إقامة دولة مستقلة بعاونة المسلمين[2] .

أما عقبة ففى طريقه هاجمته العصابات القوية من البشكنس والقوط فى أثناء عبوره جبال البرتات إلى الأندلس وحاولت بتحريض الفرنجة أن تسد الممرات دونه ، فاضطر إلى محاربتها ولكن رغم عجزه فى الانتصار عليهم استطاع أن يصل سالما إلى قرطبة رغم تلك الصعوبات التى اعترضته[3] .

وهكذا أصبح شارل مارتل أقوى شخصية فى غرب أوروبا بعد انتصاره على المسلمين وعلى السكسون ، ولم يعد شارل يقف وراء الملك بلباس محافظ القصر ، بل كان هو الملك الفعلى فى نظر الفرنجة لو لم يتخذ هذا اللقب رسميا[4] .

وحالفت الظوف شارل مارتل حين مات الملك الميروفنجى فأمسك بيده كل أطراف السلطة وجمد منصب الملك ليتاح له ولأبنائه أن يكونوا ملوك المستقبل .

ثم ابتسم الحظ بوافاة شارل مارتل عام ١٢٣هـ/ ٧٤١م حيث استقرت الأمور لتسفر عن تولية ابنه بيبين الثانى Pepin le Bref (القصير) ولكن ظروف وأحوال المسلمين فى تلك الفترة لم تمكنهم من انتهاز مثل هذه الفرصة فرصة موت شارل

---

(١) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١١٦ . العدوى : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) أرسلان : غزوات ، ص ١٤٠ .

Edward James : op. cit., P. 152 .

Sherwani : op. cit., P. 59 - 60 . Reinaud. op. cit., P. 63 .

(٣) عنان : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٤) إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ١٦٣ .

نظرا لقيام الفتنة الكبرى بين العرب والبربر فى إفريقيا والأندلس[1] - والتى سيأتى تفصيلها فى الفصل السادس - فتوقفوا عن إمداد حامياتهم فى غالة وتركوا أربونة بدون حامية لأن حاميتها أصبحت مددا للمسلمين فى فتنهم بالأندلس بعد مقتل عبد الملك بن قطن فى ولايته[2].

وتوفى عقبة سنة ١٢٣هـ/ ٧٤١م[3] وقيل أنه لم يتوف بل ثار عليه عبد الملك ابن قطن[4] وانتهت ولايته نهاية غامضة .

وفى هذا الصدد يذكر المقرى نقلا عن الرازى : « فثار أهل الأندلس بعقبة فخلعوه فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومائة فى خلافة هشام بن عبد الملك وولوا على أنفسهم عبد الملك بن قطن وهى ولايته الثانية[5].

فكانت ولاية عقبة للأندلس ستة أعوام وأربعة أشهر إذ توفى فى صفر سنة ١٢٣هـ[6].

هذا ما كان من جهاد المسلمين على يدى عقبة الرجل الذى اشتهر بحسن السيرة

---

(١) شكيب أرسلان : غزوات ، ص ١٤١ - ١٤٢ . سالم : تاريخ ، ص ١٤٩ .

(٢) أدى خروج عبد الرحمن بن علقمة فارس الأندلس من اربونه وخوضه فى الانقسامات القبلية وصرف طاقة جيشه الذى قدر بأربعين ألفا فى أمور لا تخدم الإسلام وفريضة الجهاد . فخسر اربونه خيرة المجاهدين ، وكان من الأولى أن يستشهدوا فى سبيل الله وأن يستردوا المدن التى سيطر عليها الغاليون على طول نهر الرون ، كما أدت هذه الاضطرابات إلى إماتة روح الحماسة فى الجند المرابط فى أربونة ، ثم خروج بعض المدن مثل نيم وماجلون وبيزيه واستقلالها ، كما استقلت بعض إمارات البرتات مثل النافار وكنتبريه .
للمزيد . شكيب أرسلان : ص١٤٢ - ١٤٤ . السامرائى : الثغر ص١٤٧ . مؤنس : بلاى ، ص٧٦ - ٧٧ .

(٣) مؤنس : فجر ، ص ٢٨٧ . عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص ١١٦ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٩ . النويرى : نهاية الأرب ، ورقة ٢٢ . المقرى : المجلد الأول ، القسم الزول ، ص ٢٢٠ .

(٥) المقرى : المجلد الثانى ، المجلد الرابع ، ص ١٨ .

(٦) المقرى : المجلد الثانى ، جـ٤ ، ص ١٨ .

والرفق والعدل بالناس وقضى معظم ولايته فى الجهاد واتسعت فتوحاته وكان يجاهد كل عام ولا يترك فرصة دون أن يحارب فى سبيل الله ، وهناك حقيقة هامة يجب ذكرها وهى أنه بالرغم عما قيل عن شخصية عقبة وبلائه فى الحروب وحسن جهاده إلا أن الرواية الإسلامية التى لدينا والمتمثلة فيما أورده المقرى وابن عذارى ومؤلف مجهول لم تلق الضوء الكافى لتوضيح الصورة الجهادية العظيمة لعقبة ، وكل ما كتب عن تلك الفترة يعتمد على الروايات الأوروبية التى لا تبعد عن المبالغة وتضخيم وتهويل الأحداث التى ترتبط بانتصار الفرنجة على جيوش عقبة فى غالة .

الفصل السادس

أسباب تعثر الجهاد خلف البرت

أولا : اثر توزيع السلطة فى جهاد الطلائع خلف البرت .

ثانيا : أثر العصبية القبلية .

ثالثا : أثر ثورة البربر فى تعثر الجهاد خلف البرت .

رابعا : أثر التجمع المسيحى فى اشتوريش وغاليسيه .

أولا : أثر توزيع السلطة فى جهاد الطلائع خلف البرت :

كان لاستدعاء موسى بن نصير وطارق بن زياد وهما على أبواب جبال البرت أكبر الأثر فى عدم اتمام الفتح الإسلامى وتثبيته فى شبه الجزيرة الأندلسية[1] ولكن هذا لا يعنى توقف الجهاد الإسلامى بل حرص الولاة الذين جاءوا من بعدهما وخصوصا عبد العزيز بن موسى بن نصير الذى نلمس فى ولايته مدى حرصه على بذل الجهود الواضحة لاتمام مسيرة المد الإسلامى إلى ماوراء جبال البرت وانتقال ميدان الجهاد إلى الأرض الكبيرة .

ولا يخفى أن اغتيال عبد العزيز بن موسى كان فاتحة عهد مضطرب ومشوش فى تاريخ الولاية الأموية فى الأندلس وفى تاريخ المد الإسلامى فيما وراء البرتات ، فقد كان من أبرز سمات تلك الفترة عدم الاستقرار السياسى والتناقضات القبلية والعنصرية التى وجدت طريقها للظهور والانفجار خصوصا بعد فراغ السلطة فجأة من كبار رجالها ومؤسسيها من أمثال موسى وطارق وعبد العزيز[2] .

وتعد فترة الولاة التى بدأت بعودة موسى وطارق ٩٥هـ/ ٧١٤م إلى عاصمة الخلافة بدمشق إلى أن انتزع الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) مقاليد الحكم فى البلاد عام ١٣٨هـ/ ٧٥٦م من أصعب الفترات فى تاريخ الأندلس ، فعلاوة على الصراع الذى تميزت به فقد كانت فترة تثبيت للإسلام فى تلك المعاقل النائية ، وكانت الأندلس حتى ذاك الوقت تعد إمارة غير مستقلة عن الخلافة فى دمشق[3] . وكا يتبعها من حكومة إفريقيا إذ كانت الحكومة الإسلامية مرجعها القيروان فى إفريقيا .

وكانت حكومة إفريقيا تابعة لدمشق دار الخلافة الإسلامية فلم يكن من الممكن فى ظل سلطة موزعة بين دمشق والقيروان وقرطبة إلى هذا الحد وهذا التعدد أن يستتب

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٦ .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ٢١٩ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١١٨ .

النظام بالأندلس وأن يقوم على الطاعة رجال نشؤوا فى ظلال السيوف والقوة [١].

وبالإضافة إلى توزيع السلطة بين ثلاث مراكز ، لم تكن هناك قاعدة ثابتة أو نظام واضح يتبع عند تولية الحكام وهذا يكفى لأن يكون سببا من أسباب شيوع الأطماع والفوضى فبالرغم من أن الأندلس كانت ولاية تابعة لحاكم أفريقيا العربى الذى يعين لها من يختاره إلا أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة دائما إذ كانت الخلافة فى دمشق كثيرا ما تتدخل دون علم ورأى الحاكم فى إفريقيا لتولى وتعزل من تشاء .

وفى هذا الصدد يذكر ابن خلدون أنه بعد اغتيال عبد العزيز بن موسى وتوليه أيوب بن حبيب « تتابعت ولاة العرب على الأندلس فتارة من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله على القيروان »[٢].

كما حدث فى ولاية السمح بن مالك الخولانى فنجد أن ولايته جاءت من قبل الخلافة مباشرة أى من قبل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه[٣].

ولا يعنى ارتباط ولاية الأندلس بأفريقيا وبالخلافة المركزية فى العاصمة دمشق الرغبة فى أموال هذا البلد الطائلة بل العكس لم يثبت أن الأندلس حولت أموالها إلى دار الخلافة قط . لذلك اعتبرت الأندلس إمارة غير مستقلة تتبع الخلافة الأموية بدمشق ويحكمها وال يتبع والى إفريقيا من الناحية الإدارية[٤].

ولو تتبعنا تلك الفترة التى تعرف بفترة الولاة ٩٢ ـ ١٣٨هـ ، لوجدنا أنه تولى خلالها اثنان وعشرون واليا ، حكم واحد منهم مرتين ومعنى ذلك أن متوسط مدة الوالى كانت أقل من سنتين وهذا وحده كاف لإعطائنا فكرة عن عدم الاستقرار الذى ساد البلاد فى تلك الفترة[٥].

---

(١) إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٩٠ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١١٨ .

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح ، ص٣٨ .

(4) Harron Khan Sherwani : P. 29 .

(٥) المقرى : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

وإذا تتبعنا طريقة تعيين هؤلاء الولاة(١) وجدنا أنها قد اختلفت من واحد لآخر فهناك تعيينات مباشرة من قبل الخلافة فى دمشق كما فى حالة السمح بن مالك الذى أمر بتعينه الخليفة عمر بن عبد العزيز(٢) ومنهم من عين من قبل ولة شمال إفريقيا كما فى حالة الوالى عنبسة بن سحيم الكلبى ويحى بن سلمه الكلبى وحذيفة بن الأحوص الأشجعى وعثمان بن أبى نسعة الخثعى وعقبة بن الحجاج السلولى(٣).

وهناك تعيينات فرضت من قبل مسلمى الأندلس أنفسهم ومن أمثلة هؤلاء بلج بن بشر القشيرى وثعلبة بن سلامة العاملى وثوابة الجذامى الذين اختيروا من قبل الشاميين بالأندلس(٤).

وهناك مجموعة أخرى اختيرت تبعا لرغبة الأغلبية من المسلمين فى الأندلس أمثال أيوب بن حبيب اللخمى ، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقى (فى ولايته الأولى) وعذرة بن عبد الله الفهرى ومحمد الأشجعى ، ويوسف الفهرى(٥).

وهكذا كانت عملية تولية الولاة وعزلهم بتلك الصورة السريعة ذات أثر فى

---

(١) أورد الماوردى فى الأحكام السلطانية بابا فى تقليد الإمارة على البلاد وذكر أنه إذا قلد الخليفة أميراً على أقليم أو بلد كانت إمارته على ضربين عامة وخاصة . فأما العامة فعلى ضربين : إمارة استكفاء تعقد عن اختيار ، وإمارة استيلاء تعقد عن اضطرار .
فأما الإمارة الخاصة : فهو أن يكون الأمير مقصور الإدارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة ، والذب عن الحريم .
وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام والجبايه والخروج والصدقات . وأما إمارة الاستيلاء التى تعقد عن اضطرار فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها .
وهذه هى أنواع الإمارات .
للمزيد انظر : الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٠ ــ ٣٣ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص ٢٦ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص ٢٩ ــ ٣٤ . مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١١٨ . المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص٢١٩ ــ ٢٢٠ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٠ ــ ٤٤ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص ٣٤ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٧ ــ ٢٩ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١١٨ . المقرى : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ .

اضطراب حبل الإدارة ، وفى توقف الجهاد فيما وراء جبال البرتات ، لأن الثبات فى المنصب شرط من شروط نجاح حركة الجهاد . فلما صار الحكم إلى بنى أمية فى قرطبة واستقر بها ملكهم وتوطد سلطانهم ورسخت الهمم واستتبت القواعد وعظمت الدولة بالأندلس وانضبط أمر الجزيرة[1] .

ونتيجة لتردد تبعية الأندلس بين الأشراف المباشر للخلافة عليها وبين ولاية الشمال الإفريقى حسب حاجة الأندلس والأحوال فى الداخل والخارج كانت النتيجة اضطراب الأمور وسوءها لذلك نجد أن توزع السلطة بين المراكز الثلاثة وما يفصل بينهما من مسافات شاسعة كان له أعظم الأثر فى تعثر جهاد الطلائع الإسلامية خلف جبال البرتات ، بالإضافة إلى الاضطرابات السياسية العامة لبنى أمية التى سادت بعد وفاة الوليد بن عبد الملك ، ووقوع البلاد فريسة للعصبات القبلية والشخصية فكان لابد لهذا كله من أن تظهر آثاره جلية فى القلق[2] .

والاضطراب الذى ساد المغرب والأندلس فى تلك الفترة[3] وبالإضافة إلى ذلك هناك مشاكل الحكم فى الأندلس نفسه فهو بلد فسيح دخله المسلمون فى وقت بلغت فيه مظالم القوط ذروتها فى الاضطهاد والجبروت فكان على المسلمين أن يعالجوا مشاكل جمة ومهمات ضخمة بجانب اتمام الفتح وإقراره مواكبة للتبدل الذى طرأ على الأندلس بعد انتشار الإسلام .

وكان نتيجة لتفشى مظاهر الضعف فى السلطة المركزية فى دمشق أن حرمت بلاد الأندلس المرتبطة بتلك المراكز من التوجيه الصالح والإدارة الطيبة فانصرف الولاة عن الأعمال الهامة التى تتطلب منهم الموقف الراهن فى ولايتهم ، وخصوصا حين نعلم

---

(١) شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ١ ، ص ٢٤٦ .

(٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ . حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤٢ .

(٣) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٣٢ ـ ١٣٤ . مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ . العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٥٩ .

أن الأحوال فى غرب الدولة الإسلامية ، وفى الأندلس خاصة تحتاج إلى جهود جبارة لإقرار النظام وتدعيم سلطان الخلافة بكل منها قبل الشروع أو التفكير فى مشاريع حربية خلف جبال البرت ذلك أن هذا الميدان البعيد لن يتم فتحه إلا على سواعد المسلمين القوية في غرب الدولة . كما أنه لا يمكن الاستمرار فى متابعة النشاط الحربى فيه دون تأمين القاعدة والأساس الذى تستطيع أن تنطلق منه الإمدادات اللازمة لحاجة التوسع الإسلامى فى الأرض الكبيرة ، ولابد أن يكون ذلك ماثلا أمام أعين ولاة الأندلس لاتخاذ كافة الاحتياطات وخصوصا حين نعلم أن تلك الفترة ظهرت فيها بعض الفتن والقلاقل بين طبقات المجتمع الجديد فضلا عن ظهور مطامع القوط[1] .

ومن الواقع أن هناك قضية هامة ذكرها معظم مؤرخى الإسلام وهى قضية خوف الخليفة عمر بن عبد العزيز على المسلمين فى غالا « فقد كان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم[2] وطلب من واليه هناك السمح ابن مالك الخولانى » أن يكتب له بصفتها وانهارها وبحارها »[3] .

وليس معنى تخوف الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على المسلمين أن يتوقف جهاد المسلمين فيما وراء البرت ولكنه يؤكد مدى حرصه على قوة المسلمين والمحافظة على أرواحهم إلى جانب ذلك كان يشعر بغربتهم البعيدة أو ببعد المستقبل عن جانبهم فرغب فى إرجاعهم وإخلاءً غالة من أجل سلامتهم مع أنه كان من أكثر الناس حرصا على نشر الإسلام وتوسيع رقعته ، ولم يكن المسلمون قد تورطوا بصورة كبيرة فى الخصومات القبلية ولم تقع بينهم الحروب الأهلية ، ولم يكن عددهم قد أصبح يشكل خطا عليهم ، وإنما كان من رأى الخليفة أن الأندلس جزء متمم

---

(١) محمد عبد الله عنان ، جـ١ ، ص ٨٣ .

(٢) ابن القوطيه : تاريخ افتتاح ، ص ٣٨ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص٢٣ . المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص ١٤ .

(٣) ابن القوطيه : ص ٣٩ .

لإفريقيا وأن الخلافة الأموية لا تباشر الإشراف عليه وأنه جزء مجهول من بلاد المسلمين البعيدة ، وأن أخبار تلك البلاد لا تصله إلى بقدر ما يصل من شكاوى أهلها الوافدين عليه بالشام ، وأنه ربما بالغ الناس فى الشكرى فظن الخليفة أن بلاد الأندلس تعانى من المشاكل العديدة وأن المسلمين هناك يعانون من الغربة ومن اختلاف وسائل المعيشة واختلاف الطبيعة الجغرافية ، وازدحام المجتمع بعناصر بشرية مختلفة ، وتلك الفترة التى وجد فيها المسلمون هناك لم تكن كافية للاستقرار فى تلك المناطق البعيدة وسط شعب غريب عنهم .

وهكذا كان ميل الخليفة عمر بن عبد العزيز لإحضارهم كنوع من الحذر والخوف على سلامتهم ولكنه بمجرد الاطمئنان عليهم ، وبعد أن وصلته الأخبار المطمئنة عن قوة الإسلام وكثرة مدائنه وشرف معاقله « تركهم هناك وعدل عن قراره»[1] .

ثانيا : أثر العصبية القبلية :

موضوع الصراع بين الفرعين الكبيرين العربيين المضرى واليمنى موضوع واسع متعدد الجوانب والأبعاد فجذور تلك العصبية كانت منذ العصر الجاهلى عصر ما قبل الإسلام ، فقد كانت الرئاسة لعصور طويلة قبل الإسلام فى حمير وتبع أعظم القبائل اليمنية ، وكانت لهم دولة ومنعة وحضارة زاهرة ، بينما كانت مصر بدوا متأخرين يخضعون لحمير ويؤدون الاتاوات لهم . وكنت بينهما خصومات وحروب مستعره طويلة الأمد إذ كانت حمير تعمل للاحتفاظ برياستها وسطانها ، وتجاهد مضر فى سبيل استقلالها وحريتها[2] ، ولنا فى أيام العرب ووقائعها المشهورة أمثلة شاهدة لهذا النضال ويقرر ابن خلدون « أنه استمرت الرياسة والملك فى هذه الطبقة اليمانية أزمنة وآماد بما كانت صبغتها لهم من قبل ، وأحياء مضر وربيعة تبع لهم . فكان الملك

---

(١) ابن القوطيه : تاريخ افتتاح ، ص ٣٨ .
(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٨٧ .

بالحيرة للخم فى بنى المنذر ، وبالشام لغسان بن جفنه ، ويثرب كذلك فى الأوس والخزرج وما سوى هؤلاء كانوا ظواعن بادية واحياء ناجعة وكانت فى بعضهم رياسة بدوية وراجعة فى الغالب إلى أحد هؤلاء . ثم نبضت عروق الملك ، وظهرت قريش على مكة ونواحي الحجاز ، أزمنة عرفت فيها منهم ودانت الدول بتعظيمهم ثم صبغ الإسلام أهل هذا الجيل ، فاستمالت صيغة الملك إليهم وعادت الدول لمضر من بينهم واختصت كرامة الله بالنبوة بهم ، فكانت فيهم الدول الإسلامية كلها إلا بعضا من دولها قام بها العجم اقتداء بالملة وتمهيدا للدعوة »[1].

وهكذا أسفر ذلك النضال عن ظهور مضر وتحول الرياسة إليها مع ظهور الإسلام وأصبحت قريش زعيمة المضرية بعد أن لبثت اليمنية عصورا طويلة فيها ، وعملت المضرية على الاحتفاظ برياستها ، وحرصت اليمنية على انتزاعها منها ، وكانت مسألة اللغة أيضا من أسباب الخلاف ذلك أن لسان حمير كان أصل اللغة العربية التى اعتنقتها مضر ونزل بها القرآن على النبى المضرى فأصبحت اللغة من مفاخر مضر ، إذ كانت لهجات القبائل الأخرى قد فسدت بالاختلاط بالأمم المجاورة الأعجمية كالفرس والروم والأحباش بالإضافة إلى التباين الشديد فى الطبائع والخلال مما كان يزكى بينها أسباب النفور والتباعد . صحيح أن الإسلام جمع بينهم ووحد صفوفهم ولطف أسباب الخصومة التى تعصف بوحدة المجتمع الإسلامى[2]. وكان هذا الخلاف أشد ما يكون فى الولايات التى افتتحها المسلمون فى الأقطار القاصية ، ففتحت تلك العصبية أمام القبائل والأجناس مجالا للتنافس والتطاحن وكان هذا شأن المجتمع الإسلامى الذى قام عقب الفتح فى الأندلس وعقب انصراف كبار الفاتحين العظماء أمثال طارق بن زياد وموسى بن نصير وعبد العزيز بن موسى وبذهاب هؤلاء بدأ المجتمع الجديد الذى جمع الإسلام شمله مدة طويلة ومزج بين عناصره وواضح فيه أنه لا فرق بين عربى ولا أعجمى إلا بالتقوى بدأ هذا المجتمع بجيش بمختلف الأهواء والنزعات تمزقه فوارق

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ ١ ، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

الجنس والعصبية وكان البربر الذى يتألف منهم معظم الجيش كثيرا ما يرفعون لواء العصيان والثورة على العرب وخصوصا بعد أن راجت دعوة الخوارج فى إفريقيا منذ أواخر القرن الأول وداعت مبادؤهم الثورية بسرعة لحداثة عهد البربر بالإسلام فتعددت طوائفهم واشتد الخلاف والجدل بينهم وفسد من جهة أخرى ما بينهم وبين العرب من علائق الإخاء والمودة وكثرة نزوعهم إلى الثورة(١).

ويشير ابن خلدون إلى ذلك صراحة « ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانو بها ولقنوها من العرب الناقلة ممن سمعها بالعراق وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الاباضية والصفرية ، وفشت هذه البدعة وعقدها رؤوس من العرب ، وجرت ، ودعوا إلى قائدهم طغام البربر تتلون عليهم مذاهب كفرها ، ويلبسون الحق بالباطل ، إلى أن رسخت فيهم عروق من غرائسها ، ثم تطاول البربر إلى الفتك بأمر العرب »(٢).

واشتد تحريض الخوارج على حكومة بنى أمية فى إفريقيا ، وتوالت الثورات والحروب حينا وكان لذلك صداه فى الأندلس ، خصوصا بين البربر الذين يتألف منهم معظم الجيش ، فاضطرب أمر الحكم والنظام فى الأندلس . وذكا الخلاف بين الزعماء والقادة وأصبحت حكومة الأندلس عرضة للخروج والثورة ، وذهب ضحية هذه الفتنة العمياء كبار من القادة والزعماء(٣).

هكذا كان وضع البربر ولكن لو تتبعنا سياسة خلفاء بنى أمية حول هذا الموضوع لوجدنا أن مأساة النظام الأموى تتجسد بذهنيته التعصبية التى تبناها الخلفاء منذ عهد معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما إلى آخر خلفاء بنى أمية كما يدعى البعض فقد اعتمد معاوية فى حساباته السياسية على تطاحن القبائل وابقائها ضعيفة حتى لا

---

(١) للمزيد عن أخبار الخوارج وفرقهم راجع الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ٦٥ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١١٠ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١١٠ .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص ٦٩ . العدوى : المسلمون والجرمان ، ص١٥٩ .

تقوى عليه من نزعة خاصة نحو الحزب اليمنى ومصاهرته للكلبيين أقوى قبائل هذا الحزب ، ولكن معاوية بما عرف عنه من ذكاء ودهاء حادين كان يتقن جيد لعبة التوازن بين الحزبين ، فهو على الرغم من اعتماده على اليمنين وإعطائهم الأولوية فى مناصب الجيش والإدرة لم ينس أو يتردد فى التعامل مع القيسيين وتقريبهم من خلال الرؤية نفسها فاتخذ حاكما لدمشق منهم وهو الضحاك بن قيس الفهرى وخصوصا إذا علمنا ما كان لهذا المركز من أهمية مع الأقاليم الأخرى فى الشام فسارت الأمور على عهده على خير ما يرام ولكن تلك اللعبة لم تستمر مع خلفه بل فقدت قدتها على الاستمرار بعد غيابه وتحولت تدريجيا إلى خط واحد هو الخط اليمنى ، فيزيد بن معاوية حرص على تسخير جميع أجهزة حكمه لمصلحة أخواله الكلبيين ، وأخذ الصراع القبلى أبعاده الخطيرة بعد مته . وبتنازل معاوية الثانى شر منصب الخلافة فى دمشق ، وظل الأمويون وقتا قبل أن يوحدوا موقفهم مع مرشح الخلافة ولكن دون أن يفقدوا دعم القبئل اليمنية حتى فى أصعب الظروف وأمرها ، وفى المقابل كانت القيسية تقف بكل ثقلها مع عبد الله بن الزبير الذى أعلن نفسه خليفة فى مكة . وفى مرج راهط[1] سنة ٦٥هـ انفجر الصراع فى معركة عنيفة انتهت بهزيمة ساحقة للقيسين الذين فقدوا كبار زعمائهم وعلى رأسهم الضحاك الفهرى ، وانتصر الحزب اليمنى وعلى رأسه مروان بن الحكم فكانت هذه المعركة موقدا لنار العصبية بين الجنود العرب القيسيين واليمنين ، ودافعا لتبادل الأخذ بالثأر بين الجانبين منذ ذلك الوقت حتى نهاية الدولة الأموية وظهرت تلك العصبية بصورة سيئة فكانت جرثومة الخطر التى نقلت معهم إلى الأقطار التى فتحوها ففشت فى جيرانهم وأعوانهم من البربر[2] .

---

(١) مرج راهط :ـ وقعت فى المحرم سنة ٦٥هـ، وذلك بعد أن تمت البيعة لمروان بن الحكم وتقابل فيها مع جيوش الضحاك بن قيس الذى كانت تعزز قوات أهل الشام وتم النصر لمروان بن الحكم ، وكان نصراً حاسماً وتقهقرت جيوش الضحاك ، وكان من أثرها تحامل نفوس القيسية على اليمنية نتيجة لما أصابهم . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٣٨.

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص ٣٧ ـ ٤٣ . ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ . ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ١ ، ص ٧٢ . إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى إسبانيا، ص ١٠٠ ـ ١٠١ مصطفى أبو ضيف أحمد : القبائل العربية فى الحياة المغربية خلال عصرى الموحدين وبنى مرين ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

وهكذا حفظ الخليفة الأموى الجديد مروان بن الحكم مشاعر الود والتقدير للقبائل اليمنية وللكلبيين بصفة خاصة ، وأصبح هذا الشعور دينا على عاتق الخلفاء المروانيين الذين مالوا إلى تأييد الحزب اليمنى باستثناء يزيد بن عبد الملك القيسى النزعة وابنه الوليد بن يزيد ، وكذلك مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية ، ولم يتحرر من تلك العصبية العمياء سوى الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى كان له مفهومه الخاص فى الحكم(١) .

ولكن السؤال الذى يفرض نفسه الآن ما هو أثر هذا الصراع القبلى على جهاد الطلائع خلف البرتات ؟ . وللإجابة على ذلك نذكر أن الدولة الأموية تطورت فى سياستها القبلية التعصبية دون أن تقدر أبعاد تلك السياسة العمياء وآثارها على مؤسسات الحكم كلها وخاصة فى بلاد الأندلس ويظهر ذلك جليا بعد رحيل موسى بن نصير إلى دار الخلافة فى دمشق ، لأن موسى استطاع بسياسته الحكيمة أن يحقق صورة متكافئة لأهدافه فى نشر الجهاد والإسلام بعدم تعصبه وتحيزه للعرب أو البربر فسارت العلاقات حسنة وطيبة بين الفاتحين فأثمرت كل تلك الفتوحات العظيمة وسار البربر مع إخوانهم من العرب جنبا إلى جنب وكانوا لهم سندا قويا(٢) .

ولكن بعد رحيل موسى برزت تلك التناقضات داخل الطبقة العليا أى الحكام والتى سهلت من مهمة الثار فبرزت تلك التناقضات فى صورة أحياء للعصبيات القبلية والنعرات العنصرية وكان ظهورها محكوما بالمصالح الاقتصادية إلى حد كبير ، أما الخصومة القبلية فقد عادت بين القيسية واليمنية وكانت الخلافة الأموية مسئولة عن ذلك إلى أبعد الحدود إذ شجعت على إذكاء الضغائن بقصد إحداث نوع من التوازن يكفل لها الاستمرار والبقاء من وجهة نظرها فهى تارة تتعصب للقيسية وأخرى تشايع

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ص ٤٣ .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٨ ، محمود شيت خطاب : المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ . إبراهيم العدوى : موسى بن نصير ، ص ١١٠ .

اليمنية وكان ولاتها في المغرب والأندلس يتعصبون إلى بنى جلدتهم ويؤثرونهم بالحظوة ويبطشون بمن عداهم[١].

ولو تتبعنا سياسة الخلافة وأثرها في بث التفرقة والعنصرية بين القبائل لظهر ذلك لنا جليا منذ ولاية سليمان بن عبد الملك الخلافة ، ففى رحيل موسى بن نصير وولاية ابنه عبد العزيز نلمس بوادر ظهور العصبية وإحيائها في الصدور ، يقول ابن خلدون في هذا الصدد « أنه كان بين جنود الأندلس من العرب اختلاف وتنازع »[٢] ولا شك أن هذا انعكاس للصراع الذى يدور بين القبائل اليمنية بوضوح مغزى الترويج لقصة تنصر عبد العزيز بن موسى المزعومة عن طريق زوج زياد بن النابغة التميمى زعيم قبيلة تميم[٣] أهم قائل عرب الشمال ضد زعيم قبيلة لخم اليمنية التى آلت إليها أمور الأندلس .

واستطاع الوالى القيسى محمد بن يزيد والى إفريقيا من قبل سليمان بن عبد الملك أن ينكل بآل موسى واليمنية معا [٤]. وبعد القضاء عليهم ولى الأندلس من قبل أهلها أيوب بن حبيب اللخمى ابن أخت موسى بن نصير الذى أجمع على ولايته زعماء القبائل العربية ورؤوساء الجند واستمرت ولايته ستة أشهر[٥]. ثم إقالة محمد بن يزيد والى إفريقيا واستعمل على الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفى وكان والى إفريقيا يولى على الأندلس من أحب[٦] . وقدم الحر فى جماعة كبيرة من وجوه

---

(١) محمود إسماعيل : التفسير الاجتماعى لثورة المغاربة ، ص ١٤٥. ذوزى : تاريخ مسلمى إسبانيا ، ص ٣٤ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١١٨ .

(٣) للمزيد عن قصة تنصر ابن عبد العزيز بن عبد الحكم : فتوح إفريقيا والأندلس ، ص ٨٤ .
مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٠. ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص ٢٤ . ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(٤) الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ٩٤ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ، ص ٢٥ . السلاوى : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ١٠٠ .

(٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٧ .

وزعمـاء عرب إفريقيـا ووصل عددهم إلى اربعمـائة وعدت هذه الطالعة من طوالع الأندلس المعدودة [1]. ولم تتبع الحر عصبته التى رأت بعد استقراره وثباته فى البلاد اللحاق به ، وكـانت الأندلس حتى ذلك الوقت مرتبطة ارتبـاطا كـاملا بالشمـال الإفريقى[2].

وبوافاة سليمان بن عبد الملك وولاية عمر بن عبد العزيز فى ربيع الأول سنة تسع وتسعين استعمل على إفريقية إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر فأقام بها واليا سنة مائة وسنة إحدى ومائة فى خلافة عمر بن عبد العزيز [3] وولى الأندلس السمح بن مالك الخولانى[4] وعمر بن عبد العزيز هو الخليفة الوحيد الذى عرف بحياده والتزامه وعدم تفرقته وتعصبه لفريق دون آخر ، وبوفاته وبولاية يزيد بن عبد الملك سنة إحدى ومائة تبدأ بوادر العصبية التى أدت إلى الانقسام والتفرقة والتحيز وإضعاف البيت الأموى كله وانهياره تدريجيا فيما بعد ، فقد كان يزيد مضرى الميول تعقب اليمنية بألوان الأذى حتى نفروا منه ومالوا إلى أعدائه وامتلأت نفوسهم ثورة عليه وعادت إليهم أحقاد مرج راهط وتحركت فى قلوبهم ناراتها بعد أن امتحنهم ولقوا منه عنتا شديدا ومما زاد الطين بله أنه أقام على إفريقية يزيد بن أبى مسلم وكان يزيد هذا من غلاة القيسية ففى عهده حلت الاضطرابات والعنف والبغضاء فقد كان شديد التعصب لأنه كان تلميذا للحجاج بن يوسف الثقفى واراد القيام بتطبيق سياسته العنيفة على المستويين الداخلى والخارجي مما أدى إلى اغضاب الجميع حتى حرسه الخاص الذين قاموا بالتخلص منه سنة ١٠٢هـ / ٧٢١م[5] وبالقضاء عليه ولى

(١) ابن عذارى : جـ ٢ ، ص ٣٥ ، المقرى : المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص ١٣ .
(٢) المقرى : المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص ١٣ .
(٣) الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا ، ص ٩٧ .
(٤) ابن عذارى : البيان ، جـ ، ص ٣٥ .
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح إفريقيا والأندلس ، ص ٨٨ ـ ٨٩ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ١٨٢ ابن عذارى : البيان ، جـ١ ، ص ٤٨ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ .

يزيد بن عبد الملك على إفريقيا بشر بن صفوان فقدمها سنة ثلاث ومائة وعندها توفى يزيد بن عبد الملك فأقرها هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان على ولايته لأن ميوله كلبية يمنيه[1]. وكانت سياسة استئصال الخصوم وجمع الأموال والاستجابة لأهل الأندلس فى تبديل الولاة وتغيرهم باستمرار لذلك ولى بشر على الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبى من بنى عصبة ١٠٣ ـ ١٠٧هـ . وعذره بن عبد الله الفهرى من عام ١٠٧هـ إلى شوال ١٠٧هـ ثم ولى يحيى بن سلمة الكلبى إلى ربيع الأول ١١٠هـ حكم خلالها وتعصبوا لقومهم واوغروا صدور القيسية[2].

وهكذا أخذت سياسة العصبية المقتيه تعصف بالدولة الإسلامية بالأندلس فإذا كان العامل قيسيا انحاز للقيسية واضطهد الكلبيه اليمنية وآذاها وشردها وكتب عليها الشقاء وإذا كان العامل يمنيا انحاز لليمنية واضطهد من سواهم .

وكانت النتيجة الطبيعية لهذه السياسة التعصبية من قبل اليمنين أن قامت ثورة القيسية بالأندلس وكانت صدورهم موغرة حانقين على تلك السياسة وخصوصا أن الكثير منهم كانوا قد حضروا مرج راهط ورأوا بأعينهم استبسال القيسية ومن ثم كانوا ينتظرون الفرصة ليسووا حسابهم القديم مع اليمنيين ولم تكد مدة حكم هؤلاء اليمنيين تقارب على الانتهاء حتى فاضت قلوب القيسية بالحقد عليهم[3].

وفى أثناء ولاية هشام بن عبد الملك الذى أظهر فى مستهل حكمه ميله إلى اليمنية ثم ختمه بالعطف على القيسية لأنه عرف كيف يستميلهم للرضا عن حكمه فقام بعد أن شعر بضيق القيسية وتذمرهم قام بتولية رجل منهم وهو عبيده بن عبد الرحمن السلمى ولاية إفريقيا ، وأثار وصول عبيدة وولايته ثورة كبيرة واضطرابا شديدا بين اليمنية الذين كانوا قد اطمأنوا فى العهود التى مضت إلى ولايتهم من

(١) الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ ./
(٢) أخبار مجموعة ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .
(٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

اليمنية[1] لذلك فوجئوا بتوليته وخصوصا إذا علمنا أن عبيدة السلمي كان من غلاة القيسية وكانت سياسته مبنية على التعصب والعنف وفى هذا الصدد يذكر النويرى «أن عبيدة بن عبد الرحمن لم يكد يصل إلى إفريقيا حتى أخذ عمال بشر بن صفوان فحسبهم تحامل عليهم وكان فيهم أبو الخطار بن ضرار الكلبى»[2].

وكان قائدا جليلا ورئيسيا وشريفا فى قومه مع فصاحة وبيان وقول حسن للشعر لذلك استصرخ أبو الخطار الخلافة لأنقاذهم من محنتهم مذكرا الخلافة الأموية بأفضال اليمنيين عليهم متعرضا بشعره ليوم مرج راهط وما كان من بلاء الكلبيين فيه مع مروان بن الحكم وقيام القيسية مع الضحاك الفهرى[3] على مروان فقال :

أفـأتم بنو مـروان قـيـسـا دمـاءنا
وفى الله إن لم ينصفوا حكم عدل
وقـينا كم حـرَّ القنا بصـدورنا
وليس لكم خـيل سـوانا ولا رجل
فلمـا بلغـتم نيل مـا قـد أردتهم
وطابت لكم فيها المشارب والأكل
تغـافلتم عنا كـأن لم نكن لكم
صديقا وأنتم ما علمت لنا وصل[4]

(١) ابن عذارى : البيان جـ٢ ، ص ٣٦ ـ ٣٧ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢ . المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب ، ورقة ٨٦ ب . ابن عبد الحكم : فتوح إفريقيا والأندلس ، ص ٩١ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ١ ، ص ٢٨١ .

(٤) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ . ابن عذارى البيان، جـ ١ ، ص ٥٠ وقارن ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٢ ـ ٤٣ . حيث يورد سبعة آبيات من القصيدة ، مختلفة بعض الاختلاف ، وابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ . مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق وترجمة لويس مولينا ، ص ١٠٠ ـ ١٠٣ مع اختلاف بسيط .

وهكذا توالت على الأندلس سنوات قيسية لقى اليمنيون خلالها محنا شديدة وفى خلال تلك الفترة تولى على حكم الأندلس حذيفة بن الأحوص القيسى وعثمان ابن أبى نسعه الخشعى ، والهيثم بن عبيد الكنانى [1].

وفى عهد الهيثم بن عبيد الكنانى تبدأ خصومات شديدة بين القيسية واليمنية نتيجة لتلك العصبية السيئة التى سلكها ، فقد كان ظلوما جائرا فألقى بهم فى السجون وأهلكهم[2]. وكان لسياسته تلك أسوأ الأثر فى الأندلس خاصة وفى المغرب عامة خصوصا حين نعلم أن المسلمين فى تلك الفترة كان جهادهم مستمرا فيما وراء جبال البرت ، وكان لتلك العصبية أثرها فى زعزعة الجند وعدم اتحادهم سويا مما اضطر الخليفة بعد أن وصلته تلك الأخبار السيئة أن يعزل الهيثم[3] ويولى محمد بن عبد الله الأشجعى التى استمرت ولايته شهرين[4] وفى صفر سنة ١١٢هـ/ ٧٣٠م أقام عبيد الله السلمى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى أميرا على الأندلس رغم أنه يمنى من غافق ولكن عبيد الله المعروف بتعصبه لقيسيته كان يعلم أن عبد الرحمن أبعد ما يكون عن التفكير فى تلك الأمور لذلك كانت ولاية الغافقى على الأندلس برضى من جميع الأطراف المتنازعة لكن داء العصبية القبلية كان قد تأصل فى نفوس العرب جميعا لذلك أخفقوا فى بلاط الشهداء بسبب ذلك الداء الذى حملوه معهم فى فتوحاتهم وراء البرتات رغم محاولة عبد الرحمن بما عرف عنه من نزاهة وعدالة جمع القلوب وتوحيدها الا أنه أخفق فكانت الهزيمة[5].

ثم قرر هشام بن عبد الملك بعد أن أحس بما حل بالمسلمين من نكبات أثر هذه السياسة التعصبية عزل عبيده واستبدل به قيسيا آخر كان يظن أنه اهدأ منه وأقل عصبية

---

(١) المقرى : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .
(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١١٤ .
(٣) ابن عذارى : جـ٢ ، ص ٢٨ . المقرى : المجلد الثانى ، القسم الثالث ، ص ١٧ .
(٤) المقرى : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠.
(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٦٣ .

وهو عبيد الله بن الحبحاب وبدأ عبيد الله ولايته بداية حسنة ولكنه ما لبث أن حاد عن الطريق وتعصب لقيسيته مما أدى إلى إثارة العرب اليمنية وحقد البرب عليه فلم يقم وزنا لأحد ، فجعل يتعسف بالبربر ، وينتقم من اليمنية ويتبعهم ويلحق بهم الأذى حتى امتلأت نفوسهم سخطا وغدا ينتظرون الفرصة المناسبة للقضاء عليه وعلى القيسية جملة واحدة[1].

وفي تلك الفترة كان على ولاية الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري الذى قدم في رمضان سنة ١١٤هـ فولى سنتين[٣] وفي عهد عبيد الله بن الحبحاب كانت الفتنة الكبرى بين العرب والبربر ووقوع النكبات الشديدة على أثرها[٤].

ولما بلغ هشام بن عبد الملك أخبار تلك النكبات الدائرة على العرب وما اتصل بذلك من فساد في إفريقيا والأندلس نتيجة لتلك السياسة الخرقاء شاور من حوله فأشاروا عليه بتولية اليمنية سواء في إفريقيا أو الأندلس ، وفي تلك الفترة بلغه كتاب أبي الخطار بن ضرار الكلبي[٥] مستصرخا إياه لانقاذهم من محنتهم فقام بتعيين أبي الخطار الكلبي على الأندلس وحنظلة بن صفوان الكلبي على إفريقيا ثم توفى هشام ابن عبد الملك وخلفه الوليد بن يزيد فأثر والى هشام على إفريقيا[٦] ، وبمقتل الوليد سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م ، الذى عرف بميله للقيسية كان مولد وقيام اليمنية وإيذانا بانتصارهم وتزعم هؤلاء عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ودارت المعارك بين الطرفين وانتهت لصالح عبد الرحمن الذى احتل القيروان وصار

---

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٥ . ابن القوطية : تاريخ افتتاح ، ص ٣٩ . ابن عذارى : جـ١ ، ص ٥١ ، النويرى : المخطوط ورقة ٥٨٤ .

(٢) ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٥٢ . النويرى : ٨٤ ب .

(٣) المقرى : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ .

(٤) انظر الفصل السادس عن أسباب تعثر جهاد المسلمين خلف جبال البرتات ثورة البربر .

(٥) ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٦٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص٢٨٠ .

(٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

أميرا على إفريقيا ووضع انتصاره حدا للنزاع بين الطرفين فى حين تسلمت الدولة العباسية زمام الأمور ، ولم تقم لدولة بنى أمية فى المشرق قائمة[١]. وهكذا كانت نهاية تلك الدولة العظيمة التى دمرتها وانهكتها وقضت عليها تلك الخلافات العصبية وانعكس هذا كله على ولاية الأندلس وتعثر هؤلاء الولاة فى جهادهم خلف البرت .

ثالثا : أثر ثورة البربر فى تعثر الجهاد خلف البرت :

يعتبر البربر من الشعوب قوية الشكيمة شديدة المراس كما وصفها صاعدا الأندلسى[٢] وينقسم البربر إلى قسمين ، هما البرانس[٣] والبتر[٤]. ويتفق البربر مع العرب فى أمور كثيرة فالشبه بينهم كبير وهو امر جاء نتيجة للتشابه الكبير بين البيئتين، فطبيعة بلاد المغرب التى يغلب الطابع الصحراوى على معظمها ، أشبه بطبيعة

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٢٣. مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ٢٣ ـ ٣٤.

(٢) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ، ص ١٢ .

(٣) ان البربر يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وبادغيس ، ويلقب بادغيس بالابتر ، فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس ، وهما معا ابنا بر ، وبين النسابين خلاف هل هما لأب واحد . ولقد ذكر ابن خلدون اسماء قبائل البتر وفروعها وبطونها المنتشرة فى جبل يقع جنوب طرابلس عرف باسمها فنذكر أهم قبائلها وهى : زناته وزواغة ـ رواده ـ نفزه ، لواته ، فراته ، نفوسه . مطغره وتنتشر فى سسلة من الوديان تبدأ من طرابلس إلى مدينة تازا وينتشرون فى أقاليم النخيل والمراعى الممتدة بين غدامس إلى السوس الأقصى ، وتنزل قبائل زناته فى المغرب الأوسط ، وفى الصحراء الواقعة جنوب تونس وفى سفوح الهضاب .

كما يذكر ابن خلدون عن البرانس أنهم « من اقر قبائل البربر وهم أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما بعده ولا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم فى جبل أو بسيط ، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أولى البربر... وأنهم من ولد صنهاج وهو صاك ، إلا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج وهو عند نسابة العرب من بطون البرانس من ولد برنس بن بر. للمزيد انظر ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٨٦ ـ ٨٩ ـ ١٠١ ـ ١٥٢ ابن خرداذبه : المسالك الممالك ، ص ٩٠ .

(٤)

بلاد العرب ، مما ترتب عليه نتائج طبيعية متجانسة فى الاجتماع والعمران[1] ، فطبيعة ونوع الحياة الاجتماعية التى كانت سائدة جعلتهم يعرضون التنظيم القبلى مثل العرب، كما أنهم عرفوا حياة الاستقرار والحضر فى بعض المناطق وحياة التنقل والبداوة فى مناطق أخرى ولذلك فإن نسابة العرب قاموا بتقسيمهم على أساس قبلى كما كانوا ينقسمون ، أما الرومان فقد كان لهم فى البربر تقسيم آخر[2] .

وقد بدأ دخول البربر فى الإسلام منذ عهد مبكر حيث التفوا مع طلائع الأولى ابتداء من حمله عمرو بن العاص رضى الله عنه وما تلاها بعد ذلك من حملت إسلامية لفتح المنطقة .

وبدأ دخولهم الجماعى فى الإسلام منذ فترة أبى المهاجر دينار رحمه الله ، ورغم تعثر الحملات الإسلامية على بلادهم لفترة طويلة واستمرار البربر فى الحرب ضد المسلمين إلا أن جماعات كبيرة منهم كانت تحافظ على إسلامها حتى انتهى بهم الأمر جميعا إلى الدخول فى الإسلام . والانخراط فى جيش المسلمين على عهدى حسان بن النعمان وموسى بن نصير [3] كما أنهم شاركوا منذ ذلك الحين فى استكمال الفتوح الإسلامية فى جنوب المغرب[4] وفى بلاد الأندلس وفى جنوب غاله ولم تبدأ ثورة البربر إلا فى عهد يزيد بن عبد الملك وهناك أسباب كثيرة ساعدت على قيام هذه الثورة وتعلق نظرة على سياسة بنى أمية فى أفريقيا وأثر ذلك على الأندلس وما ترتب عليه من تعثر جهاد المسلمين خلف جبال البرتات .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، الفصل الخاص بتأثير البيئة .

(٢) أطلق الرومان لفظ Barbari على أهالى البلاد ، ولم يفطنوا إلى تقسيمهم عى أساس النظام القبلى، بل كانوا يقسمون المجتمع تقسيما جغرافيًا فذكروا أن النسامون Nasamons البسيل Pasyiles يقطنون برقة وطرابلس Tripolotanc ويعيش المور Maures فى المغرب الأوسط والأقصى .
Gautier. E. F. les siecles obscars du Maghreb PP. 114 - 119 .

(٣) إبراهيم العدوى : موسى بن نصير ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٠٣ .

ويتفق المؤرخون(١) على أن الخلافة الأموية بعد رحيل موسى بن نصير إلى عاصمة الخلافة فى دمشق حرصت على الاهتمام بأمر إفريقيا والأندلس بدليل حرص سليمان بن عبد الملك على البحث عن وال كفء يوليه أمر إفريقيا ، فولى محمد بن يزيد القرشى فاثبت أنه خير وال وأحسن السيرة(٢).

وهذا دليل على أن الخلفاء بالمشرق كانوا يولون أمر المغرب جل عنايتهم ، وكان نتيجة ذلك استمرار الجهاد وتعاون العرب والبربر فى فتوحاتهم خلف البرتات ، ويظهر ذلك جليا فى ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفى الذى أمر بالجهاد وراء البرتات(٣) .

وفى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حرص على اختيار ولاة لإفريقيا والأندلس ساسوا الناس بالعدل وأحلوا المحبة والوئام بدل البغضاء والفرقة بين جميع الأطراف ، فولى على إفريقيا إسماعيل بن عبيد الله بعد أن اختبر فيه صلاحا وفضلا(٤)، وولى على الأندلس السمح بن مالك الخولانى الذى حمل الناس على الطريق الحق والعدل(٥). واستطاع خلال فترة حكمه أن يحقق خطوات ثابتة فى حركة الجهاد خلف جبال البرتات . وبوافاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م تغيرت الملامح الرئيسية الغالبة لسياسة الولاة فى بلاد المغرب فى عصر الولاة الأمويين التى كانت تتسم بمحاولة توطيد الأخوة بين العرب وبين البربر أهل البلاد . وقد تمثل ذلك أول الأمر فى أبقاء العرب على النظام القبلى(٦) الذى اعتاده أهل البلاد والذى

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٨ . ابن عذارى : البيان جـ ١ ، ص ٤٤ ـ ٤٧ . القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ٩٣ .

(٢) القيروانى : تاريخ إفريقيا ، ص ٩٣ . ابن عذارى : جـ ، ص ٤٧ .

(٣) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٤ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٣ .

(٥) ابن خياط : تاريخ خيفة بن خياط ، ص ٢٠٦ . ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٦ ، ابن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان ، ص ٨٧ .

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وإفريقيا ، جـ ١ ، ص ١٨٩ . البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٦٧ . المالكى : رياض النفوس ، ص ٣٦ . ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ . الدباغ : معالم الإيمان ، ص ٦ .

لم يكن يختلف عن النظام العربى الذى عهده العرب فى بيئتهم القديمة فاختصت كل قبيلة بخطة تستقر فيها محاولين المساواة بين العرب وأهل البلاد حتى كان عصر يزيد بن عبد الملك الذى انتهج سياسة الشدة مع أهل البلاد المفتوحة ، وعدم رفع الجزية(١) عمن أسلم منهم فى زيادة إيراد بيت المال ، وعزله إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر وتولية يزيد بن أبى مسلم سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م الذى عامل البربر بشدة الحجاج فى أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من أهل الذمة فأسلم فإنه ردهم إلى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار(٢).

فاستاء البربر من تلك المعاملة (٣) ودبروا قتل يزيد بن أبى مسلم بالاتفاق مع حرسه . وأذعن الخليفة الأموى لرغبة البربر ، وأقر على مضض من اختاروه وهو محمد ابن يزيد(٤).

لهذا لا ينبغى القول بأن جميع الولاة قد أساءوا معاملتهم للبربر وإنما نقول إن بعضا منهم هم الذين فعلوا ذلك بعيدا عن شريعة الإسلام السمحة التى ساوت بين جميع الأجناس ، ولم تؤيد مطلقا تعسفا مع البربر أو استبدادا بهم ولكن الخلفاء رغم ذلك لم تبارك خطوات الولاة ولم ترض عن تصرفاتهم بدليل موقف الخليفة من مقتل يزيد بن أبى مسلم على يد البربر ، وإقراره الوالى الذى اختاره(٥).

---

(١) اتخذت الدولة الأموية سياسة عدم رفع الجزية عمن دخل فى الإسلام من أهل البلاد المفتوحة مما أدى إلى ثورات الموالى فى الأمصار حيث كان عهد عمر بن عبد العزيز الذى أمر بإبطال ذلك حيث أرسل إلى والى مصر يحذره من استمرار السياسة بقوله « إن الله بعث محمدا هاديًا ولم يبعثه جابيا .
انظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص ١٠٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ . ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١٨٢ .

(٣) ويذكر ابن عبد الحكم أن يزيد « ارتسم فى يد الرجل اليمنى اسمه وفى اليسرى حرسى فيعرفا بذلك من غيرهم فانفوا من ذلك ودبر بعضهم إلى بعض فى قتل ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ . ارقيق القيروانى : ص ٩٩ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ١٨٢ . السلاوى : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ١٠٣ .

ثم ما لبث أن خلعه واقر أمير مصر بشر بن صفوان سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م واليا على إفريقيا[١] حتى يضمن استتباب نفوذ المسلمين فى البلاد . وولى بشر بن صفوان على الأندلس عنبسة ين سحيم الكلبى ، وبالرغم من أن السياسة القبلية هى التى جاءت به[٢] إلا أنه حرص على إيجاد مناخ مناسب وملائم بين العرب والبربر وكرس جزءا كبيرا من ولايته فى القضاء على المشاكل وتوحيد الصف ، ثم حرص فى السنة الأخيرة لولايته على اتمام الجهاد[٣] رغم أنه كان بالإمكان لو لم تكن المغرب وإفريقيا فى هذا الوضع المضطرب . إذ كان من الممكن للمسلمين زيادة الفتوحات والتوجه إلى خارج الحدود وضم مناطق جديدة إلى نفوذهم ولكن المصاعب التى واجهتهم كانت كفيلة بتعثر جهاد المسلمين خلف جبال البرتات .

ولو نظرنا إلى سياسة بشر بن صفوان الكلبى فى إفريقيا لوجدنا أن بشرا قد أساء من حيث لا يدرى فصحيح أنه لم يؤخذ عليه إلا تتبع آل موسى ومصادرة أموالهم[٤] إلا أن هذا الأمر كان كفيلا بإثارة الضغائن فى قلوب البربر الذين كانوا يميلون إلى آل موسى ويعدون من أنصاره ، فأدت سياسته تلك إلى النفرة منه لاستصفائه أموال آل موسى تقربيا منه إلى الخلافة .

وقد خرج بشر غازيا لصقلية سنة ١٠٩هـ/ ٧٢٧م[٥] واستطاع أن يعود منها محملا بالغنائم والأموال فتوجه بها إلى دار الخلافة تقربا إلى الخليفة[٦] . ولكن الخليفة يزيد بن عبد الملك كان قد توفى فتوجه بالغنائم إلى الخليفة الجديد هشام بن عبد الملك وهذا يدلنا على أن الخلافة لم ترهقهم ولم تحملهم كل تلك المؤون بل

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .
(٢) وكان أمير إفريقيا يحرص على أن يكون أمير الأندلس من قبيلته فبشر بن صفوان الكبى و الذى ولى وحرص على اختيار عنبسة بن سحيم الكلبى .
(٣) القيروانى : تاريخ افريقية ، ص ١٠٢ .
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ . ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٤٩ .
(٥) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٠٢ . السلاوى : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ .
(٦) محمود إسماعيل : الخوارج فى المغرب الإسلامى ، ص ٢٩ .

حملها أنفسهم تحببا وتقربا إلى ولاة الأمر فاقره هشام على إفريقيا ، ولكنه توفى عند عودته سنة ١٠٩هـ / ٧٢٧م فولى هشام عبيدة بن عبد الرحمن السلمى ولاية إفريقيا فدخلها سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م(١).

ولقد أدت سياسة عبيدة إلى تعثر جهاد المسلمين خلف البرتات نتيجة لشدته وعنفه فى حكم البلاد ومحاسبة العمال وكثرة عزل الولاة(٢).

وفى ربيع الأول سنة ١١٦هـ/ ٧٣٤م عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بولاية إفريقيا إلى عبيد الله بن الحبحاب والى مصر وأسند إليه قمع حركات البربر التى اشتد فى عهده ، وقام عبيد الله بتولية عقبة بن الحجاج السلولى على الأندلس(٣) وولى عمر بن عبد الله المرادى على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ، وكان قد عهد بتلك الولاية من قبله إلى ابنه إسماعيل . أما منطقة السوس فقد عهد بها إلى حبيب ابن أبى عبيدة الفهرى حفيد عقبة بن نافع(٤).

ولقد أساء عمال ابن الحبحاب السيرة فى المغرب مع البربر واعتبروهم فيئا للمسلمين(٥)، وكان من أشد هؤلاء العمال ظلما عامل طنجة عمر المرادى الذى أساء السيرة ، كما يذكر القيروانى « وتعدى فى الصدقات والعشر واراد أن يخمس

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٩١ .

(٢) فقد ولى ثلاثة عمال على التوالى ففى شعبان سنة ١١٠ ولى عثمان بن أبى نسعه الجشعمى وكانت ولايته خمسة أو ستة أشهر ثم عزل ، وولى الهيثم بن عبيد الكنانى فى صدر سنة ١١١ وكانت ولايته عشرة أشهر وقيل سنة وشهرين ثم قدم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعى لمدة شهرين ، ثم ولى عبد الرحمن الغافقى فى صفر سنة ١١٢هـ . ولعل كثرة عزل الولاه توحى بعدم الاستقرار وعدم إتاحة الفرصة للاستعداد لإكمال مسيرة الجهاد . انظر : مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٢ ، ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ . المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٩ .

(٣) الرقيق : تاريخ إفريقية ، ص ١٠٧ ، مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٥ .

(٤) الرقيق : المصدر السابق ، ص ١٠٨ . ابن خلدون العبر ، جـ ٦ ، ص ١١٨ .

(٥) أى أنهم يعتبروا فىء ويأخذ الخمس كغنيمة للمسلمين . انظر ما سبق من تعريف الفىء فى الفصل الثانى .

البربر وزعم أنهم فيء المسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله وإنما كان الولاة يخمسون من لم يؤمن منهم ولم يجب إلى الإسلام »[1].

فكانت سياسته تلك سببا رئيسيا لانتقاص البلاد ووقوع البلاء العظيم وكانت أول فتنة للبربر في الإسلام[2].

بالإضافة إلى ذلك كان هشام بن عبد الملك يستحب طرائف المغرب ويكتب إلى عامله بطنجة أن يرسل إليه أصواف الخراف العسلية [3].

أما ابن عذارى فيذكر : « أن الخلفاء كانوا يستحبون طرائف المغرب فيبعث لهم ولاتها البربريات السنيات ، ولما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير وتكلف لهم وكلفوه أكثر مما كان فاضطر إلى الظلم وسوء السيرة وسوء العاقبة[4] .

أما ابن خلدون فيلخص سوء سياسة ابن الحبحاب تجاه البربر فيذكر : أنه باستعمال عمر بن عبد الله المرادى على طنجة والمغرب وإسماعيل على السوس وما وراءه ، ساءت سيرتهم في البربر ونقموا عليهم أحوالهم وما كانوا يطالبونهم من الوصائف البربريات وأنواع طرائف المغرب حتى كانت الصرمه[5] من الغنم تهلك من الذبح

---

(١) الرقيق : المصدر السابق ، ص ١٠٩

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٩٤ . البلاذرى : فتوح البلدان ص ٧٣ .
Levi Provencal : Histoire le d'espogne Muslamane V. I. P. 28 - 29 .
الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ١٠٩ . ابن عذارى : البيان جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٣) وكانت تلك الزخارف التى تسلخ من جلود سخال الضأن عند ولادتها قبل أن تصبح خشنة ليصنع منها الجباب الصوفية ، وكان الخليفة يفضل اللون العسلى غير المصبوغ لذلك عمد العمال إلى النعاج الحاملة فيبقرون بطونها ويستخرجون أجنتها بحثا عن هذا النوع ويذكر صاحب أخبار مجموعة أنه كانت تذبح مائة شاه فربما لم يوجد فيا جلد واحد .
للمزيد انظر أخبار مجموعة ، ص ٣٢ .

(٤) ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٥) الصرمة : القطع من الأبل والشياه ما بين العشرين إلى الثلاثين أو إلى الخمسين والأربعين وما بين عشرة إلى بضع عشرة كل ذلك يطلق على صرمة انظر محمد علي دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ص ٢٣٢ .

لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك إلا الواحد فكير عبثهم وجورهم واشتطاطهم عليهم(١) وكان من الطبيعى أن يتعذب أصحاب الغنم لهلكه بتلك الصورة السيئة ولكنهم وقفوا مكتوفى الأيدى(٢).

وكانت هذه التصرفات تدل على سوء استغلال موارد البلاد وعدم الاهتمام بمشاعر البربر(٣) وأمام هذه المشاكل فى إفريقيا كان جيش المسلمين فى الأندلس يخترق منطقة البرتات ويجتاز العقبات ويفتح المدن بقيادة عقبة بن الحجاج السلولى الذى اتته الظروف طائعة ولكن لم يكن ليستغلها على الوجه المطلوب ذلك أنه فى تلك الفترة كان شارل مارتل قد توفى سنة ١٢٣هـ/ ٧٤١م واضطربت الأمور من بعده ، ولكن الظروف الصعبة التى واجهت المسلمين فى تلك الفترة لم تعنهم على الاستفادة من هذه الفرصة استفادة كاملة لأن فتنة البربر فى الأندلس وإفريقيا كانتا آنذاك على أشدها لذلك توقف المدد لجيوش المسلمين فيما وراء البرت مما كان له أسوأ الأثر على تعثر تقدمهم فى غالة(٤).

وكان من نتيجة سياسة ابن الحبحاب تجاه البربر والتفرقة بينهم وبين العرب أن قرروا الخروج عليه والقيام بتلك الثورة ، وساعد على تأجيج تلك الثورة دعاة الخوارج(٥) الذين وجدوا الفرصة سانحة لنشر أفكارهم ومبادئهم فشجعوا البربر على

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١١٨ ـ ١١٩ .

(٢) محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ص ٢٣٣ .

(٣) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٣٠٠ .

(4) Reinaued : op. cit., P. 72 .

(٥) ذكر ابن خلدون من أسباب ثورات البربر الخوارج : أنه منذ أواخر القرن الأول الهجرى انتشرت فى بلاد المغرب حركات الخوارج بين المغاربة وكانت بلاد المغرب أهم المناطق التى وجد فيها دعاة الخوارج فرصة لنمو مبادئهم واستعادة قوتهم فيذكرون أنه لما فشا دين الخارجية فى المغرب وغالبم الخلفاء بالمشرق وستلحموهم ، نزعوا إلى القاصية وصاروا يبثون بها دينهم فى البربر فتلقفه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه باختلاف رؤوس الخارجية فى أحكامهم من أباضية وصفرية وغيرهما .
ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١١١ . =

تحويل السخط الكامن فى قلوبهم إلى عمل ثورى إيجابى . ولما كان مذهب الخوارج ينص على جواز الثورة على الحكام الجائرين لذلك وجد البربر فى هذا المذهب مبررا شرعيا لقبول انتفاضهم وخروجهم الثورى فى إطار الدين الحنيف ، بالإضافة إلى ما اتسم به الفكر الخارجي بالتزامه بظاهر الدين مما كان يتلاءم إلى حد كبير مع عقلية البربر وما تتسم به من بساطة وفطرية ، ولقد وجد دعاة الخوارج فى بلاد المغرب أرضا خصبة لغرس تعاليمهم القائمة على المساواة بين المسلمين والثورة على الظلم ، وأدى انشغال بعض الولاة بالخصومات القبلية والحرص على جمع الأموال إلى إيجاد المناخ المناسب لنشر أفكارهم فشكك الخوارج فى صحة تصرفات هؤلاء الولاة (١) .

فالظلم الاجتماعى الذى وقع على البربر فى تلك المرحلة ساعد على اعتناق مبادئ الخوارج بشقيها الصفرى المتطرف والاباضى المعتدل . ولسنا بصدد التحدث عن تلك المذاهب ولكن الذى يهمنا هو أن البربر اعتنقوا تلك المذاهب جميعها(٢) .

= أما ابن عذارى فيذكر أن وجد المسلمون من البربر مبادئ الخوارج التى تنص على المساواة بين العرب وغيرهم من المسلمين ، وأن الإمامة حق متاح لكل مسلم وليست حكراً على العرب وحدهم تعبيراً عن نزعتهم الاستقلالية فنمت شخصية المغرب المستقلة فى ثورة الخارج التى اشتعلت بالبلاد قبل سقوط الخلافة الأموية بنحو عشرات السنوات وظهر ذلك واضحًا فى ولاية عبيد الله بن الحجاب ١٢٢هـ/ ٧٣٩م. ابن عذارى : البيان ، جـ١ ، ص ٥٢ .

(١) أدت سياسة التعصب للعرب والتفرقة بينهم وبين البربر إلى اشتعال ثوراتهم وإلى اعتناقهم لمبادئ الخوارج التى وجدوا فيها تحقيقاً لذاتهم بما تدعو إليه من مساواة وعدل وثورة على أئمة الجور . وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله « ان الخارجية حين رست فى البرب عروق من غرائسها تطاول البربر إلى الفتك بأمر العرب وقد كان رؤوس تلك الثورات كلهم من تطاول البربر إلى الفتك بأمر العرب وقد كان رؤوس تلك الثورات كلهم من البربر فيما عدا أبو الخطاب المعافرى ، واستمرت ثوراتهم قرابة نصف قرن إلى أن تمكنوا من تحقيق غايتهم بإقامة دولة مستقلة لهم اتخذت طابعاً قوميا بعيداً عن نفوذ العرب كانت أجداها دولة بنى مدرار الصفرية فى سجلماسة التى قامت سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م بزعامة أبو القاسم سمكو بن واسول المكناسي والأخرى دولة بنى رستم الأباضية فى تاهرت سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م فقد كان قيام تلك الدول بمثابة رد فعل عملى للخروج على نفوذ العرب .
انظر ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ١١١ .

(٢) عن مذهب الخوارج . انظر السلاوى : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ١١٤ ـ ١١٥ .
الدرجينى : طبقات الأباضية ، جـ ١ ، ص ٩٠ ـ ١٨٠ . النويرى : نهاية الأرب ، القسم الثانى ، ورقة ٢٢ ـ ٢٣ ـ أ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

وكانت مبادئ الخوارج[1] تحقق للبربر ما يطمعون إليه من مساواة مع العرب تلك المساواة التى حاد عنها بعض عمال بنى أمية[2].

ويبدو أن الخوارج لم يكونوا قليلين وإنما حفلت البلاد بعدد كبير منهم فاستطاعوا أن ينتشروا بين القبائل ويحضوها على الثورة ولم يدخروا وسعا فى سبيل ذلك فقاموا باختلاق الأحاديث النبوية التى تعظم من شأنهم وتعد المجاهدين منهما بالثواب العظيم وعمدوا إلى مدحهم فمدحوهم كل ذلك كنوع من الإغراء لجذبهم فى صفوفهم[3]. ويروى بعض المؤرخين أن البربر رغم ذلك آثروا إبلاغ أولى الأمر من الخلفاء عن مساوئ العمال فى إفريقيا حتى يكونوا على يقين أن تلك المساوئ من جانب الولاة كانت برضى وتأييد الخلفاء لذلك عمدوا إلى تكوين وفد اتجهوا به إلى الخليفة هشام بن عبد الملك[4]. والتباحث معه ولمطالبته بإصلاح الوضع فى المغرب ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إذ حال بينهم وبينه وزيره الأبرش فعادوا إلى بلادهم ونفوسهم تغلى بعد أن صمموا على الانتقام[5].

---

(١) أى أن الخلافة حق لكل مسلم ولو كان عبداً حبشيًا وذا يعنى المساواة ووصول أى جنس لمنصف الخلافة حتى لو كان من البربر.

(٢) وفى هذا يقول السلاوى « وحسن موقعها يعنى مبادئ الخوارجة لديهم بسبب ما كانوا يعانون من وطأة الخلافة القرشية وجور بعض عمالا فلقنهم أهل البدع أن الخلافة لا يشترط فيا القرشية بل ولا العربية .. ودسوا إليهم مع بعض تشديدات الخوارج وتعمقاتهم واروهم ما هم على من التصلب فى دينهم فظهر للبربر بادئ الرأى أن تعمقهم ذلك إنما هو من إثار الخشية للخ والخوف منه وأن ذلك هو عين التقوى المأمور بها شرعاً ».

انظر : السلاوى : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ١١٧ .

(٣) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٩٣ .

(٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٩ . ابن خلدون : العبر جـ ٦ ، ص ١١٨ .

(٥) وفى هذا يذكر الطبرى « فمازال أهل المغرب من اسمح أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك فلما دب إليهم أهل العراق واستشاروهم قالوا انا لا تخاف الأئمة بما تجنى العمال ولا نحمل ذلك عليهم ، فقالوا لهم : إنما يحمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا لم لا تقبل ذلك حتى تخبرهم فخرج ميسرة المصفرى فى بضعة عشر إنسانًا حتى قدم على هشام فطلبوا الإذن فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش وزيره » فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال =

وكانت عودة الوفد من دمشق بقيادة ميسرة المطفرى (المدغرى) فانتهز ميسرة فرصة خروج حبيب بن أبى عبيدة الفهرى نائب والى المغرب عبيد الله الحبحاب فى حملة بحرية لغزو صقلية[1] وبدا بإعلان الثورة فى إقليم طنجة (السوس الأدنى) فى رمضان سنة ١٢٢هـ وأعلن نفسه إماما وبايعه الناس وانضمت إليه قبائل مطفرة وغماره ومكانسه وبرغواطه[2].

وتقدم الثوار بقيادة عبد الأعلى بر جريج واستولوا على مدينة طنجة وهزموا عاملها عمر المرادى[3].

ويذكر صاحب أخبار مجموعة « لما كانت سنة إحدى وعشرين ثارت البربر على فرق الأباضية والصغريه ورأسوا عليهم ميسرة المحفور المدغرى فرجعوا إلى عامل طنجة عمر بن عبد الله المرادى فقاتلهم فقتلوا أهلها ويقال أنهم قتلوا الصبيان »[4].

وعندما بلغ ابن الحبحاب سقوط طنجة أرسل إلى واليه على الأندلس عقبة بن

= هم أحق به فقلنا هو أخلص لجهادنا وإذا حاصرنا مدينة قال تقدموا وأخر جنده فقلنا تقدموا فإنه ازدياد فى الجهاد ومثلكم كفر إخوانه فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم ثم أنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها عن السخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاه فى جلد ، فقلنا ما أيسر هذا لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك ، ثم أنهم ساموننا ان يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا فى كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فاحببنا أن نعلم أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا . قال نفعل . فلما طال عليهم ونفذت نفقاتهم كتبوا أسماؤهم فى رقاع ورفعوها إلى الوزير وقالوا هذه أسماؤنا وانسابنا فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فاخبروه بها ، ثم كان وجههم إلى إفريقيا فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على إفريقيا ، وبلغ هشاماً الخبر وسأل عن النفر فرفعت إليه أسماؤهم فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا » .

انظر الطبرى : تاريخ ، جـ ٥ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ . ابن الأثير : الكامل ، المجلد الثالث ، ص ٤٧ .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ . الرقيق القيروانى : ص ١٠٩ ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٥١ .

(٢) الرقيق ، ص ١١٠ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ . النويرى : نهاية الأرب ورقة ٨٤ب . الرقيق : ص ١٠٩ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٨ .

الحجاج السلولي يطلب منه التوجه لقمع الثورة في طنجة ، مما أدى إلى تعثر حركة الجهاد التي كان يقودها خلف البرتات ، ولكن عقبة لم ينجح في إخماد الثورة مما أدى إلى تأثر البربر في الأندلس بعد أن ترامت إلى مسامعهم ثورات إخوانهم في المغرب فقاموا بالثورة عليه وخلعوه وولوا عليهم واليهم السابق عبد الملك بن قطن[١] .

وامتدت ثورة البربر بقيادة ميسرة إلى السوس الأدنى وهزم الثوار الجيش الذي سيره إليهم إسماعيل بن عبيد الله ثم قتلوا إسماعيل نفسه وشجعت تلك الانتصارات التي احرزها الثوار إلى اشعال الثورة ضد العرب في كل أنحاء المغرب[٢] . وفي ذلك يقول صاحب أخبار مجموعة « وثب كل قوم من البربر على من يليهم فقتلوا وطردوا » [٣] واتجهوا إلى إفريقية حيث الوالي عبيد الله بن الحبحاب مما أدى إلى استنجاده بحبيب ابن أبي عبيدة الذي كان في غزوة إلى صقيلة ، وسير خالد بن حبيب الفهري على رأس القوات العربية[٤] وفيهم وجوه أهل إفريقيا من قريش والأنصار وغيرهم [٥] .

ولم تحدد المصادر تمام ميدان المعركة إلا أنها محصورة بين وادي شلف وما دون طنجة وبالقرب من تلمسان بالجزائر الحالية وكانت معركة قتل فيها عدد كبير من العرب القرشيين والأنصار حتى أنهم أطلقوا عليها غزوة الأشراف[٦] .

وحينما ترامت أخبار انتصارات البربر وهزيمة العرب ، حمل العرب عبيد الله ابن الحبحاب ما حدث فعزلوه كما عزلوا واليه على الأندلس[٧] .

وعندما وصلت أنباء ما أصاب العرب في إفريقيا إلى مسامع الخليفة هشام بن عبد

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٢٩ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢ . الرقيق ص ١١١ .
(٢) خليفة بن خياط : تاريخ بن خياط ، ص ٣٥٤ . ابن عبد الحكم ص ٢٩٣ .
(٣) أخبار مجموعة ، ص ٢٩ .
(٤) ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٥٣ . الرقيق ، ص ١٠٩ . ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ، ص ٢٢٢ .
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٩٤ . الرقيق : ص ١١٠ . ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٥٣ .
(٦) ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٥٤ . الرقيق : ص ١١٠ .
(٧) ابن عبد الحكم : جـ ١ ، ص ٢٩٤ . الرقيق : ص ١١١ . ابن عذارى جـ ١ ، ص ٥٣ .

الملك أقسم بالله « لأغضبن لهم غضبة عربية ولأبعثن إليهم جيشا أوله عندهم وآخره عندى ، ثم لا تركت حصن بربرى إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسى أو تميمى»[1] .

واعد الخليفة هشام بن عبد الملك جيشا لاسترجاع النفوذ العربى ، وولى على المغرب بدلا من ابن الحبحاب رجلا قيسيا هو كلثوم بن عياض القشيرى وأرسل معه بلج بن بشر القشيرى ، وثعلبة بن سلامة العاملى[2] ، وسير معه جيشا كثيفا نزل مصر فانضم إليه ثلاثة آلاف من جندها وازدادت قوات كلثوم بانضمام أهل طرابلس إليها[3] وأقام كلثوم على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفارى .

غير أن الانشقاق سرعان ما دب فى صفوف الجيش بسبب العصبية القبلية التى دبت بين العرب على اختلاف قبائلهم وبين أهل إفريقيا الذين رفضا سيادة أهل الشام عليهم »[4] .

ويذكر ابن عذارى أن « كلثوما وجه بلجا ليوقع بالبربر فسرى ليلته وأوقع بهم عند الصباح فخرجوا إليه فهزموه ووصلوا إلى كلثوم »[5] .

وحين يروى ابن الرقيق القيروانى تفاصيل تلك الوقعة نراه يشير إلى انقسام العرب إلى فريقين حيث يقول : « فمال أهل إفريقيا إلى ناحية ومعهم أهل مصر ، ومال أهل الشام إلى ناحية ثم سعى بينهم بالصلح »[6] ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن غالبية القبائل

---

(١) الرقيق القيروانى : ص ١١١ ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٥٤ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٥٤ .

(٣) ابن خياط : ص ٣٥٥ ، ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٥٤ .

(٤) الرقيق ، ص ١١٣ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٥٧ . إذ يذكر أن عدد الجيش بأنه كان مائة ألف محارب ويتفق معه فى ذلك ابن القوطية : تاريخ افتتاح ص ٤١ .
ويذكر المقرى أن عدد الجيش كان سبعين ألف . نفح الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص ١٢ . العبر ، جـ ٤ . ص ١٨٩ .

(٦) الرقيق : ص ١١٣ .

العربية فى مصر كانت من العرب اليمنية[1].

ولذا كانت مصر لمجاورتها لبلاد المغرب وللدور الذى أوضحناه فى فتوحها وإداراتها قد أثرت فى التكوين السكانى فى إفريقيا حيث انتقل إليها من مصر كثير من بطون القبائل .

ونجح البربر فى اختراق صفوف جيش الخلافة ، وقد حاول بلج إيقاف تقدم جيش البربر غير أنه فشل حيث حال الثوار بينه وبين ما أراد وانقلبت المعركة لغير صالح جيش إفريقيا وأحاطت جماعات من البربر ببلج ورجاله حيث حاصروهم وتمكن الخوارج من جيش كلثوم وقتل كبار رجال جيش كلثوم وكثير من وجوه العرب ، ولم يثبت إلا عبد الرحمن بن حبيب وكلثوم بن عياض الذى طلب من جنده الثبات حتى أوقع البربر بجيشه فى موضع يقال له بقدوره على الضفة لاسافل وادى سبو (نهر مدينة فاس)[2] سنة ١٢٣هـ حيث انهزم جيش الخلافة ، وقتل كلثوم بن عياض .

وتذكر المصادر التاريخية أن جيش إفريقيا تحول إلى ثلث مقتول وثلث مهزوم وثلث مأسور[3] .

وتعقب الثوار بلج بن بشر وفلول جيش الخلافة حتى وصلوا إلى مدينة سبتة الحصينة فتحصنوا بها وامتنعوا عليهم ، فسير الثوار إلى بلج جيشا بقيادة سالم الهوارى الذى استطاع بلج أن يقضى عليه ويشتت جيشه[4].

وتوالت جيوش الخوارج على سبتة كلما تقدم جيش تمكن بلج من القضاء عليه حتى قرر البربر ضرب الحصار حوله ، وكان حصارا صارما وجد منه جيش بلج صعوبة كبيرة فى الحصول على الطعام .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ . الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٧٧ ـ ٧٨ ، ٤٠٢ ـ ٤٠٣ . ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، جـ ٤ ، ص ٦٤ .

(٢) ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٥٥ ، أخبار مجموعة ، ص ٣٢ . دوزى ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٣٤ .ابن خياط : ص ٣٥٥ .

(٤) ابن عبد الحكم : جـ ١ ، ص ٢٩٥ .

وتذكر المصادر « أنهم جاعوا حتى أكلوا دوابهم »[1].

واستغاث بلج بن بشر القشيرى بوالى الأندلس عبد الملك بن قطن فلم يستجب لاستغاثته بل تغافل عنهم وسره هلاكهم وبلغ الحقد على العرب القيسية من ابن قطن أن عاقب عبد الرحمن بن زياد اللخمى الذى حاول مساعدة بلج فى إرسال المؤن إليه لانقاذه مما هو فيه[2].

ثم اضطر ابن قطن للموافقة على دخول رجاله إلى الأندلس وذلك تحت ضغط ثورة البربر فى الأندلس الذين أيدوا ثورة إخوانهم فى المغرب . وقبل دخولهم على شرط أن يدافعوا له رهنا من قوادهم ، وعلى أن يعود أهل الشام بعد فراغهم من حرب البربر فى الأندلس إلى إفريقيا[3] .

وقد تفاقمت الأوضاع بين العرب والبربر وحينما بلغ الخليفة هشام بن عبد الملك قتل عامله كلثوم بن عياض بعث إلى إفريقيا حنظلة بن صفوان واليه على مصر سنة ١٢٤هـ/ ٧٤١م[4].

إلا أن الأمر لم يستتب له فى القيروان إذ سرعان ما هاجمته جموع من البربر يقودها عكاشة الصفرى الخارجي « فى عسكر لم ير أهل إفريقيا مثله قط من البربر ولا أكثر منه[5] من ناحية مجانه[6] « فنزل القرن وهو بظاهر القيروان » على حين حاصرته قوة أخرى من البربر بقيادة عبد الواحد بن يزيد الهوارى من ناحية الجبال فرأى حنظلة أن يبدأ بقتال عكاشة قبل أن يطبق عليه وفعلا استطاع أن يدحرهم

---

(١) أخبار مجموعة : ص ٣٥ .

(٢) أخبار مجموعة : ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٣٨ ـ ٣٩ . ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٥٦ .

(٤) الرقيق القيروانى : ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٥) الرقيق : ص ١١٥ ، ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ٧٠ . ابن خلدون ، جـ ٧ ، ص ١٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، ٨٦ب . ابن عذارى : جـ ١ ، ص ٦٢ .

(٦) مدينة تبعد عن القيروان بأربع مراحل وأهلا يقال لهم السناجرة ، يقال أن أولهم من سنجار من ديار ربيعة وهم جند للسلطان وبها أصناف من العجم من البربر وغيرهم .
اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٤٩ .

ويلحق الهزيمة بقائدهم الخارجي ، ويصف القيرواني هذه المعركة بقوله « وكانت النساء قد ركبن ظهور البيوت بالقيروان فإذا رأين الغبار سائر إلى الجبل وسجدن ، وإذا رأينه مقبلا صرحن واستغثن ، فبعث حنظلة البشير بهزيمة البربر وانصرف راجعا إلى القيروان »[1] .

وقد تمكن حنظلة بن صفوان أيضًا من أن يلحق الهزيمة بعبد الواحد بن يزيد الهوارى[2] حين التقيا عند منطقة تدعى الأصنام[3] « تبعد ثلاثة أميال عن القيروان » وأعد حنظلة بهذه المعركة كل طاقته ويذكر ابن عبد الحكم « لما رأى حنظلة ما غشيهم من جموع البربر مع الفزارى وعبد الواحد احتفر على القيروان خندقا وزحف إليهم عبد الواحد وكتب إلى حنظلة يأمره أن يخلى له القيروان ومن فيه فاسقط فى أيديهم وظنوا أنهم سيسبون حتى أن كان حنظلة ليبعث الرسول منهم ليأتيه بالخبر ... فلقيه بالأصنام فهزم الله عبد الواحد وجمعه وقتل ومن معه وهرب من هرب منهم فلم يفتح لحنظلة عامل عكاشة الفزارى من ليلته فقاتله بالقرن ولم يكن بلغ عكاشة هزيمة عبد الواحد فهزمه الله ومن معه »[4] أما الرقيق القيروانى فيصف كيف هيأ حنظلة نفوس جنده وعبأها ضد الخوارج فيقول « وإذا بقصاص وقراء من أهل العلم والدين والفقه قد أرسلهم إلينا فتفرقا فينا وحرضوا على الجهاد وذكروا فضله ، وذكروا مذهب عدونا الخوارج وعظم ما يريدونه بنا من السبى وهتك الحريم وسفك الدم وأنه ليس ملجأ بعد هذا المقام ... ومشى حنظلة على الصفوف وأقبلوا يحرضون الناس ويرغبونهم فى الجهاد وخرج نساء القيروان ففقدن الأولوية وأخذن معهن السلاح وعزمن على القتال واستبسلن للموت مع الرجال » .

وبعد هزيمة الخوارج فى هذه الموقعة انتهوا إلى جلولاء . وكان عبد الواحد قد

---

(١) الرقيق : ص ١١٧ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٩ . ابن عذارى ، جـ١ ، ص ٦٣ . المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٣٩٩ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٩٩ .

(٤) ابن الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ١٢٠ .

تمكن من إستعادة تونس وبويع له بالخلافة فيها[١].

وقد تركت الأحداث التى شهدتها إفريقيا والمغرب من صراعات قبلية بين العرب بعضهم مع البعض وبينهم وبين البربر أثرها على الأحداث فى الأندلس فقد كانت الأحداث التى تجرى فى الأندلس انعكاسا لما كانت عليه الأحوال فى بلاد المغرب ، فقد شهدت الأندلس استمرار النزاع بين العرب القيسية واليمنية منذ أن انتقل بلج بن بشر إليها بعد أن اضطر ابن قطن للسماح له بالعبور إلى الأندلس تحت ضغط ثورة البربر فى الأندلس كما ذكرنا .

وبانتصار جيوش عبد الملك بن قطن وبلج بن بشر على الثوار من البربر فى الأندلس بدأت مشاكل الصراع بين الطرفين تتأجج مرة أخرى نظرا لتصميم عبد الملك على إخراج بلج من الأندلس . فرفض بلج الخروج بعد أن استطاب له المقام فى الأندلس مما أدى إلى نشوب الصراع بين الطرفين ذلك الصراع الذى انتهى بمقتل ابن قطن وتولية بلج بن بشر الزعامة [٢].

غير أن أبناء عبد الملك بن قطن (أمية وقطن) جمعوا حشود اليمنية واستعدوا للثأر لمقتل أبيهم ، وعندما وصلت أخبر تلك الحشود إلى صاحب أربونه (فارس الأندلس) عبد الرحمن بن علقمة ـ وكان أنذك خلف البرتات حيث منطقة الجهاد والمرابطة للعدو ـ صمم على ترك موضعه لينضم لقوات اليمنية للأخذ بثأر ابن قطن فى صراعهم ضد بلج ورجاله من العرب القيسية تاركا البلاد عرضة لاطماع الفرنجة المتربصين بها ، فقام بسحب جميع رجاله المرابطين خلف البرتات وتوجه للانتقام لمقتل ابن قطن[٣] ، ولا شك أن حركة الجهاد خلف البرتات ستتعرض للكثير من الهزات بعد أن اخليت أربونه من جميع رجالها نتيجة للدخول فى تلك الثورات الداخلية .

---

(١) الرقيق : ص ١٢٢ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .
(٢)
(٣) المقرى : المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص ٢٠ .

ونجحت جيوش العرب القيسية فى الانتصار على اليمنية ولكن بعد مقتل بلج ابن بشر ، وبمقتله آلت الزعامة إلى ثعلبة بن سلامة العاملى(١) .

ولما بلغ هشام ما حل باليمنيين على أيدى أهل الشام وكانت آنذاك قد وصلته رسالة من زعيمهم أبى الخطار بن ضرار اكلبى كتب إلى حنظلة بن صفوان والى إفريقيا بأن يولى الخطاب ولاية الأندلس ليضع حدا للفتنة القائمة بين البلديين والشاميين(٢) وكان ذلك عام ١٢٥هـ/ ٧٤٣م(٣) .

وكان لتلك الفتنة فى المغرب والأندلس آثار سيئة إذ أدى انشغال المسلمين فى قمع تلك الفتن التى تسببت فى قصم عرى العلاقات بين العرب والبربر دون أن يعملوا حسابا لتلك الجيوش الإسلامية التى كانت تخوض المناطق الوعرة خلف جبال البرتات ، فقد كانت بحاجة إلى قوى تدعمها لإقرار النظام بين صفوفها لا سيما وأن معظم رجالها كانوا من البربر . وأن هذه المناطق لم يتمكن العرب من فتحها وحدهم دون سواعد إخوانهم من البربر ، وأن تلك الجيوش المحاربة كانت بحاجة إلى أوضاع مستقرة فى بلاد الأندلس فهى القاعدة والمدد والمؤون التى تستمد منها غالة قوتها فى متابعة النشاط الحربى فالقيروان تدعم قرطبة وقرطبة تدعم المسلمين فى غالة . وكانت الحكمة والحاجة يقتضيان نسيان جميع الفتن والمشاكل حتى يضمنوا استمرار الجيوش فى تلك المناطق البعيدة من الأرض الكبيرة لذلك خسرت حركة الفتوح الإسلامية فى غالة الكثير من البربر الذين شكلوا قوام الجيوش الفاتحة وراء البرتات وكان انضمامهم بتلك الأعداد الكبيرة مدعاه لتغطية النقص فى القوة العسكرية التى

---

(١) ابن القوطية : تاريخ ، ص ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ ، ابن الأبار : الحلية السيراء ، جـ ١ ، ص ٦٤ . ابن تغرى بردى : جـ ١ ، ص ٢٨٠ ، ابن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان ، ص ٨٩ .

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، ص ١٠٢ . ولقد وضح ابن الخطيب أن البلديين هم الداخلون الأندلس على يد موسى بن نصير قسموا بالبلديين لاستقرارهم فكان دخولهم مع بلج بن بشر القشيرى سنة خمس وعشرين ومائة .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ١٠٢ . ابن القوطية ص ٤١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ص ٢٨٠ .

تحتاج إلى مدد مستمر . ذلك حرمت تلك الفتنة القوة الدافعة المحركة لنشاط المسلمين[1] ، واقتصرت إغارتهم على أيام الهدوء التى سادت بينهم وهى أيام لم يطل صفاؤها خلال هذه المرحلة المبكرة من حكم المسلمين .

لذلك أدت المنازعات إلى إضعاف الوحدة الإسلامية بدرجة كبيرة وعرضت كيانهم لخطر شديد فاق ما ترتب على مثيلاتها من الخصومات فى سائر أرجاء الدولة الإسلامية ، إذ أن المسلمين انشغلوا بخصوماتهم فى تلك الرقعة ، التى كانت تمثلا ثغرا هاما ومنطقة حساسة ، وأهملاإعداد هذه القاعدة الكبرى قبل بدء إغاراتهم على بلاد الغال فكان أخطر مظاهر الإهمال انصراف المسلمين عن بقايا القوط الذين اعتصموا باشتوريش وجليقية ورفعوا رؤوسهم بجرأة وتصدوا للمسلمين . بعد أن أخلى البربر مناطق واسعة وسط الأندلس وشمالها وعادوا إلى إفريقيا وكان ذلك فرصة سانحة للنصارى للانتشار فى هذه المناطق الإسبانية وتكوين دويلات هناك أصبحت حاجزا بين المسلمين فى الأندلس وجنوب غالة بل قامت بعد ذلك بتقليص دولة الإسلام هناك .

وهكذا أخلت المناطق المتاخمة لميادين الكفاح الإسلامى من سكانها المسلمين وتكونت الدول النصرانية فى الشمال تلك الدول التى قامت بدور الحاجز والتى أصبحت تحمى جنوب غالة من الهجمات الإسلامية وانتقال جهود المسلمين إلى مناطق الشمال الإسبانى بدلا من الجهاد فى الأرض الكبيرة[2] .

رابعا : أثر التجمع المسيحى فى اشتوريش وغاليبه :-

لو تتبعنا بداية الحركة النصرانية لعرفنا أن جذورها ترجع إلى الفترة الأولى أثناء فتح المسلمين لبلاد الأندلس ، إذ بعد انتصار المسلمين فى معركة وادى لكه الحاسمة عام ٩٢هـ/ ٧١١م فرت شراذم قليلة من الجيش المنهزم إلى الشمال واختفت فيما وراء تلك الجبال الشمالية فى منطقة تقع فى الركن الشمالى الغربى المسمى باشتوريش

---

(١) حسين مؤنس : فجر ، ص ٣٩٣ ، العدوى : المسلمون والجرمان ص ١٦٠ ـ ١٦٣ .

(٢) ابن عذارى : جـ ، ص ٣٨ .

Asturias منطقة غاليبه (جليقية) Galicia ولم يفرض المسلمون سلطانهم عليها نظرا لوعورة مسالكها ، وبرودة مناخها فأهملوها احتقارا لشأنها ، ولكن ظلت فلول الجيش القوطي المنهزم تنتظر الفرصة المناسبة للتجمع والاستعداد للقاء المسلمين مرة أخرى متطلعين من تلك المناطق التي يطلق عليها الإسبان قمم أوروبا Picos de Europe وهي تتكون من ثلاثة جبال مرتفعة ، القمة الغربية منها وتسمى اونجا Onga وبها مغارة تعرف بكهف اونجا Cova de onga [1] ويسميها العرب صخرة بلاي[2] Pana de Pelayo أو الصخرة الممتدة أقصى شرق اشتوريش .

وفي تلك الصخرة اختبأ بلاى وأصحابه حينما حاصرهم المسلمون وعاش هو ومن معه في تلك المنطقة على عسل النحل الذى كانوا يجدونه في خروق الصخرة .

وفي هذا الصدد يذكر عيسى بن أحمد الرازى « أن المسلمين بالأندلس استولوا على النصرانية ، وأجلوهم ، وافتتحوا بلادهم حتى بلغوا أربونة من أرض الفرنجة ، وافتتحوا بنبلونه من جليقية ، ولم يبق إلا الصخرة فإنه لاذ بها ملك يقال له بلاى ، فدخلها في ثلاثمائة رجل ، ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا ، وبقى في ثلاثين رجلا وعشر نسوة ، ولا طعام لهم إلا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به ، حتى أعيا المسلمين أمرهم ، واحتقروهم ، وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجئ منهم ؟ فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا خفاء به »[3] .

ومن هؤلاء النفر القليل الذين استهان بهم المسلمون واحتقروهم كانت النواة الأولى لحركة التجمع النصراني ضد المسلمين أو لحركة الاسترداد الإسبانية كما يطلق

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ .

عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ضد المسلمين في الأندلس ، جـ ١ ، ص ١٥ ـ ١٦ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٩ .

(٣) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثالث ، الجزء السادس ، ص ١٥ .

عليها المؤرخون الإسبان La Roconquista [1].

وكان استدعاء موسى بن نصير وطارق بن زياد من قبل الخلافة فى دمشق قد حال دون إتمام فتح منطقة جليقية واشتوريش[2].

ولقد كون القوط ثلاثة مراكز لهم الأول : مملكة جليقية واشتوريش ، والثانى مملكة نبره (نافار) ، والثالث : إمارة قطالونية (كتالونيه)[3].

وتتمثل أهمية مملكة جليقية واشتوريش Asturias أنه أول إقليم قام سكانه بحركة تمرد وخروج على المسلمين فى أواخر عام ٩٩هـ/ ٧١٨م أى بعد سبع سنوات فقط من فتح المسلمين لبلاد الأندلس[4].

إلا أن مجاورة جليقية واشتوريش لمنطقة كنتبريه Cantabria التى لم تكن شملتها موجة الفتح الإسلامى ، جعل الدوق الفونو ينتهز الفرصة ويضم جليقيه

---

(١) يرى الإسبان أن هذه الحركة (حركة الاسترداد) متصلة بتاريخهم القومى عبر العصور ، فى حين يرى د. حسين مؤنس أن إطلاق هذ التسمية على حركة المقاومة النصرانية منذ ميلادها وربطها بحركة الاسترداد الحقيق التى بدأت بعد سقوط قرطبة أمر لا يخلو من الخطأ ، لأن بعض مناطق أشتوريش لم يفتحها المسلمون ، فميلاد هذه الحركة لا يعتبر بدء الاسترداد ، وإنما يعتبر ميلاد لحركة المقاومة النصرانية المسيحية . حسين مؤنس : بلاى وميلاد اشتوريش ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .
ويرى خليل السامرائى : أن إطلاق مصطلح حركة الاسترداد يحمل بين طياته دعوة نصرانية وصليبية حاقدة حيث يمكن أن يفسر أن المسلمين مغتصبون ومستعمرون للأراضى الإسبانية من أهلها ، ومن حق أهلها أن يستردوها من هؤلاء المغتصبين ، فى حين أن واقع المسلمين فى جميع فتوحاتهم لا تشير ولا تشهد بأنهم كانوا مغتصبين ، بل حملة رسالة إنسانية عادلة وخيرة . كما تشير إلى ذلك فتوحهم وانطلاقهم فى كل مكان وباعتراف أهالى تلك المناطق المفتوحة بأنفسهم .
انظر خليل السامرائى : الثغر الأعلى الأندلسى ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٦ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٩ . ابن عذارى : البيان ، جـ ، ص ٢٣ . المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٣) محمد عبد الل عنان : جـ ١ ، ص ٢١٠ . رجب عبد الحليم : العلاقات ص ٩١ .

(٤) عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ، ص ١٥ ـ ١٦ .

واشتوريش إلى دوقينه منذ العام الأول لاعتلائه الحكم سنة ١٢١هـ/ ٧٣٩م وأعلن ميلاد أول كيان سياسى مسيحى فى الشمال مستقلا عن الكيان الإسلامى فى الجنوب عرف بمملكة اشتوريش El . Reino de Astarias فكان ذلك أول تكتل مسيحى ضد المسلمين فى تلك الفترة المبكرة .

وبدأت تلك المملكة ضعيفة منعزلة مستقلة عن المسلمين دون أن تتطلع إلى الاستئثار بالسلطة فيها من دونهم ، ولكنه سرعان ما كبرت مساحتها فشملت كل ما يقع شمال نهر دويره Duero من أمام إقليم جليقيه Galicia المطل على المحيط الأطلنطى غربا حتى بلاد البشكنس (الباسك) Vascones شرقا وزادت قوتها وتثبتت أقدامها وأمنت جبهتها الداخلية وتطورت استراتيجيتها من مجرد الدفاع إلى الهجوم على المسلمين ، واتسمت علاقتهم بالعداء وهو عداء ورثته اشتوريش للقوى المسيحية التى خلفها مثل ليون Lean وقشتاله Gastilla وجليقيه Galicia [1] .

أما التجمع النصرانى الثانى : فيعرف بمملكة نبره (نافار) Navar وهى فى غربى جبال البرتات إلى الشرق من جبال كنتبريه Cantabria على أبواب غاله وهى تمثل مملكة فاصلة بين إمارة برشلونة الواقعة على ساحل البحر المتوسط فى الشرق وبين مملكة جليقية التى تسمت بمملكة ليون وقشتالة فى القرن ٩هـ/ ١٥م وكان سكانها شعبا قويا شديدا المراس يطلق عليهم الباسك نسبة إلى منطقة بسكايه Biscaya وكان العرب يسمونهم البشكنس أو البشكونس وهم أمة مستقلة بنفسها لهم لغتهم الخاصة وهم أشد الأمم استمساكا بقوميتهم واحتفاظا بعاداتهم وتقاليدهم وهم قليلوا العدد شديدو الشوكة[2] .

وكانت قاعدتهم مدينة بمبلونه Pamplona التى حكمها المسلمون فترة طويلة ثم فقدوها فى أواخر القرن الثانى الهجرى أمام غزوات الفرنجة المستمرة لحدود الأندلس

---

(١) عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة ، ص ١٥ ـ ١٦ .

(٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٦ . الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ٥٦ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ .

الشمالية ، فقد كانت هذه المدينة نظرا لموقعها عرضة للمسلمين والفرنجة عند عبور كل منهما للآخر ، ولقد حاول كل منهما غزوها ، ولكن أهلها البشكنس الباسك لا يتوانون عن الذود عن استقلالها [1].

أما التجمع النصراني الثالث فهو إمارة قطالونية Catalonia وهي من الأمم المستقلة بنفسها وأهلها يقال لهم القطلان أو الكتالان لسانهم غير لسان الإسبان ولغتهم قريبة إلى لغة البروفانس وهم لا يتفقون مع أهالي قشتالة[2].

وتمتد إمارة قطالونيا من جبال البرتات في الشمال إلى بلنسيه في الجنوب ومن منطقة الثغر الأعلى (سرقسطه) في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق[3].

ولم تستطع تلك الممالك الظهور على مسرح السياسة إلا بعد أن وصل المسلمون أنفسهم إلى درجة كبيرة من التفرقة والضعف الذى دب بين صفوفهم مما أفسح المجال لهذه الجماعات أن تتصدى لهم عندما أدركوا مدى عمق الخلافات بين العرب والبربر. فأدى ذلك إلى قصم عرى الوحدة الإسلامية وعرض كيانها لخطر فاق ما ترتب على كل الخصومات والمشاكل في سائر أرجاء الدولة الإسلامية ذلك لأن اشتغال المسلمين بخلافاتهم أدى إلى عدم الحرص على تأسيس قاعدة حصينة قبل عبورهم جبال البرت وبدء إغارتهم على بلاد الغال فأدى ذلك إلى تجدد روح المقاومة بين النصارى والقوط خاصة لعرقلة حركة الجهاد الإسلامي فيما وراء البرتات[4].

ويبدو أن وقوع الفتنة بين العرب والبربر جعل البربر يقررون العودة إلى مواطنهم الأصلية ، فهجروا الأرض التى عاشوا فيها وزرعوا ، وأخذوا يرحلون عنها ، وفعل العرب مثلهم ، مما أدى إلى إخلاء تلك المناطق ، فقلت الخيرات ، وماتت المحصولات

---

(١) محمد عبد الل عنان : جـ ١ ، ص ٢١٠ ، رجب عبد الحليم : العلاقات ، ص ٩١ .
(٢) الاصطرخي : المسالك والممالك ، ص ٣٥ ، الميرى : صفة ، ص ٤٢ .
(٣) شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ، ص ٣٢١ .
(٤) إبراهيم العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

وتعرضت البلاد لخطر المجاعات وفي ذلك يذكر كل من ابن عذارى ومؤلف مجهول أنه في سنة ۱۳۳ ، ثار أهل جليقيه وترددت الغارات عليهم ثم استحكم الجوع والقحط سنة أربع وثلاثين وسنة خمس وبعض سنة ١٣٦ ، فخرج أكثر من فيها إلى طنجة وزويله ، وريف البحر في العدوة ، وكانت إجارتهم من وداى شذونه وهو المعروف بوادى برباط وبه سميت السنة »[١].

وهكذا كانت نتيجة الفتن التي وقعت بين العرب والبربر ، أن عاد البربر إلى مواطنهم الأولى بإفريقيا وفقدت بلاد الأندلس بخروجهم أعدادا عظيمة من الناس الذين عمروا تلك الأراضي وزرعوها ، إضافة إلى سوء الأحوال الجوية التي مرت بها البلاد في تلك الفترة من قلة الأمطار وهبوب العواصف التي كثيرا ما تعرضت لها البلاد طوال السنوات الخمس من سنة ١٣١هـ إلى سنة ١٣٦هـ[٢] ٧٤٩م ـ ٧٥٥م. وزاد من ذلك البلاء تنبه النصارى إلى سوء حال المسلمين واستغلال تلك الظروف ، فاتجهوا جماعات لاحتلال تلك المناطق الخالية والواسعة الواقعة بين نهرى دويره وتاجه وأخذوا يشددون هجماتهم على المسلمين ويهددونهم من آن لآخر ليشغلوهم عن أغراضهم الأساسية في مد نفوذهم وتوسيع رقعة المناطق الإسلامية[٣].

ولم يتنبه المسلمون لذلك الخطر بل قامت بينهم حروب ضارية[٤] ولم تتنبه هي الأخرى إلا بعد أن وجه المسلمون معظم نشاطاتهم الحربية إلى نواحي أخرى من خارج الأندلس أو داخلها ، وعلى الأخص إقليم سرقسطة Zargoza (الثغر الأعلى الأندلسي) واراجون Aragon وكاد يخرج من أيديهم بسبب تطلعات حكامه المستمرة إلى الاستقلال وخسر المسلمون بذلك ربع ما فتحوه في شبه جزيرة الأندلس[٥].

---

(١) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٣٨ . مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٦٢ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٣٨ .

(٣) مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ . حسين مؤنس : فجر ، ص ٢٣٤ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٦٢ ـ ٦٣ . ابن عذارى : البيان جـ ٢ ، ص ٣٥ . ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١١٩ ـ ١٣٠ . دوزى : تاريخ مسلمى إسبانيا ، جـ ١ ، ص ١٢٤ ـ ١٣٥ .

(٥) مؤلف مجهول ، ص ٦٢ . المقرى : المجلد الأول ، جـ ١ ، ص ١١٠ .

وهكذا لم يعد لمسلمى الأندلس وقت للاهتمام بأمر اشتوريش وادركت اشتوريش ذلك فحرصت على أن تفت فى عضد المسلمين بكل الوسائل العلنية والسرية ، فخاضت عدة حروب وعاونت ثوار المدن الأندلسية ، وألبت عليهم عمال الثغور الأندلسية فضلا عن محاولات حكامها المستميتة لفرض سيطرتهم على مراكز التجمعات المسيحية الأخرى مثل نبره Navar بغرض توحيد الجبهة المسيحية ضد المسلمين فى الأندلس ، كما قامت بتوسيع علاقتها مع ملوك الفرنجة فى غاله للحصول على العون العسكرى ، واتصلت ببابوات روما لإضفاء الصبغة الشرعية على صراعها السياسى ضد المسلمين ومباركته [1].

ولم يتهيأ لكل من نبره وقطالونيا أن تلعب دورا مهما مثل اشتوريش فى مقاومة المسلمين بسبب موقع كل منهما فالأولى خلف موضع تنافس القوى المحيطة بها من الفرنجة والمسلمين والثانية كانت تخضع لنفوذ الفرنجة[2].

ذلك تركزت حركة التمرد فى إقليم اشتوريش وما أعقبها من قيام مملكة مستقلة عن النفوذ الإسلامى فى الأندلس ، وهى أول محاولة إسبانية مسيحية لإعاقة المسلمين عن جهادهم .

وأصبحت اشتوريش البؤرة التى انبثقت منها فكرة المقاومة المسيحية فابتدأت بها أول مراحل التقلص التدريجى البطئ للنفوذ الإسلامى فى الأندلس ، وهو تقلص تكفلت الدول المسيحية التى ظهرت بعد اشتوريش باتمام مراحله[3].

وللمزيد عن هذه الحركة يجب أن نلقى الضوء على زعيمها الذى يطلق عليه بلاى ؟ فمن هو بلاى هذا الذى استطاع جمع النصارى ؟ . اختلفت المصادر والمراجع فى أصله فيرى ابن الخطيب أن بلاى ابن لدوق كنتبريه المسمى فافيلا Favila [4].

---

(١) عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة ، ص ١٦ .
(٢) شكيب أرسلان : الحلل ، جـ ٢ ، ص ٩٩ .
(٣) عبد المحسن رمضان ، ص ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ .
(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٢٢ .

وكان أبوه على خلاف مع ملوك إسبانيا قبل مجئ لذريق ، ومن لم مات الملك وخلفه بلاى هذا وأصبح من أعوان لذريق وحامل سيفه حتى فتح المسلمون الأندلس[1]. وهناك اختلاف في شخصيته فقسم يجعله ابن أخي لذريق[2] وقسم آخر يجعله من سلالة القوط[3] ولسنا بصدد تتبع هذا وإنما الذى يهمنا هو أن بلاى يبدو أنه من زعماء المنطقة وله الفضل فى جمع النصارى بالأندلس[4] . الذين فروا أمام الزحف الإسلامى وتجمعوا فى اشتوريش عند منطقة الصخرة ، ولما سمعوا بوفاة لذريق Roderic انتخبوا بلاى خليفة له وقام بلاى واتخذ من مدينة كانجاس دى اونيس Cangas de Ohis عاصمة له . وبذلك عد بلاى مؤسس الإمارة النصرانية الأولى[5].

ولم يتفق المؤرخون فى بدء ثورة بلاى وفى عهد من الولاه فهناك من يرى أنه فى ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفى الثانى من أمراء الأندلس فقد ذكر المقرى أن « أول من جمع فل النصارى بالأندلس ـ بعد غلبة العرب لهم ـ على علج يقال له بلاى من أهل اشتوريش من (أهل) جليقية كان رهينه عن طاعة أه بلده فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفى الثانى من أمراء العرب بالأندلس وذلك فى السنة السادسة من افتتاحها وهى سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقى الملك فيهم إلى الآن »[6].

ويبدو أن الحر بن عبد الرحمن والى قرطبة قد أصدر تعليماته لنائبه للحاق بهذا الهارب وتعقبه وإلقاء القبض عليه وإعادته إلى قرطبة ، وكادت القوات الإسلامية أن

---

(١) مؤنس : بلاى ، ص ٧٥ .

(٢) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ١٦٥ .

(٣) مؤنس : بلاى ، ص ٦٢ . وللمزيد انظر عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة ، ص ١٩٦ ـ ٢٠٤ .

(٤) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثالث ، القسم السادس ، ص ٨٣ .

(٥) حسين مؤنس : بلاى ، ص ٥ .

(٦) المقرى : المجلد الثالث ، جـ ٦ ، ص ٨٢ ـ ٨٣ .

تظفر به ولكن ساعده على الاختباء وعدم الظهور اختفاؤه فى مناطق غابات كثيفة فى طريق وادى كانجاس Cangas واختفى عن أعين مطاردته فى قسم أوروبا Picos de Europa التى يصعب البحث عمن يختفى بها وذلك لوعورتها فعادت القوات دون أن تحقق مهمتها(١) .

ويبدو أن بلاى استطاع اقناع الاشتوريين والقوط والجرمان بحرب المسلمين والتكتل ضدهم ، فتدفق إليه الناس من كل صوب فى المكان الذى عرف بصخرة بلاى الواقعة بجبل أوسيه Auseva أحد الجبال المعروفة بقمم أوروبا وقرروا اختيار مدينة كانجاس دى اونيس Congasda مركز الهم . والتعبئة ضد المسلمين(٢) ونتيجة لانشغال الحر بحركة الجهاد فيما وراء البرتات سهلت مهمة المسيحيين اللاجئين إلى اشتوريش على العصيان وزرع نواة المقاومة ووضع أسس الدولة المسيحية ، أو قد يكون سخط الناس من عسف وظلم الحر الذى عرف عنه الجور والشدة وكان هؤلاء حديثى العهد بالخضوع للعرب فثقل عليهم ذلك وغلت نفوسهم واستغل بلاى هذا الغليان وأعلن الثورة والتمرد(٣) . ومنهم من يرى أن ثورة بلاى كانت فى أيام عنبسة بن سحيم الكلبى بين عامى ١٠٣ ـ ١٠٧هـ/ ٧٢١ ـ ٧٢٦م حيث ازداد خطر بلاى فى الصخرة وقام بالدعوة لمقاومة المسلمين فى الأندلس كما يرى ذلك عيسى بن أحمد الرازى(٤) .

ولم تذكر لنا المصادر بأن عنبسة بن سحيم الكلبى قد قام بغزو نصارى الشمال وإنما ذكرت أنه خرج للأرض الكبيرة انتقاما لمقتل السمح بن مالك حتى استشهد عام ١٠٧هـ/ ٧٢٦م . ولكن المسلمين فى تلك الفترة كانوا قد تنبهوا لحركة بلاى فقام عاملهم فى اشتوريش المسمى مونوسه بالتصدى له والجأه إلى الصخرة فى عدد قليل من أنصاره ولكن لسوء الحظ قام صراع بين مونوسه ووالى الأندلس عبد الرحمن

---

(١) عبد المحسن رمضان ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٢) عبد المحسن رمضان ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(3) Reinaud : op. cit., P. 14 .

(٣) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثالث ، القسم السادس ، ص ٨٣ .

الغافقى ١١٣ ـ ١١٤هـ/ ٧٣٢ ـ ٧٣٣م وقضى الغافقى على مونوسه لم اتجه لحرب الفرنجة فخلا الجو أمام بلاى فتشجع وخرج من الصخرة وأخذ فى التوسع حتى استولى على خيخون Gijon وسط سلطان على اشتوريش وكنتيريه واتسع ملكه ليشمل جزءا من جليقيه[١] .

ولما تولى أمر الأندلس عقبة بن الحجاج السلولى ١١٧ ـ ١٢٣هـ/ ٧٣٥ ـ ٧٤١م جعل همه الانتقام لكارثة بلاط الشهداء والقيام برد عاديه نصارى الشمال والقضاء على دولتهم فى اشتوريش وجليقيه[٢] .

ويبدو أن علقمة لم يحقق نجاحا فى القضاء على النصارى إذ تذكر المراجع النصرانية ذات الطابع التعصبى أحداث تلك الثورة مفصلة فتذكر أن المسلمين خرجوا للقضاء على بلاى بقيادة رجل يدعى علقمة فحاصروا بلاى واتباعه فى كهف يسمى أونجا Onga واستطاعوا أن يضيقوا عليه الخناق وأرسلوا مندوبا من قبلهم يطب منه الاستسلام فرفض وكان المسلمون واثقين من النصر وتجددت الحرب مرة أخرى وفى تلك المرة انتهت بهزيمة المسلمين هزيمة ساحقة بعد أن قتل منهم عدداً كبيراً ووقع قائدهم أسيرا ، وتجعل المصادر الإسبانية من هزيمة المسلمين نصرا عسكريا وقوميا للإسبان بل تذهب إلى أن العناية الإلهية قد تدخلت فى صالحهم وأن سهام المسلمين سارت ترتد إلى صدورهم وأن قطع الجبال صارت تنهار عليهم فتقتلهم انتقاما من السماء[٣] وسميت تلك المعركة كوفادونجا cova Donga وتعرف عند المسلمين بصخرة بلاى Penq de Pelayo . وهو صدام أصيبت فيه القوة الإسلامية بأول هزيمة وانحسر النفوذ الإسلامى عن الجزء الجبلى القاحل الذى دارت فيه المعركة فى أقصى شرقى اشتوريش[٤] .

---

(١) مؤنس : بلاى ، ص ١٩ ـ ٢٠ . عبد المحسن رمضان : المرجع السابق ص ٢٤٤ وما بعدها .

(٢) رجب عبد الحليم : العلاقات ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٣) مؤنس : بلاى : ص ٦٦ . السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٠٦ . العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٧ .

(٤) مؤنس : بلاى ، ص ٦٧ .

ويبدو من ظاهر الروايات النصرانية أنها ضخمت الأحداث وأكثرت من المبالغة لكي تصور عظمة بلاى وقوته الصغيرة أمام قوة المسلمين الكبرى لتصور مدى انهيار المسلمين أمام النصارى(١) .

ويذكر كوندى Conds : أن عامل المسلمين على اشتوريش البربرى مونوسه هو الذى تصدى لحركة بلاى ورده إلى الصخرة مع عدد قليل من أنصاره وأن الغافقى تخلص من مونوسه ، وبذلك أصبح بلاى يقف مواجهة أمام المسلمين(٢) .

وبعد ولاية عقبة بن الحجاج السلولى الذى ثار عليه عبد الملك بن قطن وتولى

---

(١) ادعى المسيحيون أن هناك تأييداً سماويا قد حالفهم إلا أن الحقيقة أن طبيعة المنطقة . كانت السبب الرئيسى للهزيمة ولذلك ينبغى أن نلقى ضوءاً على الأرض التى قامت عليها المعركة .
يبدأ الطريق ما بين وادى كانجاس Canicas فى الغرب إلى جبل أوسيه Auseva فى الشرق بواد ضيق محفوف بتلال عالية مغطاة بأشجار كثيفة محاذ فى نفس الوقت لمجرى نهر سلا Sella _(Buena) الحالى _ وعندما يتحد هذا النهر على بعد نصف فرسخ من مدينة كانجاس مع نهر دييا فإن الوادى ينحنى تجاه الجنوب مع اتجاه منبع النهر الأخير ، ولمسافة فرسخ آخر تكاد التلال تبدو جبالا على ضفتى النر ، ويزداد ارتفاعها مع التقدم فى السير ، ويختنق الوادى أيضًا ويضيق حتى يصل إلى منطقة تليه تسمى La Riera ومنها إلى الصخرة نصف فرسخ آخر ، أكثر وعورة وتعقيداً ، إذ لا يرى خلاله إلا قمم عالية متراصة تحيط بالوادى من كل جوانبه ويتخيلها المرء فكا مفترسا يطبق على فريسته ويضيق الوادى وينكمش حتى لا يبقى فى اتساع أكثر من عرض نهر دييا ذاته ، ويبدو الوادى فى النهاية عميقا عند أقدام الكهف _ الصخرة _ الذى يرتفع إلى حوالى ثلاثين متراً . وبه يتغلق الوادى تمامًا وينتهى دون مخرج إلى ما وراءه من كتل جبال قمم أوروبا Los Picosde Europa بسبب المنحدرات الصخرية الشاهقة المحيطة التى لا تترك سوى منحدراً واحد وهو إن كان شاقا أيضًا _ فإنه أقل صعوبة من تسلقه من غيره ويؤدى إلى مدخل الكهف » .
للمزيد انظر عبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ، ص ٢٥٨ _ ٢٥٩ .
ويؤيد ذلك ما ذكره عنان : فيقول : إنه استطاع زيادة تلك المنطقة الوعرة وشهد الصخرة المنيعة ورأى أروع منظر يمكن تصوره من الصخور الوعرة والآثام الرفيعة المدببة وأدرك كيف عجز المسلمون عن اقتحام هذا المعقل المنيع .
محمد عبد الله عنان : جـ ١ ، ص ٢١١ .

(2) Conde : History of dominion of arabs in Spain. V. I. P. 106 - 107 .

الحكم ، تنفس بلاى الصعداء بعد أن وصلته أخبار صراع العرب مع البربر والعرب مع بعضهم البعض ، حتى قامت الفتنة بين أبي الخطر وثوابه وبين الصميل ويوسف الفهرى عام ١٣٠هـ/ ٧٤٧م فتهيأ الجو للنصارى لتحقيق أهدافهم[١].

وفى هذا يذكر صاحب أخبار مجموعة « لما كانت سنة ثلاث وثلاثين هزمهم وأخرج عن جليقية كلها وتنصر كل مذبذب فى دينه وضعف عن الخروج وقتل من قتل وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى استورقه حتى استحكم الجوع فأخرجوا أيضا المسلمين عن استورقه . وغيرها وانضم الناس إلى ما وراء الدرب الآخر والى قوريه وما رده فى سنة ست وثلاثين واشتد الجوع فخرج أهل طنجة وأصيلا وريف البربر ممتارين ومرتحلين وكانت إجارتهم من وادى بكورة شذونه ويقال له وادى برباط فتلك السنون تسمى سنى برباط ، فخف سكان الأندلس وكاد أن يغلب عليهم العدو إلا أن الجوع شملهم[٢].

وهكذا وبعد تلك الأوضاع السيئة التى انتهى إليها العرب مع بعضهم ومع البربر تولى أبو الخطر ومن ثم ثوابه الجذامى ، وقامت الفتنة فى عهدهم وتولى يوسف الفهرى سنة ١٢٩هـ.

اشتدت مقاومة النصارى للمسلمين نتيجة لما أحرزه بلاى وأنصاره فى جليقيه فتشجعوا على رفع لواء الثورة . فيذكر صاحب أخبار مجموعة « أن أهل بنبلونه كانوا قد نقضوا بنقض أهل جليقيه »[٣].

وهذه إشارة لحركتهم فى عهد يوسف الفهرى[٤]. فقام يوسف بالتصدى لهم وأرسل جيشا لمهاجمتهم بقيادة سليمان بن شهاب والحصين بن الدجنين ولكن

---

(١) المقرى : المجلد الأول ، القسم الأول ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.
(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٢ .
(٣) أخبار مجموعة ، ص ٧٦ .
(٤) مؤنس : بلاى ، ص ١١ . السامرائى : ص ١٠٩ .

الجيش لم يوفق فى المهمة التى أرسل إليها[1].

وهكذا خلط المؤرخون خلطا شديدا فى بدء ثورة بلاى فمنهم من رأى أنها فى أيام الحر بن عبد ارحمن الثقفى وبعضهم رأى أنها فى أيام عنبسة الكلبى وآخرون يجعلونها فى أيام عقبة السلولى وهناك من يجعلها أيام ولاية يوسف .

ويرى رجب عبد الحليم معركة كوفادونجا Cova donga قد حدثت عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م ، ٧٥١م. إذ أن خلافة بنى أمية فى المشرق قد انتهت والقوات الإسلامية فى الأندلس قد تضعضعت بفعل الصراعات القبلية أى أن الوضع العام فى الداخل والخارج هيأ لتلك المعركة ظروفها وكفل لها النصر ضد المسلمين . فاستطاع بلاى بمرور الوقت وانتهاز الفرص تحقيق النجاح فى تأسيس مملكة اشتوريش التى بدأت صغيرة ثم اتسعت حتى شملت مناطق شاسعة (وخصوصا بعد ثورة البربر فضم جليقية Galicia واسترقه Astorga والمدن الواقعة خلف الجبال مثل ليون الإسبانية Leon[2] وغيرها وسموره Zamora وشلمنقه Salamanca وشنت منكش Siman-cas وشقوبيه Segovia وابلة Avola واوكه Oca واوسمه Osma وكلها مراكز جهد المسلمون أثناء فتحهم لها وبذلوا من أجلها الغالى ولكنهم أضاعوها فى غمرة الصراع القبلى العنيف بينهم وبين البربر وبين القبائل العربية وبعضها مع البعض ، وأصبحت حدود الأندلس قبل بداية عصر الإمارة[3]. تبدأ من الغرب حتى مدينة قويمره على نهر منديق ثم تمتد إلى قوريه فطلبيره فطليطله فوادى الحجاره فتطيله فبهلونه فى أقصى الشمال الشرقى ، أى أن الأندلس الإسلامى فقد ربع شبه الجزيرة على وجه التقريب قبل قدوم عبد الرحمن الداخل عام ١٣٨هـ/ ٧٥٨م[4]. وأخيرا وفى تلك

---

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٢) رجب عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٣) مؤنس : بلاى ، ص ١١ . وللتفاصيل انظر عبد المحسن رمضان : ص ٢٢٤ ـ ٢٣٤ ، مؤنس : فجر، ص ٣٤٩ . سال : تاريخ المسلمين ، ص ١٦٩ .

(٤) شكيب أرسلان : الحلل ، جـ ، ص ٥٧ . رجب عبد الحليم ، ص ٤١ . مؤنس : فجر ، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

الفترة توفى بلاى فكانت وفاته سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م ، كما يذكر ابن خلدون(١) على حين تؤكد المراجع الحديثة والأوروبية بأن بلاى قد حكم من عام ٩٠هـ ـ ١٢٠هـ/ ٧١٨م ـ ٧٣٧م(٢) وخلفه ابنه فافيلا Fafila الذى حكم بعده لمدة سنتين ١٣٣ ـ ١٣٥هـ ـ ٧٥٠ ـ ٧٥٢م ومات ولم يترك ذرية . وكان الدوق بتروس أمير كنتبريه قد توفى فى ذلك الحين وخلفه ولده الفونو دوق كنتبريه وتمت هذه الإمارة النصرانية الصغيرة وقويت أواصر التحالف بينهما وبين جليقية بزواج أميرها الفونسون من ابنه بلايو واسمها ارسيندا Ermensind (٣) فاتحدت بذلك إمارتا كنتبريه وجليقيه فى حكومة واحدة وقامت مملكة نصرانية واحدة هى مملكة ليون النصرانية أو مملكة جليقيه وامتدت من بلاد البشكنس شرقا إلى شاطئ المحيط غربا ، ومن خليج بسكونيه شمالا إلى نهر دويره جنوبا وتشمل مناطق واسعة وتحتجب وراء الجبال بعيدة عن سلطان المسلمين(٤) .

ويبدو أن حركة المقاومة النصرانية للمسلمين فى عصر الولاة لم تقتصر فقط على منطقة اشتوريش بل يمكن القول بأن خط المقاومة امتد من بلاد البشكنس فى الشرق إلى الصخرة فى الغرب على طول سلاسل جبال كنتبريه . أما الممرات الشرقية لجبال البرت فقد ظهرت فيها المقاومة فى أواخر عصر الولاة واستمرت خلال عصر الإمارة الأموية .

وهكذا تغيرت الأحوال فى جنوب بلاد الغال ، بعد أن خلا الجو للمسيحيين وبدد العرب بخلافاتهم وحروبهم وعصبيتهم ما حصدوه بوحدتهم وقتال أعدائهم .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٧٩ .
(٢) عنان : الآثار الباقية : ، ص ٣٧٠ . طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٢٩١ .
Leve - Provencal : op. cit., I. 319 .
(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلم ، ص ٣٢٣ . عنان : دولة الإسلام ، جـ ١ ، ص ٢١٣ .
(٤) عنان : دولة ، جـ ١ ، ص ٢١٣ .
Reinaud : op. cit., P. 74 - 75 .

الفصل السابع

جهاد أمراء الأمويين ضد الفرنجة

أولاً : استئناف الجهاد خلف البرت .

ثانياً : الجهاد البحرى فى غالة .

أولا : استئناف الجهاد خلف البرت :

أثرت الأحداث التى مرت بها الأندلس على جهاد العرب فيما وراء البرت بعد انتهاء فترة حكم عقبة بن الحجاج السلولى عام ١٢٣هـ/ ٧٣٤م ومجئ عبد الملك بن قطن وتوليه الحكم فى صفر سنة ١٢٣هـ/ ٧٣٤م فى ولايته الثانية(١)، فتوالت المشاكل بعودته واشتعلت الأندلس بسبب قيام الفتنة بين العرب والبربر فى كل من إفريقيا والأندلس(٢) وهى الفتنة التى انتهت بمقتل عبد الملك بن قطن وقيام ثورة اليمنية بزعامة ابنيه قطن وأمية ضد بلج بن بشر القشيرى واتباعه من المضريه ، وخروج عبد الرحمن بن علقمة والى أربونه وقائدها الأعلى فى غالة وفارس الأندلس الذى عرف بتعصبه لليمنية فقرر الخروج من أربونه والأخذ بالثأر وتركها خالية وجردها من معظم رجاله وتوجه بهم للانتقام من المضرية ، مع أن وجوده فيها كان خير ضمان لثبات أمر المسلمين(٣).

ولقد زعمت بعض المصادر(٤) أن عدد رجاله بلغ مائة ألف ، وعلى الرغم من المبالغة الواضحة فى تقدير جيشه إلا أنها تدل على أن علقمة قد سحب معظم قواته وأخلى غالة من المسلمين ، وكان ذلك من أقوى الأسباب التى أدت إلى زوال أمرهم فيما بعد بسبب إلقاء ابن علقمة نفسه فى معمعة الحرب التى لم تكن نتائجها إلا الوبال والخسار ، ولم يعد للمسلمين أمل فى البقاء فيما وراء البرت نتيجة لإقدامهم على تلك التصرفات والفتن المدمرة ، وبالإضافة إلى ذلك انشغالهم بالخلافات والانقسم بين أفراد الأسرة الحاكمة فلم يستطيع المسلمون الاستمرار من رسالتهم ومتابعة الجهاد والفتح فى مناطق غرب أوروبا(٥).

---

(١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ص ٢٦٩ ، ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ص ٢٨ ، المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الرابع ، ص : ١٧ ـ ١٨ .

(٢) انظر الفصل السادس فى أسباب تعثر جهاد المسلمين خلف البرت .

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص ١٦ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٢ .

(٥) مؤنس : فجر : ص ٢٨٧ .

ومن تلك الفترة العصيبة التى كانت تمر بها الأندلس والتى كانت مسرحا لثورة البربر ضد العرب فى الأندلس ، وثورة الخوارج فى إفريقيا وقيم بعض القبائل العربية بالفتن فى الأندلس ، وكانت الدعوة العباسية تشير القلاقل من المشرق الإسلامى وشغلت بها الخلافة الأموية فى أواخر عهدها ، فلم تتمكن من بذل العناية اللازمة لهذا الجزء البعيد من العالم الإسلامى فى الغرب ، بل وكلته لأمراء إفريقيا والأندلس وكل هذه الأسباب أدت إلى الهزائم فى غالة وأثرت على الروح المعنوية لمسلمى الأندلس ونبهت العالم الغربى لضعف المسلمين ، وجاء فى نهاية المطاف قيام الخلافة العباسية عام ١٣٢هـ(٧٥٠م) فتحول مركز الخلافة إلى بغداد وفى نفس الوقت حدث تغيير فى العالم الغربى فقد زالت الدولة الميروفنجية وقامت الدولة الكارولنجية ، إذ أنه بوفاة شارل مارتل ١٢٤هـ/ ٧٤١م قسمت الدولة بين أبنائه وساعدت الظروف ابنه ببين Pepin على الانفراد بالسلطة عام ١٢٤هـ/ ٧٤٧م(١) وإعلان زوال البيت الميروفنجي وميلاد البيت الجديد الكارولنجي نسبة إلى شارل مارتل ، وامتد عمر دولة ببين الذى أعلن نفسه ملكا واستمر حتى عام ١٥١هـ/ ٧٦٨م ، وقرر أثناءها رسم سياسة جديدة لاعلاء شأن دولته الجديدة تقوم على تقويه علاقاتها مع البابوية فى روما وإخراج المسلمين من سبتمانيا فى خلال النصف الأول من القرن الثانى الهجرى (منتصف القرن الثامن الميلادى) بوجود ثلاث قوى عالمية القوى الإسلامية من الأمويين فى الأندلس وغالة والعباسيين فى المشرق الإسلامى ودولة الفرنجة الكارولنجيين فى غرب أوروبا والدولة البيزنطية فى شرق أوروبا (٢).

ولقد كان إخراج المسلمين من سبتمانيا عملا يهدف إلى اتمام سياسة شارل مارتل من قبل ابنه الذى أدرك أن وجود المسلمين فى عالم خطر يزعزع دولته

---

(١) إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص : ١٦٦ ، العدوى : المسلمون والجرمان : ص ٢٠٣ .
(٢) طرخان : المسلمون فى أوروبا : ص ١٦٦ .
Thombson : The Middle eges . pp. 182 - 183 .
Oman : The Dark eges . pp. 335 - 320 .
Moss : The brith of the middle eges p. 217 .

خصوصا بعد تكرار حملتهم على جنوب بلاد الغال .

ولكن شارل مارتل ترك لابنه بيين من بعده اتمام ما فشل فيه هو فبعد أن وصلت إلى بيين أخبار سوء أحوال المسلمين فى بلاد الأندلس وما سادها من تناحر وتطاحن ونزاع مستمر ، قام بيين برسم الخطط للاستفادة من تلك الأوضاع محاولا التدخل فى مشاكل المسلمين لكى يوسع الخلافات بين جميع الأطراف(١).

ونعود للمسلمين فنذكر أنه برحيل عبد الرحمن بن علقمة فارس الأندلس من أربونه خرجت كثير من كبريات مدن سبتمانيا مثل نيم Nimes وماجلون Mague-lon واجد Agde وبيزيه Beziers كما استقلت بعض إمارات البرتات مثل كنتبريه Cantabria ونبــره Navar ولكنه أصبح بهـا أميـر يدير أمورها معترفا بسلطان المسلمين(٢).

وهكذا سقطت أراضى الثغر كلها بيد النصارى ولم يبق بيد المسلمين سوى أربونه، أما عبد الرحمن بن علقمة فقد عاد إلى أربونه مرة أخرى بعد انتهاء الفتنة والثأر لمقتل ابن قطن وقام يرقب الحوداث .

ولما تولى يوسف الفهرى(٣) إمارة الأندلس واستأثر الصميل بالسلطة دونه وأبعد

---

(١) شكيب أرسلان : غزوات : ص ١٤٦ .

(٢) أرسلان ، غزوات العرب : ص ١٤٤ ، رينو : الفتوات / ترجمة إسماعيل العربى : ص ٩١ .

(٣) تعاقب على الأندلس قبل أن يتولى يوف الفهرى العديد من الولاة فنذكر أنه بمقتل ابن قطن ورجوع علقمة إلى أربونة تولى بلج بن بشر القشيرى سنة ١٢٤هـ/ ٧٤٢٢م ، ولم تستمر ولايته سوى أحد عشر شهراً أو أقل ، ثم تولى ثعلبة بن سلامة العاملى ١٢٤ هـ / ٧٤٢هـ عشرة أشهر ، ثم تولى أبو الخطار حسام بن ضدار الكلبى فى رجب ٢١٥ ـ ٧٤٣م ولايته التى دامت أربع سنوات وستة أشهر تولى بعده ثوبه الجذامى سنة ١٢٨هـ / ٧٤٦م ودامت ولايته سنة واحدة ، ثم جاء عبد الرحمن اللخمى سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦ بضعة أشهر لاعتبارات خاصة ، ثم جاء يوسف الفهرى آخر ولاة الأندلس التى تولى الحكم ١٢٩هـ / ٧٤٧م.

للمزيد من أخبار الولا انظر الحميدى : جذوة المقتبس : ص ١٨ ، ابن عذارى المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٠ ـ ٣٥ ، المقرى : المرجع السابق ، المجلد الثانى ، الجزء الرابع : ص ١٧ ـ ١٨ ـ ١٢٤ . (هذا وسيجد القارئ جدولا بأسماء الولاة) .

الصميل الحاكم على سرقسطه وخشى عبد الرحمن بن علقمة أن يكون تعيين الصميل تمهيدا لإقالته من أربونه وإبعاده عن ميدان الجهاد ، وقرر محاربة يوسف الفهرى وعبور جبال البرتات ، ولكن ما لبث أن اغتيل عبد الرحمن من بعض أصحابه وحملوا رأسه إلى يوسف الفهرى وتمت هذه المؤامرة بتدبير يوسف الفهرى نفسه ، فبدلا من أن يتدارك الموقف الخطير للمسلمين فى سبتمانيا وأن يوحد جهود المسلمين لصد طلائع التحالف بين الأعداء من الفرنجة والقوط آثر التمادى فى مشاكله الداخلية وإهمال الجبهة الإسلامية الشمالية للأندلس حتى صارت القوات الإسلامية فى حالة سيئة وزاد الطين بله حنقه على حاكم أربونه وانتهى الأمر بمقتله[1].

ففقدت سبتمانيا بذلك الشخصية الوحيدة القادرة على حمايتها والدفاع عنها والتى ذهبت نتيجة لسياسة الفرقة العمياء والصراع الداخلى المقيت فى الأندلس ، وعندما وصلت أخبار مقتل ابن علقمة تجدد الأمل وانبعث الحماس فى نفس ببين للاستيلاء على تلك القاعدة[2].

وقبل أن نتابع تلك الأحداث يجب أن نلقى نظرة على يوسف الفهرى[3] وجهوده خلف البرتات فنذكر أنه فى سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م وجه يوسف الفهرى ابنه عبد الرحمن إلى جبال البرتات لكى يقضى على كثرة المسيحيين فى هذه المناطق (جنوب غاله) ولكن المسيحيين استطاعوا أن يقاوموه وينتصروا عليه ، وكان النصارى فى الأندلس قد انتهزوا فرصة الاضطراب الداخلى فقاموا بالإغارة على الأراضى الإسلامية الشمالية واستولوا على كثير من القلاع وواصلوا تقدمهم حتى ضفاف نهر دويره ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل : جـ ٥ ص ٢٩ ، ابن عذارى : البيان : جـ ٢ ص ٣٨ ، المقرى : المجلد الثانى، القسم الرابع : ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) العدوى : المسلمون والجرمان : ص ١١٤ ـ ١١٥ .

Reinaud : op. cit., P. 76 .

(٣) هو من ولد عبد الرحمن بن جبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى فات إفريقيا ومؤسس القيروان وصاحب الغزوات والآثار الحميدة ، ولهذا البيت فى السلطنة بإفريقيا والأندلس نباه . انظر : المقرى : المجلد الثانى ، القسم الرابع : ص ٢٤ .

وهكذا فشلت محاولة عبد الرحمن بن يوسف نتيجة لضعف النفوذ الإسلامى هناك وبسبب انقطاع الاتصال بين الأندلس وسبتمانيا عقب قيام أهل جليقيه بانتقاضه على المسلمين وتغلب بلاى على اشتوريش[1].

ولم يطل الوقت حتى بدأ المسيحيون فى سبتمانيا ينقضون على المسلمين وكان يتنازع هذه البلاد بمقاطعاتها السبع فيفر Vaifre ابن أودو دوق أكيتانيا وبين ابن شارل مارتل ، وكان بيبن قد نال لقب ملك ونقل إليه التاج من آخر ملوك الميروفنجيين سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١م فاتجه إلى أربونة[2].

أما إذا نقلنا إلى سبتمانيا فنجد أن القوط نتيجة للصراع الذى انتهت به فترة الولاة قد قاموا برفع رؤوسهم مرة أخرى عندما وجدوا انصراف المسلمين عنهم إلى مشاكلهم الداخلية وبدءوا يجمعون صفوفهم للتصدى وللمقاومة الإسلامية ، واتصف القوط بتلك الظاهرة العدائية سواء كانوا فى بلاد الأندلس أو خارجها فكانوا يجنحون إلى السكون والهدوء أمام الحزم والقوة والسلطان ، ويتجهون إلى الانتقام إذا ما أحسوا من جيرانهم ضعفا[3].

وحمل لواء المقاومة فى سبتمانيا فى تلك الفترة أحد القوط ويدعى أنستوندوس Ansemundus ظهر فجأة على مسرح الأحداث وانتهز فرصة اضطراب الأمور من الأندلس فاستولى على بعض القواعد الإسلامية فى سبتمانيا وهى نيم Nimes واجد Agda وبيزيه Beziers وماجلون Maguelon وما حولها ، ثم أسس من تلك المدن مملكة صغيرة جعلها ملجأ لأعداء المسلمين ومركز لنشاطهم الحربى ولكنه مالبث أن أدرك أن تلك المملكة لن تعمر طويلا طالما بقى المسلمون فى أربونة ، فعزم على إخراجهم ولكنه وجد نفسه على الرغم من مشاكل المسلمين وضعفهم عاجزا عن

---

(١) عن دور بلاى فى اشتوريش . انظر الفصل السادس الخاص بأسباب تعير المسلمين خلف البرت ، وعبد المحسن رمضان : تاريخ حركة المقاومة .

(2) Oman : op. cit., P. 325 .

(٣) رينو : الفتوات / ترجمة إسماعيل العربى : ص ٩٠ ـ ٩١ .

القيام وحده بتلك المهمة فقرر الاستنجاد بملك الفرنجة ببين الذى رحب بدعوته حين وجدها فرصة سانحة لفرض سلطنه على ما تبقى خارجا عن طاعته فى غالة[1].

فسار بقوات الفرنجة وقوات القوط مجتمعين فاستولوا على كثير من المدن والمعاقل إلا أربونة التى دافعت واستقصت عليهم فحاصروها ثم أدركوا بعد مضى الوقت أنها من المناعة والصعوبة بحيث لا يمكنهم فتحها فتركها ببين وخلف حليفه القوطى ليستمر فى حصارها ، ثم دارت رحى الحرب بين أنسموندوس والمسلمين الذين قاموا بعمل كمين له أدى إلى التخلص من متاعبه وبعد تلك الأحداث حلت مجاعة شديدة فى غالة[2] عطلت حركة سير الجيوش ولم يستطع الفرنجة الاستمرر فى ضرب الحصار على أربونة[3] فاضطروا إلى الانسحاب منها فنجت أربونة من خطر الحصار هذه المرة أيضا وظلت بجانب نواحى سبتمانيا تشكل ثغرا ومقرا إسلاميا ودرعا واقيا للمسلمين فى الأندلس الذين انشغلوا بصراعتهم ومشاكلهم دون النظر والاهتمام بهذا الثغر الهام وتقويته حتى آلت الأمور إلى الأمير عبد الرحمن بن معاوية أى الداخل[4].

واشتغل أهل الأندلس بأمرهم وبتأسيس دولتهم وظلت أربونة قائمة بالدفاع معتمدة على نفسها دون أى أمل فى وصول أى نجدات من المسلمين ، وابتسم لها الحظ حينما انشغل ببين عنها بقيام الثورات[5] فى بلاده والتصدى لها وظلت أربونة وبعض نواحى سبتمانيا ثغراً إسلاميا يكون للأندلس الإسلامى كدرع مكين دون أن يدرك أهالى الأندلس أهمية الدور الذى قام به المسلمون فى تلك المناطق المنعزلة وهم محاصرون بالأعداء المتربصين لهم من كل جانب[6].

---

(١) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٢٨٩ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسام ، جـ ١ ، ص ١٣٣ .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة : ص ٦٢ ـ ابن عذارى : جـ ٢ ص ٣٨ .

(2) Reinaud : op. cit., P. 78 .

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح : ص ٤٢ ـ ٤٥ ، مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة : ص ٥٦ ـ ٦٣ .

(5) Oman : op. cit., P. 325 - Thomspon : op. cit., P. 183 .

العدوى : المسلون والجرمان : ص ٢٨٩ .

(٦) مؤنس : فجر : ص ٢٨٩ .

أما الأندلس ففى تلك الفترة كانت قد شغلت بأمر أميرها الجديد عبد الرحمن بن معاوية وتأسيس دولته الأموية[1]، وبعد استتباب الأمور له عام ١٤٠هـ/ ٧٥٨م ولانشغال ببين بالثورات فى بلاده ، أدرك عبد الرحمن الداخل أهمية أربونة ولكنه كان محاطا بالمشاكل والثورات فقرر إرسال جيش أعده لهذا الغرض على الرغم من الأخطار المحدقة به لانقاذ أربونة وقاد الجيش رجل يرجح أن اسمه أبو سليمان بن حبيب بن عبد الملك بن عمر ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان[2] ولكن العصابات المسيحية المنتشرة فى جبال البرتات استطاعت القضاء على هذا المدد[3] وبرغم تلك الهزيمة التى يجب أن تحرك نفوس الحكام فى أطراف الأندلس إلا أنه لم يتحرك أحد منهم ولم يكتفوا بموقفهم هذا بل أخذوا يثون الفتنة للثورة على الأمير عبد الرحمن أو إعلان العصيان المسلح ضده[4].

وكانت هذه آخر محاولة قام بها عبد الرحمن بن معاوية لانقاذ آخر معاقل الإسلام من غالة . إذ روعت هذه الكارثة عبد الرحمن فلم يعد يفكر فى أمر حامية غالة بأربونة بالإضافة إلى الثورات التى تواترت عليه فما أن ينتهى من ثورة إلا لتبدأ الأخرى فى الاشتغال[5].

---

(١) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك نج فى الهروب من المذبحة التى أقاما العباسيون للأمويين ففر إلى مصر ثم إلى أخواله بنى نفره فى شمال إفريقيا وهناك حدثته عصبيته الأموية بما يعانيه الأندلس من فوضى سياسية وبما فيه من مزايا فاتجه إلى هناك ودخل فى صراع مع القوى السياسية الممثلة فى يوسف الفهرى والعميل بن حاتم ونجح فى أن يسبقهم للوصول إلى قرطبة وأسس بذلك إمارة أموية فى بلاد الأندلس لا علاقة لها بالخلافة العباسية فى بغداد .

للمزيد انظر : مؤلف مجهول : أخبار مجموعة : ص ٧٨ ـ ١٠٠ ، ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٧ ـ ٦٠ .

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ ١ ص ٥٩ .

(٢) من أهم هذ العصابات البشكنسى ، الجلالقة ، القطلان

للمزيد انظر : الاصطخرى : المسالك : ص ٣٦ .

(4) Reinaud : op. cit., P. 81 .

(٥) ابن عذارى ، البيان : جـ ٢ ص ٤٧ ـ ٤٨ ، المقرى : نفخ الطيب ، المجلد الثانى ، القسم الرابع : ص ٢٦ ـ ٥٠ .

وهكذا تركت أربونة لمصيرها ولم يفكر أحد فى أهميتها أو فى المساعى والجهود التى بذلها المسلمون لبقائها قوية صامدة ضد كل القوى المحيطة والطامعة فيها وعلى رأسهم الفرنجة .

وبعد أن وصل حالها إلى هذا السوء وتبين مدى ضعفها أدرك أعداء المسلمين أن أربونة باتت وحيدة منعزلة عن غيرها فزاد طمعهم فيها .

وفى تلك الأثناء قام الفرنجة بفرض الحصار عليها ولكن المسلمين استطاعوا أن يقاوموهم ويردوا بأسهم ، فلما أدرك ببين صعوبة الاستيلاء عليها بالحرب لجأ إلى سلاح الخديعة والخيانة فقام فى سبيل ذلك بالاتصال بجماعات القوط من سكانها وحثهم على القدر بالمسلمين بعد أن مناهم بالوعود الكاذبة وهى أن يتعهد لهم مقابل إعلان ثورتهم على المسلمين وفتح أبواب أربونة وأسوارها خلسة أن يمنحهم حقوقا وامتيازات واسعة وأن يسمح لهم باستعادة قوانينهم القديمة .

ورضى القوط بقبول وعود ببين الكاذبة وذلك عن غدر متأصل فى طباعهم السيئة نتيجة لما انطوت عليه روحهم من تمرد وغدر متأصل ونسوا ما تمتعوا به من حكومة عادلة فى ظل المسلمين نعموا خلالها بالحرية وحسن المعاملة ونسوا كل الامتيازات التى نالوها فى عهد الإسلام وأهله ورأوا فى دعوة ببين إحياء لسلطانهم المندثر ولم يتبينوا خداعه لهم ، فقاموا بالثورة على حامية المسلمين فى أربونة وقتلوا حراس الأسوار وفتحوا المدينة عنوة فما لبث أن اندفعت قوات ببين داخلها سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م واستولت عليها[1] .

وهكذا حرم المسلمون من أهم قواعدهم فى بلاد الغال بعد أن دافعوا دفاع المستميت وضاعت بستمانيا من يد المسلمين عام ١٤٢هـ/ ٧٥٩م نتيجة منازعتهم وترك جند أربونة بلادهم ووراءهم صيحات تدوى باقتراب خطر الفرنجة وتهديده

---

(١) رينو : الفتوحات ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .

Reinaud : op. cit., P. 81 .

للمسلمين فى عقر دارهم بالأندلس ، وضاع المعقل الإسلامى الذى تصدى للعدو خلف البرتات[١] .

ولكن بالرغم من ذلك فقد استمر الوجود الإسلامى فى نواحى دوقية الدوفينه Dauphine واكوتين Aquitaine ونيس Nice وشعاب الألب الغربية وجرينوبل Grenoble [٢] .

وهكذا لم ينته الوجود الإسلامى بسقوط ثغر أربونة (سبتمانيا) عام ١٤٢هـ/٧٥٩م بل بقيت هناك جماعات أو جيوب إسلامية فى كل من مقاطعة الدوفينيه Duphine ، وفى مقاطعة نيس Nice وفى جبال الألب وأن هذه الجيوب المسلمة بقيت متمكنة فى تلك الأنحاء مدة طويلة فى عهد كل من ببين وشارلمان ، بل قيل أن المسلمين احتلوا مدينة غرينوبل Grenoble [٣] .

ولكن كانت الأوضاع فى بلاد الفرنجة فى عهد عبد الرحمن الداخل تزداد تحسنا وتألقا يوما بعد يوم فأصبحت لديهم الدولة المنظمة والملك الحاكم والرجال الأجناد وأصبح بإمكانهم الاستعانة بقوى خارجية تعضدهم ضد أعداءهم من المسلمين، ولم يعد مسلموا الأندلس هم المهاجمين لمسيحى غالة بل أصبح الأمر بالعكس ، فقد تغير الوضع بالنسبة للمسلمين من حركة هجومية إلى حركة دفاعية صرفه وكان ببين قد أخذ يراسل أهالى كتالونيا Catlony وأرغوان Aragon ونافار Navar ليوحدوا حركتهم مع الافرنج ، كما طلبوا مساعدة البابوية التى كانت تمثل قوة دينية لها وزنها فى أوروبا فى هذه الأونة[٤] .

---

(١) مؤنس : فجر ، ص : ٢٩١ ، عنان : جـ ١ ص ١٣٥ .
مصطفى أبو ضيف : القبائل : ص ١١١ .

(١) مؤنس : فجر ، ص ٢٩١ ، رينو : الفتوات ، ص ٩٤ . أرسلان : غزوات ، ص ١٥٤ .

(٣) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٦٩ ، أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٥٤ ــ ١٥٥ . رينو : الفتوات : ص ٩٤ .

(4) Pirenne : Mohamed and Charlemagne PP. 226 - 227 .

أما فى عصر شارلمان[1] فقد حرص على أن يمد العون لكل ثائر على أمراء العرب .

وبمرور الأيام قام شارلمان وأولاده بالدخول إلى أراضى الأندلس وضموا إلى مملكتهم أجزاء من الأندلس نفسها فى وقت كان فيه أمراء الأندلس فى نزاع دائم مع خلفاء الدولة العباسية الذين كانت بينهم وبين ملوك غالة علاقات طيبة ويتبادلون معهم التحف والهدايا ، وقيل أنه فى عام ١٤٨هـ/ ٧٦٥م قدم ثلاثة رسل من بغداد عاصمة الخلافة العباسية إلى غالة ونزلوا فى ميناء مرسيليا Maresseill وصعدوا إلى مقر ببين فاحتفل بهم وقضوا الشتاء فى متز Metz وبللورين Lourin ثم أقاموا فى سلس Sels على ضفاف اللوار Loure ثم عبروا وعادوا إلى أوطانهم ومعهم الهدايا والتحف إلى الخليفة العباسى[2] .

ومنذ استيلاء ببين القصير على أربونة اعتبر منطقة جبال البرت هى الحدود الطبيعية بين غالة وإسبانيا ورأى أن هذه الحدود يجب أن تؤمن لتكون فى حالة من الاستعداد والتعبئة حتى لا يتكرر هجوم المسلمين على غالة مرة أخرى .

وكان فى استطاعة عبد الرحمن بن معاوية أمير الأندلس اتخاذ خطوات عاجلة لمعالجة الموقف الجديد الذى طرأ على التخوم الشمالية لبلاد الأندلس ولا سيما فى جهاتها المجاورة لمنطقة جبال البرتات ولكن كان أمامه الكثير ليمهد الأمور ويقضى على

---

(١) هو ابن ببين القصير تولى بعد وفاة أخيه كارلومان وسيكون له دور كبير فى ضم مملكتى غالة وإيطاليا تحت سيادته .

للمزيد انظر : Einhard : The Life of Charlemgne P. 40 - 50 .

(٢) كما كانت هناك مراسلات وهدايا بين الخليفة أبى جعفر المنصور وبين ببين القصير تبادلوا فيا الهدايا . أما فى عهد شارلمان فقد توطدت العلاقات مع الخليفة هارون الرشيد .

للمزيد انظر : Einhard : op. cit., P. 41 .

Lamb : op. cit., P. 183 .

أرسلان : غزوات ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ . رينو : الفتوات ، ص ١٠٢ ،

Sherwani : op. cit., P. 88 . Reinaud : op. cit., P. 89 - 90 .

Buckler : Harun Alrashid : P. 27 .

الفتن حتى يؤمن فيه وضع إمارته النامية وتدعيم أركانها المتصدعة التى أحدثتها شقاقات المسلمين وخلافاتهم الداخلية ورأى أن السبيل الوحيد لهؤلاء الفرنجة المتربصين هو إقرار أمور دولته الجديدة . وما كاد ينتهى منها حتى تصدى لمؤامرات الفرنجة ، ذلك أن سياسة الدولة الكارولنجية منذ بداية عهد شارلمن اتجهت إلى استغلال الفتن الداخلية فى بلاد الأندلس لإضعاف الإمارة الأموية خشية أن تعيد إمجادها الحربية فى بلاد الغال[1] .

لذلك حرص ملوك الفرنجة على رسم سياسة تضعف وتفت فى عضد الدولة الأموية تقوم على الاتصال بأمراء المسلمين فى المناطق الشمالية وتحريضهم على عدم طاعة عبد الرحمن الداخل ، ومحاولة توسيع هوة الخلاف بينهم حتى يشغلهم ذلك عن التفكير فى أى تقدم خلف البرت .

ونتيجة لانشغال الداخل بتلك المشاكل التى عرقلته عن التفكير فى استئناف جركة الجهاد التى انتهت بعصر الولاة[2] .

ولقد كانت سياسة شارلمان تتمه لسياسة أبيه ببين الذى كان كثيرا ما يغرى أمراء المناطق الشمالية بالأندلس على دولتهم والالتجاء إليه ، ولكن هؤلاء الأمراء كانوا إذا ما أحسوا بمطامع الفرنجة نحوهم لجأوا إلى أمراء الأندلس يطلبون النجدة والعون ، وإذا حسوا بضغط من أمراءِ الأندلس لجأوا إلى الفرنجة ، وكان يساعدهم فى ذلك طبيعة بلادهم الجبلية التى تتميز بالوعورة والصعوبة فى معرفة محاورها وطرقها ودروبها[3] .

وحينما استقر أمد شارلمان أخذ يداخل أمراء الأندلس مرغبا لهم فى تحريرهم عن طاعة أميرهم مشجعا لهم على الانفصال والاستقلال .

---

(١) أرسلان : غزوات ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ . رينو : الفتوحات ، ص ١٠٢ .

(١) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

Sherwani : op. cit., P. 66 .

(٣) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ . الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٢٠ .

وفى عام ١٥٧هـ/ ٧٧٤م ثار سليمان بن يقظان الكلبى والى برشلونة Barce-lona وجيرونه Gerona والحسين بن يحيى الأنصارى والى سرقسطة Zeragoza على عبد الرحمن بن معاوية وشجعهم على ذلك الموقع الجغرافى لولايتيهما ذلك أن برشلونة تعتبر قاعدة سهلة الاتصال بسبتمانيا جنوب بلاد الغال ، وكذلك سرقسطة حيث يقع بالقرب منها ممر هام يربط بينها وبين تلك المناطق الجنوبية من بلاد الغال .

وعلى الرغم من امتداد جبال البرت فى تقويس هائل إلى الشمال من برشلونة وسرقطة إلا أن لها ممرات معروفة ومحددة تكفل الانتقال من شمال بلاد الأندلس إلى بلاد الغال والعكس بالعكس ، ورأى الفرنجة من وراء ذلك جعل منطقة جبال البرتات حاجزا منيعا يحول بين قيام المسلمين فى الأندلس بغارات على بلاد الغال ، إذ ما فكرت الدولة الأموية فى تحقيق هذا الهدف يوما ما[١].

وكان شارلمان حينذاك يقيم فى بلاطه فى مدينة بادريون Paderbon فى مقاطعة وستفاليا Westphila فى إمارة سكسونيا Saxsony (شمالى ألمانيا الحالية) فاتجه الثائرون إليه وعرضا عليه المحالفة وغزو الولايات الشمالية الأندلسية وتعهد بمعاونته وأن يسلمه المدن التى يحكمها هو وصحبه ولا سيما مدينة سرقسطة ، وزين له سهولة الأمر وسرعة سقوط أى جيش يتصدى لهم ، ولو كان جيش الداخل ، وصوروا له أن أميرهم مغتصب للسلطة فقبل شارلمان ذلك العرض ورحب به خصوصا أن شارلمان كان قد فرغ من حروبه[٢].

وفى هذا الصدد يذكر المقرى أنه : (فى سنة سبع وخمسين ومائة ثار بسرقسطة

---

(١) العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

(2) Oman : The dark ages . London . 1914. P. 352 .

عنان : دولة الإسلام ، جـ ١ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ . كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ، منير البعلبكى ، ص ٢٨٧ .

Levi - Provencal : I. P. 120 .

الحسين بن يحيى بن سعيد بن عباد الخزرجي وشايعه سليمان بن يقظان الأعرابى الكلبى رأس الفتن)[1].

ولقد استغلا انشغال الداخل بمشاكله الداخلية وقاما بالثورة ولكن الداخل حرص على التصدى لهم والقضىء عليهما فأرسل إليهما جيشا بقيادة ثعلبة بن عبيد الذى حاصر سرقسطة التى اجتمع بها الثائرون فامتنعت عليه وعجز عن فتحها [2].

وفكر الثائرون فى حيلة يقضيا بها على جيش الأمير عبد الرحمن فطلبا من قائد ثعلبة الهدنة فأجيبوا إليها وبعدها باتوا الجيش مستغلين عدم استعداده للقتال وقاما بأسر ثعلبة مما أدى إلى إضعاف معنوية الجيش الذى عاد إلى قرطبة مهزوما فاقدا الفائدة ، وفى هذا الصدد يروى صاحب أخبار مجموعة أن « سليمان الأعرابى ثار بسرقسطة وثار معه حسين بن يحيى الأنصارى فبعث إليه الأمير ثعلبة بن عبيد فى جيش فنازل أهل المدينة وقاتلهم أياما ثم أن الأعرابى طلب الفرصة من العسكر فلما وضع الناس عن أنفسهم الحرب وقالوا قد أمسك عن الحرب أغلق أبواب المدينة وأعد خيلا ثم لم يشعر الناس حتى هجم على ثعلبة فأخذه فى المظلة فسار عنده أسيرا وانهزم الجيش »[3].

أما العذرى فيورد لنا حادثة أسر القائد ثعلبة بن عبيد من قبل سليمان بن يقظان سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م ، وهذا دليل على أن أسره كان قبل اتصالهم بشارلمان فيقول : « خرج لمحاربته ثعلبة بن عبيد سنة أربع وستين ومائة ونزل مدينة طرسونه ووالى حربه واضطرب على باب سرقسطة بمعسكره فافترس سليمان ابن يقظان غفلته وافتراق أهل الجيش فهجم عليه وأسر ثعلبة بن عبيد »[4].

عندها قرر سليمان اتخاذ ثعلبة رهينة لها قيمتها وأهداها إلى شارلمان إمبراطور الفرنجة للتقرب منه وللتعبير عن ولائه له .

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الثانى ، جـ ٤ ، ص ٣٩ .
(٢) ابن خلدن : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٢٤ .
(٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .
(٤) العذرى : نصوص من الأندلس ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، ص ٢٥ .

ولكن قبل ذلك كانت هناك مراسلات قد تمت بين الثوار وبين الداخل، فقد أورد كل من ابن عذارى والمقرى بأن الداخل كتب إلى سليمان ابن يقظان الأعرابى الكلبى يدعوه إلى الطاعة ولزوم الجماعة « ووقع إلى سليمان ابن يقظان الأعرابى على كتاب من سلك به سبيل الخداع قائلا : أما بعد فدعنى من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق لتمدن يدا إلى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة ، أو لأزوين بنانها على رصف المعصية ، نكالا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد»[١] .

إن هذه المراسلات لم تجد فى كسب طاعة الحسين بن يحيى وسليمان بن يقظان بل اتفقا على دعوة شارلمان للهجوم على بلاد الأندلس على أن يقدما له المساعدات فى تسهيل مهمته تلك ووعداه بتسليم برشلونة وسرقسطة[٢] .

ولم يكن شارلمان ليترك هذه الفرصة التى أتته طائعة وخصوصا أنه كان قد فرغ توا من حروبه من السكسون[٣] لذلك لبى دعوة العصاه ووافق على عروضهم فبعث إليه سليمان بأسيره الغالى ثعلبة بن عبيد رمزا للثقة والتحالف فسجنه فى إحدى القلاع الفرنسية ، وقيل أنه سلمه حينما قدم على سليمان بنفسه .

وفى هذا الصدد يذكر ابن الأثير ... « واستدعى سليمان قارله ملك الإفرنج ووعده بتسليم البلد وثعلبة إليه »[٤] .

وعلى أى حال فقد كان وجود هذا الأسير وهو من خاصة قواد الأمير عبد الرحمن ضربة له ورهينة قيمة يمكن استغلالها لتنفيذ مصالحه الخاصة ، وكان شارلمان يرى من وراء تدخله هذا فى شئون الأندلس الاستيلاء على المدن التى وعده

---

(١) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٥٨ . المقرى ، المجلد الثانى ، جـ ٤ ، ص ٣٩ .
(٢) الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٢٠ .
(3) Oman : op. cit., P. 353 .
Levi Provencal : op. cit., 1 . P. 120 .
(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٦٤ .

ابن الأعرابى بتسليمها له بل كان يرمى إلى السيطرة على الأندلس كلها أو على الأقل نصفها الشمالى ، وكان من وراء حملته هذه غايات سياسية قوامها أن يضع حدا لأخطار الغزوات الإسلامية فيما وراء البرت ، والظهور بصورة القوى الذى لا يستطيع أحد أن يجابهه ، إضافة إلى محاولة تقليص حكم المسلمين ، وطرد المتبقين منهم فى المناطق الجنوبية فى غالة خلف البرتات والتطلع بعين الطمع لضم بعض مناطق الأندلس [١].

ولذلك جهز شارلمان جيشا منتخبا من كافة المقاطعات[٢] ثم قاد هذا الجيش بنفسه واخترق ولاية اكيتانيا Aquitaine وقرر أن يبدأ الغزوة وقسم جيشه إلى قسمين، قسم يتجه إلى جبال البرتات من الجانب الشرقى خلال ممر باربنيان Perpig-nan والقسم الآخر منه بقيادته من ممر الشرزى وهو ممر رونشغاله[٣] Roncesvalles ليلتقى الجيشان عند سرقسطة حسب الخطة المرسومة[٤].

---

(١) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ١٧٠ . الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٢ .
Oman : op. cit., P. 352 .

(٢) انتقى شارلمان جيشه من جميع المناطق التابعة للفرنجة من برجندية واوستراسيا وبافاريا وبروفانس وسبتمانيا ولومبارديا .
انظر : فشر : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٩٣ . عاشور : أوروبا ، جـ ١ ، ص ٢٢ .

(3) Jean del Perugia : Nams de lieu d'origine berbere dans les sud. - Quest de la france . P. 28 .

(٤) وكانت مدينة سرقسطة والمقاطعة المحيطة بها تعرف باسم الثغر الأعلى لقربا مباشرة من جنوب بلاد الغال ، وتعتبر أعلى مكان فى أطراف إسبانيا الشمالية يغير منها الفرنجة على المسلمين ، وكانت سرقسطة معدة لأن تكون قاعدة للجيوش الإسلامية فى الأطراف العليا الشمالية ، وكان الطريق من سرقسطة إلى باب الشزرى مفتوحا وميسوراً ويقع على بعد ٨٨كم منها مدينة بنبلونة Pamplona التى تشرف على مدخل باب الشزرى ، وكانت هذه المنطقة المحيطة بسرقسطة إلى بنبلونة مملوءة بالحصون والمعاقل التى تصلح لإقامة الجيش ثم مدينة تطيله Tudela وأخيراً طرطونه Tarazona التى تعتبر مقراً هاما للجيوش ، لذلك لم يكن من السهل على الفرنجة العبور إلى تلك الممرات واقتحام المعاقل للإغارة على شمال إسبانيا دون معونة من حكامها المسلمين الفاطميين فى تلك المناطق المهمة .
العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

وعندما اجتاز شارلمان باب الشرزى استولى على بنبلونة Pamplona مفتاح هذا الممر الهام وحصنها وكانت هذه المدينة قد خضعت لجماعات القوط التى اعتصمت بالأطراف الشمالية وحينما ساءت الأمور فى بلاد الأندلس استطاعت أن تستغل الفرصة فوسعت سلطانها تدريجيا على المعاقل الهامة بالقرب من جبال البرتات ، وإلى جانب القول هناك القبائل البشكنسية التى عرفت بشدتها وكثرة غارتها واعتدائها على من يمس أطرافها ولكن شارلمان أثناء عبوره مارا بها عامل أهلها أسوأ معاملة ما أثار فى نفوسهم روح الكراهية والحقد عليه[١].

وبعد استيلائه على بنبلونة اتجه شارلمان ومعه سليمان إلى سرقسطة [٢] مع جيشه الثانى الذى وصل عن طريق جيرونه وبرشلونة وكان شارلمان يعتقد أنه سيلتقى بحلفائه المسلمين فى سرقسطة وأن الأمور ستكون فى غاية السهولة والبساطة[٣]. ولكن حينما وصل وجد أن الأمور قد اختلفت عليه ووجد أن الحسين الأنصارى[٤] قد حصن نفسه فى مدينته وامتنع عن تسليمها إلى شارلمان مخالفا الخطة المتفق عليها مع الكلبى ، وحاول الكلبى اقناعه بكل الأساليب ولكنه امتنع وفى ذلك يروى صاحب أخبار مجموعة ... « طمع قارله فى مدينة سرقسطة فخرج حتى حل بها فقاتله أهلها ودفعوه أشد الدفع »[٥].

وبعد أن قاومت سرقسطة الحصار المضروب حولها وطالت مدنه وصلت شارلمان

---

(١) عنان : جـ ١ ، ص ١٧٤ ، العدوى : المسلمون والجرمان ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٦٤.

(٣) بروكلمان : تاريخ الشعوب ، ص ٢٨٧ . أرسلان : غزوات ، ص ١٢١ .

(٤) رجع الحسين بن يحيى الأنصارى إلى صوابه فى آخر لحظة وعرف نتيجة التورط بمثل هذه المؤامرة وخصوصاً أنه رجل عرف بأنه من أسرة عريقة فى الدين والأخلاص للإسلام فهو من أحفاد الصحابى الجليل سعد بن عبادة الخزرجى سيد الخزرج فى المدينة المنورة ، لذلك أغلق أبواب مدينته أمام الغزاة ، فكان ذلك سببا لفشل مشروع المتآمرين . انظر السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ٤١٨ .

(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

أخبار سيئة تنبئه بثورة خطيرة قام بها السكسون فى بلاده منتهزين فرصة غيابه[1] فخشى شارلمان مغبة التوغل داخل الأطراف الشمالية لإسبانيا لأنه فقد الأساس الذى اسند عليه فى سياسته وهو الاعتماد على الحكام المحليين وآثر أن ينسحب إلى الشمال ويعود إلى بلاد الغال وارتد جيشه عن سرقسطة فى شوال سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م بعد أن تحطمت آماله وأحلامه عند أسوارها[2].

ودبر شارلمان الانتقام من الأعرابى فأخذه أسيرا ثم عاد به إلى بلاده[3]. وفى طريق العودة مارا بمدينة بنبلونة عاصمة نافار دك جصونها للمرة الثانية بعد أن خربها أثناء مجيئه إلى الأندلس وسقطت وشقه وجيرونه[4].

وحين علم ولدا الأعرابى عيشون ومطروح بمصير أبيهما لحقا بشارلمان لانقاذه ويذكر ابن الأثير أنه « لما أبعد من بلاد المسلمين واطمأن هجم مطروح وعيشون ابنا سليمان فى أصحابهما فاستنقذ أباهما ورجعا به إلى سرقسطة »[5].

أما موقف البشكنس Basques فإن هذه القبائل لم تسطيع الدخول فى حرب سافرة مكشوفة وخاصة أن شارلمان يجر وراءه جيشا كبيرا لذلك ترقبوا مروره داخل ممرات البرتات الضيقة[6].

وفى تلك الفترة تهيأ البشكنس للانتقام من جيش شارلمان واتفقت مصالح كل

---

(١) حدثت ثورة قام بها فشدكند قائد السكسون بعد رحيل شارلمان ، وبعد المواثيق التى أخذها عليه ، لذلك خاف شارلمان على أملاك هناك وقرر العودة للانتقام من هذا الثائر وتصفية السكسون نهائيًا للمزيد انظر :

Oman : op. cit., P. 353 .

Hulme, E. M. The middle ages . PP. 260 - 261 .

Stephenson . C. medival history . P. 150 .

(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٦٤ .

(٤) عنان : جـ ١ ، ص ١٧٤ ، طرخان : المسلمون ، ص ٩٢ .

(٥) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص ٦٤ .

(6) El Hajji : op. cit., P. 145 .

من أبناء الأعرابى والبشكنسى على الانتقم منه والنيل من قوته ، فاستغرق وقتا طويلا فى اختراق ممرات فكسونيا حيث القمم والوديان تغطيها الغابات وقد أختبأ البشكنس له هناك ، وقام شارلمان بعبور ممر رونسفال Roncevalles وهو أحد الممرات التى كانت تستعمل منذ عهد الرومان لاختراق هذه الجبال من الشمال والجنوب وكان العرب يعبرون منها إلى غالة[1] وبينما كانت قوات شارلمان تجتاز الممر على الجانب الإسبانى من مرتفعات البرتات فاجأت قوات الباسك والمسلمين مؤخرة جيشه ، ولم يستطع إبدء أى مقاومة بسبب وقوعهم فى منطقة جبلية وعرة[2].

وكان ذلك عام ١٦١هـ ـ ٧٧٨م وانقذ المسلمون سليمان بن يقظان من الأسر[3]. وقتل فى هذ المعركة بعض القواد والفرسان بجيش شارلمان مثل اجنهارد Eginhard حاجب القصر ورولاند Roland قائد ثغر بريتانى وصارت كارثة باب الشزرى وممر رونشغاله باقية فى أذهان الفرنجة وأعقابهم حتى بعثها الفرنسيون أثناء الحروب الصليبية ضد الشرق الإسلامى بتأليف ملحمة رولاند Chanson de Roland المشهورة التى تعد من طلائع الأدب الفرنسى ، وقد حلا لواضعيها أن يغيروا الأحداث ويحرفوا فى سير الأبطال وليجعلوا من رولاند صورة للبطولة والعظمة رغم أن شارلمان لم يكن له هنا عند ممر رونسفاله أية أعمال بطولية[4].

---

(١) البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٦٦ .

(٢) منى محمود : المسلمون فى الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة ، ص ١٨١ .

أرسلان : غزوات ، ص ١٢٢ . عنان : جـ ١ ، ص ١٧٦ .

El - Hiji : op. cit., P. 145 .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ص ٦٤ .

(4) Onan : op. cit., P. 353 .

Hulme : op. cit., PP. 260 - 261 .

Stephen son : op. cit., P. 150 .

El - Hajji : op. cit., P. 146 .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ ، ص ٢٠٣ ـ محمد عبد الل عنان : جـ ١ ، ص ١٧٧ ـ ١٨٠ .

وتذكر الروايات التاريخية[1] أن عبد الرحمن الداخل جهز جيشا لرد شارلمان الذى كان قد ترك الأندلس قبل أن يلحق به هذا الجيش ، ثم أن العصاه قتل بعضهم بعضا وانتهى أمرهم ، وفشلت هذه المؤامرة الآثمة ومحاولة شارلمان المعتدية . وفى هذا الصدد يذكر المقرى « فى سنة سبع وخمسين ثار بسرقسطه الحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي وشايعه سليمان بن يقظان الأعرابى الكلبى رأس الفتن وآل أمرهما إلى أن فتك الحسين بسليمان وقتل الداخل الحسين[2] .

أما الأسير ثعلبة بن عبيد ، فإن عبد الرحمن قد أهمله ، ولم يطلبه من شارلمان ، ثم وضع من طلبه من الإفرنج فأطلقوه[3] وقيل أنه بعد تلك المؤامرة تغيرت سياسة الدولة الفرنجية نحو دولة الإسلام بالأندلس ، وبدأ شارلمان السياسة السلمية تجاههم وقد أورد المقرى : أنه قامت معاهدة سلم بين شارلمان وعبد الرحمن الداخل ودعوة للمصاهرة فقال « وخاطب عبد الرحمن قارله ملك الإفرنج وكان من طغاة الإفرنج بعد أن غرس به مدة فأصابه صلب المكسرتام الرجولية فمال معه إلى المداراة ، ودعاه إلى المصاهرة والسلم فأجابه للسلم ولم يتم المصاهرة[4] .

ويؤيد ذلك ليقى بروفنسال أن شار لم يقم بأى مغامرة أخرى فى الأندلس منذ حملته تلك فلقد أدرك أنه لم يتمكن من بسط نفوذه على الأندلس كما أنه لن يستطيع ذلك ما لم يؤمن بلاد غالة الإفرنجية والمسيحيين من ناحية أخرى ، لذلك حرص أثناء عودته على ضم مملكة إكيتانية إلى مملكته لغرض مراقبة الأمراء المسلمين الموالين لدولة الإسلام فى الأندلس والخارجين على طاعتها على تخوم جبال البرتات[5] .

---

(١) العدوى : نصوص من الأندلس ، ص ٢٦ . مؤلف مجول : أخبار مجموعة ص ١١٤ ـ ١١٥ . المقرى : المجلد الثانى ، الجزء ٤ ، ص ٣٩ .

(٢) المقرى : المصدر نفسه ، المجلد الثانى ، جـ ٤ ، ص ٣٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٦٤ .

(٤) المقرى : المجلد الأول ، جـ ١ ، ص ٣١٠ .

(5) Levi Provencal : op. cit., P. 128 .

وبوفاة عبد الرحمن الداخل عام ١٧٢هـ/ ٧٧٨م خلفه ابنه هشام ١٧٢ـ ١٨٠هـ/ ٧٨٨ ـ ٧٩٦م ، والواقع أن عهد هشام لم يخل من جهاد وراء البرتات ولكنه لم يكن من أجل الفتح لعله كان لرد مكيدة وتأديب آثم وتثبيت هيبته[1] .

ففى عام ١٧٦هـ/ ٧٩٢م قام هشام بن عبد الرحمن بالتأهب والاستعداد لمحاربة الفرنجة فى جيش كثيف اسند قيادته لقائد من قواده الأكفاء هو الحاجب بن عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث (حفيد الرومى فاتح قرطبة) وقام بعبور جبال البرتات من ناحية إقليم قطالونيا Catlony وفى طريقه استولى على مدينة جيرونه (جرنده) Gironde فى شمال شرق الأندلس ثم قام بالاستيلاء على عدد آخر من المعاقل والحصون ثم اتجه بعدها إلى منطقة سبتمانيا Septemanie واتجه منها إلى أربونة Narbone قاعدة الثغر الإسلامى القديم .

وتذكر الرواية العربية ممثلة فى ابن القوطية وابن الأثير وابن عذارى وابن خلدون والمقرى أن المسلمين فتحوا أربونة[2] .

وفى هذا الصدد يذكر ابن الأثير فى حوادث سنة سبع وسبعين ومائة « وفيها سير هشام صاحب الأندلس جيشا كثيفا واستعمل عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فدخلوا بلاد العدو فبلغوا أربونة وجرنده فبدأ بجرندة ـ وكان بها حامية الفرنج ـ فقتل رجالها وهدم أسوارها وأبراجها وأشرف على فتحها فرحل عنها إلى أربونة ففعل مثل ذلك وأوغل فى بلاد ووطئ أرض شرطانيه ..... وقد أجفل العدو من يديه هاربا وأوغل فى بلادهم ورجع سالما معه من الغنائم ما لا يعلمه إلا الله تعالى وهى من أشهر مغازى المسلمين »[3] .

---

(١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٥٧ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتا ، ص ٦٢ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٩٤ . ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٦٤ . المقرى : نفح الطيب جـ ١ ، ص ٣١٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١ ـ ١٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٩٤ . وأوردها مؤلف مجهول مع اختلاف بسيط فى النص . انظر مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ـ تحقيق لويس مولينا ، جـ ١ ، ص ١٢١ .

ولكن الروايات الإفرنجية المعاصرة لا تذكر عن ذلك الفتح شيئا بل تذكر أن المسلمين ارتدوا عن أربونة Narbone لمناعتها إلى مدينة قرقوشة Carcassone وكان شارلمان إمبراطور الفرنجة مشغولا حينذاك بمحاربة أعدائه السكسون[١] فبعث إليهم ولده لويس التقى لصدهم وأوفد إليهم جيشا بقيادة جيوم (وليام) Count de Toulouse أمير إكيتانيا[٢] لصدهم فالتقى الفريقان فى مكان يسمى فيل دنى Villedaigne بين مدينتى قرقوشة وأربونة على ضفاف نهر انبيو Onbieu ونشبت معركة قيل أنها غير حاسمة ثم ارتد المسلمون بعدها إلى الجنوب مثقلين بالغنائم والسبى وأصيب الفرنجة بخسائر فادحة وأبدى كونت تولوز شجاعة كبيرة جعلتهم يضعونه فى مصاف الأبطال[٣].

ويقال أن عبد الملك أوغل فى أرض الفرنجة حتى وطئ أرض بريطانيا Brittany وهزمهم[٤].

ويقال أن أخماس السبى التى غنمها المسلمون قد بلغت وحدها خمسة وأربعين ألف مثقال من الذهب وأرغم النصارى من الأسرى على حمل وجر أحمال الأحجار والتراب من أسوار أربونة حتى مدينة قرطبة ، وأمر هشام بن عبد الرحمن أن يبنى بها جناحا جديدا للمسجد الجامع تخليدا لتلك الغزوة الشهيرة[٥].

وفى هذا يذكر المقرى « وفى أيامه فتحت أربونة الشهيرة ، واشترط على المعاهدين من أهل جليقية من صعاب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من أسوار أربونة المفتتحة يحملونها إلى باب مقره بقرطبة وبنى قبة المسجد الذى أمام باب الجيان » .

---

(1) Oman : op. cit., P. 349 . Hulme : op. cit., P. 261 .

(٢) لكونت جيوم المعروف بذى الأنف القصير .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١ ـ ١٢ . ابن القوطية : تاريخ ص ٦٥ . ابن عذارى ، جـ ٢ ، ص . المقرى ، جـ ١ ، المجلد الأول ، ص ٣١٦ .

(٤) ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٩٤ . المقرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٣١٦ .

(٥) المقرى : نفح الطيب ، الجزء الأول ، المجلد الأول ، ص ٣١٦ .

في حين يرى المؤرخون المحدثون أن العرب لم يحتلوا أربونة في هذه الغزوة ولو كان الأمر كذلك لما هدموا أسوارها وتحصيناتها التي يحتاجون إليها في الدفاع ضد عدو يعرفونه جيدا أنه غير بعيد وأنه سيأتي لمحاصرتهم لا محالة[1].

في حين يرى الدكتور الحجي : أن هذه النصوص العربية التي أوردتها المصادر لا تخلوا من غموض ومن تفصيلات ضائعة أو مبتورة[2].

وإننا نتفق مع هذا الرأى لأن هذه النصوص المبتورة لا تؤكد حقيقة فتح مدينة أربونة على يد المسلمين أو عدم فتحها .

ولنا أن نتساءل هل يعني ذلك أن المسلمين توقفوا عن مد نفوذهم إلى مناطق أخرى بعد أن اخفقوا في الاحتفاظ بمناطق وراء جبال البرتات ؟ وفي الحقيقة أن المسلمين لم يتوقفوا عن مد راية الإسلام في عدة أماكن أخرى خلف البرتات ، فعندما أخفقوا بريا بدأوا يفكرون في الاتجاه بحريا إلى مناطق أخرى لتكون لهم حصنا ودرعا واقيا من غارات وهجمات الفرنجة المتعددة ومن كل عدو متربص بهم فكان اتجاههم إلى البروفانس وجبال الألب وإيطاليا وسويسرا وهذا ما سنفصله في المبحث التالي .

ثانيا : الجهاد البحرى في غالة :

وبعد أن استعرضنا جهود أمراء بني أمية في استئناف حركة الجهاد ضد الفرنجة عن طريق العبور خلف البرتات عن طريق ممراته وكيف واجهتهم صعوبات كثيرة في هذا السبيل مما جعلهم يفكرون بطرق أخرى لغزو المناطق خلف البرتات . فبرزت في تلك الفترة فكرة الغارات البحرية الإسلامية على شواطئ غاليه الجنوبية ، تلك الغارات التي انتهت بتأسيس بعض الإمارات الإسلامية في منطقة البروفانس وجبال الألب

---

(١) رينو : الفتوات ، ص ١١٣ .
(٢) الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٢٥٨ .

الإيطالية وسويسرا ، والواقع أن نجاح الفرنجة فى إخراج المسلمين من مناطق ما وراء البرتات فى غالة كان يعنى نهاية لوجودهم هناك خلال تلك الفترات الطويلة التى تأرجحت بين القوة والضعف بل كان لبقاء المسلمين فى غرب أوروبا آثار بعيدة المدى فى كل النواحى سواء الناحية الحضارية اللغوية أو الزراعية ، أو الصناعية ، وفى انتقال بعض العادات والتقاليد مما نلمس آثاره حتى يومنا هذا[1].

فحينما أخفق المسلمون فى الاحتفاظ بتلك المناطق التى تمثل كبريات مدن سبتمانيا مثل نيم Nimes وماجلون Maguelon واجد Agde وبيزيه Beziers ، وبعض إمارات البرتات مثل كنتبريه Cantabria ونبره Navar وأربونه التى شاعت منهم عام ١٤٢هـ/ ٧٥٩م بدأوا يفكرون فى البحث عن مناطق جديدة ، وجديرة بجهادهم ، فوجدوا منفذا عظيما لهم من البحر لتطويق الفرنجة من الجنوب فحرصوا على الاهتمام بالإسطول وتنميته وتطويره ، وكان الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) المؤسس لدولة بنى أمية بالأندلس عام ١٣٨هـ/ ٧٥٦م قد بدأ اهتمامه بالأسطول الأندلسى نظرا لوضع الدولة الناشئة من جهة ولطمع دولة بنى العباس التى حرصت على القضاء على سلطان بنى أمية من ناحية أخرى ، لذلك حرص الداخل على إيجاد إسطول قوى يقف فى وجه أعدائه ويعيد الحياة إلى موانئ الأندلس ودور الصناعة فأمر ببناء إسطول قوى يسهم فى السيطرة على مياه البحر المتوسط فى مراسى طركونه Tarragona وطرطوشة Tortosa والمريه Almeria [2] وقد أدت سياسة عبد

---

(١) غوستاف لوبون : غزوات العرب ، ص ٣١٧ .

(٢) إبراهيم العدوى : الاساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ، ص ٨٤ ويبدو أن العدوى استقى تلك المعلومات من شكيب أرسلان فى كتابه تاريخ غزوات العرب ، ص ١٨٢ ، ولكن لم يذكروا من أين استقوا تلك المعلومات ، ولقد حاولت أن أثبت ذلك بالرجوع إلى المصادر الأولية ، فلم أجد ما يثبت ذلك فى حكم عبد الرحمن الداخل . لذلك أنوه .

ومن المعروف أن موسى بن نصير اهتم بإنشاء عدد كبير من السفن فى دار الصناعة بتونس ساعدت المسلمين فى المدد الذى أرسله موسى لطارق ابن زياد فى موقعة وادى لك (فتح الأندلس) ولقد بلغت شهرة الأندلسيين فى ركوب البحر والاهتمام بشؤونه قدراً كبيراً مما ساعد على تكوين طوائف بحرية تسكن السواحل الشرقية من الأندلس ، وتم نقل عبد الرحمن الداخل أثناء عبور الأندلس . وللمزيد انظر مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٧ . ابن القوطية : تاريخ افتتا ، ص ٢٤ .

الرحمن الداخل بالاهتمام بالبحرية الأندلسية إلى وقوع اصطدام بين قوات الأمويين وقوات بحرية جديدة أوروبية هي الأساطيل الفرنجية ، ويرجع ظهور القوة البحرية الفرنجية إلى إمبراطور الفرنجة شارلمان الذى تربع على عرش بلاده سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م وتطلع إلى إيجاد قوة بحرية تكفل له منافسة أعدائه الروم فى شرق أوروبا من ناحية ولكى تساعده على الوقوف فى وجه الإسطول الأندلسى من ناحية أخرى بعد أن أصبح ذلك الإسطول يشكل خطرا على ممتلكاته فى جنوب بلاد الغال[1] . مما حفز الداخل على مضاعفة جهوده واهتمامه بالبحرية الأندلسية خصوصا بعد أن وجد عونا كبيرا من المرابطين وغزاة البحر الذين اتخذوا لهم قواعد ومراكز بحرية على طول الساحل الشرقى لبلاد الأندلس فتعززت قوة الأساطيل الأندلسية بوجود تلك الجماعات التى كرست حياتها كلها للجهاد والمرابطة . وكانت أكثر قواعد هؤلاء المجاهدين والمرابطين[2] فى الأندلس ما بين أكيله (أكويله) Aquila ولقنت Alicante فى

---

(1) Levi Provencal : op. cit., P. 348 .

إبراهيم العدوى : الأساطيل ، ص ٨٥ .

(٢) اهتم المسلمون بنظام الرباطات والمنارات المقامة على السواحل واعتبر المسلمون مرابطيتهم فى تلك الثغور جهاداً تنفيذاً لأمر الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) لذلك حرصوا على الاهتمام بالرباطات والمحارس على طول السواحل للاستعداد والتأهب للجهاد ، وقد لعبت تلك الرباطات دوراً هاماً فى الحياة الدينية والحربية ببلاد المغرب والأندلس وكان الرباط يزود عادة بمنارة توقد فيا النار ليلا للإنذار باقتراب سفن العدو ، وعن طريق تلك الأشارة يتأهل المجاهدون لصد العدوان وكانت الإشارات نهاراً تنطلق من هذه الرباطات على هيئة دخان ولقد اهتم الأندلسيون بنظام الرباطات فأقاموا الكثير منها على طول الساحل الشرقى والجنوبى الشرقى من الأندلس ، وكان أهمها رباط المرية ومرية بجانة ، ونظراً لأن الأندلس يحيط بها البحر المتوسط من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية والمحيط الأطلسى من الجهات الجنوبية الغربية والغربية ، والشمالية الغربية ، لذلك تعرضت سواحلها الممتدة جنوباً من مصب وادى ابره عند طرطوشه ثم شمالا حتى مصب وادى تاج عند لشبونه فى الغرب فى القرنين الثالث والرابع لغارات قوية ، ونظراً لأن الأندلس يصفها الحميرى « دار جاد وموطن رباط قد أحاط بشرقيها وشماليا وبعض غربيا أضاف أهل الكفر » لذلك كان من الطبيعى أن تنشأ تلك الرباطات على سواحلها لأنها موضع الاحتكاك بين أمم النصرانية، فابتنيت فيها المحارس وقصدها الناس للمرابطة . =

شرق الأندلس واسكمبره Escombra التى تقع جنوب شرقى الأندلس ومرسى اشكوبز[1] .

ويذكر الحميرى[2] أن هؤلاء البحريين تركزت قوتهم فى بداية العصر الأموى فى الأندلس فى المنطقة المحيطة بطرطوشة[3] فى الثغر الأعلى الإسلامى ومن هناك اتجهوا

= ولقد اهتم امراء بنى أمية وحرصوا على توطين بعض الأسرات العربية على الساحل الجنوبى الشرقى لحمايتها من الغارات ، للمزيد انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣ . أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٤٠ ـ ٥٢ .
آية ٢٠٠ سورة آل عمران .

(١) العدوى : الأساطيل ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥

(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٣) وهنا لابد من توضيح أهمية طرطوشه Tortosa فيذكر الحميرى أنها تقع فى سفح جبل ولها سور حصين وبا تنشأ المراكب الكبار من خشب جبالها وبجبالها خشب الصنوبر الذى لا يوجد له نظير فى الطول والغلظ ومنها تتخذ الصوارى والقرى وهو خشب أحمر صافى البشرة بعيد التغيير لا يفعل فيه السوس ما يفعله فى غيره من الخشب ومنها إلى طركونه خمسون ميلا ... وقصبة طرطوش على صخرة عظيمة سهلة وفى الشرق من القصبة جبل الكمين ، وهو جبل أجرد ... وعلى المدينة صخرة من بناء أمية على رسم أولى قديم ولها أربعة أبواب وأبوابها كلها مبنية بالحديد ، ولها أرباض من جهة الجوف والقبلة ودار الصناعة ، وتعد بابا من أبواب البحر ومرفأ من مرافئه يحلا التجار من كل ناحية وهى كثيرة شجرة البقس ومنها تفترق إلى النواحى وخشبها الصنوبر له خاصية فى الجودة تفوق خشب الأمصار . الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ . ولقد وصفها ابن غالب فقال : مدينة متقنة الأسوار ، وقد أنافت على نهر ابرة وقريب من البحر الثانى الذى ينصب فيه هذا النهر وهى شرق من بلنسه وشرق من قرطبة وهى باب من أبواب البحر يسلكه التجار من كل جهة وبها شجر البقس (البقسى شجرة كالآس ورقا وحبا) وخشب الصنوبر ولها صون كثيرة وأقاليم واسعة .
ابن غالب : فرحة الأنفس تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، ص ٢٨٥ .
أما الأدريسى فقد وصفها بما وصفها به الحميرى تماما . ارجع إلى الأدريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٩٠ .
أما القزوينى : فقد ذكر أنها مدينة برية وبحرية وهى مدينة داخلة فى مدينة وبها جبل الخير والبركة وهو جبل منيف به جميع أنواع الثمار وفى أعلاه مروج كثيرة المياه والمراعى ، وبه شجر يشبه خشبه خشب الساج تتخذ منها الآلات والظروف .
انظر القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥ .

لغزو سواحل إفرنجة وكانت أساطيل الثغر الأعلى الإسلامي في طرطوشة وطركونه[1] تقوم بحماية حدود الأندلس الشمالية من هجمات الفرنجة الكارولنجيين وتطارد أساطيلهم عبر منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط[2].

ولقد أسهم هؤلاء المرابطون بدور كبير في تاريخ البحرية الأندلسية نظرا لتعاونهم مع إمارة الأندلس الأموية ولوقوفهم في وجه المغيرين على أملاكها[3].

وبوفاة عبد الرحمن الداخل عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م كان إسطول الثغر الإسلامي يغير من قواعده في طرطوشه وطركونه على ثغر مرسيليا Marssilla في جنوب بلاد الفرنجة وهددوا المناطق القريبة من إيطاليا التي كانت ضمن ممتلكات الفرنجة ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمويين في الأندلس كانوا آنذاك ذا نشاط ملحوظ في التقدم البحري ضد قوى الفرنجة[4] منتهزين فرصة اشتغال شارلمان في حروبه ضد السكسون والنافار.

ففي عهد هشام بن عبد الرحمن ١٧٢ ـ ١٨٠هـ(٧٨٨ ـ ٧٩٦م) كان

---

(١) طركونه Tarragona وكان لها أهمية كبيرة مثلها مثل طرطوش وقد ذكر الحميري عن طركونه أنها مدينة بينها وبين لارده خمسون ميلا وأنها من أكثر البلاد رخاما محكما وسورها من رخام أسود وأبيض قليلا ما يوجد مثله ، وكانت في قديم الزمان خالية لأنها حد المسلمين والروم ، وفي هذه المدينة يكمن المسلمون عند طلب الفرصة في الغزو وفيها يكمن العدو أيضاً للمسلمين . الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩٢ أما ابن غاب فوصفها بأنها مدينة أولية على شاطئ البحر توسطت بين طرطوشه وبرشلونه ومنها معالم ظاهرة قائمة .
ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٦
أما الأدريسي فقد ذكر أن من مدينة طرطوشه إلى طركونه ٥٠ ميلا وأنها تقع على البر وأن لها سور رخام وبها أبنية صينة وأبراج منيعة وهي رابطة حسنة صينة منيعة ويسكنها قوم أخيار .الادريسي : نزهة المشتاق ، ص ١٩١ .

(٢) ارشيبا لدلويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، ص ١٦٠ .

(٣) ارشيبا لدلويس : القوى البرية ، ص ١٦٠ ، شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

(٤) ارشيبا لدلويس : القوات البرية ، ص ١٦٠ .

الفرنجة قد كرسوا قوتهم البحرية والبرية للإغارة على شمال الأندلس حتى تمكنوا من الاستيلاء على جيرونه Gerona وأوزونه Osuna وسلسون Solsona وكونوا بذلك ولاية فرنجية دعيت بالمارك الفرنجي[1].

ولكن وفاة هشام وتولى الحكم الربضيه[2] عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م أعطى الفرصة للفرنجة مرة أخرى ، فتقدم جيشه إلى برشلونة[3] بينما كان الحكم مشغولاً بطليطلة حرصا عليها وأخفق الفرنجة فى فتح طرطوشه[4].

---

(١) المارك الفرنجى : أو الثغر الفرنجى ، عمل شارلمان على تأمين شواطئ أوروبا الجنوبية وجزرها من خطر المسلمين بعد أن أشتدت إغارتهم عليها ، لذلك بدأ شارلمان بتأمين حدوده الجنوبية من ناحيتهم ، فإنشأ وحدة إدارية على الحدود الإسبانية سميت ماركية إسبانيا March of Spain سنة ١٧٩هـ - ٧٩٥م حول مدينة جيرونه وجاردونا واورجل واوزونه ثم ضم إليها برشلونة أعظم مدن كتالونيا سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ م. وقد عرف المارك الإسبانى فيما بعد باسم إقليم قطالونيا كما أضحى قاعدة مسيحية فى الركن الشمالى الشرقى لإسبانيا الإسلامية ونواة حية نمت حولا قوة المقاومة المسيحية خلال الحروب المستمرة والمنقطعة التى شنها المسيحيون .

للمزيد انظر عاشور : أوروبا ، جـ ٢ ، ص ٢٠٣ ، شكيب أرسلان : ص ٢١٢ الحلل السندسية ، جـ ٢ .

(٢) تولى الحكم الربطى سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م وفى أواخر عهد قامت بقرطبة ثورة خطيرة كادت أن تزعزع عرشه ، وهى ثورة الربضى سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧ م فى الربض الجنوبى من قرطبة المسمى بربض شقنده Secunda وقضى الحكم عليها بقسوة وطرد جزء من أهلها وتتبع الآخرين فسكن بعضهم فى فاس ، وارتل بعضهم إلى الإسكندرية ثم إلى جزيرة كريت (اقريطش) وأسسوا فيها دولة سنة ٢١٢ هـ/ ٨٢٧م استمرت ما يزيد على قرن من الزمان ، ولقد ندم الحكم على قمع تلك الثورة بتلك الصورة القاسية ، ولقب بعدها بالربضى نسبة إلى حى من أحياء قرطبة قام أهله بتلك الثورة .

ابن الأبار : الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، جـ ١ ، ص ٤٤ .

ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٨٠ .

(٣) فى الحقيقة أن مدينة برشلونة ترددت سيادتها بين المسلمين والفرنجة أكثر من مرة ولم يستطع المسلمون أن يثبتوا سلطتهم عليها فتارة فى يدهم وتارة فى يد الفرنجة .

أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ، جـ ٢ ، ص ١٤ . شكيب أرسلان الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ .

(٤) ارشيا لدلويس : القوى البحرية ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

ويبدو أن جماعات البحريين استمرت تغير على سواحل إفرنجه[1]، وقواعد الفرنجة البحرية فى إيطاليا وجزر البحر المتوسط تنتصر حينا وتهزم حينا آخر[1] وبتوليه عبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦هـ/ ٨٢١م بدأ الضعف يدب فى البحرية الفرنجية بعد موت شارلمان ولم يتمكن خلفه لويس التقى من مواجهة القوات الأندلسية فى الحرب التى نشبت فى عام ٢٠٦هـ/ ٨٢٠م فى شمالى الأندلس وأسفرت عن هزيمة القوات الفرنجية وعزل الثغر الفرنجى المحاذى للثغر الأعلى الإسلامى وقطع اتصالاته ببلاد الفرنجة[2].

وفى تلك الفترة وصل النشاط البحرى والمجاهدين الأندلسيين ذروته فى الحوض الغربى للبحر المتوسط وتعرضت سواحل الأندلس الغربية والجنوبية للمرة الأولى إلى غارات بحرية واسعة النطاق من قبل أساطيل النورمان، الفايكنج [3] ٢٢٩ ـ ٢٣٠هـ/ ٨٤٣ ـ ٨٤٤م.

---

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٨ . عن هذ الجزر ودخولا وخروجها فى يد المسلمين تارة وفى يد الفرنجة تارة أخرى . انظر ابن حيان : المقتبس ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ . ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ .

ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٩ . ابن الخطيب أعمال الأعلام ، جـ ٢ ، ص ١٨ .

(٢) ارشيبا لدلويس : القوى البحرية ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ . أرسلان : تاريخ غزوات ، ص ١١٥ ـ ١٩٢ .

(٣) عرف هؤلاء الأقوام بعده أسماء منها النورمان ، الأردمانيون ، الفايكنج ، المجوس ، فلفظ النورمان محرف من لفظ Northmen أى سكان الشمال ، وكذلك لفظ الأردمانيين يعنى الشماليين ، فهى مشتقة من الكلمة اللاتينية Nordmanni وهذا اللفظ محرف من لفظ النوردمانيين وفقًا لعادة الأندلسيين فى قلب النون إلى همزة مثل « أربونة » و « نربونه » ، وقد أطلق عليم اسم الفايكنج Viking بمعنى سكان الخلجان التى تمتاز بها شواطئ الجهات الشمالية الغربية فى أوروبا ، أما عن سبب تسميتهم بالمجوس أى عبدة النار فلأنهم كانوا يشعلون النار فى الأماكن التى ينزلون بها فظن العرب أنهم من عبدة النار ، بالإضافة إلى أنه حتى تلك الفترة كانوا وثنيين . وينسب النورمان من الناحية الجنسية إلى جنس الآرى وينقسمون إلى ثلاث مجموعات السويديون والنرويجيون ، والدانمركيون ، وموطنهم الأول شبه جزيرة اسكندناوه وشبه جزيرة جوتلند ، وما يجاورها من الجزر وهناك من يقول أنهم من شواطئ ألمانيا الشمالية ، ولقد بدأت إغارتهم منذ القرن ٣هـ / ٩م على شواطئ غالة ومصب اللوار والجارون حتى استطاعوا إنشاء عدد من القواعد والمراكز لم فى تلك =

وقد استطاعت قوات الأمير عبد الرحمن الثانى بالتعاون مع غزاة البحر والمتطوعة من رد الغزاة النورمانديين ولكن بعد معاناة وخسائر فادحة[1] ، غير أنه كان لتلك الغزوة البحرية أثر كبير على الأندلس ، فلقد نبهت الأمير عبد الرحمن إلى ضرورة الاهتمام بالسواحل وتحصينها فأمر بتسوير أشبيليه[2] وإقامة مراقب ومحارس على طول الساحل الغربى المطل على المحيط وشحنها بالمقاتلة ، بالإضافة إلى ذلك اندفعت الحكومة الأموية إلى زيادة الاهتمام بالبحرية عن طريق إنشاء دور لصناعة السفن لتزويد البلاد بأعداد وفيرة تؤهل لصد أى عدوان جديد[3] . كما يذكر ابن القوطية « أنه أمر بإنشاء دار صناعة باشبيليه وأنشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس ، فالحقهم ووسع عليهم فاستعد بالالات والنفط[4] .

ويبدو أن عبد الرحمن الأوسط استفاد من جهود وخبرة البحريين فى إدارة إسطوله، وكان من أثر ذلك أن أصبح لدولة الإسلام فى الأندلس فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط أسطول منظم يضم عددا كبيرا من السفن . فمنذ توليته إمارة الأندلس سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م وهو يعمل على تدعيم وتقوية البحرية الأندلسية لمواجهة الأخطار المحيطة بدولته والقضاء على المؤامرات المدبرة له ، فقام بإنشاء دور لصناعة السفن فى مراسى الأندلس مثل طركونه وطرطوشه حرصا منه على مواجهة الغارات المختلفة ،

= المناطق أما خروجهم وغاراتهم على شواطئ أوروبا العربية فترجع إلى عدة أسباب أهمها خصب الأندلس وما عرف عن خيراتها وغناا ، وكانت هذه الأمة من الأمم البحرية العريقة التى تمرست فى ركوب البحار وبرعت فيه .

وللمزيد عن أخبار هؤلاء ، انظر : وفاء المزروع : الخليفة الأموى الحكم المستنصر ٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ ، رسالة ماجستير « غير مطبوعة » ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٢ ـ ٨٣ . العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ٩٨ ـ ٩٩ . ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٩ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، نشر د. عبد الرحمن الحجى ، الملحق ، ص ٢٤٤ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٩ .

(٣) ابن القوطية : تاريخ ، ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

واستعدادا لتطويق الفرنجة من الساحل الجنوبية على البحر المتوسط[1].

هذا ما كان من جهود أمراء بنى أمية على السواحل والاهتمام بتطوير البحرية الأندلسية والعناية بشأنها ، ومن هنا كان الاهتمام بشواطئ غالة حتى أنهم سعوا إلى تأسيس إمارة إسلمية فى منطقة البروفانس وسافواى وبيمونت وفراكستيوم وجبال الألب فى سويسرا وإيطاليا[2].

واتخذت تلك الحركة الجهادية منطلقا بحريا ومحورا جديدا أدى إلى مضاعفة جهود المسلمين لضم تلك المناطق الهامة ، وتكوين مناطق جديدة لاستقرارهم تركت آثارا بعيدة المدى بعد خروجهم منها ، وبذلك أثبت المسلمون أن جهادهم وتحركاتهم لم تقف عند حد هزيمتهم فى موقعة تور وبواتييه فإذا ما أخفقوا فى الاستقرار فى منطقة بحثوا عن غيها وجعلوها مستقاً ومكانا ومعقلا جديدا لهم ، لذلك اتجهوا إلى تلك المعاقل والمراكز الجديدة وكانت البداية محاولاتهم فى تكرار الهجمات إلى منطقة جنوب غالة لتطويق الفرنجة من الجنوب والشرق عن طريق الجهاد البحرى .

وفى سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م سار الأسطول الأندلسى من مياه طركونه ومياه الجزائر الشرقية إلى البروفانس Provance وزا ثغر مرسيلى وما حولها من الأراضى وأثخن فيها وحمل الغزاة كثيرا من الغنائم والسبى وفى أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط عبر موسى بن موسى صاحب سرقسطه وزعيم الثغر الأعلى جبال البرتات وغزا سبتمانيا وأثخن فى نواحيها .

وفى سنة ٢٨٣هـ/ ٨٦٩م هاجمت جماعة من البحارة والمجاهدين المسلمين شواطئ بروفانس مرة أخرى واستولت على جزيرة كاماراج Camrague الواقعة على مصب الرون وعادت مثقلة بالغنائم والأسرى[3].

---

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٣ .

(٢) ارشيبا لدلويس : القوى البحرية ، ص ٢٢٩ . حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البر المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، ١٩٥١م. ، ص ١٢٩ .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٤٢٥ .

ولقد تكررت غزوات المسلمين فى جنوبى غالة حتى مرسيليا Marseille أكثر من مـــرة فى عـــام ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م ، ٢٢٨هـ / ٨٤٢م ، ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م ، ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م. ووصل المسلون إلى مصب الرون قرب مدينة أرل وغنموا وعادوا[١]. بل أن غزواتهم امتدت على طول ساحل غالة الجنوبية الشرقية حتى وصلوا إلى جنوه الإيطالية .

وفى تلك الفترة كان الوضع السياسى فى غالة سيئا إذ كانت هناك صراعات داخلية ومشاكل قائمة فى زمن شارل الأصلع فاستعان بعض خصوم الفرنجة بالمسلمين فأمدوهم بجنود أجبرتهم على طلب الصلح ، ورغم تلك الاضطرابات التى شغلت بها الأندلس فى ذلك الوقت فإن المسلمين قد استمروا فى جهادهم لغالة برا وبحرا ونزلوا البروفانس وحاولوا الاستقرار فيها[٢] وكان ذلك عام ٢٨٣هـ/ ٨٦٩م[٢].

ومن المؤسف أننا لا نجد لنشاطهم هذا أى ذكر إلا فى الحوليات الأوروبية التى سجلت هذه الأحداث ، وربما كان لسبب هو أن تلك الجهود لم تكن منظمة تمدها الدولة الأموية بما يتحتجه على الدوام .

وعند الحديث عن الوجود الإسلامى فى منطقة البروفانس ، وما جاورها من المناطق التى كانت ميدانا لنشاط المسلمين فى غالة ، لابد أن نشير إلى أن معظم الفرنسيين الذين تناولوا تلك الفترة لم ينصفوا المسلمين هناك ، بل اعتبروهم مجرد عصابات مسلحة من اللصوص والقراصنة وسفاكين للدماء ما جاءوا إلى تلك المناطق بغرض السلب والنهب والعدوان ، ونسى هؤلاء أو تناسوا بأن النتيجة الواضحة للوجود الإسلامى فى الأندلس كانت الاهتمام بالعلوم والفنون والآداب والتجارة والصناعة مما ترك آثارا واضحة على أوروبا فى شتى المجالات ولا يمكن لأمة أن يكون هذا وضعها تعيش على السلب والنهب ولكن إذا نظرنا حقيقة إلى أوروبا فى هذه الفترة نجد أن

---

(١) حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١٢٩ .
Levi Provencal : op. cit., P. 153 .

(٢) أرسلان : غزوات ، ص ١٥٨ .

الذين قاموا بمثل هذه الأفعال التى الصقت بالمسلمين من المرجح أن تكون جماعات اجتاحت تلك البلاد مثل القوط الغربيين والفرنجة Franks واللومبارديين Lam-bard ، وأن القصص المصطنعة والموضوعة عمدا والتى وصلت إلينا فصولها الدامية لاحتلال المسلمين لغربى أوروبا كان أصحابها فى الغالب هم أعداء المسلمين وبالتالى لن تكون تلك الروايات موضوعية أبدا (١).

وفى تلك الفترة التى قام فيها المسلمون بالغارات المتواصلة على منطقة غالة الجنوبية اضطر ملك شارل الأصلع إلى أن يعقد صلحا مهينا مع الأمير محمد أمير الأندلس سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م كى يتيح لسكان منطقة غالة الجنوبية التمتع بنوع من الأمن والاستقرار(٢).

وبعد تلك الفترة تمكن المسلمون أن يستغلوا الأوضاع التى كانت تمر بها مملكة الفرنجة بعد وفاة شارل الأصلع من سوء واضطراب واختلاف بين الكونتات وحكام الأقاليم فاستطاعوا الاستيلاء على منطقة البروفانس .

إذ بعد وفاة شارل الأصلع قام أحد الدوقات المدعو بوزو Boson دوق بروفانس ، وأعلن نفسه ملكا على اكيتانيا وكان ذلك عام ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م وشملت مملكته تلك

---

(1) Charles Lentheric : Provrce Marithe . PP. 184 - 185 .

وإذا أردنا أن نثبت حقيقة كلامنا هذا فإن الغربيين هم أصحاب تلك الأفعال الشائنة لنرى أن ما فعل شارلمان مع السكسون عندما ارغمهم على دخول المسيحية فأقام لهم مذبحة عرفت فى التاريخ باسم مذبحة فردان Verden سنة ١٦٦هـ / ٧٨٢م . انظر عاشور : أوروبا ، جـ ٢ ، ص ٢٠٣ .

وقد ظهرت كتابات عديدة لأقلام مؤرخين غربيين وحذا حذوهم عن جهل أو عن قصد بعض المؤرخين المسلمين معظمهم تصدوا لحركة الدعوة الإسلامية الصحيحة . لذلك تحرص الدولة الغربية ممثلة فى مؤرخيها على خدمة مصالحهم وتصوير المجتمع الإسلامى باعتبار متخلفًا والإسلام باعتباره دين المتعطشين للدماء والمتهالكين على الشهوات ، وعلى هذا فقد تماد الغرب بعث صورة الإسلام المظلمة التى سادت فى العصور الوسطى فى أوروبا على أنها تقوم على العنف التعصب وينشرها مقاتلون متوحشون يحملون القرآن فى يد والسيف فى اليد الأخرى .

انظر رودلف بيترز : الإسلام والاستعمار عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(2) Levi-Provencal : op. cit., P. 153 .

حـوض الرون من أرل Arles إلى ليون Lyon ـ كما ثأر هيو أحد مقدمي الأديرة ولكن الإمبراطور شارل السمين استطاع القضاء على حركة بوزو هذه وحصره في منطقة ضيقة ، ولكن لويس بن بوزو استغل وفاة شارل السمين ، واستعاد جميع ما أخذه أبوه واستقل بالبروفانس[1] واستمر الشقاق بين الأمراء قائماً وأصبحت البلاد في وضع منهك الاختلاف بينهم حدا كبيرا وتزامن ذلك مع الوجود الإسلامي في تلك المنطقة[2] إذ استطاع المسلمون استغلال تلك الاضطرابات الناجمة عن الأحداث الداخلية في بلاد الفرنجة من جهة الغزو النورماندي من جهة أخرى ، وأخذوا يستعيدون بعض المناطق التي فقدوها وكانت مراكزهم الأولى في إقليم سبتمانيا . بعد وفاة الأمير محمد تجددت غارات البحرية الأندلسية على تلك المناطق واستطاعوا خلال حكم ولديه الأمير المنذر ٢٧٣ ـ ٢٧٥/ ٨٨٦ ـ ٨٨٨م والأمير عبد الله ٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ/ ٢٨٨ ـ ٩١٢م استطاعوا أن يتوغلوا في المناطق الجبلية المليئة بالغابات والمطلة على خليج سان تروبي ST. Tropes (سان تروبيز) جنوبي غالة ، وظلوا في تقدمهم حتى وصلوا إلى قمة جبل يشرف على جزء كبير من البروفانس ، وقد نسب هذا الجبل إلى المسلمين فيما بعد فعرف (باسم جبل المسلمين أو سلسلة جبال المسلمين) Chains de Mauoes [3].

---

(١) إبراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢

(٢) عاشور : أوروبا : جـ ١ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩

نتيجة لتعرض أوروبا في القرنين التاسع والعاشر وما ترتب على من انهيار السلطة الملكية وما جزى من منازعات بين الأمراء والحكام تمخضت كلها في النابة عن حالة شديدة من الفوضى عمت بلاد غرب أوروبا كلها ، وظلت غالة تحت حكم الفرنجة مقسمة إلى أقسام إدارية وكونتيات تتبع حدود الاسقفيات ، ويحكم كل منها كونت نائب عن الملك وظل الوضع كذلك حتى تحطمت السلطة الملكية في غالة وسقط البيت الكارولنجي وقامت أسرة كابية في الحكم ٢٧٤ هـ / ٨٨٧م وعزل شارل السمن ٢٧٤هـ / ٨٨٧م.

للمزيد : انظر عاشور : جـ ١ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩

(٣) حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر المتوسط ، ص ١٣٠ . أرسلان غزوات ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ إبراهيم طرخان المسلمون وأوروبا ، ص ٢٠٣ .

ولقد أدركوا أهمية هذه المنطقة الحصينة فالبحر مفتوح أمامهم للإمدادات الخارجية ، كما أن البر من الداخل مهيأ للغارات الداخلية وبجانبهم الغابات الكثيفة للالتجاء إليها عند الحاجة ، وأخذوا يقيمون المعاقل فى هذه المنطقة وتوالت عليهم الإمدادات من الأندلس وشمال إفريقيا ، وأهم هذه الحصون التى بناها العرب حصن فراكسنتوم [١] .

Fraxinetum وموضعه الحالى هو المكان المعروف باسم لاجارد فرينى La Garde Frainel ويقع بين هيير Hyeres وفريجوس [٢] .

وحينما سمع المسلمون المقيمون خارج هذه المناطق بأخبار إخوانهم فى هذا المعقل بدأوا يتوافدون عليهم من كل حدب وصوب . حتى أصبحوا يشكلون أعدادا كبيرة من المسلمين فى تلك المعاقل ، واستطاعت تلك الوحدات البحرية بالتعاون مع وحدات موانى الثغر الأعلى فى الأندلس تعزيز الأسطول الأندلسى حتى استطاعوا به تنظيم السيطرة على غربى البحر المتوسط فى القرن الرابع الهجرى وأسسوا حصن فراكستيوم [٣] .

---

(١) ويرى ابن حوقل أن اسم هذا المعقل يطلق على القلال بمعنى رؤوس الجبال ومفرد قلة وأن هذا الجبل كان تابعاً لصاحب الأندلس .
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٨٥ .
فى حين يرى الاصطخرى أنه كان فى الأصل خرابا وفيه ماء فجاء المسلمون فعمرو وثاروا فى وجو الأفرنجة لا يقدر عليهم أحد لامتناع مواضعهم . الاصطخرى : المسالك الممالك ، ص ٥٠ .
أما ياقوت فيذكر جبل القلال أثناء حديث عن انكبرده ويقول : بلاد واسعة من بلاد الفرنج بين القسطنطينية والأندلس تأخذ على طرق بحر الخليج من محاذاة جبل القلال وتمر على محاذاة ساحل المغرب مشرقاً إلى أن تتصل ببلاد قلورية . ياقوت : معجم البلدان ، ص ٢٧٣ .

(2) Leve-Provencal : op. cit., P. 158 .

(٣) تسميته بحصن فراكتيوم مما اختلفت حوله الأقوال ويحتمل أنه كانت توجد قرية رومانية بهذا الاسم فى هذا المكان واحتلها المسلمون وأزالوها واختاروا قمة الجبل لإنشاء هذا الحصن المنيع وأطلقوا عليه اسم القرية ، وربما كان أصل هذ التسمية مشتقاً من شجرة البلوط Fraxinus الذى أثبتت الحفريات الدقيقة والدراسات العميقة أن كان يوجد غابة دردار فى مقر الخليج على شاطئ البحر ، وهذ القرية تسمى فراكتيوم . =

ولا شك أن تحكم المسلمين فى حصن فراكستيوم بجنوب غالة كان عاملا أساسيا فى استمرار الغزو الإسلامى لهذا الإقليم وما وراء جبال الألب .

ويذكر غوتييه [1] Gautier أنه فى عام ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م احتل المسلمون حدود مدينة فريجوس وطولون والبروفانس السكان لامسيحيون من المنطقة الواقعة بين البحر وبين جبال الألب وسقطت المدن المهمة فى أيدى المسلمين واختفظت مدينة غاب Gap بالمعبد الرومانى .

أما تاريخ فريجوس فيذكر عن بداية استقرار المسلمين فى منطقة البروفانس قائلا : أن الغموض يحيط بتاريخ تدمير المسلمين لمدينة فريجوس وكذلك بتاريخ إعادة بنائها ، وأوثق المصادر عن ذلك ما رواه جوزيف انتلمن فى جداوله التاريخية التى أورد فيها مدونته عن أساقفة فريجوس حيث ذكر أنه فى سنة ٢٧٧هـ ـ ٨٩٠م أدرك المسلمون الذين قذفت بهم عاصفة بحرية إلى ساحل فريجوس أهمية بلدة فراكسنيت الحصينة للقيام بغزواتهم فشيدوا فيها القلعة الشهيرة التى تحمل نفس الاسم وذلك على مقربة من خليج سامبراستيان ، وعلى مسافة ١٥ ميلا من مدينة فورم جوليبى Forum Ju-lia وحوالى عام ٣٠٣هـ ـ ٩١٥م محا المسلمون مدينة فورم جوليى من الوجود واستولوا على خيراتها وعلى الأشياء المقدسة التى كانت بها قبل أن يجعلوها طعمة للنيران ، وكان ذلك إيذانا ببداية تواجدهم فى تلك المناطق [2] ويعقب عليه مؤلف آخر

= أما المعنى المجازى لهذا الاسم فهو حربه أو رمح ذو عمود أو مقبض مصنوع من خشب البلوط . للمزيد انظر شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٦٢ ـ ١٦٦ . إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٢٠٤ .

(1) Theadore Gaultier : Historie de la O'rlele de gopet de gapeu cais rom I. P. 196 .

(2) J. A. Aubwnas : Historie de Frejus . PP. 260 - 261 .

وللرد على تلك الاعتداءات تقول أن المسلمين لم يتخلوا عما ألزمهم به دينهم الحنيف ولم ينسوا أن دستوره الوحيد (القرآن) يشرع لهم وينظم حياتهم وسلوكهم نحو الآخرين لذلك نشأت نزعة إنسانية عريقة لا تفرق بين الناس أبدا ، ولم يكن المسلم فاتحا ولا غازيا بقدر ما هو داع ومبشر بعهد جديد ، لذلك لم يفكر أن يبطش أو ينظر نظرة متعالية تهين من تحته ولكن مارس حقوقا محترمة =

ذكر أنه فى فراكستيوم وفى الجزء الغربى من كونتيه فريجوس نزلت سنة ٢٧٧هـ - ٨٩٠م جماعات من المسلمين القادمين من إسبانيا وانطلاقا من تلك القاعدة راحوا يزرعون الرعب والروع فى البروفانس بكامله وينتقلون من وادى إلى آخر معتمدين على عنصر المفاجأة ، وعلى براعتهم الحربية وعلى قدرتهم فى التمويه والتضليل فيهاجمون المدن والقرى وخاصة الأديرة الغنية ، ويقيمون بحملات خاطفة على قوافل الحجاج المتوجهة إلى روما ويهدمون الكنائس والأديرة(١) . وفى سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م اثاروا

= حول الآخرين فأكد احترام الإسلام لقيم الإنسان والحرص على كرامته وإزالة الفوارق ، وفى ذلك يقول الأستاذ هاريسون Herson فى كتابه العرب فى وطنهم « فحيث حل الإسلام تأكدت قيمة الفرد ونهض الناس معتزين بكرامة لا تقهر » وغدا موقفهم إزاء اليهود والنصارى موقف المحترم المتسامح وأباحوا للأساقفة النصارى أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية وسمحوا لهم ببناء البيع فمارسوا معتقداتهم بحرية .

للمزيد انظر يوسف حسن نوفل : إنسانية الحضارة العربية وإبداعها ، ص ٤٥٢ .

(١) وهنا نرد على هذه الفرية بأن نسوق رأى سيديو فى كتابه تاريخ العرب العام حيث يذكر أن الفرنج إلى الآن ينسبون إلى العرب جميع التخريب الذى يرون اليوم آثاره فى الأقطار التى أغاروا عليها ، وقد هولت الفرنج فى شأنهم ، مع أنهم كانوا فى جميع الوقائع ذوى لطف عند الانتصار ، وسبب ذلك ما رسخ فى عقول الفرنجة من الخوف والنفرة من العرب ، وكانت وجوههم كالحة من حر الشمس وأعينهم مخيفة هذا مع شدة عدو خيلهم وغرابة ملابسهم وتجريدهم سيوفهم وتكلمهم بلغة لا يعرفها أهل تلك الإرجاء لنشر دين بين هؤلاء النصارى المملوءة قلوبهم بتعاليم أساقفتهم ، وكانوا لايتفوهون إلا بألفاظ دالة على العداوة والبغضاء لهؤلاء العرب المنكرين ألوهية عيسى بن مريم .

انظر سيديو : تاريخ العرب العام ، ص ١٨ .

بالإضافة إلى ذلك إذا تأملنا وصية الرسول ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية قال : « اغزوا باسم الله ، وفى سبيل الله ، تقاتلون من كفر بالله لا تغلوا ولا تمثلوا أو لا تقتلوا وليدا » .

أخرجه مسلم فى الجهاد والسير ، باب تأمير الأمراء على البعوث ، جـ ٣ ، ص ١٣٥٧ ضمن حديث طويل .

ولو نظرنا أيضاً إلى وصية أبى بكر لجنوده « لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا تعقروا بعيراً إلا لمأكله وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له لتبين من تلك الوصايا مدى سماحة وعدل المسلمين .

الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٣ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

غضبا مسيحيا شملا لما ارتكبو(١).

ويذكر ادوار بارتييه : فى تاريخ البروفانس أن المسلمين فى بداية القرن الثامن وأواسط القرن التاسع الميلاديين قاموا بحملات تخريبية هامة فى البروفانس ولكنهم رغم ذلك لم يتمكنوا من إقامة رأس جسر على هضبة المور Cate Desmaueres إلا فى نهاية القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى ، ولقد اهتم المجمع الكنسى المنعقد فى فالانس لويس بن بوزون ملكا على البروفانس ، اهتم بعمليات التخريب التى قام بها المسلون ، وكانت نتيجتها إهمال الأراضى الزراعية ونزوح السكان عن تلك المناطق(٢).

ولكن لماذا يعلل نزوح السكان وإهمال الأراضى الزراعية بسبب تخريب المسلمين؟ ولماذا لا يكون هذا النزوح بسبب استمرار الحروب الداخلية الحامية الوطيس بين زعماء البلاد حتى أصبح كل زعيم منهم يحرص على أن يجذب المسلمين لصفة لمحاربة الآخرين فاضطر الناس إلى الهجرة بسبب ذلك(٣).

ولكن يبدو أن هجمات المسلمين الرئيسية على البروفانس قد تركزت بين عام ٢٨٨ ـ ٢٨٩هـ/ ٩٠٠ ـ ٩١٠م أى فى الفترة التى وجه فيها لويس الأعمى Louis L'A eugle حملاته العسكرية إلى ما وراء جبال الألب وبين عام ٣١٣هـ و ٣٣٤هـ (٩٢٥ ـ ٩٤٥م) أى فى الفترة التى ترك فيها هوج دارك Hugus D'Alrles البروفانس متوجها إلى إيطاليا لمقاتلة بيرانجه Berenger ملك اللومبارد الذى كان ينازعه ملكه ، وبعد أن فرغ من توحيد سلطته على إيطاليا حاول تطهير البروفانس وجبال الألب من هؤلاء الضيوف المزعجين الذين حلوا بها ، ويقصد بذلك العرب طبعا ، واستعان بالأسطول البيزنطى لأن الفرنجة Francs لم يكن لهم أسطول فى

---

(1) Paul Guichonnet : Historie et Civilisations des alpes . PP. 179 - 180 .

(2) Edaward Baratier : Historie de la Provence, PP. 180 - 190 .

(٣) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢١٥ .

(4) Edaward Bertatier : op. cit., P. 110 .

البحر المتوسط ، وبالفعل استطاعت السفن البيزنطية من فرض الحصار على قاعدة فراكستيوم التى يتمركز فيها المسلمون منذ بداية هجماتهم على المنطقة من جهة البحر سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م بينم راح هوج دارك يضغط بوحداته المكونة من جند بروفنسيين وبيمنونتيين على تحصينات المسلمين ولكن بكل أسف ـ كما يقول المؤلف ـ توقفت هذه الحملة وتعثرت بعد أن وصلت هوج دارك الأخبار بأن غريمه بيرونجه ديفرى Bereuger d'Ivree ملك اللومبارد يسعى إلى خلعه من العرش في إيطاليا ، فاضطر نتيجة لتلك الظروف الصعبة إلى التفاوض مع المسلمين وسمح لهم باحتلال بعض معابر الألب مقابل مساعدتهم له فى حرية ضد غريمه وعدوه(١).

وهنا ينبغى أن نشير إلى أن سكان البروفانس والسافوى والدوفينيه كانوا يعانون الأمرين من صراع الأمراء المحليين على السلطة وعلى مناطق النفوذ ثم الصراع بين أولئك الأمراء من جهة وبين الكنيسة الكاثوليكية من جهة أخرى ، هذا فضلا عن الفظائع التى كان يرتكبها بحق السكان وأهالى البلاد الغزاة الهنغاريون واللومبارديون بين برابرة الشمال .

ومن المحتمل أن تكون هجمات المسلمين قد تزامنت مع فترة الخلافات السياسية والعسكرية فى المنطقة ، ولكن لا تتوفر لدينا الوثائق الدقيقة حول فترة الاطرابات والمشاكل التى نشأت بين الزعماء والتى شملت مناطق البروفانس الممتدة من شرقى مدينة اكس Aix ومدينة مرسيليا Marsseille ومدينة دورنس Durance حتى جبال الألب . وفى بقية مناطق البروفانس التى تشير بعض النصوص الواردة هنا وهناك عن فترة تمركز المسلمين على شواطئ المور Maures وإلى عبورهم بعضهم من مدينة أبت Apt ومنطقتها حوالى سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٦م وفى مرسيليا واكس من ٣١١ ـ ٣١٣ هـ / ٩٢٣ ـ ٩٢٥م تقريبا وقد شوهدوا فى مستهل القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى أيضًا على الريفيرا بين البينغا Albenga وسان ريمو San remo

---

(1) Edauard Baratiers : op. cit., PP. 110 - 111 .
Live Provencal : op. cit., P. 160 .

وكذلك فى وديان جبال الألب بمنطقة بيموت Pimput ، ولا يعقل أن يكون كونتات Contes مملكة البروفانس قد تحملوا طويلا اجتياح المسلمين الذين قد تمركزوا فى تلك المناطق وتمكنوا منها ، ففى غياب الجيش النظامى يصعب على السلطة المركزية وهى فى حالة من التفكك والضعف والتردى أن تتقدم لصد أى عدوان أو هجوم خصوصا وأن أولئك الكونتات لم يكن اعتمادهم إلا على الهبات التى يقدمها الملاك الصغار لرد أى هجوم ، فى حين أن المسلمين فى تلك الافتراءات كانوا يعتمدون فى خروجهم على جماعات ، ويعتمدون على عنصر المباغتة والمفاجأة والنصوص التى لدينا تثبت وتتحدث عن مدى براعة المسلمين وقدرتهم على الاختفاء فى تلك الغابات المحيطة بتلك الجبال والوديان(١) .

ويرى بعض الكتاب أن هجمات المسلمين كانت تأتى من قمم جبال الألب أكثر مما تأتى من البحر ، وخلال القرن العاشر الميلادى نجد أن المسلمين قد ازدادوا جرأة وقوة مع مرور الأيام وامتد مجال تحركهم وانطلاقهم حتى أصبح يشمل جميع قمم جبال الألب حتى منطقة الدوفينيه Dauphine وفى السافوى Savay بل وحتى فى فاليه Valis وغريزون Gesgrisons (٢) .

ويؤيد استعانة أهالى المنطقة بالمسلمين ضد أعدائهم ما أورده تيودور غوتيه حيث يذكر أنه أثناء هجمات المسلمين واستقرارهم فى منطقة الدوفينيه انضم إليهم قسم من السكان وشاركوهم غزواتهم وأعمالهم الحربية ولولا ذلك لا يمكن أن نفسهم بسهولة اجتياح المسلمين لتلك الجبال المنيعة والصعبة حتى تمكنوا من الإقامة ، ويشارك تيودور فى رأيه هذا الأب مارسيلان فورنييه Mareclin Fournir حول تعاون السكان المحليين بكل أسف على حد قوله مع المسلمين وانضمامهم إليهم . وهذا فى رأينا دليل أكيد على تسامح المسلمين وحسن معاملتهم لأهالى البلاد الذين وضعوا أيديهم فى أيدى المسلمين(٣) .

---

(1) Codera : Limites Probables de la Conquista arabe en-la Cordillera Pirenaica . P. 237 .

جمال الدين الرمادى : الإسلام فى أوروبا ، ص ٦٨٤ .

(2) Edouard Baratier : op. cit., PP. 108 - 110 .

(3) Mareclin Fournier : Historie des alpes Maritimes Pieele . P. 222 .

ولقد أورد رينو أثناء حديثه عن الفتوحات الإسلامية ما يؤكد أنه لما فتح المسلمون غالة والمدن المجاورة لها وجدوا عونا ونصرة كبيرة من أهالى تلك البلاد ، ولولا هذه المساندة والمساعدة لما استطاع المسلمون الاستقرار فى تلك المناطق الشاسعة والنائية عن أوطانهم وهم فى قلة من أمرهم ، فى وقت كانت المواصلات والمراسلات صعبة وشاقة وهذا دليل على قدرتهم على الامتزاج بأهالى البلاد الأصليين والعيش معهم(١) .

أما فى موجز تاريخ دار غينون فيذكر المؤلف قائلا أن المسلمين القادمين من شمال إفريقيا وبلاد الأندلس استطاعوا ضم منطقة البروفانس التى احتفظت باستقلاها منذ انهيار الإمبراطورية الكارولنجية ، واجتاحوا فى البداية منطقة الساحل ثم توغلوا فى الدخل واستطاعوا أن يدمروا مدينة (نيسى) ولسائر القرى الموجودة على الساحل فهرب السكان من أماكنهم من السهول ولجأوا إلى التلال المجاورة وعاشوا فى حالة بؤس كما كانت الحال قبل الغزو الرومانى واستمر هذا الوضع قرابة مائة عام(٢) .

أما جورج ريمون وجان ادوار دوغان فيذكر أنه لا ينبغى أن نبالغ أو نقلل من شأن العمليات التى سموها بالنهب وأن العصر الذهبى للمسلمين هو عصر تقدمهم فى الجبهة الغربية من غالة للرد على هذه التهم نقول أنها قد نسجت بمنوال محكم لدى صنعة مهرة تخصصوا فى إلصاقها بالمسلمين، ونقول أن المسلمين كان بإمكانهم اقتراف المظالم والإساءة للمغلوبين ولكن كان لديهم من العبقرية ما ندر وجوده فى دعاة الديانات الأخرى ، وأدركوا أن النظم الأديان ليست مما يفرض قسرا وأن اتباع أسلوب التدمير ومعاملة السكان بسوء ليست من أخلاقهم لذلك عاملوا أهالى كل قطر فتحوه واستولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم ، والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ورحمة العرب وتسامحهم كانا من زسباب اتساع فتوحاتهم واعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم . للمزيد انظر غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٢٥ ـ ٢٣٥ ، ٢٩٢ . ناجى معروف : أصالة الحضارة العربية ،

---

(١) رينو : الفتوحات الإسلامية ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص ٢١٧ .

(2) E. Poupe, f. MINEUR : Petiteaistore de diaguignon .

ص٢٤٢ . بعـد أن سحقـوا فى بواتيه[١] عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م ، وبعد تلك الهزيمة بدأوا بمهاجمة السواحل حتى تمكنوا من الانتشار فى أواخر القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى على سواحل وشواطئ البحر المتوسط الغربية بعد أن تمركزوا فى فرينيه أوفراكسنتيوم فأخذا يشنون الغارات المدمرة[٢] على المدن والقرى فى منطقة البروفانس وعلى المدن الواقعة على الساحل[٣].

ويعقب المؤلفان بأنه نتيجة لغزوات المسلمين أصبح لا يوجد فى السجل الكنسى لمدينة نيس Nice أسماء لأساقفة ما بين سنة ٢٧٤ ـ ٣٩٠هـ، (٨٨٧ ـ ٩٩٩م) وكذلك الأمر بالنسبة لعدد من المدن الأخرى التى تعرضت للغزو ويعود الكاتبان فيذمران لامغالاة فى التعميم[٤].

---

(١) لم يهزم المسلمون فى بواتيه ولم يتوقفوا وذلك ابتداء بما أحدثه عبد الملك ابن قطن وعقبه بن الحجاج السلولى من ضم مناطق جديدة للإسلام والمسلمين وأخيراً بما وفق إليه المسلمون من احتلال تلك المناطق البعيدة من البروفانس وما حولها بعد أن اخفقوا فى الاحتفاظ بمناطق غالة الجنوبية .

(٢) يعترف الكاتبان بأن المسلمين لم يتوقفوا بعد بواتيه بدليل ما أحدثوه فى سواحل شواطئ البحر الأبيض الغربية ، من تقدم بحرى فعال كان له أثر فى تمركزهم فى منطقة فراكستيون .

(3) George Reymond et Jean edauard Daugand : Monaco Antiqu. P. 255 .

(٤) ويذكر المؤرخ محمد كرد على : أن هناك عوامل فى جفاء الغربيين وهناك عقدة مدنية وعقدة دينية إذ سهل الأمر فى الأولى عسر فى الثانية لأنها متعذرة على الانتزاع فمهما جهدت بكل جهدك فحكم الغرب على الغرب منبعث فى الأصل من تباين فى المعتقدات ، والمعتقدات وليدة التسليم والاستهواء والعادات ومن الصعب استئصالها ، ويذكر دريول فى المسألة الشرقية : (أن الغربيين ربوا على عاطفة أن النصرانية أرقى من الإسلام بكثير ، وأن رسالتها تهدى المسلمين إلى دين المسيح وهذا أمر عسير . وكم من أناس يسمون لما يذكر من النعيم الذى وعد به المسلمون فى الجنة ، ونحن ندعوا المسلمين بالكافرين . ومع أن المسلمين جماعة من المؤمنين لذلك لا يرجى بيننا وبينهم صلات أخاء وحب أبدا .

ويقول لوين : كان الأنصاف فى التاريخ صفة جوهرية فى المؤرخ ، وأنه على المؤرخ أن يكون خاليا من الأغراض متجرداً من الهوى حتى يستطيع أن يرى الحوادث وإلا عبر كل مؤرخ تعبيرا يخالف غيره أو يعنى بتفصيل يهملها غيره ، أو قد يبلغ المؤلف عن عمد أو غير عمد أن يختار المواد التى =

ولكن لابد من إعادة النظر لكشف الحقائق فالمسلمون أبعد من أن يكونوا لصوصا أو رجال عصابات ، فلقد اغنوا الثقافة الغربية طوال العصور التى جرى فيها جهادهم ودخولهم إلى المناطق فى شمالى غرب البحر المتوسط .

ويعود الكاتبان فيذكران مغالطة أخرى هى أن البروفانس ليست الأندلس فكل ما نقل عن تأثير المسلمين على الجنس واللغة والعادات والثقافة فى منطقة البروفانس هو مجرد اختراع متأخر من المؤرخين المحليين ، وتعبير عن نوع من العداء لرجال الدين ، ومن ثم جاء الشعراء فأعادوا ذكر هذا الاختراع وحسنوه وزينوه[1] .

ويذكر ادوار بارتييه : أن المسلمين بعدما احتلوا المناطق الشمالية من الجبال الواقعة فى منطقة الدوفينه Dauphine ومنطقة السافوى Sayoy خففوا من عمليات السلب والنهب فى البرفانس لأنهم بدأوا يتطلعون إلى أماكن أخرى[2] .

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى أخذ المسلمون يتقدمون نحو

= توافق اهواءه السياسية والدينية والأخلاقية لذلك تعذر تأليف كتاب فى التاريخ يبلغ من الأنصاف مداه.

انظر محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ، ص ٢ ـ ٥٣ نقلا عن غوستاف لوبون : روح الثورة الفرنسية وروح الثورات .

(1) George Reymond et Jean edouard deugand : op. cit., PP. 225 - 256 .

وللرد على تلك الأقوال نسوق رأى المؤرخ غوستاف لوبون فى كتابه الأسس العلمية فى فلسفة التاريخ فى الفصل الخاص فى النقد التاريخى « رأينا مدى الشكوك التى تعرض للوقائع التاريخية حتى ما كان منها معروفا فاقتضى للحكم عليها أن يتجرد منها عن التأثيرات القومية والدينية والسياسية التى هى مرجع البيت فى معظم الأحكام ، لذلك جاءت التأليف حاملة تقديرات متباينة فى الحوادث الواحدة ، وللأوهام الدينية خاصة سلطان على المؤلفين على حين يعتقدون أنهم نحوا من تأثيراتها ، ولا جرم أن كثيرا منهم قد اندفعوا بسابق هذه الأوهام وأتوا بأراء بعيدة عن حجة الصواب فى بيان فضل الحضارة الإسلامية ولا يزال التحامل على العالم الإسلامى القديم بحالة من الشدة ، لذلك وجب أن يعاد النظر فى تاريخ القرون الوسطى بجميع أجزائه التى لها مساس بانتقال المدينة القديمة إلى العصور الحديثة .

نقلا عن محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ، ص ١١ .

(2) Edouard Baratier : op. cit., PP. 108 - 110 .

سلسلة جبال الألب . وفى سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م عبروا الشعاب المؤدية إلى مملكة برجنديه Burgundia الجديدة ، وكانت تضم الدوفينه والسافوى وأجزاء من المناطق التى تشكل اليوم مع غيرها سويسرا الحالية ثم اجتازوا جبل جنيس Genies فهرب السكان ولجأوا إلى مدينة سوز Suse ومدينة بريانسون Briancon ولكن المسلمين لحقوا بهم وقتلوا أعدادا كبيرة من المسيحيين فأطلق على مكان المذبحة من ذلك اليوم ساحة الشهداء[١] .

ولقد أورد شكيب أرسلان[٢] نقلا عما جاء فى تاريخ دير نوفاليزا الوارد فى مجموعة موراتورى : أنه كانت هناك كنيسة صغية فأحرقوها وفر كثير من أهلها إلى الجبال بين سوز Suse وبريانون Briancon واعتصموا بديرا ولكس Oulx فاقتص العرب آثارم وقتلوا أعدادا كبيرة منهم حتى سمى ذلك المكان بساحة الشهداء .

ومنذ ذلك الحين شرع العرب فى شن غاراتهم على سواحل بيدمونت Bied-mount ومونفرات Montferrat ومدينة استى Asti واكى Acquies حتى وصلوا إلى حدود ليجوريا Liguria ودخلوا جنوه عنوة وفى سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م نزل العرب سواحل لنفدوق

وبذلك أضحى المسلمون سادة فى مناطق جبال الألب وفى الحدود بين فرنسا وإيطاليا وسويسرا وصاروا يتقاضون رسوما على القوافل المارة عبر ممرات الألب سواء كانت هذه القوافل للتجارة أو إلى الحج إلى روما .

وهكذا نجح المسلمون فى تطويق بلاد الفرنجة من الجنوب والشرق على السواء[١] .

---

(1) Por Theodor Gautier : Historie de la Gibbe P. 194 .

(٢) أرسلان : غزوات ، ص ٢١٦ نقلا عن مجموعة ديراولكس التى نشرها ريفاتتلا فى تورنتو سنة ٧٥٣م . وأوردها أرسلان : غزوات ، ص ٢١٦ .

وللعرب حصون فى منطقة بيد مونت منها حصن فرسكنديلوم Fracene dellum قرب كازل Gassal على نهر البو .

(3) Victor de Saint Jenis : op. cit., P. 148 .

طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٢٦٢ .

ومن تلك المعابر التى استولى عليها المسلمون هاجموا سويسرا ولا سيما عن طريق ممر سان برنارد ST. Bernard وهو الذى يفصل بين مقاطعة فاليه Valais السويسرية بين شمالى إيطاليا واجتاحوا منطقة فاليه Valais وكذلك منطقة جريزون ويبدو أن رجال الدين اذين فروا أمام المسلمين فى بروفانس كانوا قد لجأوا إلى فاليه ومعهم أموال فكان ذلك من بين أسباب عبور المسلمين إلى سويسرا(١).

وقد وصل المسلمون إلى شواطئ بحيرة جنيف Geneva حوالى عام ٣٢٥هـ ـ ٩٣٦م ، من المحتمل أن هذا التاريخ لا يحدد أول دخولهم والغالب أنهم دخلوها منذ مطلع القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى .

واشتدت وطأة الغزوات الإسلامية فى المنطقة بين بحيرة كونستانس Constance فى الشمال الشرقى من سويسرا وبين مدينة كور Chur فى شرق سويسرا ويبدو من حوليات المؤرخين عن حوادث عام ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م أن العرب شنوا الغارة على سويسرا الألمانية وقتلوا الكثير من الحجاج العائدين إلى روما(٢).

ويبدو أن قسما كبيرا من سويسرا الألمانية الواقع بين مدينة كور وبين أعالى الراين كان ميدانا لنشاط العرب الحربى .

وفى حوالى عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م توغل العرب فى منطقة خات Waadt ادفو Vaud وقاعدتها لوزان Lusanne الواقعة على الشاطئ الشرقى لبحيرة جنيف ، ووصل المسلمون إلى منطقة افانشى Avanchez ونيوشاتل Neuchatel وإلى بحيرة تونستانس Tonstance وسانت جل ST. Gallen وابنزيل Appenzell وسارجان Sargan وتوجنبرج Tongenburg (٣) فى أعالى الراين(٤).

(1) Par Lucien Musset : les invasions le second assant Contre L'europe Chretienne VIIXI Siecles PP. 164 - 165 .

(٢) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٢٦٣ .

(٣) طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ . مؤنس : المسلمون فى حوض البحر المتوسط ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٤) كانت البلاد المعروفة اليوم باسم سويسرا مقسمة فى العصور الوسطى بين مملكة برغنديا ودوقية سوابيا. ولم تكن قد وجدت وجمعت اطرافها .
عاشور أوروبا العصور الوسطى ، جـ١ ، ص ٥٩٧ .

ويؤيد فيكتور سانت جنيس[1] فى تاريخ السافوى أنه فى الوقت الذى كان فيه الهنغاريون يدخلون إيطاليا ، عبر منطقة التيرول كان المسلمون يغزون جبال الألب الغربية عبر وادى دوروونس Durance ووادى الرون Rhone وأنه فى سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م كانت جميع الممرات الجبلية المحتلة من شاطئ البحر حتى الثلوج التى تمد نهر الرون بالمياه ، وكان المسافرون يدفعون المكوس على الطرقات المؤدية من إيطاليا إلى منطقة السافوى Savoie ومنطقة الدوفينه Dauphine والبروفانس وسويسرا . وقد هدم دير أولكس Oulx ودير نور فاليز Norvalese والمدن التالية سان جان دى دى موريين Daint Jeau de Mautieune وسيسترون Sisteron وغدت طعمة للنيران ولجأ السكان إلى الغابات وقبضوا على المزارعين فى الجبال لكى يستخدموهم الغزاة جواسيس[2] .

تلك هى الصورة التى تبدوا أمام أعيننا ونحن نقرأ مذكرات القديس روموول Ro-mule وقصائد لويتبراند Luit Prand[3] ومـــدونات الأديرة . وفى سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م احتل المسلمون تورنتيز Torentaise وبنوا فوق السبخات المالحة قصر الملح Chateaee de Melh الذى مازال اسمه العربى حتى الآن[4] وتغلغلوا فى فالى Valley وتقدموا نحو سان غال Saint Gall وغدوا سادة البحيرات كما كانوا سادة

---

(1) Victor de Saint Genus : Histore de Savoie de Savoie ep. cit.; P. 148 .

(٢) وللرد على هذه الأدعاءات نذكر أنه لم يوفق كثير من مؤلفى الغرب إلى فهم تاريخ العرب فما زالوا ينكرون فيه إبداع المدينة التى ولدها الدين ، أما ما نسب إلى العرب من فظائع أثناء فتوحاتهم ، فمعها مبالغ فى نسبته إليهم مما تبيحه القوانين الحربية الرومانية التى جربت كل أنواع الجور والاستعباد مما لم يأت العرب مثله فى بضع قرونهم الأربعة الزولس على اتساع رقعه ممالكهم ، ولم يحفظ لهم التاريخ بتلك الصور البشعة إطلاقا .
محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ، ص ١٨ .

(٣) لويتبراند : مؤرخ المانى شهير ولد عام ٣٢٠هـ/٩٢٢م من أسرة شريفة فى لونباردية نشأ فى معية الملك هوغ فى بافيه وكتب كتابين باللاتينية انظر أرسلان : غزوات ، ص ٢٢٠ .

(٤) وهذا من أكبر الأدلة على قدرتهم على الامتزاج بالسكان والاختلاط بهم وتكوين تلك الأصول الجرمانية دليل عظيم على تسامحهم مع أهالى البلاد المفتوحة .

البحار ، وعلى مقربة من كونستونس Constance التقى أعداؤهم بطلائع المهاجرين الهنغاريين (المجر) وهكذا أصبحت منطقة جبال الألب ضحية لأنواع من العذاب لا يمكن وصفها بسبب حالات العنف الدورية الهابطة كالانهيارات الثلجية من أعالى الجبال التى تحولت إلى قلاع منيعة ، ولحسن الحظ فإن التباين الواسع بين الأجناس والتناقض فى الطباع والأديان منعا الانصار بين الهنغاريين والمسلمين كما يجرى عادة بين القراطنة أيا كنت بلدانهم ، وقد تمكن هوج دارك Hugues a'Arles من إحداث تيير فى النظام الاجتماعى للمسلمين وذلك بابعادهم عن البحر والقائهم وسط جبال الألب لاستخدمهم فى تسهيل عبوره نحو إيطاليا ضد ألمانيا سنة ٣٦٢هـ/ ٩٤٥م، ولم يكن قرصان البر هؤلاء متأكدين من استيلائهم الدائم على سلسلة جبال الألب لكى يحولوا معسكراتهم إلى مستعمرات سكنية ثابتة ، وقد تزوجا من نساء المنطقة وزرعوا الأراضى ، وكونوا أرومات عائلية عربية جرمانية .

ويؤكد ذلك المؤرخ الراهب اكهات مقدم دير سانت جال أن المسلمين رغبوا فى الاستقرار فى الأقاليم التى وصلوا إليها ، وأنهم تزوجوا من الوطنيت وأخذوا يزرعون الأرض ويستغلونها ، وأن احكام الوطنيين فى تلك البلاد لم يسعهم إلا التسليم بمقامهم ، واكتفوا بجباية اتاوة منهم بالإضافة إلى الآثار المادية الدالة على استقرارهم فى أنحاء سويسرا المختلفة[1] .

ويؤكد فيكتور سانت جنيس : أن المسلمين أثناء احتلالهم لمدينة نيس Nice وغاب Gap وجرينوبل Gerenoble كانوا يتسامحون فى إقامة بعض التظاهرات والاحتفالات الدينية المسيحية وشعر أهل البلاد بعد احتكاكهم بالعرب أنه لا خوف منهم[2] .

وقد عرف الملك كونراد أمير برجنديا وسويسرا وفرنشكونتى ودوفينه فى تدبير حيلة

---

(١) طرخان : أوروبا ، ص ٢١٨ .
(٢) أمثلة من تسامح العرب وحسن اخلاقهم باعترافهم

للتخلص من المجر والعرب معا بعد أن رأى فى الإمكان الاستفادة من ضعف روح المقاومة لدى المسلمين فداراهم وتملقهم لأنهم أصبحوا ملكا ، ورأى أن يضرب أحدهم بالآخر ، وبالفعل فقد وقعت معركة بين المسلمين والمجر عند إحدى الطرق المؤدية إلى إيطاليا عبر جبال الألب ، وفى نهاية المعركة هجم الملك كونراد بعساكره على ما بقى من أعدائه وقضى عليهم جميعا ، وقد قضت هذه المكيدة العسكرية على الأمل الأخير للمسلمين وادى تعرضهم للهجمات من جميع الأطراف إلى طردهم من السهول ، وكان أسقف مدينة غرينوبل Grenoble المدعو ايزارن Izarn أحد أبرز قادة الحملة الصليبية المحلية التى أعادت النظام الإقطاعى المسيحى إلى وادى ايزير Isere وبعد التجاء المسلمين إلى أعالى الوديان بقوا محتفظين بسيطرتهم على سلسلة جبال الألب عدة سنوات أخرى وخاصة على المعابر الوعرة فيها(١).

وقد أورد أرسلان فى كتابه تاريخ غزوات العرب ذكر تلك الحادثة التى أدت إلى القضاء على العرب وسببها أن المسلمين على حد زعمه كانوا يسلبون النساء والأولاد والخيل ، وقد انضم إليها أفاق يدعى إيمون Aymon طمعا فى الغنائم فوقعت فى أيديهم امرأة بارعة الجمال فاستأثر بها إيمون فنازعه عليها أحد زعماء العرب وانتزعها من يده(٢) فقرر إيمون الانتقام منهم فاتصل بأهل البروفانس وأصحاب الكلمة العليا فيها سرا لطرد العرب من البلاد فكتموا أمرهم واستنفروا الناس ، واجتمع الأمراء والزعماء وقادوا الأهالى وهاجموا العرب سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م وكان المجر قد اكتسحوا الالزاس ، وصارت جميع البلاد تحت خطر احتلالهم ، ففكر كونراد أمير برجنديا وسويسرا وفرنشكونتى ودوفينه فى تدبير حيلة للتخلص من العرب والمجر فكتب إلى العرب كتابا يقول فيه : أن لصوص المجر قد سمعوا بخصب الأراضى التى فى أيديكم وهم عامدون إلى انتزاعها منكم فتعالوا لى لنزحف إليهم معا ونبيدهم وفى نفس الوقت كتب إلى المجر قائلا لهم : لماذا ينازع بعضنا بعضا والمسلمون هم الذين بأيديهم أخصب البقاع فتعالا إلىّ لنزحف إليهم ونطردهم وحينئذ أنا أجعلكم فى مكانكم

(1) Victor de saint . Genis : op. cit., P. 148 .

(٢) أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

واتفق مع الفريقين وعين مكانا للقائهم والتحمت الحرب بينهما ولم ينج منهم إلا القليل .

ولكن برغم تلك الحيلة المدبرة للقضاء على العرب والمجر بقى جانب من جبال الألب والبروفانس الدوفينه تحت يد العرب الذين كانت ترد إليهم الامدادات عن طريق البحر[1].

وفى تلك الفترة كان على عرش دولة الإسلام فى الأندلس الخليفة عبد الرحمن الناصر (الثالث) منذ عام ٣٠٠هـ - ٣٥٠هـ، ويبدو أنه كانت تربطه علاقة مع اوتو الكبير ملك الفرنجة وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة[2]، وقد جاءت تلك العلاقات نتيجة للغارات البرية التى كان يشنها المجاهدون الأندلسيون على سواحل بلاد الفرنجة الجنوبية ، وعلى الرغم من أن نشاط هذه الجماعات البحرية كانت لا تتبع ولا تنتمى لدولة معينة وإنما هى عبارة عن مزيج من المسلمين القادمين من إفريقيا والأندلس مع بعض المتطوعة المنضمين إليهم . إلا أن الإمبراطور أوتو الكبير اعتبر الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر مسؤولا عن تلك الأعمال التى قام بها هؤلاء البحريون ، وطلب منه فى رسالة شديدة اللهجة أن يضع حدا لتلك الأعمال ، وقد رد عليه الخليفة الناصر برسالة مماثلة عام ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م وبعد أعوام قليلة عاد الإمبراطور أوتو وبعث برسالة أخرى إلى الناصر على يد راهب يدعى جورز June de Gorze[3].

ويبدو أن تلك الرسالة قد تضمنت نيلا من الرسول ﷺ فرفضوا تسليمها للناصر وأرادوا من الراهب التنازل فى التفاوض فى هذه الأمور الدينية ولكنه رفض فما كان من الناصر إلا أن أرسل رسولا من قبله إلى الإمبراطور أوتو يدعى رثموندو Rece-mundo ويطلق عليه العرب اسم ربيع بن زيد (كما جرت عادة المستعربين فى

---

(١) أرسلان : غزوات ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) اوتو الكبير أو العظيم مؤسس الامبراطورية الرومانية المقدسة والتى ضمت إيطاليا والمانيا واستمر حكمه من ٣٢٥ - ٣٦٢هـ/٩٣٦ - ٩٧٣م للمزيد انظر عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص ٢٩٨ .

(٣) نسبة إلى دير جوزر . Goizer الذى كان ينتمى إليه الراهب بالقرب من مدينة متز Metez .

قرطبة أن يتخذوا أسماء عربية إلى جانب اسمهم المسيحى) ثم عاد الرسول إلى قرطبة بناءاً على تعليمات الإمبراطور الجديد فتخلى الراهب عن عناده وتنازل على استصحاب الرسالة التى فيها نيل من الرسول واستقبله الناصر أحسن استقبال(١) .

والغريب أن مؤرخى العرب لم يذكروا شيئا عن قضية احتلال العرب لتلك المناطق أو عن السفارات المتبادلة بين الطرفين ، ولكن ابن خلدون والمقرى أوردوا عبارات وإشارات مختصرة يذكران فيها أن ملك الإفرنجة وراء البرتات أرسل رسولا وهدية إلى الناصر(٢) وتلك العلاقات التى كانت بين الطرفين تدل دلالة واضحة على ما كان لرجال البحر الأندلسيين من نشاط فى حوض البحر المتوسط إلى درجة جعلت كلا من إمبراطور بيزنطة وإمبراطور الدولة الغربية يتوسط لدى الخليفة الأندلسى لكى يحد من نشاطهم (٣) .

وفى هذا الصدد يذكر أدوارد بارتيه : أن اوتو الأول Otton I قد أجرى مفاوضات غير مجدية مع خليفة قرطبة لكى يسحب العصابات الإسلامية من جبال الألب ، بعد أن وطد سلطته فى إيطاليا وبدأ أوتو الأول سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م يعد العدة من جديد للقيام بهجوم ضد المسلمين ، ولكن هذه الحملة لم تتم إلا أنها بقيت واردة(٤) .

ويؤكد الدكتور طرخان : أن الإمبراطور أوتو نتيجة لالتماس أمير سويسرا الألمانية هرمان Hermann قام بتعويض دير كور عن الخسائر التى لحقت بأملاك الدير نتيجة اجتياح المسلمين(٥) .

وإذا ما نظرنا إلى الاجتياحات العسكرية فى منطقة جبال الألب نرى أن دور

---

(١) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٤ . أرسلان : غزوات العرب ، ص٢٣٠ ـ ٢٣٣ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٤٣ . المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ، ص ٣٤٢ .

(٣) العبادى : دراسات ، ص٢٧١ ـ ٢٧٤ .

(4) Edouard Baraticr : op. cit., PP. 110 - 111 .

(٥) طرخان : المسلمون ، ص ٢٢٠ .

المسلمين فى مناطق جبال الألب قد جرى تضخيمه ولكن الوقائع الثانية تتحدث على نحو كاف لتظهر التزييف[1] فى تاريخ تلك الحقبة .

ونحن نعلم من هم الذين تعرضوا لدير نوفاليز Novalais فى وادى سوز Suse فلقد هوجم الدير ثلاث مرات ، ومنذ الهجوم الأول سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م لجأ الرهبان إلى مدينة تورينو فى إيطاليا ولم يعودوا إلى وادى سوزالا حوالى عام ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م . كما أن الهجمات على الحجاج المتوجهين إلى روما تمت البرهنة على حدوثها عدة مـــرات سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م ، ٣١١هـ/ ٩٢٣م ، ٣١٧هـ/ ٩٢٩م ، ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م . وفى سنة ٣٢٩/ ٩٤٠م أقاموا مخيما فى سان موريس ـ Maurice ـ Aaint ـ d'Aqoune وفى فاليه (Valais) وذلك لمراقبة المسافرين عبر ممر غران سان برنار (Grauid - Saint Beruard) ثم عادوا إلى نفس المكان سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م حيث فرضوا لأول مرة ضريبة على العابرين وعدوا سادة جبال الألب فى الحدود ما بين فرنسا وإيطاليا وسويسرا[٢] .

وإذا تتبعنا منطقة السافوى Savay منذ بداية هجمات المسلمين نرى أن تلك المنطقة بحكم موقعها بين وادى نهر الرون وقمم جبال الألب تعرضت طيلة قرن تقريبا لهجمات المسلمين القادمين من إفريقيا وصقلية والأندلس مع أولئك المهاجمين المنطلقين من بعض المعسكرات التى كانت عبارة عن حلقات وصل موجودة إما على الشواطئ أو على تلال البروفانس ، وكان هؤلاء المهاجمون يتميزون بخفة وسرعة الحركة سواء على الخيل أو فى المراكب ، ويشنون تلك الغارات للسلب ، وكانت هذه الغارات ذات نتائج بالغة السوء على الأرياف والقرى أكثر منها على المدن المسورة، وإن كان لا يحسن بنا أن نبالغ كثيرا . فإذا استثنينا بعض المدنات وسير بعض الأساقفة فإن الأبحاث التاريخية الخاضعة للقواعد العلمية السليمة تؤدى إلى نتائج حاسمة حول

---

(١) وهذا اعتراف ثابت من قبل الكاتب ، على مدى تزييف تلك الحقبة من التاريخ على يد أولئك المؤرخين الذين قد يكونون إما رهبانا متعصبين وإما مؤرخين متحيزين .

(2) Parlucien Musset : op. cit., PP. 164 - 165 .

هذه الفترة من تاريخ السافوى Savay فالأبراج الإسلامية ليست معاصرة للفترة التى كتبت فيها تلك المدونات ، كذلك يجب أن نحترس من استعمال بعض العبارات كما يفعل بعض المؤلفين الذين يختبئون خلف المصادر العائدة للقرن التاسع عشر وهى عبارات خاطئة ومتجنية مثل تعبير « العصابات العربية » أو « الغزوات الهمجية المدمرة التى اجتاحت السافوى وحولت المناطق الآهلة إلى صحارى » وهكذا .... وللرد على ذلك نقول كيف نفسر والحالة هذه عودة الحياة وعودة النمو السكانى وعودة النشاط الاقتصادى والإدارى على نحو سريع بعد تلك الغزوات الإسلامية ، ولا يجب أن ننسى بأن الشهادات هى شهادات الضحاى والمهزومين وهم يكونون فى العادة فى حالة اضطراب مما يجعل أية إشاعة مهما صغر حجمها تبث موجات من الرعب تحمل السكان على اللجوء وقتيا إلى القلاع الحصينة والغابات وقمم الجبال[١] .

وكانت السافوى أقل تأثرا بغزوات المسلمين من تأثر بعض المناطق التى اجتاحتها الغزوات الهنغارية العابثة فى الفترة الممتدة من سنة ٢٨٦ ـ ٣٤٤هـ/ ٨٩٩ ـ ٩٥٥م[٢] .

ويؤكد هذا مولر[٣] حين يقول أن هناك الكثير من الإشارات المادية التى تدل على اصتقرار المسلمين فى أنحاء سويسرا المختلفة ، فقد وجدت كتابة عربية على حجر فى كنيسة القديس بطرس مونتجو St. Bierre-Montjoux فى فاليه . وفى منطقة لزان مكان يعرف باسم برج المسلمين La Tourdes Sarrazins ، وهناك حائط ينسب إلى المسلمين فى مدينة ففلسبرج Fiflisburg وفى منطقة ديفلى يوجد كهف منسوب للمسلمين وعلى أحد صخوره رقم ٢٣ بالحروف العربية ، كذلك فى المقاطعات المجاورة لمدينة بازل Basel بقايا أسماء عربية تحف بالطرق الرومانية القديمة ،

(١) وهذا اعتراف صريح شهدوا به على أنفسهم .

(2) Jean Prieuret Autres :la savoie desorigines Al'an 1000 . P. 357 .

(٣) طرخان : أوروبا ، ص٢١٧ .

وهى التى يسلكها العرب فى غزواتهم(١) .

ويؤكد ذلك أيضا فيكتور دى سانت جينس : أن المسلمين احتفظوا بسيطرتهم على سلسلة جبال الألب عدة سنوات وخاصة فى المعابر الوعرة . ولقد علموا السكان تسجيل المساحات الأرضية أى الطوبوغرافيا وتحسين مستوى استغلال المناجم واستخراج الملح ومازال ذكرهم فى جميع نواحى السافوى قائما حتى الآن(٢) .

أما عن نهاية المسلمين فى سويسرا فتذكر الروايات أن أوتو الأول Otton 1 بدأ يعد العدة سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م للقيام بهجوم ضد المسلمين وهذا الهجوم كان أوتو قد قرره منذ عدة سنوات ولكنه لم يتم ، ويبدو أن هناك حوادث أدت إلى التعجيل بخروج المسلمين والتآمر ضدهم . فعلى أثر مقتل القديس مايول Mayel راهب مدينة كلونى Cluny(٣) ومقتل العديد من الحجاج والمسافرين بدأت الحملة ضد المسلمين خصوصا لأن هذا الراهب كان ذا مكانة رفيعة فى الأوساط الدينية وغير الدينية لذلك جمع الرهبان مبالغ كبيرة من المال لتمويل الحملة ، وجرت مفاوضات واسعة النطاق

---

(١) طرخان : أوروبا ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

Victor de Saint Genis : op. cit., P. 153 .

ويقع الكاتب سهوا رغم حرصه ويذكر مآثر الحضارة الإسلامية وآثارها فى البلاد المفتوحة ومحاولتها ترك بصماتها الواضحة فى تعليم أهل تلك المناطق وترقيتهم وتثقيفهم . وهنا نسوق رأى عاشور الذى يذكر أن هناك فريقا من المشككين فى ماضى العروبة وحاضرها وربما مستقبلها فيمثل الجانب الجانب الهدام الذى لا يرى فى ماضى الحضارة الإسلامية ولا فى حاضرها إلا عجزا ولا فى مستقبلها إلا ظلاما .

عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص١١ .

(2) Victor de Saint Geins . op. cit., P. 153 .

(٣) ظهرت الحركة الإصلاحية الكلونية فى النصف الأول من القرن العاشر فى منطقة اللورين حول متزوليبج ثم ظهرت مع أقليم اللورين حركة إصلاح جديدة فى حوض الرون وأسس ديرا جديدا فى كلونى سن ٢٩٨هـ/٩١٠م ، وسرعان ما اشتهر دير كلونى وانتشر هذا النظام الديرى فى غرب أوروبا ، وأصبح للأديرة الكلونية ورجالها قوة عظيمة ونفوذ واسع عند منتصف القرن ١١م . لذلك كان لمقتل القديس مايول راهب مدينة كلونى شأن واهمية عظيمة فثار الجميع لمقتله ، وتكتلوا للوقوف فى صف واحد لمحاربة المسلمين أنظر عاشور : أوروبا والعصور الوسطى ، جـ١ ، ص ٣٤٢ .

لجمع الكلمة والعمل على إخراج المسلمين من جبال الألب ومن البروفانس . نظرا للغموض المحيط بتاريخ مقتل الراهب مايول فإنه من الصعب تحديد الفترة التى تم جلاء المسلمين فيها ، وتشير بعض الدراسات والتقديرات إلى أن أسر مايول قد جرى ليلة ٢١/٢٢ يولية الموافق ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م وأن الهجوم على المسلمين استمر طيلة سنين أثر ذلك وقد استهدف الهجوم الكبير المعقل الرئيسى فى فراكسنتيوم[1] .

وتزعم ذلك الهجوم الكونت غليوم الذى أطلق عليه غليوم المحرر بالاشتراك مع حاكم توران Turin وفوركالكييه Forcalqwier حملة عسكرية على معاقل المسلمين فى فريجوس واستطاعوا إلقاء قراطنة الألب فى البحر عام ٣٦٢ ـ ٣٦٣هـ/ ٩٧٢ ـ ٩٧٣م (ويقصد بذلك العرب)[2] .

أما فرديناند : فيوضح عملية القضاء على المسلمين فيذكر أنه انتظمت عمليات مطاردتهم فى منطقة دورونس العليا Haute ـ Durance قرب مدينة سيسترون فضم حاكم مدينة بوفرون Beuvron قواته إلى قوات روبو Roubaud شقيق غليوم حاكم مدينة أفينون Avignon وقام الاثنان بارتكاب مذبحة شرسة فى صفوف المسلمين[3] وطورد الهاربون منهم حتى نهرى بوش Buech وساس Sasse وانصرف قادة آخرون إلى تنظيف مجرى النهرين ، ثم هوجمت منطقة نيس Nice وانصرف ومنطقة فيليفرانش Villefranche حيث يوجد للمسلمين معسكرا آخر يدعى فراكسينه الصغير توجه غليوم وروبو نحو فراكسينيه الكبير Grand Frascinet وبدافع من ثقتهم بما آثاروا من رعب فإن المسلمين لم يولوا أمر الحراسة اهتماما كافيا فلقد استقروا فى المنطقة منذ ثمانين عاما بل قد ولدوا ونشأوا هناك ولا يشعرون إلا أن تلك الديار هى ديارهم وأنهم بين أهلهم ، وهذا دليل باعتراف الكاتب على روح التسامح وسرعة الأندماج مع أهالى البلاد .

---

(1) Edouard Baratier : op. cit., P. 110 - 111 .

رينو : الفتوحات ، ص ١٨٥ .

(2) Paul Guichonnet : Historie et civilisations des Alpes . P. 180 .

(٣) على ماذا يدل ارتكاب تلك المذابح الشرسة بين صفوف المسلمين ؟

ويروى أحد المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة أن حراس المعقل كانوا يتلهون بلعب الورق فعمد المهاجرون إلى كم خيولهم حتى لا يفضح صهيلها وجودهم وفي الفجر شن المهاجمون حملتهم المفاجئة فاعملوا السيف فى البعض واعتقلوا البعض الآخر ، وكان عدد الأسرى كبيرا لدرجة أن كل جندى من المهاجمين حصل على عبد منهم[1]. ثم وزعت الأراضى على السكان بعدما أعيدت إلى الكنائس أملاكها القديمة[2].

أما موجز تاريخ دارغيون Draguignon فيذكر أن استمرار بقاء المسلمين فى تلك المناطق استمر قرابة مائة عام ، وفى أواخر القرن العاشر قرر غليوم كونت البروفانس أن يبذل كل ما فى وسعه لطرد الغزاة العرب فحشد عساكره على مقربة من دارغينون كما يروى ونجح فى طرد المسلمين من جنوب غالة وبعد طردهم ساد الأمن فى منطقة البروفانس وما حولها[3].

أما تاريخ فريجوس فيذكر المؤلف أنه فى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م تمت هزيمة المسلمين وطردهم نهائيا من حصونهم وفى سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م بدأ الأسقف ريكولف بإعادة بناء وترميم المدينة التى خربها المسلمون[4].

أما أرسلان فيرى أن نهاية المسلمين فى تلك المناطق جاءت بعد مقتل القديس مايول ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م فقد كان لهذا الحادث صدى عظيم فى الأقطار وضج المسيحيون الصغار والكبار وهبوا طالبين الأخذ بالثأر وكان فى نواحى سيسترون Siste-ron فى قرية يقال لها نويرس Nayers رجل يقال له بوبون Bobon كان قد استنفر الناس لتخليص البلاد من العرب فانتهز غضبهم لمقتل مايول وجمع كلمتهم وبنى حصنا فى نواحى سيسترون Sisyeron بإزاء حصن كان ينزله المسلمون لمراقبة

(١) وهذا مثل على الغدر المتأصل فى طباعهم .

(2) Fernand Nathen : op. cit., P. 44 - 45 .

(3) E. Poup. F. Mineur : Petite Histoire de Histoire de Draguignon . P. 4.

(4) Y. A. H. Hubenas : Histoire de Frejus P. 260 - 261 .

تحركاتهم حتى ينقضى عليهم فى أول فرصة ويقتحم أول ثلمة وحاول المسلمون أن يعرقلوا مساعيه فلم يفلحوا وكان الحصن الذى فى المسلمون على رأس جبل يقال له بيترانبيه Petra Empia وبينما الفريقان ويداور كل منهما الآخر إذ اغتصب قائد حصن العرب زوجة الحرس الموكول إليه باب الحصن فانتقم البواب عن هذه الفعلة[1] بأن عرض على بوبون ومعه رجالهبأن يفتكوا بالمسلمين ، وهكذا تم هذا بمساعدة بوبو بدور رجاله الذين وجدوا الباب مفتوحا فدخلوا وذبحوا المسلمين وهم غافلون .

أما الرواية الأخرى فتذكر : أن الذى جمع كلمة الأهلين وثار بهم على العرب رجل يقال له غليوم فكسبوا العرب بياتا فى جميع المواقع التى كانوا يحتلونها واستأصلوا شأنهم[2] .

ويرى رينو : أنه من المحتمل أن المسلمين غادروا سويسرا خلال النصف الأخير من القرن العاشر الميلادى وأن رجال الدين قد انبروا فى شتى البقاع لإثارة الحماس ضد المسلمين ومطاردتهم ، وأسر عدد كبير منهم ونجاح فريق من الإفلات من أيديهم .

ويرجح أنه فى عام ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م لم يعد للمسلمين صولة فى سويسرا أو فى مناطق الألب إذ كانت القلعة تعتبر عاصمة للممتكلات الإسلامية فى فرنسا وشمالى إيطاليا وسويسرا وهى مشمولة برعاية خليفة قرطبة[3] .

وهكذا خرج المسلمون من بلاد الدوفينه وأصبح خلاص مملكة البروفانس قريبا ويرجح أن سقوط حصن اكستيوم قد تم عام ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م وكان قد بقى هذا الحصن مدة ثمانين عاما أو أكثر بيدى المسلمين ويعد المركز الأساسى لجميع المسلمين المنتشرين داخل فرنسا وشمال إيطاليا وسويسرا ، فقد قام غليوم بتوزيع ما كان من أموال ونفائس فى تلك المناطق بأيدى المسلمين على معاونيه وكان المسلمون

---

(١) ويبدو فى رأيى أن هذه قصة مفتعلة لا أعتقد أنها نشكل سببا رئيسيا لتكتل أهل البلاد وأخراج المسلمين .

(٢) أرسلان : غزوات ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ . رينو : ص ١٨٧ .

(٣) رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص ١٩٠ .

قد جلوا عن مدينة ربيز فى الألب السفلى وقامت الكنيسة بالاستيلاء على الأراضى التى كانت بأيدى المسلمين وذلك لأن رجال الدين المسيحى وعلى رأسهم الأساقفة قد ناولا نصيبا كبيرا من تلك الأراضى(١) وبعدها صار الكونت مكانة كبيرة فى قلوب الناس وأطلق عليه اسم كبير فى التاريخ وهو « أبو الوطن » .

ولكن برغم سقوط تلك المناطق إلا أنه بقيت جماعات عربية أو جيوب عربية فى جبال الألب بعد تاريخ سقوط فراكستيوم فقد وجدت آثار للمسلمين فى أرض أنطيب أو عين الطيب Antibes حيث نزل المسلمين هناك سنة ٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م وأخذوا بعض الرهبان أسرى .

وفى عام ٤١٠هـ/ ١٠١٩م غزت جماعة مهم مدينة أربونة ، وفى عام ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م نزل مسلمون أندلسيون جزيرة لارين Lerin أمام سواحل غالة الجنوبية واستاقوا عددا من الرهبان فذهب رئيس دير سان فكتور فى مرسيليا إلى الأندلس لافتدائهم (٢).

وكان بعض أمراء الأندلس يشنون الغارات البحرية على البلدان المسيحية وبقيت غارتهم تتوالى ولا تغيب .

وهكذا استمر الوجود الإسلامى فى هذه المناطق رغم كل الأحداث السابقة وذلك يرجع إلى النشاط الإسلامى الكبير فى بلاد الأندلس خاصة فى عصر الحجابة حيث كان للمنصور ابن أبى عامر دور كبير فى هذا المجال ، ولم يستطع ملوك النصارى أن يستردوا أنفاسهم أو يتنفسوا الصعداء إلا بعد استعادة أراضيهم وخروج المسلمين منها ،

---

(١) استيلاء الأساقفة ورجال الدين وتهالكهم على الأراضى يدل على روح الجشع والطمع التى غلبت على الذين يطلق عليهم رجال الدين ، فى الوقت الذى كانوا فيه رجال الاطماع وهذا يدحض الفكرة التى انتشرت عن المسلمين فى هذه الآونة .

(2) Limitws Probables de la congu ista arab enla gordillera pirenaic . P.237 .

أرسلان : ص ٢٤٥ . رينو : إسماعيل ، ص١٩٩ .

وكذلك الذين تولوا الحكم من بعد المنصور مما أدى إلى ثبات الوجود الإسلامى فى هذه المناطق ، وجعل فرنسا تهتم اهتماما بالغا بأساطيلها البحرية وتصمم على ضرورة الثأر من المسلمين والقضاء علليهم أينما كانوا فتجح المسيحيون الممثلون فى الإمارات النصرانية الشمالية فى القضاء على الإسلام وأهله فى دولة الأندلس .

وعلى هذا النحو امتد النفوذ الإسلامى فى أوروبا الجنوبية والوسطى وأعالى الراين وسويسرا الشمالية وهى أمضى ما وصل إليه المسلمون فى قلب أوروبا ثم اعقبت حركة المد تلك حركة انحسار فى جميع الجهات وأن لم تتم فى وقت واحد بل على فترات مختلفة .

---

(١) طرخان : المسلمون ، ص٢٣٤ ، رينو : الفتوحات ، ص ١٩٤ .

الفصل الثامن

أثر الحضارة الإسلامية فى غرب أوروبا

أولاً : فى الميادين المعنوية والثقافية .

ثانيا : فى الجوانب المادية .

تمهيد:

يبدو لكل باحث بصير مدى ما أخذته أوروبا عن الشرق والحضارة الإسلامية فى كل ميادين الحياة فى العلوم والآداب والفنون والصناعات ، ويرى الكثير من المنصفين أنه حتى علوم الإغريق والرومان لم تصل أوروبا فى عصر النهضة إلا عن طريق الترجمات العربية إذ أن الأندلس كانت بير شك هى أول ميدن امتزجت فيه العناص العربية والأوروبية فاستطاعت أوروبا عن طريق الذين بقوا فى الأندلس أو عبروا جبال البرتات أن تعرف الكثير عن خضرة العرب والإسلام على أساس ما تعلمته أوروبا من العرب المسلمين سواء عن طريق الفتح أو التجارة أو البعثات العلمية ، وليس بغريب أن تترك الحضارة العربية بصماتها فى كل من الأندلس والبرتغال وفرنسا وإيطاليا وسويسرا والبروفانس وأن تظهر هذه البصمات فى كل مظاهر الحياة فى اللغة والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والثقافية والفكرية وفى الفنون كذلك .

وقد ترك المسلمون من الآثار ما هو أعمق بكثير مما يبدو فى الظاهر ، بل إننا لا نبالغ إذا قلنا أنه ينبغى أن نلتمس هذا الستار الخفى دائما إذا أردنا أن نلتزم طريق الصواب فى تفسير أى ظاهرة كبيرة أو صغيرة لا فى الماضى فحسب بل فى الحاضر الواقع . إذ أن كل هذه الظواهر إما ذات مباشرة للإسلام والحضارة العربية أورد فعل غير مباشر لها[1] ، وفى هذا الصدد يذكر غوستاف لوبون « أن العرب الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية كانوا مدينين لنا ، وأئمة لنا ، ستة قرون وظلت ترجمات كتبهم ولا سيما العلمية منها مصدراً وحيداً للتدريس فى جامعات أوروبا خمسة أو ستة قرون ...

وإذا كانت هناك أمة تقر بأننا مدينون لهم بمعرفتنا لعالم الزمن القديم ، فالعرب

---

(١) محمود على مكى : مدريد العربية ، ص ٥ ـ ٨ .
عبد العزيز الأهوانى : اللقاء الحضارى فى الأندلس ، ص ١١٣ .

هم تلك الأمة فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم فى إنقاذ تلك الكنوز الثمينة[1] .

وهكذ تبدوا عظمة الحضارة الإسامية التى استطاعت أن تكون للأم تلك الثروات البشرية والعلمية التى استطاعت أن تكون للأم تلك الثروات البشرية والعلمية التى أسهمت إسهاما كبيراً فى الحضارة والتى يرجع لها الفضل فى بعثها بين الأم[2] .

وأخيراً لقد كان تأثير الحضرة الإسلامية فى العالم الغربى المسيحى كبيراً خلال العصور الوسطى إذا انتقلت كثير من المؤلفات العلمية فى مختلف العلوم والفنون إلى إوروبا ، وترجمت إلى اللغات اللاتينية لذلك يعد الدور الذى قامت بهاالثقافة الإسلامية فى إثراء الفكر الأوروبى دوراً من أعظم الأدوار[3] .

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هل كان للمسلمين الذين عبروا جبال البرتات دور فى تكوين الحضارة الأوروبية وخاصة بعد أن استقروا فى بلاد الفرنجة وبعض بلدان إيطاليا وسويسرا ؟

إن كثير من المؤرخين يرون أن مسالك الحضارة الإسلامية إلى أوروبا اقتصرت على الحروب الصليبية حيث أخذ الأوروبيون الصليبيون عن الشرق العربى ما راق لهم من حضارة الإسلام ، كما تأثروا بالحضارة الإسلامية فى جنوب إيطاليا وصقلية ، أما الأندلس فهى بوابة الحضارة الإسلامية إلى أوروب غير منازع ، ولكن يجب ألا نغفل مسلكا آخر رئيسيا وهاما وهو تواجد لامسلمين أنفسهم فى أوروبا الغربية بعد عبورهم جبال البرتات ، وقد كان هذا التيار الحضارى فى ذاته قويا بل كان الاحتكاك فيه بين المسلمين والأوروبيين احتكاكا مباشراً لذلك سأستعرض هنا للمجالات الحضارية التى تأثرت أوروبا الغربية من خلال هذا الاحتكاك بصورة موجزة ولن أوفى هذه المجالات الحضارية المختلفة حقها من الشرح فى هذا الفصل الموجز وإنما اكتفى بالإشارة إلى أبرزها .

---

(١) غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٠ .
(٢) إبراهيم الشريقى : أثر الحضارة الإسلامية فى أوروبا الغربية ، ص ١٨٢ .
(٣) أحمد على الملا : أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوروبية ، ص ٧ .

أولاً : أثر المسلمين في الميادين المعنوية والثقافية :

أ ـ اللغة :

تأثرت أوروبا بالعرب تأثراً بالغاً ظهرت إثاره فى مختلف ميادين النشاط الإنسانى ، وكان من مظهر هذا التأثير دخول كلمات عربية كثيرة إلى اللغات الأوروبية المختلفة ، وكان دخول هذه الكلمات إما مباشرة من العربية ، أو عن طريق اللغة الإسبانية أو اللاتينية[1] .

ولقد تركت لغة العرب أثراً مهما فى فرنسا فيذكر سيديو « أن اللهجات السائدة لولاية أو فرن دولايه ليموزان الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية وأن أسماء الأعلام فيها ذات مسحة عربية » .

ومن الطبيعى أن تقتبس فرنسا وإيطاليا من العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن الميلادى أكثر الاصطلاحات اللغوية .

ففى مجال البحرية نجد ألفاظاً عديدة مثل Admiral أميرال و Escadre اسكدار Boussole بوصله[2] .

ولقد اقتبست جيوشها ألقاب ضباط جيوش المسلمين وتعابير وغى الحرب واستعمال بارود المدافع والقنابل والحراقات والقذئف ، وأخذت من حكومة بغداد وحكومة قرطبة التعابير الإدارية مثل ـ Gabele - Aides - Syndic ـ Tarit - Taille - Bazar -وأن يقلد ملوك الأسر الفرنسية العرب فى شتى نشاطهم فيأخذوا عنهم اصطلاحات الصيد مثل Chasse - Tournoio - Curee - Laisse - Maute التى عددها علمء اللغة المعاصرون مشتقة من كلمة Torneamentium وأهم من ذلك كله اصطلاحات العلوم التى اقتبستها أوروبا من العرب فى علوم الفلك المملؤة بالتعابير العربية مثل Zenith - (السمت) Azimuts - (النظير) Nadiro

---

(١) جلال مظهر : حضارة الإسلام ، ص ٤٦٩ .

(٢) روبرت لويز : التأثيرات الشرقية والنهضة الاقتصادية فى الغرب ، ص ١٥٢ .

وبالإصطلاحات العربية لاجزاء الأسطرلاب مثل Alancabuth - Alidabe وبأسماء الكواكب مثل (الزهرة) - Althair (الغول) Acarnar - Aghol (الدبران) rigel - Aldebaran - .

وكل مثل ذلك فى الرياضيات حيث أخذوا عن العرب مثل مصطلح Alcool وغير ذلك كثير ، ومثل فى علم الكيمياء حيث أخذت أوروبا المصطلحين Alcool Alcali وقل ذلك عن التاريخ الطبيعى والطب وغيره من العلوم[1] .

لذلك كان التأثير العربى فى مجال العلوم تأثيراً واضحا ويبرز ذلك إذا ما تصفحنا قاموسا للاشتقاقات . حيث نجد ألفاظا مثل Aval - Cheque - Bazar وغيرها مأخوذة عن العربية ، وفى اللغتين الإنجليزية والألمانية نجد قائمة الألفاظ المأخوذة عن العربية قد تقرب فى طولها من قائمة الألفاظ الفرنسية المأخوذة عنها ، وهى فى اللغة الإيطالية أطول كثيًا وفى اللغة الإسبانية أكثر[2] .

وفى الحقيقة أن اللغة العربية كان لها أثر عميق فى معظم اللغات الأوروبية فعدد الألفاظ العربية لو نظرنا كمثال فى اللغتين الإسبانية والبرتغالية أضخم من أن يتصوره عقل ، أما اللغة الإنجليزية ففيها وحدها ما يقرب من ألف كلمة مشتقة من أصل عربى منها حوالى مائتين وستين كلمة من الكلمات الشائعة الكثيرة الاستخدام فى الحياة اليومية .

وفى الواقع أن فى اللغات الأوروبية كلمات عربية عديدة ، وأن التاريخ يشهد على ذلك[3] .

ويبدو أن الجامعات الأوروبية أدركت أهمية اللغة العربية كلغة للعلوم والمعرفة فحرص بعضها على إدخال دراسة اللغة العربية منذ القرن الثالث عشر [4] .

---

(١) روبرت لوبز : التأثيرات الشرقية والنهضة الاقتصادية فى الغرب ، ص١٥١ .

(٢) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ، ص٣٨ .

(٣) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٠ .

(٤) سعيد عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص٤٩٦ .

وليست العبرة بكثرة تلك المفردات فى اللغات الأوروبية ولكن العبرة من دخولها وأثرها فى الحياة الاجتماعية والمقاصد النفسية لا مجرد دخولها فى صفحات المعجم ، فإنها لم تتمثل إلا على الألسنة إلا بعد أن تمثلت فى أحوال المعيشة ونوازع الإحساس والتفكير ، ومن هنا يعزى إليها من فعل الإيحاء والتوجى أضعاف ما يعزى إليها من فعل النقل والتلقين[1].

وكان لفرنسا دور هام حيث أقام المستعربون والرهبن منشآتهم وبثوا الثقافة العربية فى تلك الأرض ، وفى الوقت نفس اشتدت العناية بفنون المخطوطات كتابة وتطويراً لا نظير له فى الأصالة وقوة التعبير . كما أن التأثير فى النظم واللغة وفى تعاون الحضرة الأندلسية العربية بحيث كان القرن العاشر الميلادى يمثل ذروة تفوق الأندلس على العالم الأوروبى كله[2].

ومن هذا المنطلق فإن أوروبا تدين بالفضل للإسلام والمسلمين فى شتى ميادين الحضارة التى تشهدها اليوم فما هى إلا أثر من آثار الحضارة الإسلامية انتقل إلى الغرب الأوروبى عبر المعابر الإسلامية المعروفة : بلاد الشام زمن الحروب الصليبية وصقلية وجنوب إيطاليا وبلاد الأندلس ، ولعل ما يعنينا إضافته إلى جانب تلك المعابر هو الأثر الحضرى الذى تركه المسلمين الذين اخترقوا القارة الأوروبية من خلال أرض الفرنجة ووصلوا إلى ربوع فرنسا الحالية وسويسرا وإيطاليا وألمانيا ، وكانت لهم بصمات حضارية هامة لا تخفى تدين بها أوروبا للمسلمين حتى يومنا هذا ، وبذلك يكون لنا معبر رابع وهام لا يقل أثرا عن تلك المعابر الثلاثة التقليدية .

ولقد تفرعت هذه الميادين الحضارية فروعا عديدة واختلفت هذه الآثار لذلك سنلقى الضوء فى دراستنا هذه على تلك الآثار الحضارية طبقا لأهميتها ولعل الآثار الأدبية واللغوية كانت هى أول أثر حضارى للمسلمين .

---

(١) عباس العقاد : أثر العرب فى الحضارة الأوروبية ، ص ٧٣ .

(٢) مانويل مورينو : الفن الإسلامى فى أسبانيا ، ص ٤٣٩ .

ب ـ الآثار الأدبية :ـ

لم يقتصر أثر العرب الحضارى على الشرق فحسب ، بل كان تأثيرهم فى الغرب لا يقل خطورة وأهمية ولقد ظهر ذلك بوضوح فى الآثار الأدبية ، فقد تأثر الأدب الأوروبى فى العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة تأثراً واضحًا بموضوعات فى الأدب العربى ، ذلك أن الأوروبيين فى تلك العصور لم يجدوا ما يشفى غليلهم فى الآداب المعاصرة المجدية التى أعوزها الخيال الخصب فاتجهوا إلى شطر الأدب العربى المعروف بالخصوبة والإبداع[1] وخصوصا أنه جاء وقت على غرب أوروبا فى العصور الوسطى ضاق فيه الناس بتزمت الكنيسة التى حصرت تفكيرهم داخل دائرة ضيقة ، فأصبحوا يتطلعون إلى حياة علمية وفكرية أخصب وأكثر تنوعا . وكان مفكروا العرب قد ضربوا مثلا فريدا فى حرية الفكر ، وكان أن ولى الأوروبيون وجوههم شطر حضارة العرب وانصرفوا إلى دراسة علومهم فى حماسة بالغة ما ترك آثارا واضحة فى الفكر الأوروبى ، وأدى إلى إثارة غيره من رجال الدين المسيحيين على إقبالهم للغة العربية وآدابها[2] .

يقول جب : « إن ما اسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربى فى شعر العصور الوسطى »[3] ونثرا سواء أظهرت فى هذا الشعر أو النثر مواد أخذت عن مصادر عربية أم لم تظهر ، ولقد ظهرت نزعة جديدة فى الآداب الأوروبية فى شعر التروبادور[4] مما جعل الكثير يظنون أن هذ الظاهرة جاءت عن طريق

---

(١) سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، جـ٢ ، ص٤٨٣ ـ ٤٨٤ .

(٢) لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، ص ٢٨ . أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٥ .

(٤) شعر التروبادور أجمع مؤرخى الآداب الأوروبية أنه أقدم شعر غنائى عرف فى أوروبا وهو الذى نظمه شعراء التروبادور البروفانسيون (نسبة إلى بروفانس فى جنوب فرنسا) وول هؤلاء الشعراء هو جيوم التاسع .

دوق اكيتانيا وكونت بواتيه .

سهير القلماوى ومحمود مكى : الأدب ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

الاقتباس من الأدب العربى الذى امتاز بالرومانتكية البالغة فى الغزل الرقيق والرثاء ونحو ذلك .

والمعروف أن الأندلس امتاز بنوع خاص من الشعر الرقيق بدا واضحا فى صورة الموشحات والأزجال ويمتاز هذا اللون من فنون الشعر بصدق تمثيله لخواطر الإنسان .

ولقد وجدنا لونا مشابها لهذا الشعر الأندلسى الرقيق ظهر فى شمال إسبانيا وفى جنوب فرنسا فى إقليم البروفانس منذ أواخر القرن الحادى عشر ، ومن ثم بدأ يشق طريقه إلى مختلف الدول الأوروبية وبخاصة فى إيطاليا .

بل أن العلماء اثبتوا أن غزل الفروسية الذى انتشر بعد ذلك فى ألمانيا كان متأثرا إلى حد كبير بأشعار التروبادور التى تغنى بها فرسان فرنسا ، وأن موازنة سريعة بين الأزجال الأندلسية التى كتبها الشاعر ابن قزمان فى أوائل القرن الثانى عشر وبين أشعار التروبادور فى البروفانس لتوضح لنا أن الأخيرة صيغ معظمه بالأوزان نفسها التى صيغت بها أشعار ابن قزمان . هذا فضلا عن وجود رأى يذكر أن أشعار التروبادور مأخوذة من الشعر الأندلسى (١) .

فإذا كان الزجل الأندلسى قد استند إلى موسيقى يوقع عليها فإن شعراء التروبادور فى البروفانس قد أخذوا يوقعون أشعارهم على آلات موسيقية .

وهذه الأدلة تشير إلى أن شعر التروبادور إنما جاء وليد مؤثرات عربية أندلسية جعلت بعض الباحثين يؤيدون الرأى القائل بأن لفظ تروبادور ليس إلا تحريفا للفظ العربى دور طرب ، ولا سيما أن لغة البروفانس شأنها شأن كثير من اللغات الأوروبية تقدم الصفة على الموصوف إليه على المضاف ، فقالوا طرب دور التى حرفت إلى تروبادور (٢) .

---

(١) سعيد عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص ٤٨٣ ـ ٤٩١ ، زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ١ ، ص١٩٠ . لطفى عبد البديع ، الإسلام فى أسبانيا ، ص١١٧ .

(٢) عاشور : أوروبا ، جـ١ ، ص ٤٨٤ .

إذن لقد كان تأثير الشعر العربى الأندلسى فى شعر المدجنيين المعروفين بالتروبادور فى اللانجدوك والبروفانس فى القرن الثانى عشر الميلادى واتسعت دائرة هذا التأثير حتى شملت الشعر الأوروبى المسيحى المعروف إلى عصر النهضة[١] .

وهكذا تأثر الشعر الغنائى اللنجدوكى أو البروفنسالى بالشعر الأندلسى الإسلامى كثيراً . وفى هذا الصدد يذكر المستشرق الإسبانى ج ريبيرا أن هناك توافقًا فى أبنية المقاطع وفى القافية المتكررة فى أواخرها . وأن التوافق الملحوظ بين الآثر المبكرة فى الشعر الشعبى العربى الأندلسى وبين أغانى التروبادور فى إكيتانيا (اقطانيه) والبروفانس فى العصر الوسيط لا يمكن أن تفسر على أنها محض مصادفة .

كما يؤكد ذلك[٢] ما ظهر فى جنوبى فرنسا على حين غرة وهو ضرب من الشعر جديد فى صناعته وله موضوع جديد ونفسية اجتماعية جديدة . وفى الأدب الفرنسى القديم شىء قليل يمكن اعتباره ممهدا لهذا التطور على أننا نرى من جهة أخرى أن فى هذا الشعر الفرنسى الجديد بعض وجوه شبه قوية بينه وبين نوع خاص من الشعر الذى كان معاصرا له فى الأندلس . ثم هل هناك أقرب إلى العقل والبديهة أن نظن أن الشعراء الأقدمين فى إقليم البروفانس كانوا متأثرين بالنماذج العربية[٣] .

نعم لقد أثر المجتمع العربى الإسلامى فى ظهور شعر التروبادور ، وكان ظهور هذه الطبقة من الشعراء وليد تأثيرات عديدة مباشرة ناتجة رأسا عن المجتمع العربى الإسلامى ذاته . فالتروبادور شعراء الحب والحرية وأباء الأدب الأوروبى الحديث ، وقد ظهر هذا النوع فى مقاطعة البروفانس بجنوبى فرنسا تلك المقاطعة التى اندمج فيها العرب مع أهل البلاد اندماجاً كبيراً وكان نتيجة ذلك أن تغير هذا المجتمع تغيراً جذرياً .

وفى الحقيقة أن ظهور هذا اللون من الشعر البروفانسى كان تعبيراً عن مجتمع حر

---

(٢) ليفى بروفنسال : الشعر العربى والشعر الأوروبى الوسيط ، ص ٢ .

(٣) زكى حسن : تراث الإسلتم ، جـ١ ، ص ١٥٧ .

(١) زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ١ ، ص ١٥٧ . لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، ص ١١٨ . ستانوودكب : تاريخ الحضارة : ترجمة محمد عثمان ، ص ٦٧ .

اعتنق أخلاقيات ومبادئ العرب كالشهامة والمروءة والنجدة وبذل الذات فضلا عن مختلف المعنويات العالية والمثالية العظيمة التي كان قد بدأ يدين بها وهي المقومات التي نشأ عنها هؤلاء الشعراء . وجدت ذلك كله تحت تأثير عربي إسلامي لا مرية فيه .

وفي ذلك يذكر جب : أنه نشأ في جنوبي فرنسا في نهاية القرن الحادي عشر هذا النوع من الشعر الذي سلك مسلكا جديداً يتميز بصفات نفسية واجتماعية جديدة وتصوير خيالي ، وأنه ليس في الأدب الفرنسي إلا دلائل قليلة تشير إلى اتجاه هذا التطور ، ومن ناحية أخرى فإن الشعر الجديد كان شديد الشبه بنوع من الشعر الموجود في الأندلس العربية ، فأي شيء أدعى إذن من الناحية الطبيعية لأن نفترض أن الشعر البروفانسي لم يكن مجرد تقليد لللشعر العربي الأندلسي ولا محاكاة للنماذج العربية فقط ، وإنما أهم من ذلك أنه كان نتيجة عملية تطور طويلة في داخل المجتمع البروفانسي ذاته استغرقت عدة قرون . أي عملية تطور في الوجدان ومكنونات النفوس والمعنويات ، على أن عملية التطور هذه ، لم تكن وليدة العبقرية البروفانسية وحدها ولم تكن نابعة من سكانها الأصليين وحدم وإنما كانت خاضعة لتأثيرات خارجية طبعت البيئة البروفانسية بطابع جديد ، وهي تأثيرات اجتماعية أصلها عربي إسلامي لا شك فيه . والواضح أن هذه الطبقة من الشعراء لم تظهر إلا عندما تمكن المجتمع البروفانسي تحت عملية الانصهار التي خضع لها من أن يخرج من ظلمات القرون السود وأن تشحذ عبقريته وتشرئب نفسه نحو مثاليات جديدة .

إذن كان ظهور شعر التروبادور نتيجة عملية تطور بطيئة في جنوبي فرنسا بدأت من النصف الأول من القرن الثامن وبعد مرور حوالي ثلاثة قرون ونصف قرن كان المجتمع البروفانسي قد استعد لأن يخرج مثل هؤلاء الشعراء النبلاء ، على أننا ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن ظهور هذه الطبقة من الشعراء الفرسان ، نبلاء المقصد ، أصحاب مثاليات ومعنويات عليا ، كان مستحيلا في ظل الظروف الاجتماعية الأصلية التي كانت سائدة هناك في البروفانس لأن جميع شواهد التاريخ قد دلت بوضوح على أنه

لم ينشأ مثل هذا الأدب فى ذلك الوقت فى أى جزء من أجزاء أوروبا فيما عدا إسبانيا وصقلية وكانتا تحت النفوذ العربى الإسلامى المباشر(١).

إذن كان لتأثير العرب فى تلك المجتمعات فضلا عن انصهار الجماعات العربية المتعددة التى استقرت هناك مع السكان الأصليين ، فأدى ذلك كله إلى عملية تكوين مجتمع جديد مختلف تمام الاختلاف عن أى مجتمع أوروبى آخر .

والحق أن لانجدوك والبروفانس التى سميت فى عصر التروبادور بأرض الأغانى والرجال الأحرار كانت قد نجحت فى سيادة الاخلاقيات وهى فى الواقع نتيجة للتأثيرات العربية فمعنويات السكان وأخلاقياتهم وطريقة تفكيرهم وقوانينهم وعادتهم وفروسيتهم وشهامتهم وآدابهم وحسن ذوقهم وجميل تصرفاتهم لم تكن بحال من الأحوال لتنسب إلى تأثير آخر غير تأثير لامجتمع العربى الإسلامى سواء فى ذلك الذين استقروا واندمجوا مع السكان الأصليين ، أم الذين أقاموا عند حدودها فى إسبانيا عبر جبال البرتات .

أما الأثر العربى فى النثر الأوروبى فليس هناك مجال للشك ، فاهتمام الأوروبيين بالدراسات والكتب العربية العلمية صحبه اهتمام آخر بالمؤلفات الأدبية عند العرب وبصفة خاصة القصص الخرافية ذات المغزى الأخلاقى والتى تتخذ من الحيوان موضوعا لها . وهذا اللون من الأدب الشرقى عرفه الشعر العربى قبل أن يظهر فى الأدب الأوروبى بقرون طويلة ، وكان الأدب الأندلسى أول ما تأثر بالأدب العربى عن طريق ترجمة الكثير من القصص والمواضيع وبالتالى انتشر من هناك إلى أوروبا بوجه عام ولقد استمرت روح الأدب العربى في الأندلس حتى بعد جلاء العرب(٢).

ويذكر جب : أنه قل من يستطيع أن ينكر ما تمتاز به آداب الجنوب الأوروبى من انبساط وخيال خصب يرجع إلى تأثر تلك الآداب بالمؤثرات العربية كما يرجع إلى ما

---

(١) جلال مظهر : حضارة الإسلام ، ص ٤١٩ .

(٢) جلال مظهر : حضارة الإسلام ، ص ٤٢٢ . انجيل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ص ٥٠٧ . لطفى عبد البديع : الإسلام فى إسبانيا ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

خلفته الثقافة العربية من آثار فى أهل الأندلس . وقد لاحظ الباحثون أوجه شبه واضحة بين القصص العربى الخيالى وبين بعض القصص التى عرفتها أوروبا فى العصور الوسطى ، واستطاع الأدب العربى أن يؤثر تأثيراً واضحًا فى القصص الأوروبى ليس فقط فى العصور الوسطى بل الوسطى والحديثة ، وتعتبر هذه القصص تعبيراً فى مجموعها عن صدى الثقافة العربية الإسلامية فى الفكر الأوروبى وهو الصدى الذى كان نذيراً بحدث وانقلاب هام فى تاريخ الأدب الغربى الحديث لأنه أدى إلى مولد القصة الحديثة . ويرجع البعض أن المقامات العربية أثرت هى الأخرى فى الأدب الأوروبى فى العصور الوسطى ومستهل العصور الحديثة[1] .

ويذكر زكى حسن : أن الشعر الشعبى المعروف قد عرف أيضًا فى إيطاليا وأنه للشعر العربى الفضل فى إثارة العبقرية الشعرية فى الشعوب الرومانية الجنوبية فأن ما تدين ب أوروبا فى العصور الوسطى للنثر العربى لا يكاد يكون موضعا لجدل ذلك بأن الإقبال على المؤلفات العربية من فلسفية وعلمية قد تبعه اهتمام بأنواع أخرى من الآداب العربية وخاصة ما كان منها موضوعه لحكايات ذات مغزى أخلاقى أو ما كان موضوعه القصص والخرافات وهى التى يتألف منها الجزء الأكبر من الآداب العربية الراقية ، وهناك ذيوع جملة عناصر من القصص العربى أو الشرقى نقلت بطريق الشفاه إلى بقاع واسعة من أوروبا . وظل القوم هناك إلى زمن قريب ينظرون إلى الشرق كأنه مصدر تلك القصص الشعبية التى ازدهرت فى أوروبا طوال القرن الثالث عشر وكان ازدهارها على أشكال مختلفة[2] .

ولقد كان التأثير العربى فى القصص الفرنسية واضحًا وبارزاً ، وهكذا كان نتيجة للاتصالات المستمرة بين مسلمى الأندلس وأوروبا وجدت ضروب من الرفاهية والذوق السليم وفوق ذلك كله أصول الفروسية العربية وأدب المجاملة الرفيع الذى قدر له أن

---

(١) عاشور : جـ٢ ، ص٤٩٤ ـ ٤٩٧ .

(٢) زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ١ ، ص١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٧٩ . جلال مظهر : حضارة ، ص ٤٢١ . انجل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٦١٤ . لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، ص١٣٣ ـ ١٣٩ .

ينتقل من قرطبة إلى البروفانس إلى اللانجدوك ثم إلى غرب أوروبا كلها .

ويوضح ريبيرا Julian Ribera : أنه يوجد فى إسبانيا إلى جانب اللغة العربية لغة عامية رومانية يتحدث بها قسم كبير من أهل الريف والمدن . ويرى أن هناك آثار قيام شعر من شعر الملاحم إلى جانب الشعر الغنائى الوصفى المعروف فى الأدب الأندلسى الكلاسيكى المجدد . وهناك مؤثرات متبادلة بين شعر الملاحم الفرنسى وشعر الملاحم القتشالى .

وأنه لم يكد يمر قرن على ظهور التروبادور للبروفنسيين الأوائل حتى ازدهر فى أوروبا الغربية وفى فرنسا نفسها شعر الفكاهة والازجال والأغانى . وقد قدر لهذه المقاطع الموريسكية أن تكون ذات ذيوع كبير فى إسبانيا نفسها وأن تظهر فى شعر من جاورها .

إذن كان نتيجة للجوارى أن تداخلت الثقافات العربية الإسبانية والمسيحية الغربية ابتداء من القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى ، فإن المسلم به اليوم أن إسبانيا كانت تعد فى نظر أوروبا المحيطة بالبحر المتوسط موردا للحضرة اللطيفة والحياة المترفة الناعمة كما لو كانت معهدا فنيا للعادات الراقية والذوق الجميل[١] .

ويؤكد ذلك محمد رجب البيومى حيث يذكر نقلا عن جوليان ريبيرا : أن قراءة وتأمل ودراسة ديوان ابن قزمان فنيا ولغويا وعروضيا تكشف لنا الكثير من مفردات اللغة الشعبية التى كان يتفاهم بها المستعربون الإسبان وهى مزيج من العربية واللاتينية كما يؤكد وجود ملاحم شعبية أندلسية أثرت فى الأدب العربى الأندلسى وجمعت الشعراء والأدباء إلى الأراجيز التاريخية .

وكان للمستعربين[٢] دور كبير فقد لعب هؤلاء المسيحيون الأندلسيون الذين

---

(١) ليفى بروفنسال : الشعر العربى والشعر الأوروبى الوسيط ، ص ٤٨ ـ ٥٣ . انجيل منثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٦٠٣ .

(٢) لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، ص ٢٨ .

تعلموا العربية واحتفظوا بدينهم النصرانى والذين عرفوا باسم Mozarabes وكانوا على ثقافة عالية واطلاع كبير فى اللغة العربية لعبوا دوراً كبيراً فى نقل بذور الثقافة الإسلامية إلى الممالك الشمالية ومنها انتقلت إلى أوروبا ولا ريب أن تبادلا على هذا النحو أساسا لظواهر كثيرة فى تاريخ الشعر والأدب وتطوره[1].

إذن كان للعبقرية العربية الأندلسية أثر كبير فى تطور الأوزان الشعرية الغنائية إلا أن هذه التحسينات الفنية التى أدخلتها قوانين الأوزان الشعرية العربية على ذلك النوع الأدبى من الأغانى المعروف بالموشحات ، عاد القوم فأدخلوها على أغانيهم الشعبية التى استخدمت فيها العامية العربية والجليقية وعرفت باسم الزجل . ومن ثم نفذت تلك التحسينات الفنية كلها أخيراً إلى الشعر الذى قيل باللغة الجليقية وأخواتها . ويبدو أن ذلك الفن كان معاصرا للأوائل من شعراء التروبادور وأن مقاومة بين هذه المقطوعات الشعرية وبين أوزان الشعر عند الأقدمين من شعراء الرومانس لتكشف لنا عن مشابهات ذات أثر كبير[2].

وفى الحقيقة أن تأثير العرب فى الأدب والأخلاق والطبائع الراقية لا يخفى على منصف وفى هذا الصدد يذكر لوبون « تخلص النصارى من همجيتهم بفضل اتصالهم بالعرب واقتباسهم منهم الطبائع النبيلة ومبادئ فروسيتهم التى منها مراعاة النساء والشيوخ والأولاد واحترام العهود والوفاء بالوعود » .

ثم يتساءل لماذا ينكر علماء الوقت الحاضر الذين يصنعون مبدأ حرية الفكر فوق كل اعتبار دينى تأثيرا العرب ؟

ويجيب بأنه لا يرى سوى جواب واحد عن هذا السؤال ، وهو أن استقلال الأوروبين الفكرى لم يكن فى غير الظواهر ، وإننا لسنا أحرار الفكر فى الموضوعات ويتراءى لبعض الفضلاء أن من العار أن تكون أوروبا مدينة فى خروجها من دور

---

(١) محمد رجب البيومى : الإسبانيون يعترفون بثقافة الإسلام ، ٦٢٢ ـ ٦٣٠ .
(٢) زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ١ ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

الهمجية للعرب . ولكن من الصعب أن يحجب مثل هذا العار الوهمى وجه الحقائق[1] .

ولعل ما يدل على مكانة العرب المكينة فى الصدد قصص الفرسان والفروسية التى كان يتغنون بها أهل فرنسا وجيرانها خلف عن سلف فقد كانت هذه القصص تكاد تكون الأسماء الوحيدة لعامة الشعب ، وإنما كان يعجب بتلك القصص ، وهاتيك الأخبار من سير الأبطال من كان يدعى نفسه ذا إحساسا مرهفا وتضاءل كل تاريخ بجانبها وهزل كل أدب ما عداها .

وكان أكثرها شعرا ولهذ الشعر رواة اختصوا به يذهبون من بلدة إلى بلدة ومن قرية إلى قرية فينشدونها للجماهير . وكان لا يحتفل بعيد ولا بموسم إلا اندفع أولئك الرواة فى إنشاد تلك القصائد عن سير أبطال الوطن . وكانت أكثر هذه السير تدور حول حروب المسلمين فى غالة وعلى مجالدة الفرنسيين فى دفع غاراتهم[2] .

وعموما فقد ضرب العرب الأمثلة العليا فى الشجاعة والشهامة وعزة النفس ومكارم الأخلاق والعفو عند المقدرة وقرى الضيف .

وهذا ينبغى أن نشيد بأن أول باحث أوروبى أشاد بالعرب فى الحضارة الأوروبية ونوه بفضلهم على ثقافة عصر النهضة هو الأب اليسوعى الإسبانى خوان أندريس Juan Andres (وقد كان من اليسوعين الذين طردوا من إسبانيا سنة ١٧٦٧) . وقد نشر هذا القس المسيحى كتابا جليلا بالإيطالية فى سبع مجلدات بعنوان (أصول كل الأداب وتطورا وأصولها الراهنة) وأكد فى أن النهضة التى فاقت فى أوروبا فى كل ميادين العلوم والفنون والآداب والصناعات إنما كانت بفضل ما ورثته عن حضارة المسلمين .

ولقد أحدثت آراء خوليان ربييرا فيما بعد دويا هائلا بعد أن أكد أن الشعراء

---

(١) لوبون : حضارة العرب ، ص٢٩٦ ـ ٣٠٠ .
(٢) أرسلان : غزوات العرب ، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

البروفانسيين هم أول من عالج الشعر الغنائى فى أوروبا ، ولم يفعلوا أكثر من تقليد نماذج الوشاحين والزجالين[1] الأندلسيين الذين سبقوهم بقرنين على أقل تقدير .

وخلاصة القول : أن الأدب العربى فى الأندلس قد أثر تأثيراً مباشراً فى أوروبا فقد تعرض لتأثيرات عربية بشكل مباشر عن طريق المسلمين فى أوروبا الغربية أو غير مباشر عن طريق ما تلقاه من الأندلسيين أو عن طريق التراث العظيم الذى ظل يغذى الثقافة الأوروبية بتيار مستمر لم ينقطع خلال العصور الوسطى[2] .

العلوم العامة :

كان أثر المسلمين واضحاً فى شتى أنواع العلوم والمعارف ، فقد تفوقوا فيها وبرزوا ولم يعرف اعالم علماء بلغوا هذه الدرجة فى إقبالم على العلم ونشره كالعلماء المسلمين وكانت الرحلة فى طلب العلم هى من السنن الحميدة فى العالم الإسلامى ومن أقوى الأسباب التى أعانت على خلق البيئة الثقافية .

ولن نتعرض لتاريخ العلوم والآداب وإنما نذكر أن المسلمين لم يتركوا بابا من أبواب العلم إلا وطرقوه .

ففى مجال الشريعة فقد نبوا فى دراسة علم الفقه والحديث القرآن وعلوم وفى مجال العلوم العقلية والفلسفية نجد أن كبار الفلاسفة كانوا من المسلمين .

وفى مجال التاريخ فقد كان للتاريخ مكانة رفيعة تتجلى فى كثرة ما ألفوه .

وفى علوم اللغة فقد عنوا با منذ عصر مبكر وفاقوا كل من حولهم فى العلوم اللغوية من أدب وشعر ولغة وغير ذلك.

---

(١) عن الزجل فى الأدب الأوروبى . انظر انجل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الزندلسى ، ص ٦١٣ .

(٢) سهير القلماوى ودكتور محمود على مكى : الأدب ، ص ٤٣ . من مجموعة أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية .

وفى علوم الرياضيات نجد أثر العرب والمسلمين واضحًا سواء فى الحساب أو الهندسة أو الجبر أو حساب المثلثات أو الميكانيكا أو الفلك .

وفى علم الجغرافيا فإن فضل العرب والمسلمين على أوروبا واضحًا وتشهد عليه مؤلفاتهم الجغرافية الشاملة .

وفى مجال الطبيعة نقف على مدى تقدم العرب فى هذا العلم وما أفادته أوروبا من هذا التقدم .

وفى مجال الكيمياء وعلم الطب والصيدلة بلغ العرب شأنا كبيراً أدى إلى تقدم العالم من حولم .

ومن الواضح أن هذا التراث العربى العظيم فى مختلف العلوم التى ذكرناا كان له أثر كبير فى الية العلمية الأوروبية(١) .

ثانيا : أثر المسلمين فى الضارة المادية :

فى العمارة الأوروبية :-

بلغ الفن الإسلامى اسمى درجات الرقى والروعة وتأثرت العمارة الأوروبية فى اعصور الوسطى تأثراً بالغا بالتقاليد امعمارية الإسلامية ، وكانت أولى المناطق تأثراً منطقة إسبانيا فى مقاطعات ليون وقشتالة وجليقية وقطالونيا ، وأقيمت فى ذلك العصر

---

(١) وللمزيد عن تلك العلوم التى نبغ فيها العرب .
انظر الحميدى : جذوة المقتبس ـ المراكشى : المعجب ، صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ، المقرى : نفح الطيب ، المجلد الأول ـ ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس . الضبى : بغية الملتمس . ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة . ابن بشكوال : الصلة .
وانظر : عاشور : أوربا ، جـ٢ ، ولطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا . وغوستاف لوبون : حضارة العرب وهذه المصادر والمراجع على سبيل المثال لا الحصر . والمطالع فى كتب التراث الأندلسى يجد فيها بغيته .

جملة من الكنائس أقامها المستعربون مثل كنيسة سان ميجل دة أسكالاد San Miguel De Escalade وسنتياجو د بنيالبا Santiago - de - Panalba وعلى الرغم من محاولة المستعربين (وهم نصارى الإسبان الذين تعلموا العربية مع احتفاظهم بدينهم) من التخلص فى عمارتهم من التقاليد الإسلامية العربية إلا أنهم لم يستطيعوا اتمام أعمالهم بدونا . أما أم مظاهر العمارة الإسلامية فى الانجازات المعمارية الأوروبية فتبدو فى النوافذ المزدوجة ، والعقود المنفرجة والعقود الثلاثية الفتات والعقود المفصصة أو المقصوصة Lobed auched. والعقود الصماء Blind arches والشرفات Cestings والكوابيل Consals والقباب Domes والقبوات Raults والزخارف المتعددة الألوان والمنحوتات المشطوفة Claped والمنحوتات الغائرة Incised وغير ذلك من العناصر والأشكال ، وسأجمل الحديث عن هذه العناصر باختصار .

العقود المنفوخة :

وى أكثرا انتشاراً لذلك كانت عنصرا هاما للعمارة الإسلامية ومن أمثلتها كنائس بوباسترو ، وسان خوان د لابينا San Juan de a Pena ومن الكنائس التى بناها المستعربون فى شمال إسبانيا انتقل العقد المنفوخ إلى غالة مثل سوياك Souilac ثم إلى إيطاليا فى كنيسة سانتا مريان أن شلس Santa Maraincellis وفيرونا Verona ولقد اقتبس المعمار الأوروبى عنصراً زخرفيًا متصلا بالعقد المنفوخ وهو إحاطة هذا العقد بإطار مستطيل يوضح حدوده وو عنصر ابتكرته العمارة الإسلامية ونجد نظائره فى غالة وفى دير كلونى Cluny بالذات .

العقود الثلاثية الفتحات :ـ

انتشر استعمالها انتشاراً كبيراً لا فى الأندلس فحسب بل فى الكنائس الفرنسية والإيطالية وقد كان هذا العقد معروفًا قبل الإسلام ، أما فى العمارة الإسلامية العربية فمصدره فكرة هندسية بحتة ، وانتشر فى المغرب والأندلس ثم تسرب إلى أوروبا فى كاتدرائية سنت ياقب ، إلا أن هذا العقد انتشر فى فرنسا وتطور شكله حتى فقد صفته

الهندسية البتة كما فى كنائس سان فيدال Saint Vidal وفيين وفالنس Valence وعشرات غيرها [1] فى أواسط فرنسا وجنوبيا وربيا ، ولا شك أن هذه الأماكن كانت مستقراً للمسلمين[2].

العقود المفصصة :ـ

هى عقود قصت حوافها الداخلية على هيئة سلسلة من أنصاف دوائر على هيئة عقد من أنصاف فصوص ، وقد اشتق من شكل حافة المحارة ، وعم انتشاره فى المغرب والأندلس ومن هناك شق طريقه إلى فرنسا ، وإيطالى وإنجلترا ، وظر بمظرين الأول هندسى بحث ، والثانى نباتى ، ومن أمثلته كنائس مواساك Moissac ودير كلونى Cluny وكاتدرائية كلير مونت Clermont وفى جيروندة Gironda غربى فرنسا ، واتفقت جميع هذه العقود بطابعها الإسلامى[3].

العقود المدببة :

انتقل العقد المدبب من العمارة الإسلامية إلى العمارة المسيحية وتطور تطوراً عظيما بحيث أصبح مميزا للعمارة القوطية ، وفطن المهندسون الأوروبيون إلى مزات هذا العقد التى أتاحت الفرص لزيادة ارتفاعه مع الاحتفاظ بمناعته كما أتات الفرص لتوسيع فتحته اتساعًا كبيراً فاستخدموه بكثرة وحوروا فى أشكال رؤوس وحوافه تحويراً اختلف مظهره عن مصدر العربى الأصلى[4].

---

(١) سعيد عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ، أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٧١ ـ ٧٢.

(٢) أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٧٢ ـ ٧٤ .

(٣) أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٧٤ .

(٤) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين ، ص ٣١٢ ـ ٣١٤ ، عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص ٢٦٢ ـ ٤٦٣ ـ أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٧٥ ـ ٧٨ .

العقود الصماء والعقود المنفرجة :

استخدمت العقود الصماء في زخرفة الأبواب والواجهات والمحاريب في العمارة الإسلامية وظهرت في أشكال متشابكة ، ثم انتشر استعمالها في مآذن الأندلس والمغرب ثم أصبحت عنصراً محببا في عمارة المدجنيين ، ثم انتقل إلى العمارة الإنجليزية العقد المنفرج المسمى بالعقد التيودورى .

القبوات والقباب :-

ولها أهمية كبرى بين عناصر العمارة والزخرفة الأوروبية ، فقد كان المتبع أن تستخدم المقرنصات المعقودة Squinches أو المثلثات الكروية Pendentatits لتحويل المربع إلى مثمن لتستقر عليها قاعدة القبة المستديرة ، ثم تطورت الفكرة الهندسية ، وبدأت آثار هذا التطور تظهر في الكنائس المستعربة والإسبانية وكذلك اقتبست القباب العربية في بناء القباب الفرنسية في أواخر القرن الحادى عشر . وانتقل التأثير من القباب إلى القبوات واستخدمت أول ما استخدمت في العمارة الأوروبية ، والحق أن العمارة الأوروبية اقتبست في القرنين ٥/ ٦ هـ (١١ / ١٢م) فكرة القبوات الوترية من مسلمي الأندلس وكان لا شأن عظيم في أوروبا ، وابتكر البناة القوطيون في فرنسا عنصراً معمارياً آخر ، وهو الدعامات المعقودة أو المنعزلة ، ولا يجوز الشك في أن الفرنسيين قد اقتبسوا من العرب كثيراً من العناصر المهمة والزخارف المتعددة ، وأن تأثير العرب يتض كثيراً في الكنائس الفرنسية مثل كنيسة ماغلون . كما اقتبس الأوروبيون عناصر معمارية إسلامية أخرى فاستخدموا المشربيات وشرفات المآذن والأفاريز والجواسق والأبراج في عمارات القرون الوسطى وقصورها وكنائسها ، ولقد كان للمدجنين وهم المسلمون الذين عملوا تحت سلطات الإسبان فضل في التوفيق بين العمارة الإسلامية والعمارة المسيحية وفي الجمع بين الأساليب العربية والرومانسيكية والقوطية في أسلوب واحد اتخذته البلاد الإسبانية طرازاً وطنيا وكان لهذا دور كبير في تطور العمارة القوطية في أوروبا الغربية(١) .

---

(١) أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٧٨ ـ ٨٠ .

أما الأبراج :

فقد انتشرت فى أوروبا عن طريق عمارة المدجنيين ومن أمثلتها ما نشاهده فى أرغون Aragon وفى ترويل Teruel . وكان للمآذن الأندلسية أثر بالغ على أبراج الكنائس الأوروبية الغربية سواء من حيث أشكالها المربعة القاعدة ، الشاهقة الارتفاع ، أو من حيث امتداد الزخارف عليها من عقود مفصصة صماء متشابكة ونوافذ مزدوجة وكذلك أثرت هذه المآذن فى أشكال الأبراج الإيطالية مثل ما يشاهد فى كنيسة فيرونا.

وكذلك اقتبس الأوربيون الشرفات فى العمارة الحربية الأوروبية بعد ظهورها فى العمرة الإسلامية العربية بأكثر من أربعة قرون ونصف كما نرى مثلا فى فرنسا فى قصر جايلارد Chatwau وفى شاتيون Chatillon ولم تلبث الشرفات البارزة أن انتشر استعمالها فى القصور والحصون الفرنسية والإنجليزية[1] ومن المعروف أن الكوابيل والمساند قد استخدمت لكلى تتكئ عليها أطراف العقود المنفوخة وقد عم استخداما فى داخل العمائر الإسلامية داخل بيت الصلاة أى رواق القبلة وفى خارج أسوار المسجد وول الصحن ، وتحت الشرفات البارزة وقد تنوعت أشكالها ، وكان لهذا العنصر المعمارى مظهر فخم اجتذب أنظار البناة الأوروبيين فاستخدموه فى كنائسم .

وتعتبر فرنسا ثانى موطن بعد إسبانيا لهذا العنصر وانتقل بأشكاله العربية التقليدية إلى منطقة الأوفرلى Auvergne كما فى كنائس كليرمونت فراند - Clermant Ferrand التى تظهر فيا التأثيرات الإسلامية واضحة ، مما يؤكد انتشارها فى العمارة المسحية الفرنسية فى العصور الوسطى .

وقد امتاز الفن الإسلامى بالعناية بالزخارف المعمارية وانفرد بها بين الفنون سواء من حيث تصميمها وتنفيذها أو من حيث موضوعاتها وأساليبها ومن أهمها :

---

(1) زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ٢ ، ص ١٣٩ .

تعدد الألوان :

فقد استخدمت المواد المختلفة الألوان فى زخرفة المبانى الإسلامية منذ أوائل القرن الثانى الهجرى واستخدمت فى بناء عقود رواق القبلة ، وانتشر بعد ذلك استخدام المواد المختلفة الألوان فى زخرفة الأبواب والقباب والواجات والمآذن والأرضيات انتشاراً واسعا . كما امتازت الزخارف الإسلامية المتعددة الألوان دون نظيرتا البيزنطية بتنسيق أشكالها فى رسوم هندسية من مثلثات ومربعات ومعينات ودوائر ومضلعات نجمية تارة منفردة وتارة متداخلة(١)، ولقد اقتبس الأوربيون الأسلوب العربى الإسلامى بشكل أعم وأبقى، ويلاحظ ذلك فى مدن ميلانو وفلورنسة وبيزا وجنوا وفى كنائس فيين (Vienne) وفالنس (Valence) وتتجمع أشكال الزخارف المختلفة الألوان فى مجموعة الكنائس البديعة فى مدينة البوى Le Puy بفرنسا التى اقتبست الكثير من العمارة الإسلامية وازدهرت المبانى العربية الإسلامية منذ القرن الأول الهجرى بالزخارف المنقوشة على الجص والحجارة والخشب ، وحذق رجال لافن تلك الصبغة وكانوا يميلون إلى أسلوب النحت الغائر ، وحاز هذا الأسلوب إعجاب رجال الفن فى إيطاليا وفرنسا فاقتبسوا أصول المتبعة ومن أمثلته الفرنسية دير مواساك وكاتدرائية تولوز(٢) .

كما ابتكر رجال الفن الإسلامى نوعًا آخر من النحت يعرف بأسلوب النحت السلسى وتنحت الزخارف فيه مسطحة مقطوعة الواف قطعًا مستقيمًا لا انحناء ولا تقوير فيه بحيث يمتد على أرضية مسطة فتظهر وكأنها مستقلة منبسطة على الأرضية وكأنا لصقت بها ولم تنحت معها فى قطعة واحدة من الخشب أو الحجارة ، وانتشرت هذه الطريقة فى إيطاليا وفرنسا كما فى سانت ماريا Santa Maria وسان بترو - San Petro ولعل من أكثر الآثار الأوروبية إعجاباً وتعبيراً عن التأثيرات الإسلامية مجموعة الكنائس التى بنيت فى مدينة البوى Puy فى وسط فرنسا فى الربع الأول من القرن السادس الهجرى (١٢م).

---

(١) أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٨١

(٢) أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٨٣ ـ ٨٤ . عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة ، ص٣١٥ ـ ٣١٦ .

وقد تجمعت فى هذه المبانى فى البوى جملة من العناصر الإسلامية لم يتجمع مثلا فى أى أثر من الآثار الأوروبية فيعثر فيها على أمثلة عديدة من العقود المنفوخة والعقود الثلاثية الفتحات والعقود المفصصة مرسومة ومتسمة بالدقة الهندسية ، وتلقى فى آثارها وواجهات مبانيها وعقودا تناوب الألوان بطريقة منظمة ، بالإضافة إلى مجموعة من التيجان الحجرية المنحوتة نحتا غائراً وفوق هذا اتخذت هذه التيجان أشكالا فريدة ابتكرا رجال الفن الإسلامى ، وكل تلك الآثار طبعت بطابع أندلسى انتقلت من الأندلس إلى قطالونيا ومن هناك إلى أوروبا الغربية ومن منطقة البوى انتشرت أشكال التيجان العربية ، وتظهر كاتدرائية البوى بمجموعة مبانيها ومقرنصاتها كأنها بناء إسلامى عربى المظهر والتكوين وتنفرد فى ذلك بين جميع المبانى المسيحية فى العالم الأوروبى ، وفوق هذا كله فالطابع الإسلامى موجود على أحد بواباتها حيث لا تقتصر الحلية على العناصر الزخرفية بل تعدتها العناصر الكتابية فناك جملة عربية مقروءة واضحة وهى (الملك لله) وهى أول مرة تكتب فيها جملة عربية بالخط الكوفى كاملة ومقروءة ومفومة على أثر معمارى أوروبى ، لذا يعد نموذجاً فريداً واقتباساً جديداً يشهد على أن العمارة فى غربى أوروبا مدينة بدين كبير للعرب الذين عبروا البرتات(١) .

الصناعات الفنية الأوروبية :

شهد علماء الآثار بعبقرية المعماريين المسلمين والعرب وأشادوا بابتكارتهم واقتفوا أثرهم فى النهضة الأوروبية ، واعترفوا بعبقرية الفنان المسلم فى شتى أنواع الصناعات من فنية وزخرفية ، هذه العبقرية التى يظهر فيها الحسن والاتقان والاجادة ، إذ أنتج الصناع المسلمون مجموعة من التحف الفخارية والزخرفية والزجاجية والخشبية والعاجية والمعدنية بكل أشكالها بالإضافة إلى ما أنتجوا من أقمشة ثمينة وسجاد فاخر حتى وصلت منتجاتهم إلى أسواق أوروبا فاثارت الغيرة عند الصناع الأوروبيين الذين حاولوا محاكتا . فكانت تلك المحاكاة أول لقات التطور ، ثم أخذ رجال الفن الأوروبى

---

(١) أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٨٥ ـ ٨٧ .

يستكشفون أساليب جديدة فى الصناعة ويضيفون الزخارف بصورة جديدة ويلبسونها صبغة أوروبية ، ولكنها ظلت تشف عن مصدرها الأصلى المقتبسة منه إلا وهو المصدر الإسلامى العربى .

أ ـ أثر الزخارف العربية :ـ

الزخرفة العربية وزخرفة التوريق العربية هما أسلوبان عربيان . وقد شاع هذا النوع من الفنون الإسلامية بصورة كبيرة حتى لقى إعجاباً فى الفنون الأوروبية وحاولا محاكاته ، وقد تنوعت أشكاله حتى شملت جميع التركيبات الهندسية من دوائر وحلقات ومثلثات ومضلعات ومعينات منبسطة ومتداخلة ومتراكبة [١] .

وقد انتشر أسلوب التوريق بصورة كبيرة وشاع بين الأوروبيين وأكبر دليل على ذلك هذه الزخارف النباتية انتشارها واستخدامها فى الفنون الأوروبية من أنها مازالت تسمى فى إسبانيا باسم التوريق وقوامها الأغصان النباتية والأوراق والأزهار تنسق فى نظام هندسى بحيث تملأ الفراغات وتتكرر وتتعاقب إلى ما لا ناية .

وقد أطلق الأوروبيون على الزخارف التقليدية التى تبدو بارزة بروزاً بسيطًا اسم الأرابسك أى الزخارف العربية ، ومن المرجح أن الواجهات فى المبانى الرخامية فى بيزا وجنوب فلورنسا وغيرهما من المدن الإيطالية قد اقتبست ذ الزخارف عن طريق العلاقات التجارية الوثيقة التى سادت فى العصور الوسطى بين إيطاليا والعالم الإسلامى، ثم أن الغرب الأوروبى أخذ عن العرب استخدام زخارف الأرابسك البارزة الموجودة فى العمائر القوطية ، وقد ظهر الأرابسك فى الستائر الحجرية التى تملأ فتحات النوافذ وهى مأخوذة عما بالمساجد من نوافذ مفرغة[٢] .

---

(١) أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٨٨ ـ ٨٩ .

(٢) عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ . زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ٢ ، ص ١٥٧ .

ب ـ الخط العربى :ـ

كان للموضوعات الزخرفية العربية أثر عميق فى الفنون الأوروبية التى اقتبست اقتباسًا واسع المجال من الأساليب العربية ، واتل الخط الكوفى مكانة ممتازة بين الموضوعات الزخرفية العربية ، وقد بلغ إعجاب الأوروبيين بالزخارف الخطية العربية مع جهلهم بمعناها الشيء الكبير ، ولقد بهرهم مظهرها وجمال أنظار العرب والمسلمين وشاركهم الأوروبيون فى ذلك . وقد تعددت أشكال فى إسبانيا أما فى فرنسا فنجد الكتابة الكوفية مسجلة فى عدة كنائس فى دير موساك وفى كاتدرائية بوردو Bor-deaux ، ولم يقتصر الخط الكوفى على رجال النحت والعمارة فى أوروبا بل تعداهما إلى ميدان الفنون فى إيطاليا ، ولعل أغرب ما حدث من تأثيرات الخط الكوفى أنه كان حافزًا لتطور الحروف اللاتينية فاتخذت لها حلية زخرفية وصورت على غرار الحروف الكوفية ورسمت بأسلوب التكرار والامتداد والتشبيك والتعقيد ثم اختلطت بعد ذلك بالكتابة اللاتينية ولقد بلغ إعجابهم بالنقوش الكتابية العربية أن سكوا عملات ذات نقوش عربية وتواريخ هجرية كما التزم الملك اوفا Offa ملك مرسيه (٧٥٧ ـ ٧٦٦م) ، بجنوب شرق إنجلترا . أن يدفع جزية للبابا كل عام بالدينار المقوش الذى يحمل كتابة عربية منقولة نقلا دقيقًا تحوى عبارات دينية إسلامية تنص على شادة التوحيد كما تسجل التاريخ الهجرى ١٥٧هـ ، وهى محفوظة بالمتحف البريطانى . أما المثل الثانى فهو صليب إيرلندى مطلى بالبرونز البراق يرجع عهده إلى القرن ٩م وكتبت فى وسطه عبارة البسملة بالخط الكوفى[١] .

ومهما يكن من أمر فإنه من الواضح أن استعمال الحروف العربية فى أغراض الزخرفة من الأشياء التى أخذها الغرب الأوروبى عن المسلمين وكانت ذات مسحة عربية بحتة .

---

(١) من تقليد غرب أوروبا للنقول العربية المنقوشة . انظر بحث روبرت لوبز : محمد وشارلمان إعادة نظر ، ص ١٠١ .

وهكذا أخذ استعمال الحروف العربية يزداد انتشاراً فى أوروبا مما فتح الطريق أمام الفن العربى ليغزوا أوروبا من أوسع طريق[1].

جـ - الخزف والزجاج :

كان للخزف مكانة ممتازة وكذلك الزجاج وكانت منتجاتهما تثير الإعجاب فى أوروبا وخاصة الخزف ذ البريق المعدنى Lusttred Pottery ، وفى هذا النوع ترسم الزخرفة بملح معدنى على سطح لامع ثم تثبت بتعريضها للنار بطريقة تكسبها بريقاً معدنياً يختلف لونه بين أحمر نحاسى وأصفر ضارب للخضر وتنبعث من هذا البريق ألوان قوس قزح ، ولقد كان له قيمة كبيرة فى العالم الإسلامى ، وقد استمرت صناعة هذا النوع من الخزف قائمة فى الأندلس وفى مدينة بلنسيه Valencia التى كانت المركز الإسلامى لصناعة الخزف فى الغرب والتى صنعت فيها نماذج متعددة من أبدع ما أخرجته المصانع ، وسرعان ما اشتهر هذا الخزف المعدنى مما جعل كبار الأمراء فى إيطاليا وفرنسا يوصون مصانعهم بصنع أوانى خاصة بهم . ومن مسلمى الأندلس اقتبست إيطاليا أسلوب الخزف المعدنى ونشأت فى مدينة جوبيو مصانع نهضت بهذه الصناعة كذلك قلد الإيطاليون صناعة الخزف المعوف بطريقة الرسم بالحفر Graffito[2] وكانت هذه بداية لاشتقاقات أخرى من أساليب صناعة المسلمين ، فنشأ مثلا الصناعة المعروفة باسم (الباريو) Albarello وربما اشتق هذا الاسم من الكلمة العربية (البرنيه) التى تطلق على الأوانى (البرطمانات) المخصصة لحفظ

---

(١) عن أول من كتب عن استخدام الأوروبيين الغربية للحروف العربية راجع :
Long Perier (Adriende), De L'emploi des Caractres arabes sars L'ornementation ches les peuples chre' tiens de l'ocadent . Revue archoo logigue II annee - 1845, PP. 696 - 706 .

(٢) كلمة إيطالية تستعمل غالبا فى صيغ الجمع والمقصود بها رسوم ترسم باليد على الحجر أو الجص أو الجص ثم تحفر بالحك والمكشط ، كما يقصد بها أحيانا أسلوب الزخرفة قوامه رسوم سوداء على أرضية بيضاء أو العكس على أن يحصل عليها فى الحالتين برسم الأشكال وتظليلها . للمزيد انظر زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ٢ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

الأدوية وازدهرت هذه الأوانى فى مدينة فاينزا Faenza الإيطالية(١) .

وهكذا اقتبس الأوربيون صناعة الخزف واشتملت المتاحف الأوروبية على كثير من الأوانى الخزفية التى صنعت تقليداً للأوانى الإسلامية ، وسهل معرفة هذا التقليد من حروف الكتابات العربية الممزوجة بالزخارف فقد حرف صانعوا الخزف فى غرب أوروبا هذه الكتابات التى اتخذوها أساساً للزينة حين اقتباسها فى زخرفة كنائسهم وقصورهم وساهم مسلموا الأندلس فى صنع الأوانى الخزفية خصيصا للبابوات والكرادلة والأسر النبيلة فى البرتغال وفرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية(٢) .

ويبدو أن آنية الخزف قد أثارت غيرة فى نفوس الإيطاليين فحاولوا محاكاتها حتى نجحوا فى القرن ١٦م فى صناعة نوع من الخزف ذى البريق المعدنى أطلق عليه اسم (ماجوليك) نسبة إلى جزيرة ميورقه التى قام بها مصنع عربى هام ذلك النوع من الخزف ، ومازالت المتاحف الأوروبية تحوى الكثير من الأوانى الخزفية التى صنعت تقليداً للأوانى الإسلامية(٣) .

د ـ التحف الزجاجية :

تعد إيطاليا وخاصة البندقية الأولى فى صناعة الزجاج المتأثر بالأساليب العربية ، وسرعان ما تفوق الصناع الإيطاليين فى صناعة الزجا المطلى بالمينا ، ومن البندقية انتشرت طريقة الصناعة الفنية إلى أوروبا التى يظهر أثر الفن الإسلامى عليها واضحاً(٤) .

وهكذا نظراً لابتكار العرب للأوانى الزجاجية المذهبة والمطلية بالمينا أصبح للزجاج العربى قدر كبير فى بلاد أوروبا الغربية وقد حاكى الأوروبيون وخاصة بعض المدن

---

(١) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين ، ص ٢٨٨ . أحمد فكرى : التأثيرات ص٩٠ .
(٢) زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ٢ ، ص٤٢ ـ ٤٩ .
(٣) عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧ .
(٤) أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٩٠ ـ ٩١ .

الفرنسية والإيطالية الإنتاج العربى ، وبلغت البندقية أوجهها إلا أن إنتاجها لا يمكن أن يرقى إلى مستوى النماذج الشرقية التى أخذت عنها فى جمال شكلها ودقتها وسلامة ذوقها[1].

هـ ـ الصناعات المعدنية :

أحرز الصناع المسلمون تقدما ملحوظًا فى صناعة المعادن وبلغت مهارتهم مبلغًا فائقًا وأنتجوا مختلف التحف من أوان وصينيات وصحون وأباريق وشمعدانات واتقنوا صناعتها من البرونز وتكفيتها بالذهب والفضة والنحاس وبلغ فن تكفيت المعادن عند المسلمين غايته من الاتقان وظل محافظًا على هذه المنزلة حقبة طويلة ، ومن التحف التى تمثلت فيها هذه الصناعة أصدق تمثيل تحفة تعتبر من أجمل ما وصل إلينا وهى إبريق من النحاس مغطى كله بأشكال مكفتة بالفضة ، وجسم الإبريق وعنقه مضلعان لهما عشرة أوجه وفيهما مناطق أفقية عديدة ومسافات محجوزة ومقلمة مصنوعة من النحاس المكفت بالذهب والفضة وجميع ذلك موجود فى المتحف البريطانى[2].

وكانت أول الاقتباسات الأوروبية من هذه الصناعة المعدنية أشكال الأباريق البرونزية أو النحاسية ، وكانت التحف الإسلامية المعدنية تلقى رواجًا كبيًا فى بلاطت الملوك والأمراء ونتيجة لذلك ظهرت بمدينة البندقية مصانع للتحف النحاسية اتخذ صناعها من التحف الإسلامية نماذج استوحوا منها أساليب الصناع ، واتبع الفن الأوروبى أسلوبًا مماثلا للتكفيت الإسلامى واستبدلوا بالأسلاك الفضية والذهبية لدائن زجاجية من المينا الملون ، فأصبح فن أخراجا مقتبسا من فن التكفيت المعروف باسم Closi-sonne أو Champlev Inlay[3].

(١) عاشور : جـ٢ ، ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧ . زكى حسن : أثر الفن الإسلامى فى فنون الغرب ، ص ٦١٥ ـ ٦١٧ .

(٢) زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ٢ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(٣) أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٩١ . زكى حسن : تراث ، جـ٢ ، ص٣٥ ـ ٣٦ .

د ـ الرنـوك :

وقد اتخذ المسلمون الشعارات والشارات التى عرفت بالرنوك فكانوا يرسمونها على أملاكهم وأثاثهم وأدواتهم وأوانيهم على هيئة دائرية أو بيضاوية أو مفصصة ينحصر فى داخلها صورة زهرة أو طائر أو حيوان يرمز على وظيفة الأمير أو الحاكم ، وكانت تلون بألوان براقة ومن المسلمين انتشرت هذه الشعارات إلى أوروبا الغربية وأصبح لكل أسرة شارة أو رنك خاص بها[1] .

ز ـ النسيـج :

ذاعت فى أوروبا فى العصور الوسطى شهرة المنسوجات الإسلامية ودور الطراز التى كانت منتشرة فى البلاد الإسلامية العربية والتى كانت تنتج من المنسوجات أنواعًا فاخرة متموجة بالألوان ومنقوشة بخيوط الذهب والفضة وأخذت مصانع النسيج فى أوروبا تعمل على تقليده ، وكان هذا التقليد ينبع من مصادر ثلاثة مصدر مباشر نتيجة لاستيراد الملوك والأمراء الأقمشة الفاخرة من بلاد المشرق ، والمصدر الثانى ناشئ عن استمرار المراكز الصناعية الإسلامية فى إنتاجها فترة طويلة من الزمن وفقًا للتقاليد الإسلامية حتى بعد خضوعها للحكم المسيحى .

٣ ـ تأثر المصانع البيزنطية بالأساليب الإسلامية وإنتاجها أقمشة تحمل الطابع العربى راجت فى أوروبا .

ومن الأمثلة البارزة على التأثيرات العربية العباءة التى نسجت فى صقلية للملك روجرز الأول فى سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م. وقد قلد الإيطاليون النسيج الحريرى الذى كانت تنتجه المصانع العربية وأصبحت لهذه الصناعة مراكز فى إيطاليا حرصت على أن تستمد أسلوبها الصناعى والزخرفى من المنسوجات العربية ومن أمثلة ذلك حلة فاخرة من الديباج الموشى بخيوط الذهب وهى من صناعة إيطاليا بلغت صناعة الأقمشة

---

(١) زكى حسن : أثر الفن الإسلامى فى فنون الغرب ، ص ٦١٦ ـ ٦١٧ . أحمد فكرى : التأثيرات ، ص ٩٢ .

المحلاة بزخارف إسلامية حد كبيراً من الاتقان بحيث يتعذر التفرقة بين الأقمشة الإسلامية والإيطالية . وظلت شهرة المنسوجات قائمة .

ومن المهم أن كثيراً من الأسماء المتخذة فى اللغات الأوروبية مشتقة من أسماء بعض المدن الإسلامية التى كانت مشهورة بصناعة النسيج مثل فستيان Fustian مشتقة من الفسطاط ، والدامكس Damascus مشتقة من دمشق والموسلين Musso-lin مشتق من الموصل والبلد اكييو Balacchino مشتقة من بغداد وكذلك تأثرت صناعة السجاد الأوروبى من صناعة السجاد الإسلامية سواء فى إيطاليا وفرنسا وألمانيا وهولندا[1] .

ونتيجة لنمو التجارة مع الشرق زاد طلب المنسوجات الحريرية الفاخرة ازدياداً سريعاً فى أوروبا وطغت الأقمشة الإسلامية النفيسة بكميات وافرة على أوروبا ، حتى أدرك الغربيون أهميتها فأقاموا مصانع النسيج فى مراكز مختلفة وبدأوا جديا فى منافسة المصانع الشرقية . وكان العرب قد أقاموا فى صقلية مصانع شهيرة للنسيج ظلت عامرة بعد أن تقوض سلطان المسلمين فى الجزيرة فتعلم الإيطاليون فى هذه المصانع أسرار النسيج الإسلامى ودقائقه ونقلوه إلى بلدان إيطاليا المختلفة وحفلت المنسوجات الحريرية الإيطالية فى القرن الرابع عشر بالزخارف الشرقية حتى الكتابات العربية منها[2] .

ولقد وجد فى كنيسة (كور) من بقايا القرون الوسطى أشياء نفيسة للغاية يندر وجود مثلها فى البداعة فمنها حلة من الحرير يلبسها القسيس فى القداس تختلف عن بقية الملابس الكنسية وهى مطرزة بآيات قرآنية مكتوبة بحروف عربية ، ويرجح أنها كانت فى أيام وجود العرب فى سويسرا ، بالإضافة إلى ذلك فإن فى الكنائس كثيراً من الحلل الدمشقية التى جاءت فى زمان وجود العرب فى فرنسا[3] .

---

(١) أحمد فكرى : التأثيرات الفنية ، ص ٩٢ ـ ٩٣ ، عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص٥٣ .

(٢) زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ٢ ، ص٧٦ ـ ٧٧ . زكى حسن : أثر الفن الإسلامى ، ص٦١٨ .

(٣) أرسلان : غزوات ، ص٣٣٨ .

ج ـ السجاد :

جاء إلى أوروبا على يد المسلمين ، وكان من الكماليات التى لا يصل إليها إلا الموسرين ، وذاعت شهرته فى العصور الوسطى ، وتأثرت صناعة الجلود الأوروبية بالسجاد الإسلامى فتعلم الصناع الغربيون صناعته من المسلمين واحتفظوا مدة طويلة بالأساليب العربية فى زخارفه .

وعرف السجاد الإسلامى فى إيطاليا وفرنسا وألمانيا ، وتدل رسوم السجاجيد فى إيطاليا على أنه كان معروفا منذ القرن الرابع عشر على أقل تقدير(١) .

فن التجليد :

امتدت التأثيرات العربية إلى فن تجليد الكتب ويرجع الفضل فى ذلك إلى العرب الذين أدخلوا صناعة الورق إلى أوروبا ولهم الفضل فى توجيه العناية إلى التجليد وإلى زخرفة الكتب .

واشتق الأوربيون أيضًا من العرب طريقة تذهيب المجلدات بإذابة صفائح ذهبية فى الفراغات الناتجة عن ضغط الزخارف وكبسها وكانت هذه الطريقة قد ابتكرت فى قرطبة التى كانت ومازالت مشهورة بصناعة الجلود ، حتى أن صانع الأحذية بالفرنسية يطلق عليه Cordonnier اشتقاقًا من قرطبة . وانتقلت طريقة التذهيب إلى أوروبا وشاع استخدامها منذ القرن الخامس عشر . وكذلك كان بالبندقية مركز هام للتجليد وكان القائمون عليها مسلمين وإليهم يرجع الفضل فى إحياء طرق التجليد الإسلامية واستمرارها فى أوروبا وبلوغها شأوا كبيراً فى العصور الوسطى(٢) .

ـ ومهما يكن من شيء فإننا نرى مسحة شرقية غالبة تبدو على الكتب المجلدة فى

---

(١) زكى حسن : أثر الفن الإسلامى على الغرب ، ص ٦١٨ .
زكى حسن : تراث الإسلام ، جـ٢ ، ص٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) أحمد زكى : التأثيرات الفنية ، ص٩٢ ـ ٩٣ . عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص٥٣٨ ـ ٥٣٩ . زكى حسن : أثر الفن الإسلامى فى فنون الغرب ص٦١٨ .

مصانع التجليد الإيطالية . وقد ظهرت فى بعض المجلدات إذ ذاك ظاهرة شائعة فى طرق التجليد الإسلامية وهى (اللسان) الذى يطوى لحماية الأطراف الأمامية من الكتاب ولا تزال هذه الظاهرة باقية فى تجليد بعض الكتب المصنوعة مثل كتب الحسابات ودفاتر المصارف المعروفة باسم Pass Books ووجود اللسان يذكرنا بأثر الصناعة الشرقية فيها . ولقد أوصل الصناع المسلمون إلى صناع الغرب طريقة جديدة فى زخرفة جديدة فى زخرفة جلود الكتب ففى العصور الوسطى كان المجلدون الأوربيون يزخرفون جلود الكتب بطبع رسوم عليها مستعينين بمكابس معدنية . وكانت الزخارف التى تصنع بهذه الطريقة بارزة حتى بدا الصناع الشرقيون يزينون الرسوم المطبوعة بملء أجزائها المنخفضة بصبات ذهبية وقد أدخل هذه الطريقة المسلمون الذين أقاموا فى إيطاليا وقد نشأ هذا التطور فى البلاد الإسلامية ووصل إلى مصانع التجليد الأوروبية حاليا معه عناصر وموضوعات زخرفية أصبحت مندمجة فى الصناعة الحديثة بكل الاندماج دون أن يعتريها أدنى تغيير . وما يزال التذهيب والكتابة شائعين فى عصرنا هذا على جلود الكتب الجميلة ، ولا يزال الأوربيون يؤدونها بوسائل كان لصناع المسلمين فضل إبلاغها درجة الكمال[١] .

واشتهرت قرطبة بصناعتها ودبغها حتى أطلق الأوروبيون على النوع الممتاز من الجلود اسم الجلد القرطبى Cordovan وفيما عدا المصنوعات العادية المعروفة استغل العرب الجلود فى تغليف الكتب ونبغوا فى ذلك نبوغاً أدهش الأوروبيين المعاصرين[٢] .

صناعة الورق :

كانت أولى المصانع التى أقامها العرب لصناعة الورق فى الأراضى الأوروبية فى صقلية وإسبانيا ومن هناك انتقلت صناعة الورق إلى إيطاليا وفرنسا .

وعندما تعلم الأوربيون صناعة الورق أحلوه فى الكتابة محل الرقائق الجلدية

---

(١) حسن زكى : تراث الإسلام ، ص٩٠ ـ ٩١ .
(٢) عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص٥٣٢ .

الباهظة التكاليف ، وهكذا أدى العرب خدمة جليلة لأوروبا وللحضارة الإنسانية لأنهم علموا الغربيين طريقة أسهل وأفضل لتسجيل العلوم والمعارف ويشهد على أثر العرب في هذه الناحية كثرة المصطلحات العربية المتعلقة بالورق وصناعته والتى مازالت بعضها مستعملا بنطقه العربى فى اللغات الأوروبية مثل رزمة[1] .

النقود العربية فى أوروبا :

استطاع العرب أن يوطدوا الصلات التجارية مع الأمم الأخرى[2] فازدهرت تجارتهم مع الغرب وحققت إقبالاً منقطع النظير ، ولقد وصلت متاجر المسلمين فى العصور الوسطى إلى جهات نائية عن طريق التجارة مثل السويد والنرويج والدنمارك عن طريق الفولجا ، ويؤيد ذلك مئات القطع من النقود العربية التى وجدت فى المدن الواقعة على بحر البلطيق وخليج فنلندا مثل نوفجرود وشلوزيج وجزيرة جوتلاند Gotland وجزيرة الاند Aland من جزر البحر البلطى[2] .

وكان العالم الإسلامى هو المصدر الرئيسى للنقود فى القرنين التاسع والعاشر فلقد عرفت الدراهم الفضية فى أوروبا عند علماء النميات[3] بالنقود الكوفية Cufie لأن الكتابة عليها بالخط الكوفى ومما زاد فى أهميتها أنها تحمل سنوات الضرب وقد عثر حتى الآن على حوالى ٦٢٫٠٠٠ قطعة نقد عربى فى بلدان اسكندناوة وهى مضروبة فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين وفى القرن العاشر اتسعت رقعة الأماكن التى عثر فيها على دفائن من العملات الأوروبية معظمها فى شرق البلطيق وشرق السويد كما عثر بعضها فى أطراف الجزر البريطانية أى فى الأماكن التى تعرضت لغارات الفايكنج Viking .

ومعظم نقود القرن ٩م صدر عن الخلفاء الأمويين والعباسيين مما يدل على اتساع

---

(١) عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص ٥٣٥ .
(٢) الويون : حضارة العرب ، ص٢٧٣ .
(٣) عاشور : أوروبا ، جـ٢ ، ص٥٣٣ .

حجم التجارة بين العالم الإسلامى وبين شمال أوروبا قبل القرن ١١م . وهذه الكميات الهائلة من النقود التى عثر عليها فى أجزاء مختلفة من شمال أوروبا وقرب سواحل البلطيق مصدرها التجار المسلمون الذين كانوا يدفعون ثمنها لما يحصلون عليه من السلع الأولية وخاصة الفراء .

وقد وصلت بعض النقود العربية إلى ألمانيا فى القرن ١٠م ، فالرحالة الأندلسى الطرطونى رأى حوالى سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م بمدينة مينز Mainz دراهم ضربت فى سمرقند فى سنتى ٣٠١ ـ ٣٠٢ هـ . وقد كان للنقود العربية تأثير على العملات المضروبة فى الأراضى المتاخمة لدار الإسلام حتى البلاد النائية وقد رأينا الملك أوفا Offa ملك مرسيه Mercia فى إنجلترا (من ٧٥٧ إلى ٧٩٦م) يدفع جزية للبابا كل عام بالدينار المنقوش وذلك تقليداً للدينار العباسى المضروب عام ١٥٧هـ/ ٧٧٤م بالإضافة إلى ذلك عثر على أحد عشر قطعة نقدية عربية من عملة اقريطش فى موضع السوق فى مدينة أثينا فى كورنت ولعل وجودها هناك له صلة بالنقوش الكتابية المهمة فى المسجد العربى بأثينا .

أما بالنسبة لمدينة كورنت فإنه من المؤكد أن القطع النقدية التى عثر عليها فى المدينة ترجع إلى القرن ٩م . وتشير المصادر الكتابية إلى قيام العرب بالإغارة على منطقة كورنت عام ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م ولعلهم احتلوا المدينة فترة من الزمن ويعتقد عالم النميات Miles أن عملات أمراء كورنت هى دليل على وجود صلة تجارية بين المدينة وجزيرة أقريطش العربية (كريت) أكثر من كونها أثر للنشاط الحربى فى المكان[1] .

---

(١) علم النميات :

تندرج دراسة النقود تحت هذا العلم الذى يسمى La Numismatique وهو العلم الذى يبحث فى النقود والأوزان والأختام والأنواط .

للمزيد انظر عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ، ص ٦ .

(٢) أمين الطيبى : النقود العربية ، ص ١٩٩ ـ ٢٠١ . عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين ، ص٣١٦ ـ ٣١٧ .

روبرت لويز : محمد وشارلمان ، ص ١٢٧ .

أما صقلية فنتيجة لحكم النورمان ظلت تضرب عليها كتابات عربية بالخط الكوفي وبعضها يحمل التاريخ الهجرى وعبارة (محمد رسول الله) كما فى نقود عهد روجرز الثانى التى سجل عليها لقبه العربى تقليداً للعرب (ناصر النصرانية) أى لقب مسيحى باللغة العربية . وفى عهد ملوك النورمان الثلاثة الأوائل ظل الرباعى أى ربع الدينار الفاطمى متداولا على منواله ضربت عملة تعرف باسم Tari طرى . وكانت هذه العملة كلارباعى شكلا وقيمة .

ويبدو أن كلمة طرى Tari مشتقة الاسم من كلمة عربية (طرى) بمعنى حديث الضرب وهى صفة استعملت للرباعى فى لهجة صقلية العربية [1] وظلت كلمة طرى إلى عهد قريب هناك . وانتقل الطرى إلى مالطة سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م .

وظلت كلمة طرى إلى عهد قريب تعنى عملة فضية قديمة . ومن إيطاليا انتقلت الكلمة إلى جنوب فرنسا فهى فى البروفنسالية تابعة لارجوان منذ أواخر القرن ١٣م .

فإن من الطبيعى أن تظهر الكلمة فى النصوص القطلانية حيث يرد ذكرها لأول مرة سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م وعلى صورة Tari للمفرد و Tarins للجمع وهى فى القشتالية Tarin ثم أصبحت الكلمة تستعمل للدلالة على عملة إسبانية ، وفى الأمثلة الدارجة ، وقد وردت كلمة طرى فى عدد من الكتابات العربية على أوراق البردى المصرية[2] .

وفى سويسراً عثر قرب قرية شتسكبون (Stecbon)على ثلاثين درهما فضيًا عربيًا ، يحمل أقدمها سنة الضرب ١٦٩هـ ، ويحمل أحدثها سنة ١٨٢هـ. ولكنها مضروبة فى القيروان ، باستثناء درهم واحد ضرب فى عهد الأدارسة فى شمال المغرب الأقصى[3] .

ويوجد فى سويسرا مسكوكات عربية من الفضة غير قليلة تستجلب النظر ، ولقد

---

(١) أمين الطلبيى : النقود العربية ، ص٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
(٢) أمين الطلبيى : المرجع السابق ، ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
(٣) أمين الطلبيى : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

تمكن العلماء العرب من إثبات سكاكها وضربها وزمانها وهذه المسكوكات مغطاة بالكتابة التي تشير إلى اسم الأمير ، ومكان الضرب وتاريخه وبعض آيات من القرآن وأكثر الكتابة بالخط الكوفي . أما كيفية دخولها فجاءت عن طريق فرنسا ، لأنه وجدت مع هذه الدراهم مسكوكات مضروبة باسم كارلوس الأصلع ملك فرنسا (٨٤٣ ـ ٨٧٧م) ونظرا لأن العرب قاموا زمانا طويلا في سويسرا لا يبقى محل للشك في أن المسكوكات التي وجدت في سويسرا قد دخلت عن طريق العرب الذين أقاموا هناك (١).

كما عثر على دفينه أخرى في مودرن بسويسرا ويرى البعض أنها وصلت بطريقة سلمية ثمنا لبضائع بينما يرى أرسلان أنها من آثار العرب الذين فتحوا سويسرا عن طريق جنوب فرنسا .

وفي عهد ملوك الطوائف في القرن ٥هـ / ١١م ضربت أول عملة سنة ١٠٣٥م باسم منقوش Mancuss وهو الاسم الذي أطلقه النصارى على الدينار العادي مقلدا بذلك عملات ملوك الطوائف في شرق الأندلس .

ويبدو أن الدينار المنقوش كان أكثر هذه النقود المختلفة شيوعا ، ولم يكن الصلدي ينتهي سكه تماما حتى كان الدينار العربي قد انتشر في الغرب كله فنجده في إيطاليا منذ ١٦٢هـ/٧٧٨م .

وفي عام ١٨٤هـ/٨٠٠م دفعت أستريا ضرائبها لبيت المال الكارولنجي بالدينار المنقوش .

ولقد وجدت الدنانير مع عملات ، ولقد كانت إيطاليا وأغرب من ذلك إنجلترا وهي البلاد التي كثرت فيها العملات الأجنبية طيلة قرون إذ تذكرها الوصايا الأنجلو سكسونية في كل صفحة منها تقريبا . وألفها الإنجليز إلى حد أنهم جعلوا منها وحدة الأوزان المعتادة في وزن معدن الذهب ولم تجهل بلاد غالة ولوثارينجيا (اللورين) والمانيا

(١) ارسلان : غزوات العرب ، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

هذه العملة المنقوشة وقد حاول المتقاضون رشوة تيودولف رسول الامبراطور بتقديم قطعة ذهبية عليها حروف عربية منقوشة .

وقام أسقف مدينة متريجرد كنيسة سان ترون سنة ٨٧٠م ولم يجد فيها من العملة إلا خمسة دنانير منقوشة ، وهذا الدينار المنقوش عملة المسلمين عرف في أوروبا المسيحية معرفة واسعة إلى حد أن قيمته تحددت بالنسبة للنقود القومية (الأوروبية) تحديدا ثابتا تقريباً ، فقدر في الغالب بثلاثين دانقا [١].

وعلى ذكر المنقوش الفضي والصلدي الفضي استخدام المنقوش والصلدي وحدة حسابية ، أما الدفع فكان يتم بعملة من معدن آخر . كذلك كان الحال في جنوه أو مرسيليا . أما في البروفانس فقد دفع كونت بروفانس للبلاط الامبراطوري ٥٠٠٠ مرابطية . وهكذا فالأدلة كثيرة على مدى تغلغل العملة العربية في الغرب والآثار التي تركها المسلمون هناك [٢].

ولقد عثر سنة ٢٦١هـ في انجلترا وسنة ٨٠٧م على درهم أندلسي في إطلال دير بمقاطعة دورسيت والدرهم يحمل سنة الضرب ٣٩٠هـ أي في خلافة هشام الثاني ولا يستبعد أن تكون تلك الدراهم قد وصلت إلى انجلترا مباشرة من غرب الأندلس نظرا للعلاقات التجارية . وتذكر الحوليات القشتالية عن عدة عملات أولها العملة المستعملة المسماه (Eldinero de Plata) أي الدينار من الفضة وهو متوسط ويشار إليه أحيانا باسم Adarham الدرهم ، وقد استعملالدينار المرابطي كما ذكرنا كوحدة ند في أوروبا المسيحية وهذا يدل على مدى تأثير الدينار المرابطي على أوروبا المسيحية . وقد استعملت تلك الدنانير في البروفانس وفي دير في جنوبي للون وفي فيرنو وفي سانت روكان . وكان لقيام دولة الموحدين أثر كذلك على نظام العملة في الممالك النصرانية فظهرت العملة المعروفة باسم Doble (المربعة) وحلت محل الدينار المرابطي ، كذلك كانت نصف الدويلة وتعرف باسم Muzmudina مشتقة من اسم قبائل

---

(١) مارك بلوك : مشكلة الذهب في العصر الوسيط ، ص١٩ ـ ٢٠ .
(٢) بلوك : مشكلة الذهب ، ص ٢٣ ـ ٢٨ .

المصامدة التى قامت على اكتافها دولة الموحدين ، وظلت هذه العملة إلى أن هزم الموحدون سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م فاضطر الفونسو العاشر إلى ضربها فى مملكتها وظلت الدوبله مع ذلك متداوبة كوحدة للذهب حتى أواخر القرن ١٥م .

وبحلول الدوبله محل الدينار المرابطى أصبحت التسمية Maravdi تطلق على العملة الذهبية فى أواخر القرن ١٣م[١] .

ولقد تداولت النقود الإسلامية فى أوروبا الشمالية والشرقية عن طريق الأنهار الروسية ، وفى أوروبا الغربية عن طريق البحر المتوسط . وقلد ملوك الغرب فى سكتهم الذهبية شكل العملة الإسلامية .

أما الدنانير التى أطلق عليها المنقوش Mangons أو Mancusus كما وردت فى النصوص اللاتينية فهو الاسم الذى أطلقه الأوروبيون ، ولا يعرف اشتقاقه على وجه التحديد . وعلى الدنانير الذهبية التى سكها الخلفاء العرب ثم سكها الأمراء فى سوريا والمغرب وأسبانيا وزالت هذه التسمية من النصوص فى نهاية القرن الحادى عشر وحلت محلها تسمية أخرى Marabotins وكانت تطلق خاصة على عملة المرابطين [٢] .

ولعل ما يجدر التنويه عنه وجود عدد من المفردات العربية الاقتصادية فى اللغات الأوروبية فهى دليل على أنه كان للتجارة والتقاليد العربية الإسلامية تأثيرا عميق على الحياة الاقتصادية وتطورها فى معظم البلدان الأوروبية فالكلمة الإيطالية Zecca مشتقة من دار السكة ولكمة Cheque مشتقة من كلمة صك العربية والكلمة Slerling الإغريقية الأصل وصلت اللغة الانجليزية عن طريق العربية والمصطلح الجمركى Tariff من العربية تعريف ولعل كلمة Traffic بمعنى المتاجر مشتقة من الكلمة العربية تفريق .

وفى اللغة الأسبانية العديد من التسميات لمناصب ذات صبغة مالية وتجارية ما زال

---

(١) أمين الطليبى : النقود ، ص٢٠٨ ـ ٢١٠ .

(٢) بلوك : مشكلة الذهب ، المقدمة ، ص١٩ .

بعضها مستعملا وعى من أصول عربية منها Almojarife من المشرف . وكان فى العهد الإسلامى مراقبا للخزانة وللشئون المالية Alcabala وفى الفرنسية Gabelle من كلمة القباله العربية ، وكانت ضريبة تفرض على المبيعات فى الأسواق Alfarba من العربية (الفرضه) وكانت ضريبة فرضها المرابطون على اليهود للمساعدة فى تجهيز الحملات العسكرية للجهاد [١].

وهكذا كان للعملة العربية أثر كبير على اقتصاد أوروبا الغربية ولعبت دورا رئيسيا فى المبادلات التجارية كوسيلة للمبادلة قلده الأوروبيون فى عملاتهم كالفلورين والدوقة الإيطاليتين كما قلد الصليبيون فى المشرق الدنانير الفاطمية [٢].

وانتشرت النقود العربية خارج نطاق العالم الإسلامى وأصبحت فى دور المنافسة للعملة البيزنطية فى أوروبا الغربية ، واستمرت العملات متداولة فى أوروبا حتى بعد انتهاء سيادة العرب على تلك المناطق .

وهكذا لعب العرب دورا كبيرا فى التجارة وتبنى الكثير من الأوروبيين مظاهر الحضارة الإسلامية ، وهذا دليل على أن التواجد الإسلامى كان تواجدا حضاريا راقيا لا مجرد تواجد عسكرى سياسى [٣].

---

(١) أمين الطليبى : النقود ، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .
(٢) عبد الرحمن لهمى : النقود الصليبية تحت تأثير النفوذ الإسلامى ، ص٢٧٨ .
(٣) مونتجمرى وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص٢٦ .

الخـاتمـــة

أولاً : ملخص بأهم النتائج

ثانيا : التوصيات .

أولا : نتائج البحث :

ويحسن بنا فى نهاية المطاف أن نلخص ما انتهينا إليه من نتائج فى هذه الرسالة وهى كما يلى :ـ

١ ـ اتصف الإسلام بالشمول والعموم فأخذ طابع الذيوع والانتشار حتى يعم نور الحق وينتشر العدل فى كل مكان دون حرب أو قتال وذلك واقع محسوس منذ جاء نبى الهداية محمد ﷺ حيث دخل فى الإسلام كثير من الناس بمجرد معرفتهم حقيقته .

٢ ـ مشروعية الجهاد فى سبيل الله دفاعًا عن الحرمات وإعلاء كلمة الله وتحقيقًا للعدل ودفعًا للظلم وإقراراً للحق سواء أكان ذلك باللسان أو بالسنان تأميناً للمجتمع وإقامة الدولة الإسلامية الصحيحة .

٣ ـ بيان أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كما زعموا ، وإنما جاء سيدنا محمد ﷺ بالخير والرحمة الشملة لبنى البشر فانتقلت الأمم إلى الإسلام بتأثير شرائعه والإعجاب بخصائصه .

٤ ـ استهدف فتح الأندلس تأمين الحدود الإسلامية فى شمال إفريقيا خوفًا عليه من أعداء الإلام ، ورغبة فى الوصول إلى القسطنطينية عن طريق الغرب بعد فتح بلاد الأندلس ، وجعل البحر المتوسط بحيرة إسلامية يصلون منها إلى مركز الخلافة الإسلامية بدمشق .

٥ ـ استمر الفتح الإسلامى لبلاد الأندلس حيث تمكن الفاتحون من الوصول إلى بلاد الفرنجة واختراق جبال البرتات بفضل جهود القواد الذين تخلقوا بأخلاق الإسلام وتمسكوا بتعاليمه فكانوا خير قدوة مع إلقاء الضوء على أحوال هؤلاء الفرنجة فى الوقت الذى اتجه إليهم المسلمون .

٦ ـ استطاع عنبسة بن سحيم الكلبى أن يخترق جبال البرتات فى أواخر سنة ١٠٥هـ (أوائل سنة ٧٢٤م) وأن يوطد الأمر للمسلمين فى جنوب شرقى غالة وذلك

بفضل جرأته وبراعته وحسن سياسته ومعاملته لسكان هذه البلاد إلا أن الأمور اضطربت من بعده إذ تولى ولاة لم يكونوا على درجة عالية من الدراسة وأن تمكنوا من ضم مناطق جديدة من أوروبا الغربية للنفوذ الإسلامى أمثال عذرة الفهرى والهيثم الكنانى حتى تولى عبد الرحمن الغافقى أمرة البلاد فوطد الأمر للإسلام وفتح البلاد حتى وصلت فتوحاته نهر اللوار .

٧ ـ اتسم عهد الغافقى بالعدل ورد المظالم والتمسك بالعهود المبرمة مع المسيحيين فصفت له القلوب فوجه جهوده لفتح البلاد ببسالة وإقدام .

٨ ـ استصرخ أودو دوق إكيتانيا بشارل مارتل رئيس بلاط مملكة الفرنجة متناسياً ما كان بينهما من عداوة وخصام فاجتمع الجيشان بغية القضاء على عبد الرحمن وجنده ، وعكسكر الجيش فى موضع بين مدينة تور بواتيه فى عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م وتمكنوا من تحقيق بعض الانتصارات على المسلمين وقتل قائدهم بعد معركة ضارية كاد النصر يتم فيها للمسلمين .

٩ ـ اعتبر البعض موقعة بلاط الشهداء حداً فاصلا وحاجزاً منيعا لانتشار الإسلام فى بلاد فرنسال وخلف البرتات ولولاها لتغير الحال ولو كان النصر حليفا للمسلمين فيها لرأينا القرآن يتلى ويدرس فى جامعات الغرب أو كما قال أحدهم . وقد قمت بالرد على ذلك وتفنيد مختلف الآراء حول هذا الموضوع مع إيضاح الأبعاد التاريخية لمعركة بلاط الشهداء .

١٠ ـ اعتبر بعض الكتاب الغربيين المنصفين هزيمة المسلمين فى بلاط الشهداء نكبة كبيرة أصابت أوروبا وضربة عنيفة حرمتها من الحضارة المنيرة وكرامة الإنسان بما فى الإسلام من روعة مبادئه وصدق عقيدته ورفعة شريعته وجمال روحه ، بينما اعتبر البعض أن انتصار الفرنجة انقاذ وخلاص للدول الأوروبية من خطر المسلمين .

١١ ـ كشفت الفتوحات الإسلامية خلف جبال البرت عن بطولات نادرة وشجاعة فذة تشربت روح الإسلام فى كل مكان وأثمرت الشجرة التى ترعرعت فى أحضان

الإسلام ثمرتها حين تشربت لبان الشجاعة والفداء فى كل ميادين الحياة فكانت النماذج الحية للقادة العظام أمثال السمح بن مالك وعنبسة ين سحيم ، وعبد الرحمن الغافقى .

١٢ ـ نبهت معركة بلاط الشهداء الخلافة الإسلامية فى دمشق بضرورة الاهتمام بالأندلس والثأر لبلاط الشهداء فكانت ولاية عبد الملك ابن قطن ، واستمرار جهاد المسلمين خلف البرتات بأسرع صورة لم يتصورها الفرنجة وأحراز النصر والتقدم وضم مدن جديدة ، والتوغل حتى الوصول إلى بيدمنت على حدود إيطاليا .

١٣ ـ مجيء عقبة بن الحجاج السلولى قائداً من طراز الافقى فأقام النظم ونشر العدل ، ورد المظالم ، وقمع الرشوة وأنشأ كثيراً من المساجد والمدارس واستنفر الناس للجهاد ونظم الجيش وحصن جميع المواقع الإسلامية على ضفاف نهر الرون واتخذ منها معقلا للفتوحات الإسلامية ، ثم توفى بعد خمسة أعوام من ولايته قضاها مجاهداً فاتحًا مظفراً باسم الإسلام ، وقيل أنه عزل وولى مكانه عبد الملك بن قطن الفهرى مما كان سببا لإثارة الفتن والدسائس والحروب الأهلية بين العرب والبربر التى انتهت بمقتل ابن قطن .

١٤ ـ اضطراب الأمور فى الأندلس بعد مقتل ابن قطن وخروج جيش سبتمانيا (الثغر الإسلامى الحصين) من موقعه للثأر من مقتل ابن قطن ، وتجرأ الفرنجة والنصارى على المسلمين ، واحتلوا أجزاء من أرضهم تدريجيًا لإخراجهم من معاقلهم .

١٥ ـ أسباب تعثر الطلائع الإسلامية خلف البرتات :

تضافرت عدة أسباب أهمها توزع السلطة بين ثلاث جهات دمشق والقيروان ، وقرطبة بالإضافة إلى روح العضبية القبلية التى ظلت حية فى الصدور نقلوها أينما حلوا وسببت لهم المحن والمشاكل وتفريق الصف ثم التجمع المسيحى فى اشتوريش وغاليسيه ونافار منتهزا فرصة انشغال المسلمين بمشاكلهم وعصبيتهم

في ضم مناطق جديدة من مناطق المسلمين ، والتفكير في القضاء عليهم ثم الفتنة التي قامت بين العرب والبربر وتضافرت عدة أسباب لقيامها وكان على رأسها تحريض البربر على العرب تلك الأسباب مجتمعة ذات أثر كبير في تعثر الجهاد وعدم تحقيق ما كان يصبو إليه المسلمين .

١٦ ـ اضطراب الأمور بعد مقتل ابن قطن ، وتشابك الأحداث التي أدت إلى انتهاء عصر الولاة في بلاد الأندلس ، واستيلاء الفرنجة على كثير من المواقع الإسلامية الهامة في سبتمانيا واللانجدوك حتى ظهور عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) فبعث الإمارة من جديد للدولة الأموية ، واستأنف الأمراء الأمويون الجهاد خلف البرتات .

١٧ ـ الاهتمام بالبحرية الإسلامية وخصوصاً في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط بعد هجوم النورمان على بلاد الأندلس سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م .

١٨ ـ تم للمسلمين الاستيلاء على جزر الفرنجة ووصلوا إلى مصب نهر الرون كما وصلوا إلى سواحل غالة الجنوبية وموانئ إيطاليا ، واتخذ المسلمون لهم معقلا حصيناً يسمى حصن (فراكسيتوم) تمكنوا بفضله من التحكم في البروفانس والدوفينه واستولوا على فالانس وفيين ووصلوا إلى اكس كما استطاعوا الاستيلاء على سويسرا وبسطوا نفوذهم فيها عن طريق ممر سان برنارد الذي يربط بين فالة السويسرية وبين شمال إيطاليا ، كما فتح المسلمون جزءاً كبيراً من سويسرا الألمانية (يقع بين مدينة كور وبين أعالي الراين) وتوغلوا فيه .

١٩ ـ ترك المسلمون من الآثار الحضارية ما شهد لهم بأنهم لم يكونوا كما وصفهم بعض المغرضين بالهمجية والوحشية .

ويتضح من هذه الدراسة أن الذي حبب الجهاد إلى نفوس المسلمين وجعلهم يسيرون باسم الإسلام فاتحين حتى وصلوا إلى غرب أوروبا بهذه الصورة المشرفة إنما هو روح الإسلام التي تمكنت من نفوسهم والرغبة في إعلاء كلمة الله ، ولو أن الفتوحات الإسلامية في تلك الأراضي كانت مجرد أعمال عسكرية لما

وضحت تلك الآثار البعيدة المدى فى حضارة تلك المعاقل . فالفتوح الإسلامية فى الأراضى الأوروبية وأن انتهت سياسيا وحربيًا إلا أنها لم تنته حضارياً وإنسانياً وهذا هو الفتح الحقيقى والأبقى .

ولعل فى هذه النتائج التى توصلت إليها ، ودونتها ما يكفى . وفى اختصار ما يغنى .

وفى ثنايا البحث أشرت إلى نتائج أخرى ، لا أرى داعياً لإعادتها فى هذا المقام ، وأرجو من الله القبول والرضا .

التوصيات :

تتمثل توصيات البحث فى الأمور الآتية :

١ ـ مشروعية الجهاد فى سبيل الله حتى يمكن المحافظة على ما تبقى من هذا الصرح الخالد من مجد الإسلام وعدم التهاون فى ضياعه والإبقاء عليه كما تركه لنا الصحابة والتابعون بعد رسول الله ﷺ .

٢ ـ حتمية الدراسة التاريخية للإسلام حتى يتضح للأجيال الجديدة ما قام به المسلمون فى مستهل إسلامهم مع التركيز على الحضارة الإسلامية وأنها الأساس لكل حضارة وازدهار فى القرن العشرين .

٣ ـ تنقية التاريخ الإسلامى من الدسائس التى تهدف إلى النيل من المسلمين والتشهير بهم مع ضرورة تبسيط الدراسة التاريخية للأطفال فى مختلف مراحل التعليم حتى تحبب إليهم قراءته .

٤ ـ تسهيل الدراسة التاريخية للطلائع الإسلامية حتى يقفوا بها على أمجاد آبائهم وأجدادهم فيتأثروا بأفعالهم ويقتدوا بسلكهم فيدافعوا عن أوطانهم .

٥ ـ طبع ما نفذ من كتب التاريخ الإسلامى مع طبع كتيبات تاريخية فى نشرات دورية بأسعار رمزية هدفها تمكين المسلم من الاطلاع على تاريخ المسلمين .

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد كما أسأله أن يعيننى على شكره وذكره وحسن عبادته ، وأن يرزقنى الشهادة فى سبيله ، إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ملحق

١ ـ كشاف بتعريفات المدن التى وردت فى البحث

٢ ـ الخريطة العامة لبلاد الأندلس وغالة

ـ آجد Agde :

مدينة بنواحى بيزيه ، كانت لها أهمية كبيرة بسبب مينائها ، وبها كنيسة عظيمة، وتقع على الضفة الشمالية من نهر هيرولد ، كانت إحدى المدن السبع التى نسبت إليها مقاطعة سبتمانية التى معنى اسمها السبعية .

Ancyclopedie Larousse - editionlarousse - Paris 1982 Volume I. P. 168 .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٣٨ . Volume I. P. 168 .

أربونه Narbonne

بفتح أوله ويضم ، ثم السكون ، وضم البء الموحدة ، وسكون لاواو ، ونون وهاء بلد فى طرف الثغر من أرض الأندلس ، وهى الآن بيد الأفرنج ، بينها وبين قرطبة على ما ذكره ابن فقيه ألف ميل . وكانت قاعدة الثغر الشمالى مدة نصف قرن ، وهى مدينة قريبة من البحر وهى آخر ما كان بأيدى المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلى بلاد الأفرنجة ، وقد خرجت عن أيدى المسلمين سنة ثلاثين وستمائة مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدن الحصون ، وقيل أنها من مدن الأندلس وقيل خارجة عنها وإلى أربونه انتهى موسى بن نصير وبقيت أقصى ثغور المسلمين من الأندلس ومنها مشرق بلاد الإفرنج ، وهى على نهاية الشرقية .

للمزيد : انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ص ١٤٠ .

ومحمد عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تقيق إحسان عباس ، ص ٢٤ . عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين على بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب : تقويم البلدان ، طبع فى مدينة باريس ، دار لاطباعة السلطانية ١٨٥٠م ، ص ١٨٣ .

Encyclopedi Larousse Volume 7, PP. 7278 - 7279

- أرغون (Aragon)

هو اسم بلاد غرسية بن شانجه ويشتمل على بلاد ومنازل وأعمال .

الحميرى : الروض المعطار ، تحقيق إحسان عباس ، ص ٢٧ .

- ارل Arles

تأسست مملكة ارل عام ٩٣٣م عندما وجد رودلف مملكة برغنديا ومملكة البروفانس ثم ضمها الإمبراطور كونراد الثانى ١٠٣٨م إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وكان الحكم بطريق المعتمدين الإمبراطوريين اسميًا . كان لفرنسا وسافوى وسويسرا وبرجنديا سلطان فعلى على المناطق المؤلف بها ، وبعد أن عين ولى العهد (شارل السادس) ملك فرنسا فيما بعد) أصبح وجود هذه المملكة أسميًا . وتقع على ضفاف الرون وهى مركز صناعات ، وقد احتفظت بطابعها الرومانى ، حيث توجد فيها أجمل الآثار ذات الطابع الرومانى البروفانسى .

Encyclopedie Larousse - Volume I. P. 185 .

- أريوله Arihuela

بالضم ثم السكون ، وكسر الراء وياء مضمومة ، ولام وهاء ، مدينة قديمة من أعمال الأندلس من ناحية تدمير بساتينها متصلة ببساتين مرسية .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ص ٢٨٠ .

- استراسيا Austrasie

مدينة فى شرقى فرنسا ، وقاعدتها منز

أرسلان : غزوات ، ص ٣٣ .

- اشتورقه Astorga

من بلاد ليون شمالى إسبانيا .

ارسلان : زوات ، ص ١٠٢ .

ـ أفرنجه :

أرض واسعة فى آخر غربى الإقليم السادس ، ذكر المسعودى أن بها نحو مائة وخمسين مدينة ، قاعدتها باريس وأن طولها مسيرة شهر وعرضها أكثر وأنها خصبة لكونها رديئة المحرث قليلة الكرم معدومة الشجر ، وأهلها الأفرنج وهم نصارى أهل حرب فى البر والبحر ولهم صبر وشدة فى حروبهم لا يرون الفرار أصلا لأن القتل عندهم أسهل من الهزيمة ومعاشهم على التجارية والصناعة ، وتعتبر من الأمم العظيمة، وبلادهم واسعة ، وممالكهم كثيرة ، وهم نصارى وينسبون إلى جد لهم واسمه أفرنجش وهو يقولون فرنك وهم مجاورون للروم والروم من شمالى الأندلس نحو الشرق إلى روميه ، ودار ملكهم نوكبرده وهى مدينة عظيمة ولهم نحو مائة وخمسين مدينة ، وقد كانت قبل ظهور الإسلام أول بلاد من جهة المسلمين جزيرة رودس قباله الإسكندرية فى وسط بحر الشام .

انظر القزوينى : آثار البلاد وأخبر العباد ، ص ٥٧٦ .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٢٨ .

ـ أفينون Avignon

مدينة هامة تقع على بعد ٦٩٧ كم شرق جنوب باريس ، اشتهرت بصناعة الحرير ، ولها نشاطات سياحية وثقافية وتجارة الخضروات والفواكه وتحوى بعض المصانع الحديدية والغذائية وصناعة النسيج ، وتستمل المدينة على مقرين أحدهما قديم والثانى جديد ، وتوجد فيها عدة كنائس كما أن فيها منزلا يعود عهده للقرنين ١٧ ـ ١٨ ، وميناءها سان بنارات Saint Benrt موجود منذ القرن الثانى عشر والعرب تطلق عليه ابنيون كعادة العرب جعل الفاء باء .

Ency Larousse - Volune I. P82 .

ـ اكس اون بروفانس Aixen - Provence

تقع فى الجنوب الشرقى من فرنسا من محافظة بروفانس ـ مركز قضاء (بوش دو

ـ رون) تأسست عام ١٢٣ ق. م عدد سكانها ٨٠ ألف مشهورة بالسياحة وخاصة بالنشاطات افنية ، أشهر آثارها كاتدرائية سان سوفون (القرن الحادى عشر) .

Encyclopedie de alfa edition, Garange Patelier Paris. 1972. Volume I. P. 110 .

ـ اكيتانيه L'Aqutaine (Aguitaine)

منطقة تاريخية فى غالة ، اقطانيه الأولى كان يطلق عليها فويتان Guyeune وتمتد من اللوار إلى البرتات Pyrennees ومن المحيط الاطلسى إلى الكافنس Ca-veunes فى القرن الثامن كانت تشمل على بواتو Poitou وليموزان Limosin الأمانشى La Maunch لويبرى Le Bery واوفرينا Lauvergne السانتوغ La Sawtange وتمتد بين نهر الرون شرقًا وخليج غسقونيه غربًا وبين نهر اللوار شمالا ونهر الجارون جنوبًا تشمل من مقاطعات فرنسا الحديثة جويان وبيرجور وسانتوغ وبواتو وفنده وجزءا من انجو .

Ency. L. V. 11. P. 68 - 78 .

أرسلان : غزات ، ص ١٤٢ .

ـ البينقا Albenga

مدينة إيطالية تقع فى الطرف الجنوبى لاشرقى من منطقة بيامونت على ساحل البر المتوسط إلى الشرق من سان ريمو (على شاطئ الريفييرا الإيطالية) وهى مركز سياحى مشهور خاصة فى الصيف .

Encyclopedie de Alfa . Volune . I. P. 112 .

ـ الفا Alava

إحدى مقاطعات شمالى إسبانيا تقع فى جنوب البرتات يسكنها البشكنس .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ٧٨ .

ـ انتيب Antibes ـ عين الطيب .

مدينة فرنسية في محافظة بروفانس وقضء ألب مارتيم (جبال الألب البحرية) أسسها اليونانيون في القرن الخامس . ق. م . ودخلها المسلمون في القرن التاسع ، وهي مركز سياحي بارز على البحر المتوسط (كوت دازور) . ويبلغ عدد سكانها ٦٥ ألفا . وهي بلدة على شاطئ البر بقرب نيقيه أونيس

أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٤٢ . Eney Alfa vol. 10 P. 319 .

ـ الأندلس :

قال ابن سعيد : وما سوى الأندلس من شمال المغرب يعرف بالأرض الكبيرة وإذا عرفت أركان الأندلس وأنها على صورة مثلث عرفت ثلثه أضلاع المثلث أضلاع المثلث فالضلع الأول من الركن الجنوبي الغربي ، وهو الذى يقع عند جزيرة قادس إلى الركن الشرقي الذى عند جزيرة ميورقه وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الجنوبي الشرقي الممتد على بحر الزقاق ، والضلع الثاني من الركن الشرقي المذكور إلى الركن الشمالي عند سانتياغو (شكيب يعقوب) وهذا الضلع هو حد الأندلس الشمالي ويمتد على الجبل الحاجز بين الأندلس والأرض الكبيرة وعلى ساحل الأندلس الممتد على بحر برديل (بوردو) والضلع الثالث من الركن الشمالي المذكور إلى الركن الأول الجنوبي المقدم الذكر ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الغربي الممتد على البحر المحيط .

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

ـ أوتون Autun

مدينة على مسافة ١٠٦ كم إلى الشمال الغربي من ماسون ، وتعتبر مركزاً ثقافياً واقتصادياً كبيراً ، ولقد اعتنقت المسيحية منذ عهد مبكر ثم تحطمت سنة ٢٦٩ على يد الإمبراطور الفولى تيترنا Tetriens ثم اتفها البربر والنورمانديين والسارزان Sarra-sins عدة مرات .

Ency. Larousse - Vol. I. P. 880 .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٤ .

ـ اوزيس Uzes

مدينة صغيرة من نيم Nimes تحتفظ بكاتدرائية قديمة يعود عهدها للقرن ١٨ وبرج رومانى

Ency Larousse - Vol. 10 - P. 19585 .

ـ أوسما Osma

وهى بلدة أيبيرية عتيقة كان لها ذكر فى الدور العربى ، وبالقرب منها على شقير واد عميق ومن حصن عربى قديم .

أرسلان : الحلل ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ .

أرسلان : الحلل ، جـ ١ ، ص ٣٣٤.

ـ اوكسير Auxerre

مدينة على بعد ١٧٠ كم إلى الجنوب الشرقى من باريس .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٤٠ .

ـ بازل Basel

أو بال من أشهر مدن سويسرة تقع على الحدود الألمانية .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ٣٣٣.

ـ بريطانيه Bretagne

بفتح الباء الثانية وطاء وألف ونون مكسورة وياء خفيفة وهاء ، مدينة كبيرة بالأندلس تتصل بعمل لارده ، وكانت سدا بين المسلمين والروم ، ولها مدن وحصون، وفى أهلها جلاده وممانعه للعدو ، وهى فى شرق الأندلس اغتصبها الإفرغ فهى اليوم فى أيديهم .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٧١ .

- بربنيان Prepignan

هى المقاطعة المسماه بالبيرانه الشرقية Prrennes وعاصمة روسليون Rousillon ثم مملكة الماجور Majoroue من عام ١٢٧٦ إلى عام ١٣٤٤ ، وهى مدينة قديمة فى صناعة الجوخ ، استولت عليها فرنسا سنة ١٦٥٩م

Ency La Rousse. Volume i P. 8003 .

- جبال البرت Port

هو حد الأندلس عن الركن الشرقى ويتصل بالأندلس وبين الأرض الكبيرة ولما أحاط البحر بالأندلس ولم يبقى إلا المدخل أعنى جبل البرت سميت جزيرة والا فهى متصلة بالبر الطويل . وجبل البرت متصل من بحر الزقاق إلى البحر المحيط ، وطوله أربعون ميلا . وقد قيل أن طول الأندلس ربا وشرقا من أشبونه وهى فى غرب الأندلس إلى أربونه وهى فى شرق الأندلس مسيرة ستين يوما وقيل شهر ونصف ، وأن طول الأندلس من جبل البرت الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة وهو فى نهاية الأندلس الشرقية إلى أشبونه وهى فى نهاية الأندلس الغربية ألف ميل ونيف ، أما عرض وسط الأندلس فمسيرة ١٦ يومًا من بحر الزقاق إلى البحر المحيط وذلك عند طلطلة ، وجبل البرت المذكور يقال له الحاجز . قال وفيه أبواب فتحها الأوائل حتى صار للأندلس طريق فى البر من الأرض الكبيرة ، وقيل فتح الأبواب المذكورة لم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة طريق .

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٦٩ .

أما يوسف اشياخ فيذكر أن جبال البرت تسمى بجبال البرنيه فى العربية أو البرتات، أو البرت Pyrenees Port بالاشتقاق من كلمة Puertes أى الأبواب ، ومن ثم قد سميت بجبال الأبواب ، ويشار إليها أحيانًا بأنها الجبل الحاجز بين الأندلس وبين بلاد الفرنجة العظمى أو جبل البرت الحاجز بين الأندلس والأرض الكبيرة ، أو يقال لها الحاجز .

يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، ص ٨ .

أما رينو فيذكر جبال البيرنيز Les Pyrenees سلسلة من الجبال تمتد على مسافة ٤٥٠ كم من خليج جاسكون حتى خليج ليون يبلغ ارتفاعها في أعلى قممها ٣٤٠٤ أمتار وسفوحها الشمالية تقع في فرنسا بينما تقع سفوحها الجنوبية في إسبانيا.

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربي ، ص ١٧ .

- برذيل (بوردو) Bordeaux

مقر ولاية جيرونده ، وتقع على مسافة ٥٦٢ كم جنوب غرب باريس وهي مدينة قديمة أنشئت في نقطة التقاء الملاحة النهرية والطريق المؤدى إلى إسبانيا بعدما ازدهرت في القرون الوسطى ، وأصبحت ثاني ميناء في أوروبا في القرن ١٨ . وهي حاضرة الأقطانية الثانية وقيل : مدينة من إقليم برغش كاملة شاملة بضروب النعم ، كثيرة الفواكه بينها وبين البحر اثنا عشر ميلا وهي في بلاد جليقية ، وهي من أشرف أقاليم تلك الناحية ، كثيرة الكروم وتقع على نهر عجاج يسمى جرونه ، وأهلها على أخلاق الجليقيه وعلى سواحلها يوجد العنبر ، وهي من نواحي إفرنجة وهي من المدن العظيمة في غرب فرنسا على مسافة ٣٧٨ كم إلى الجنوب الغربي من باريس وهي قاعدة مقاطعة الجيرونده التي كان العرب يقولون لها جيرونده ويقولون لبوردو برذيل .

للمزيد انظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٨٦ ـ ٩٠ .

القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٧٩ .

شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١١٨ .

Ency Larousse . Vol. I. P. 82 .

- برشلونه Barcelona

مدينة للروم بينها وبين طركونه خمسون ميلا ، وبرشلونه على البحر ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة وبها ربض وعليها سور منيع والدخول إليها والخروج

عنها إلى الأندلس على باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة ويسكن برشلونه ملك إفرنجه وهى دار ملكهم وله مراكب تسافر وتغزو وللإفرنج بها شوكة لا تطاق وبرشلونه كثيرة الحنطة والحبوب والعسل ، واليهود فيها يعدلون النصارى كثيرة وهى فى القسم الثالث من الأندلس وهى مسورة كبيرة .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ٨٦ .

- برغونيه Bourgogne

مقاطعة ذات شأن فى شرقى فرنسا قاعدتها ديجون ، كانت مملكة مستقلة ثم صارت دوقية كبيرة ، وكانت تجاذب ملك فرنسا ، ولم تخضع للتاج إلا سنة ١٤٧٧ .

أرسلان : غزوات ، ص ٣٣ .

- بروفانس Provence

منطقة فرنسية تقع فى جنوب شرق فرنسا بين نهر الرون وسلسلة جبال الألب البحرية ، تضم خمس محافظات وهى :-

١ - الب - دو - هوت بروفانس

٢ - الب ماريتهيم

٣ - بوش - دور رون

٤ - الفار

٥ - فولكوز .

مناخها متوسطى ، معتدل شتاء حار صيفا ، تكثر فيها المراكز السياحية (كوت دازور) مزروعاتها الأساسية القمح - الكروم - الزيتون .

وأشهر مدنها مرسيليا - طولون - سحان ، نيس - اكس - افنيون - انتيب

Ency Alfa . Vol. 12. PP. 4873 - 4874 - 4875 .

ـ بريتانى (برطانيه) Brittany

مقاطعة فى شمال غرب فرنسا

البكرى : جغرافيه الأندلس وأوروبا ، ص ٨٢ .

ـ بمبلونه : Pamplona

مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلا ، وقيل هى فى غرب الأندلس خلف جبال الشارة وهى قاعدة نبره Navar أحد ملوك الفرنج ، وهى بين جبال شامخة وشعاب غامضة قليلة الخيرات أهلها فقراء جياع ـ لصوص ، ويتكلمون بالبشقيه لا يفهمون . وخيلهم أصلب الدواب حافر لخشونة بلادهم ، ويسكنون على البحر المحيط فى الجوف .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٠٤ .

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٨٢ .

ـ بواتييه Poitiers

مدينة على مسافة ٣٣٢كم إلى الجنوب الغربى من باريس وهى عاصمة قديمة بيكتاف Dictaves وأصبحت بواتييه بسرعة منبعا دينيا للفول . أوقف بها شارل مارتل العرب سنة ٧٣٢م بالقرب من بواتييه وهى مدينة غنية بالنصيب التذكارية التاريخية .

Ency. Larousse . Vol. 8. P. 8252 .

ـ بون Bon

مدينة على مسافة ٣٨ كم إلى الجنوب الشرقى من ديجون

أرسلان : غزوان ، ص ١٠٤ .

ـ بونيه :

هى قاعدة مدن منكبرديه وهى مدينة مبنية بالحجر والآجر والكلس . كبيرة جدا ، كثيرة الأهل تنفرد داخلها العيون ، وهى على نهر يجتمع تحتها بمقدار نصف ميل

بنهر آخر ، وفى هذه المدينة قصر حسن على بابه صورة فارس من نحاس ، متناهية العظمة بعثها فى الدهر القديم ملك القسطنطينية إلى بلد لنكبرديه . وبهذه البلدة للثمانة ففيه من المسلمين ، وعندها سيحاكم أهل لنكبرديه وهم يعتقدون لهم وثائق اشربتهم وبيوعهم وفيها من المسلمين تجار أغنياء عددهم أزيد على أربعمائة ولهم مبان سرية ، ومتاجر قوية ، ولذلك صار المتوجهون من التجار إلى رومه لابد لهم من المرور من بونيه .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ .

- بيامونت Piemont

منطقة إيطالية تمتد من حدود سويسرا شمالا حتى البحر المتوسط جنوبا وتحاذى الحدود الفرنسية عند سلسلة جبال الألب وهى تتألف من قسمين اثنين . جبال الألب (من الجانب الإيطالى) سهل بادان - ويعتبر سهل بادان من أخصب سهول إيطاليا . أما الجزء الجبلى (الألب) فيشتهر بأماكنه السياحية سواء فى الشتاء أو فى الصيف ولقد تعرضت فى القرنين التاسع والعاشر للميلاد إلى صراع بين الفرنك واللومبارد وتجزأت إلى ست إمارات اقطاعية . وفى القرن الثالث عشر الحقتها اسرة (سافوا) بمملكتها وأصبحت منذ ذلك الوقت تدعى بيامونت .

للمزيد Ency Alfa . Volume . 12 P. 4662 - 4663 .

- بيزى Beziers

تقع على القناة المسماة بقناة الجنوب عاصمة اللنغدوسيان Languedoaeune ولقد تعرضت هذه لامدينة للسلب مرتين الأولى عن طريق الالبيجو Les Allbgeois ثم سلبت عن طريق الصليبيين ، وهى ذات آثار قديمة .

Ency Larousse - Volume . w. P. 1222 .

أرسلان : غزوات ، ص ١٣٨ .

- تدمير Tudmir

بالضم ثم السكون وكسر الميم وياء ساكنة وراء ، ولاية تدمير تتصل بأحواز كوره

جيان وتقع فى الشرق من قرطبة . ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد ، ولسير العساكر أربعة عشر يوما ، وتجاوز تدمير الجزيرتان وجزيرة يامه .

ابن غالب : فرة الأنفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، ص ٢٨٤ .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ١٩ .

ـ تطليلة Tudela

بالضم ثم الكسر وياء ساكنة ، ولام ، مدينة بالأندلس فى شرقى قرطبة تتصل بأعمال وشقه وهى اليوم بيد الروم ، وتقع جنوبى جبل الشارة ، وهى من الثغور المقاربة لمدينتى سالم وسرقسطه وأراضيها طيبة للزرع وهى على نهر ابره وعليها قرى كثيرة ، وهى مدينة محدثه بنيت فى أيام مروان قال ابن سعيد : هى من المدن الجليلة بثغر الأندلس الشرقى .

مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق وترجمة لويس مولينا ، جـ ١ ، ص ٧٤ .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٣٣ .

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٨١ .

ـ تور Tours

مدينة فرنسية تقع على نهر اللوار ، وهى مركز ولاية اندروو لوار L'Indre el lore على بعد ٢٣٧ كم جنوب باريس تقع بين نهر اللوار والشار Cher أى على المفرق الحوضى الباريسى Bassin Parisieu وأقطانية وشواطئ بروتن وفنديان L'e Liltoral Baton et Venden وكانت مركزاً تجارياً هامًا ، ثم نشأت بها صناعة الخشب والخزف وتعد أحد المراكز الدينية الهامة لغاله ، وتحتفظ البلاد بعدة كنائس هامة يعود عهدها إلى القرن الثالث عشر ككنيسة سان جوليان Saint - Juleiu وكنيسة سان فاسيان Saint Gaten كما اشتهرت بمتاحفها الثمينة

Ency Larousse - Volume 10. P. 10327 - 10328 .

- تولوز (طولوشه) Toulouse

تقع على بعد ٦٨١ كم جنوب باريس ، نشأت على ضفاف الجارون على مفترق الميدى الأوسط وحوض اقطانية والجارون Garonne وكانت تولوز من المدن الهامة بعدما أصبحت عاصمة مملكة اقطانية وللمدينة آثارا تاريخية هامة وكنائس مشهورة بالإضافة إلى ما اشتهرت به من متاحف ثمينة . وكانت تولوز لفترة طويلة سوقًا تجارية هامة تمتاز بتجارة الحبوب والجلود والصوف .

Ency Larousse - Volume 12. P. 128 .

- جاب Gap

قصبة مقاطعة الألب العليا حاليا ، وتقع على مسافة ٦٦٠ كم فى الجنوب الشرقى من باريس على ضفة نهر (لوى) Luye ، أد روافد نهر دورانس عدد سكانها فى الوقت الحاضر ٢٥٤١٧ (١٩٧٩) نسمة وقد ظل المسلمون يملكونها مدة طويلة .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العرب ، ص ١٨٨ .

- جلقيه Calicia

بكسرتين ولالام مشددة وياء ساكنة وقاف مكسورة ، وياء مشددة وهاء ، وهى تقع ناحية قرب ساحل المحيط من ناحية شمال الأندلس من أقصاه من جهة الغرب .

وقيل أنها بلدة من بلاد الروم متاخمة للأندلس وسمورة قاعدتها ، وقيل أنها بلد يطلق العرب على سكانه اسم الجلالقة وهؤلاء سوى السويف Suevi الجرمان الذين دخلوا إسبانيا فى مطلع القرن الخامس الميلادى وتمتد من نهر دويره جنوبًا Duero حتى الساحل الشمالى لشبه الجزيرة الأيبيرية والساحل الغربى لها حتى قشتالة وفيها لقى العرب أشد المقاومة .

وصل إليها موسى بن نصير لما فتح الأندلس وهى بلاد لا يطيب سكانها لغير أهلها . ويحدها من الشمال والغرب وبحر الاوقيانوس ، ومن الجنوب البرتغال ومن

الشرق ليون وجبال اشتوريش .

انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ .

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٨٥ .

البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، حاشية ١

الحميرى : جزيرة الأندلس ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

Ency la rousse . Vol. I. P. 601 .

ـ جيرونده أو جيرونه أو جرنده ـ Cironna - Giron - Gerunda ولاية الحوض الاقطانى مقر لولاية بوردو ، أما نيابات الولاية فهى بلاى Blaye لانجون Langon ـ ليسبارى Les Parre ميدوك Medoc ليبوررن Liborne . وتنتهى عند الطرف من الولاية إلى سـهل اللاند Landes ، ومحاطة بشاطئ مستقيم مفتوح بحوض الاركستور C'arcactor ، ويحتل البوردلى Bordelais بقية الولاية التى تتمثل فى جزء كبير خاصة .

وكان اسمها هذا مستعملا عند العرب جينما فتحوها وهى من المدن التى فى الشمال الأندلسى وتقع شمالى برشلونه وتسمى جرنده البيضاء ، وقد ذكرها البكرى فى تقسيمه لمدن الأندلس ، وقد خرجت من أيديهم بسنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م ، وهى إحدى مقاطعات فرنسا الجنوبية الغربية يحدها اليوم من الشمال شارانت Charente السفلى ومن الغرب خليج غاسقونيا ، ومن الجنوب مقاطعة اللاند Landes ، ومن الشرق مقاطعة لووغارون Lot et. Garonne ومقاطعة دور دون Dordogne .

البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٦١ ـ ٦٢ .

ابن خرداذبه : المسالك ، ص ٩٠ .

أرسلان : غزوات ، ص ٩٠ .

Ency . Larousse . Vol. I. P. 701 .

- دوفينيه Dauphine

مقاطعة من فرنسا قاعدتها (غرينوبل) تتألف منها الآن ولايات الايزير والدروم ، والألب العليا ، وهى شمالى بروفانس وغربى سافوا وشرقى ليون . وقيل هى مقاطعة فرنسية تقع فى الجزء الجنوبى الشرقى من فرنسا تمتد من جبال الألب شرقًا حتى وادى نهر الرون غربًا وتحدها شمالا منطقة سافوى وجنوبا منطقة بروفانس ، وتنقسم إلى قسمين دوفينيه العليا : المناطق الجبلية والوديان العليا ودوفينيه السفلى ، الوديان المنخفضة وضفاف نهر الرون .

Ency Larousse . Vol. 3 P. 2961 .

- ديجون : Dijon

عاصمة قديمة لبرجونيا Bourgogne ، وعلى مسافة ٣١٥كم من الجنوب الشرقى لباريس ، وأصبحت إحدى العواصم التى ازدهرت ثم انضمت البلاد إلى التاج مع دوقيه برجنديا ، وقاومت المجريين فى عام ١٥١٣م .

Ency Larousse . Vol. 3. P. 2900 .

- روسليون Roussilon

وهى المقاطعة المسماه بالبيرانه الشرقية ، استولت عليها فرنسا سنة ١٦٥٩م وقاعدتها برينيان Parpignan

أرسلان : غزوات ، ص ٧٢ .

- روميه

بتخفيف الياء من تحتها نقطتان ، قال الأصمعى انطاكيه ، ونيقيه وهما روميتان أحدها بالروم ، والأخرى بالمدائن وبنيت وسمينت باسم ملك ، فاما التى فى بلاد الروم فهى مدينة رياسة الروم وعلمهم وهى شمالى وغربى القسطنطينية بينهما مسيرة خمسون يوما أو أكثر وهى بيد الإفرغ ويقال لملكهم ملك المان وبها يسكن البابا الذى تطيعه الفرغ ، وهو عندهم بمنزلة الإمام الذى يكون واجب الطاعة .

ومدينة روميه من عجائب الدنيا لعظم عمارتها وكثرة خلقها .

القزويني : آثار البلاد ، ص ٥٩١ ، ٥٩٥ . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ص ١٠٠ .

ـ سافوى Savoie

المنطقة القديمة لمملكة بيامونت وتوازى اليوم السافوى ، والسافوى العليا وتمتد من بحيرة جنيف شمالا إلى جبل تابور جنوبا ومن الحدود الإيطالية (الالية) شرقا إلى وادى نهر الرون غربا . ومناخها هو مناخ جبال الألب ، منعش فى الصيف ، شديد البرودة فى الشتاء وتكسوها الثلوج عدة أشهر فى السنة .

Ency Alfa . P. 5538 .

ـ سانت جال Saint Jal

تقع مدينة سانت جال جنوب بحية كونستانس .

إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٦٣ .

ـ سان ريمو Saint Remo

مدينة إيطاليه تقع فى الطرف الجنوبى من منطقة بيامونت على ساحل البحر الأبيض المتوسط (الريفييرا الإيطاليه) وهى منتجع سياحى مشهور فى أسفل جبال الألب الجنوبية والريفييرا الإيطاليه هى امتداد لكوت دازور فى فرنسا ، وتبعد عن سان ريمو بضع عشر كيلو مترا عن مونت كارلو فى إمارة موناكو .

Ency Alfa . P. 5339 .

ـ سانس Sens

قصبة مقاطعة فرنسية تسمى (يوند) Yond ، مقر المطارنه ـ كاتدرائية قوطية قديمة انجزت عام ١١٦٨م.

ارسلان : غزوات ، ص ١٠٦ .

Ency Larousse . P. 68 .

- سرقسطة (Zeragoza) (Saragosh)

بضم أوله وثانيه ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة ، بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيله وهى من المدن الكبيرة ومن أطيب بلاد الأندلس بقعة واحسنها بنيانا وأكثرها ثمارا وأغزرها مياها وهى بيد الإفرنج ملكوها سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وهى على ضفة النهر الأعظم المسمى نهر ابره الذى ينبعث من بلاد البشكنس ويصب فى البحر المتوسط ولها أعمال كثيرة ومدن وحصون وقرى منها مدينة وشقه ومدينه سالم ، وغافق ، وجراوة وغيرها .

القزوينى : آثار البلاد ، ص ٥٣٤ . ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٤١٢ .
مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، تقيق لويس مولينا ، ص ٧٠ ـ ٧١ .

- سرقوسه

بفتح أوله وثانيهثم قاف ، وبعد الواو سين أخرى ، أكبر مدينة بجزيرة صقليه وكان بها سرير ملك الروم قديما .

ياقوت : معجم ، جـ ٣ ، ص ٢١٤ .

- سوز ـ لا ـ روس Suze - La - Rousse

قرية فرنسية تقع فى محافظة (دروم) وادى نهر الرون وعدد سكانها ١٤٠٠ نسمه .

Ency Alfa : V. 14. P. 5626 .

- سمورة Zamora

بفتح أوله وتشديد ثانيه وضمه ، وبعد الواو راء ، مدينة الجلالقة وقيل سمرة ، دار مملكة الجلالقة عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان وقد احكمتها الملوك السالفة ، على مسافة ستين كم من طلمكنه مدينة سمورة مبنية فوق صخرة عالية يجرى تحتها الوادى الجوفى ، وكانت من قديم الزمان قلعة منيعة تتصادم أمامها الجيوش وطالما وقعت عندها الملاحم بين العرب والإفرنج .

ياقوت : معجم ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ .

شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ١ ، جـ ٢ ، ص ٢٦٥ ، ٥٥ .

ـ سويسرا Suisse

دولة فى وسط أوروبا ، تقع فى قلب جبال الألب ، مساحتها ٤١٢٨٧ كم عدد سكانها ٦٫٦٠٠٫٠٠٠ نسمه

تغطى جبال الألب ٦٢ ٪ من أراضيها ، وتعتبر خزان مياه لأوروبا لأن بعض أنهار أوروبا الكبرى مثل الرون (فى فرنسا) والراين (بين ألمانيا وفرنسا) وغيرهما ، تنبع من جبالها . وتكسو الثلوج جبالها عدة أشهر فى السنة .

Ency Alfa. Vol. 14. P. 5626 - 5627 .

ـ شذونه Sidonia

مدينة بالأندلس وهى كورة متصلة بكورة مورو وعمل شذونه خمسون ميلا وهى من الكور المجنده نزلها جند فلسطين من العرب ، وسمورة شذونه وكوره جليلة القدر ، جامعة الخيرات والبر والبحر سحرية البقعة عذبة التربة تفيض مياهها فلا تذوى مع المحل ثمارها وقد لجأ إليها عامة أهل الأندلس سنة ست وثلاثين ومائة . وكانت الهزيمة على لذريق حتى افتتحت الأندلس سنة ست وتسعين بقرب شذونه .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣٩ .

ـ شنترين : Santarem

مدينة شنترين مدينة عظيمة أزلية وبها جامع عظيم ، وحمامات وأسواق واسعة مرتبة ، ولها عمل كثير يزيد على ألف قرية تشرب كلها بنهر يأتى إليها يسمى نهر آنة يفيض كما يفيض النيل فيحرثون به وهذا النهر كثير الحوت فائض البركه ، ولهذه المدينة سور عظيم وأبراج منيعة لا تدرك بقتال .

مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، تحقيق لويس مولينا ، ص ٥٣ .

ـ شنتبريه Sante Bria

من بلاد جوف الأندلس ، مدينة قديمة البناء من بنيان الأشبان ، وهى شرق من

قرطبة مائلة إلى الجوف ، ولها حصون كثيرة وبينها وبين طليطلة سبعون ميلا ، وشنتريه جمعت كرم الأرض واتساع المزارع والمسارح والزرع والضرع والكرم ، ومن مدنها مدينة السكون ، وهى مدينة متوسطة خصيبة بها غياض . ومن مدنها مدينة قلعة أيوب ومدينة اقليش وهى كورة شنتيريه .

مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، تقيق لويس مولينا ، ص ٥٨ .

ـ طرسونه Tarazona

وقد ورد ذكره فى الفصل الثانى

ـ طرطوشه Torragona

وقد ورد ذكرها فى الفصل السابع

ـ طركونه Torragona

وقد ورد ذكرها فى الفصل السابع

ـ طلمنكه

مدينة بثغر الأندلس بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وبينها وبين وادى الحجارة عشرون ميلا .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩٣ .

ـ طليطلة Toledo

مدينة بالأندلس بينها وبين البرج المعروف بوادى الحجارة خمسة وستون ميلا وهى مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل ومنها إلى المريه فى البحر الشامى تسع مراحل أيضًا . وطليطلة عظيمة القطر . كثيرة البشر ، وهى كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق . وهى حصينة لها أسوار حسنة وقصبة حصينة ، وتقع على ضفاف النهر الكبير .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩٣ .

ـ غافق

بالأندلس بقرب حصن بطروش وهو صن حصين ومعقل جليل فى أهله نجده

وحزم وجلاده وعزم وكثيراً ما تسرى إليهم سرايا الروم فيستنقذون منهم غنائمهم ويخرجونهم من أرضهم والروم تعلم بأسهم وبسالتهم فيتجنبونهم .

الحميرى : الروض ، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

ـ غريزون Grisons

مقاطعة من مقاطعات سويسرا مركزها كوار .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٢١ .

ـ عشقونيه Gascony

دوقية فرنسية تمتد بين البيرنى Pyrennees والمحيط الأطلنطى والفارون Ga-rinne (على سال نهر تولوز)

وقد تداول اتلالها العديد من الأقوام كالاييبريون والرومان والقوط والوسكون .

وهؤلاء الاييبريون ليسوا لاتينيين ، ومن اسمهم جاء واسكون Vasconis أو غشقونيه Gascony هذا الاسم الذى سميت به المدينة إلى يومنا هذا .

ولقد فتحها المسلمون فى القرن الثامن ثم أعيدت إلى الإفرنج بعد الانتصار لاذى أحرزه الفرنجه فى معركة بواتييه سنة ٧٣٢م وأصبحت جزءا هاما فى مملكة اكيتانيه ، وأصبحت دوقيه وراثية مع بوردو كعاصمة فى منتصف القرن التاسع

Ency : Larousse Vol. I. P. 683 .

ـ غرناطه Granada

غرناطه مدينة بالأندلس بينها وبين وادى آشى أربعون ميلا وهى من مدن البيره ، وهى محدثه من أيام الثوار بالأندلس ، وإنما كانت المقصودة البيره فخلت وانتقل أهلها إلى غرناطه ومدنها وحصن أسوارها ويشقها نهر يسمى حدره وبينها وبين البيرة ستة أميال وتعرف باغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهودا وهى مدينة كبيرة ، وقد لحقت بأمصار الأندلس المشهورة وقصبتها بجوفها وهى من القصبات الحصينة وجلب الماء إلى داخلها عين عذبة تجاورها والنهر المعروف بنهر غلوم وينقسم عند مدينتها قسمين ،

قسم يجرى فى أسفل المدينة ، وقسم يجرى فى أعلاه يشقها شقا فيجرى فى بعض حماماتها وتطحن الارجاء عليه خلال منازلها .

الحميرى : الروض المعطار ، تحقيق حسان عباس ، ص ٤٥ .

- فاليه Valais

إحدى الكونتانات (Couton) هى تؤلف الاتحاد السويسرى ، يقع فى الجنوب الغربى من سويسرا بين إيطاليا جنوبا وفرنسا غربا . دخل كونتون فاليه الاتحاد السويسرى سنة ١٨١٥ ويتكلم سكانه اللغة الفرنسية فى القسم الغربى ، واللغة الألمانية فى القسم الشرقى وتشرف على وادى نهر الرون فى فرنسا وتشتهر بالسياة خاصة فى الشتاء .

Ency Alfa : Ed. V. 15. P. 6000 .

- فرانشى كونتى Franch Comite

مقاطعة فى شرق فرنسا قاعدتها بيزانسون تحتوى على ولايات الساؤون العليا ودوبس Doubs وجورا Jura

أرسلان : غزوات ، ص ١٠٥ .

- فيين . Vienne

مدينة على وادى الرون تبعد ٨٠ كم عن (غرينوبل) إلى الشمال الغربى وولاية فيين هى ولاية للمنطقة الشرقية لبواتو Poitou مركز ولاية بواتيه Poiteis . يمتد الجزء الأكبر من الولاية على سهول بواتو العليا ، وهى منطقة زراعية تشتهر بزراعة الحبوب والعلف والكروم وفى عام ٨٧٩م أصبحت عاصمة مملكة برغنديا والبروفانس وأصبحت فى القرن العاشر عاصمة الارل (Arles).

Ency. Larousse. Vol. 2. P. 823 .

أرسلان : غزوات ، ص ١٠٤ .

- قرقشونه Carcassonne

مدينة على نهر الأود Aude . وقناة الجنوب وهى قسمان الأول عبارة عن قلعة ،

والثاني يتكون من البيوت والشوارع والكنائس ومن أشهر كنائسها كنيسة سانت نزير Saint - Nazaire افتتحها العرب سنة ٧١٣م وبقيت في أيديهم إلى سنة ٧٥٩م .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٨ .

- قرمونه Carmona

مدينة بالأندلس في الشرق من أشبيله وبينها وبين اسنجه خمسة وأربعون ميلا وهي مدينة كبيرة قديمة ، وهي باللسان اللاتيني كارب - مويه وهي الكاف والألف والراء والبـء المعجمة بواحدة معناها (صديقي) وهي سفح الجبل عليها سور حجارة من بنيان الأول ومدينة أشبيليه بغربها وبينهما عشرون ميلا . ولقد افتتحها عبد الرحمن من محمد سنة خمس وثلثمائه .

الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٦١ .

- قشتاله Castella

يطلق عليها اسم ألبه والقلاع على ولايتي قشتاله القديمه Castile وآلفا Alava معربه من اللاتينية القديمة Alavaet Castella Vetula فقد كانت تشمل باقي المنطقة في برغش شمالا إلى ما بعد نهر دويره وجبال وادي الرمله جنوبا Guadarra-ma وحتى موقع مدينة مدريد عاصمة إسبانيا الحالية .

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، جـ ١ ، ص ٢١٦ .

- لارده Lerida

بالراء مكسورة والدال المهملة ، مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة تتصل أعمالها بأعمال طركونه منحرفه عن قرطبة إلى ناحية لاجوف ينسب إلى كورتها عدة مدن وحصون وهي بيد الإفرنج الآن .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٧ .

- لانجر Langres

تعتبر هضبات اللانجر حد لتوزيع المياه بين الخاضعين للمانش Mauche والخاضعين للبحر المتوسط .

وتشتهر بوجود الكاتدرائيات منها سان ممّاس Saint Mammes وتحافظ المدينة على ثروة هامة ، ففيها أبواب وأبراج رومانية منذ القرن (١٤ ـ ١٦) بها نزل براى سان جرمان Breui - de Saint Germain وتقوم بها صناعات معدنية

Ency . Larousse . Vol. 2. P. 99 .

ـ لبله Niebla

بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى ، قصبة كوره بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل اكشونيه وهى شرق من اكشونيه ، وغرب من قرطبه بينها وبين قرطبه بينها وبين قرطبه على طريق أشبيليه خمسة أيام أو أو أربعة وأربعون فرسخا وبين أشبيليه اثنان وأربعون ميلا . وهى قرية بحرية غزيرة الفضائل والثمر والزرع والشجر .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٠ .

ـ لشبونه Lisboa - Lisbon

بالفتح ثم السكون وباء موحده وواو سكنة ونون وهاء . ويقال اشبونه بالألف ، وهى مدينة بالأندلس يتصل عملها بأعمال شنترين ، وهى مدينة قديمة قريبة من البحر غربى قرطبه . وتشتهر بالعسل وهى مبنيه على نهر تاجه والبحر قريب منها . وبها معدن التبر الخالص ويوجد بساحلها العنبر الفائق ، وقد ملكها الإفرنج سنة ٥٧٣ .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٦ .

ـ لوغو Lugo

مدينة بالأندلس من مدن جليقيه تقع بالقرب من شنت يافت ، فوق ربوة مرتفعة من الأرض ، ومن ورائها السهل الأخضر ، وكانت من أوائل المدن التى خرجت من أيدى المسلمين وأصبحت فى حوزة النصارى سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٢٢ .

ـ ليجوريا Ligurie

منطقة فى شمال إيطاليا على ضفاف خليج جنوه ، ويبلغ عدد سكانها حسب

تعداد سنة ١٩٧٩م قرابة مليوني نسمة ، وقد كانت في العصر الوسطى تشكل ولايات جنوه .

رينو : الفتوحات الإسلامية ، ترجمة إسماعيل العرب ، ص ١٦٢ .

ـ ليون Lyon

من بلاد الجلالقه ـ باللام والىء المثناة التحتية والواو والنون فى الآخر عاصمة قسم الرون Rhone مكان التقاء نهرى الرون وروافده الساؤون Saone ٤٧٦ كم جنوبى شرقى باريس كانت مستعمرة رومانية تأسست سنة ٤٣ ق. م . وأصبحت تحت يد اوغست Auguste والعاصمة الإدارية للإقليم الليونى . ثم تحولت إلى عاصمة دينية ثم أصبحت من أغنى مدن غاله وتشهتر بصناعة الحرير ، ويوجد فيها آثار قديمة وكنائس ومتاحف هامة . وهى من أجل مدن الجلالقة ومسكن سلطانهم وعمدتهم وهى ثالث مدينة فى فرنسا فى عدد السكان واصل اسمها (لودونوم) يمر بها نهر الرون والصاوون ويقسمها إلى ثلاثة أقسام وهى من أعظم المدن الصناعية فى أوروبا ولا تزال من أمهات مدن فرنسا

Eny L. Ed. V. 2. P. 157 .

ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٠٦ ـ

الملك المؤيد عماد الدين : تقويم البلدان ، ص ١٨٥ .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ٧٣ .

ـ ليون Leon

مدينة ليون من المدن الشهيرة ، ولها مقاطعة يقال لها مقاطعة ليون ، وهى من المدن القديمة التى استولى عليها الرومان ، ثم استولى عليها القوط ولبثت فى أيديهم إلى أن فتحها العرب سنة ٩٨٣ ، ثم استرجعها الاسبانيون . وعظم أمرها فى القرن الحادى عشر إلى الثالث عشر ثم انضمت إلى قشتاله فصارت مملكة وادة ، وفيها كنائس وأديار متعددة وآثار تدل على عظمتها السالفة .

شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ٢ ، ص ٥١ .

- لوديف Lodeve

مركز قضا . ناحية الهيرولت Herault على اللارق La Lergue

- ماجلون Maguelone

قرية الساحل من اللانقدوك Languedoc جنوب مونيولبى Montpellier وهى من المدن الهامة فى القرون الوسطى لموقعها على البحر فقد كانت ترفأ إليها سفن المسلمين الواردة من الأندلس وإفريقيا .

Ency L. V.2. P. 366 .

أرسلان : غزات العرب ، ص ١٣٩ .

- ماكون Macon

فى مقاطعة الساورن Saonne واللوار La Loire تبعد بـ ٤٠ كم جنوب باريس، عاصمة قديمة لكماكونيس بها آثار للكاتدرائية قديمة (لاقرنين ١٢ - ١٣) وهى مدينة بحرية ومركز تجارى وصناعى .

Ency Larousse - Vol. 6. P. 6509 .

- مرسيه Murcia

بالأندلس وهى قاعدة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتخذت دار العمال وقرار القواد .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٣٩ . ياقوت : معجم ، جـ ٥ ، ص ١٠٧ .

- مرسيليا Marseille

مدينة فرنسية على البحر الأبيض المتوسط ، قاعدة محافظة (بوش - دو - رون) يعود تاريخ وجودها إلى القرن الخامس ق. م . ازدهرت فى الحروب الصليبية باعتبارها كانت نقطة الانطلاق للغزوات البحرية . انضمت إلى الدولة الفرنسية ، مع كامل منطقة بروفانس سنة ١٤٨١م . وفى عهد توسع الاستعمار الفرنسى فى إفريقيا ، وبفضل شق قناة السويس فى العصر الحالى أصبحت مرسيليا فى القرن التاسع عشر

أكبر مرفأ فرنسي ، وعدد سكانها حوالى مليون نسمة ، وتبعد عن باريس ٧٧٦كم .

Eny Alfa . P. 3836 .

ـ مونفيرا Montferrat

بلدة فرنسية صغيرة تقع في محافظة الفار (   ) في منطقة بروفانس تبعد ٨٧٨ كم عن باريس ، ٩٦ كلم عن مرفأ طولون على البر المتوسط ، وعدد سكانها ٢٦٣٦ نسمة

Ency Alfa . P. 3837 .

ـ ميورقه Meporca

بالفتح ثم الضم وسكون الواو والراء يلتقى فيه ساكنان وقاف . وهى جزيرة يقال لها منورقه بالنون ، كانت قاعدة ملك مجاهد العامرى .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٢٤٦ .

ـ نستريا Neustrie

بلاد واقعة بين نهر اللوار وبريتانيا الفرنسية وبحر المانش ونهر الموز

أرسلان : غزوات ، ص ٣٣ .

ـ نيم Nimes

وهى مقر ولاية الفار Garo تبعد ٧٠٤ كم جنوب باريس ، وهى مدينة مشهورة بجمال آثارها الرومانية ، وهى من المدن الرومانية المشهورة التى أصبحت تابعة لمدينة تولوز .

Ency . Larousse . Vol. 7. P. 7390 - 7391 .

ـ وشقه Huesca

مدينة حصينة بالأندلس لها سوران من حجر بينها وبين سرقسطه خمسون ميلا ، ووشقه مدينة حسنة متضرة . ووشقه بشرقى مدينة سرقسطه ، وهى مدينة كبيرة أوليه قديمة رائعة البنيان .

الحميرى : الروض المعطار ، ص ٦١٢ .

- نهر ابره Ebre

وهو النهر الذى يمر بسرقسطه ويسميه العرب ابره .

أرسلان : غزوات ، ص ١٥١ .

- نهر الدانوب Danoup

ينبع من جبال الألب ويصب فى البحر الأسود

أطلس العالم ص ١٥٨ .

- نهر دراك Drac

نهر يتلقى موارده من جبال الألب وينصب فى نهر (ايسرا Isere) على مسافة ١٥ كم من مدينة جوبول .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العرب ، ص ١٨٥ .

- دورونس Durance

نهر يجرى فى منطقة بروفانس ، ينبع من جبال الألب الجنوبية ويصب فى نهر الرون ، مجراه عباره عن وادى ضيق بين الجبال وتوجد فى ذلك الوادى بعض المدن الضغيرة مثل اومبرون سيسترون - مانوسك ، ويبلغ طوله ٣٠٥ كم .

Ency Larousse . Vol. 4. P. 3453 .

- نهر دويرو Duero

نهر يجرى فى إسبانيا والبرتغال ، تقع منابعه فى قشتاله القديمة ، ويبلغ طول مجراه ٨٥٠كم وينصب فى المحيط الأطلسى عند مدينة بورتو Perto البرتغالية .

رينو : الفتوحات ، ص ١٩٥ .

- نهر الراين Rhine

نهر أوروبى كبير ، يبلغ طول مجراه ١٢٩٨ كم يتكون من رافدين أساسيين فى سويسرا ينزل أحدهما من سانت (جوتارد) والثانى من جبل (أدولا) ، وبعده يقطع النهر بحية (كونسطانس) يقطع (الجورا) (مساقط شافهاوزن) يلتقى فى مجراه نهر (آر) قبل أن يصل إلى مدينة بال ، وبعد ما يلتقى بأنهار أخرى مثل (الموزل)

(لاهن) وغيرها . ويدخل فى الأراضى المنخفضة ويصب فى بحر الشمال . ومنبعه جبال الألب ومصبه بحر المانش .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص ٢٨ .

الأطلس العربى ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م . ص ١٦ .

ـ نهر الرون Rhone

أصل اسمه هورود أنوس باللاتينى وسماه العرب ردونه اشتقاقا من هذا الاسم ، وهذا النهر يخرج من جبال الألب الفرنسية والسويسرية ويصب فى بحيرة ليمان ثم يخرج منها عند جنيف ويدخل أرض فرنسا ، وينصب إلى البحر المتوسط ، وطول مجراه ، ٨١٢كم .

أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٥١ .

أطلس العالم ، بيروت ، ص ١٥٨ .

ـ نهر الساؤون Saonne

وينبع هذا النهر من جبال الفوج ويصب فى البحر المتوسط

أطلس العالم ، ص ١٥٨ .

ـ نهر السين Sin

نهر السين وينبع من جبال الفوج وهضبة مؤرفان وهضبة الكونت دور ويصب فى البحر المتوسط .

أطلس العالم ، ص ١٥٨ .

ـ نهر اللوار Loire

أطول نهر فى فرنسا (١٠١٢) كم ويمتد وضه على ١٥٠٠٠ كم مربع (حوالى خمس فرنسا) تقع منابعه على ارتفاعه ١٤٠٠ متر فى جبال (جيرى دوجويك) فى هضبة فرنسا الوسطى ويصب فى خليج سكاى .

رينو : الفتوحات ، ترجمة إسماعيل العربى ، ص ١٧ .

أطلس العالم ، بيروت ، ص ١٥٨ .

٩

جهاد المسلمين خلف جبال البرتات

من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس الهجري

الفهــارس

أولا : المخطوطات :

١ ـ الدرجيني : أبو العباس أحمد (ت في منتصف القرن ٧ هـ) :

طبقات الأباضيه ، مخطوطه دار الكتب المصرية .

٢ ـ السمعاني : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور :

الأنساب ، ليدن ، ١٩١٢م.

٣ ـ القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) :

ترتيب المدارك وتعريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك ، مخطوطه بدار الكتب، القاهرة .

٤ ـ النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ) :

نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ، مخطوطه مصوره بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، رقم ٢٢م .

ثانيًا : المصادر العربية :

ـ ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ)

التكملة لكتاب الصله ، نشر كوديرا ، الجزء الخامس والسادس من مجموعة المكتبة الأندلسية ، مدريد ، ١٨٨٧ م.

ـ ـــــــــــ

الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ـ نشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، جزءان ١٩٦٣ م.

ـ ابن أبي الضياف (ت ١٢٩١ هـ)

اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تحقيق لجنة الدولة للشئون الثقافية والأخبار ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

ـ ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)

الكامل في التاريخ ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، تسعة أجزاء ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، القاهرة ، ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م

- **ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى (ت ٦٠٦ هـ)**

النهاية فى غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمد الطناحى ، وطاهر الزاوى ، دار الفكر ، بيروت .

- **الأدريسى : أبو عبد الله محمد الشريف السبتى (ت حوالى ٥٦٤ هـ)**

المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذه من كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » طبع فى مدينة ليدن ، بمطبعة بريل ١٨٦٤م.

- **البكرى : عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو : أبو عبيد البكرى (ت ٤٨٧هـ) :**

جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب (المسالك والممالك) تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن على الحجى ، ساعد المجمع العلمى العراقى على نشره ، الطبعة الأولى ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٣٨٧هـ. ١٩٦٨م .

- **البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادى (ت ٢٧٩ هـ) :**

فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٣٢م.

- **ابن تغرى بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (٨٧٤هـ) :**

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر القاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، جـ ١ ، القاهرة .

- **الجرجانى أبو الحسن على بن محمد الجرجانى المعروف (بالسيد الشريف) (ت ٨١٦ هـ)**

التعريفات - الدار التونسية للنشر .

- ابن حزم أبو محمد على بن أحمد الأندلسى (ت ٤٥٦ هـ) :

جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف الطبعة الرابعة ، القاهرة .

- الحميدى أبو عبد الله محمد بن أبى نصر الأزدى (ت ٤٨٨ هـ) :

جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .

- الحميرى عبد المنعم السبتى الحميرى (ت ٩٠٠ هـ) :

صفة جزيرة الأندلس ، منتخبه من كتاب « الروض المعطار فى خبر الأقطار » جمعه سنة ٨٦٦ هـ ، عنى بنشره وتصحيحه أ . ليفى بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧ م.

الروض المعطار في خير الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مكتبة لبنان ـ بيروت ، ١٩٨٤م.

- ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن على البغدادى النصيبى (ت ٣٨٠ هـ)

صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الياه ، بيروت ، لبنان .

- ابن حيان أبو مروان (ت ٤٦٩هـ) :

المقتبس فى أخبار بلد الأندلس (قطعة خاصة بخمس سنوات من حكم المستنصر بالله) نشر عبد الرحمن على الحجى ، المكتبة الأندلسية ـ بيروت ، ١٩٦٥ م.

- ابن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله المعروف بابن خرداذبه (ت حوالى ٣٠٠ هـ)

المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتاب لأبى الفرج قدامه بن جعفر البغدادى (ت ٣٢٠ هـ) مكتبة المثنى ، بغداد .

- ابن الخطيب لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ) :

كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاتلام من ملوك الإسلام (القسم الثانى

ـ تاريخ إسبانيا الإسلامية) تحقيق وتعليق أ. ليفى بروفنسال ، دار المكشوف ، الطبعة الثانية لبنان ، ١٩٥٦ م.

ـ ـــــــــــ

تاريخ المغرب فى العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام) تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ م.

ـ ـــــــــــ

الإحاطة فى أخبار غرناطه ، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٢م.

ـ ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) :

العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان . سبعة أجزاء .

ـ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)

تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمرى ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، دار القلم . الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ـ الدباغ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى (ت ٦٩٦هـ) :

معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان ، تحقيق إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجى بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

ـ ابن دقماق (ت ٨٥٩هـ) :

الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، بولاق ، ١٨٩٣م.

ـ الرقيق القيروانى (ت ٤١٧هـ) :

تاريخ إفريقيه والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، مطبعة رفيق السقطى ، تونس .

- ابن سعيد المغربى على بن موسى (ت ٦٧٣هـ) :

المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق وتعليق شوقى ضيف ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف . جزءان .

- الشهرستانى أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى (٥٤٨هـ)

الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ـ مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع .

- الاصطخرى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ان حيا فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى)

المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينى دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦١ م.

- صاعد الأندلسى أبو القاسم صاعد الأندلسى (الطليطلى) ابن أحمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد (ت ٤٦٣هـ)

طبقات الأمم ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، شارع محمد على (بدون سنة طبع) .

- الضبى أبو جعفر أحمد بن يحيى القرطبى (ت ٥٩٩ هـ)

بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

- الطبى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) :

تاريخ الأمم والملوك ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان . عشرة أجزاء .

- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن (ت ٢٧٦هـ) :

فتوح إفريقيه والأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٤ م.

-

فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة، ١٩٦١م. جزءان

- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) :

الأموال ، تحقيق وتعليق محمد خليل الهراس ، در الشباب للطباعة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي ابن عذارى (من كتاب القرن ٧هـ)

البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، جزءان ، تحقيق ومراجعة ج. س . كولان وليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .

- العذرى أحمد بن عمر بن شمس المعروف بابن الدلائى (ت ٤٧٨ هـ) :

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ، بمدريد ، ١٩٦٥م.

- ابن العماد الحنبلى أبو الفلاح عبد الي بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ)

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جزءان ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان .

- ابن غالب محمد بن أيوب بن غالب الغرناطي (ت ٥٧١ هـ) :

نص أندلسى جديد ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الاربعمائة ، تحقيق د. لطفى عبد البديع ، مدريد ، ١٩٥٦م.

- الغسانى محمد بن عبد الوهاب الغسانى (ت ١١١٩هـ)

رحلة الوزير فى افتكاك الأسير ، تقديم الفريد البستانى ، دار الكتب الوطنية ، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو تطوان .

- ابن الفرضى أبو الوليد عبد الله محمد الأزدى (ت ٤٠٣ هـ) :

تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة جزءان ، ١٩٦٦م.

- ابن قتيبه أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) :

الإمامة والسياسة ، تحقيق محمد طه الزين ، جزءان . مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع .

- قدامة بن جعفر البغدادى (ت ٣٢٠ هـ) :
الخراج وصنعة الكتاب ، طبعة ليدن ، هولندا .
- القزوينى زكريا محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ) :
آثار البلاد وأخبار العباد ، قزوين ٦٠٠ - ٦٨٢ هـ ، بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م.
- القلقشندى أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ) :
صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة جـ ١ ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- ابن القوطية أبو بكر محمد المعروف بابن القوطية (ت ٣٦٧هـ) :
تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ١٩٥٨م (يليه نبذة من أخبار فتح الأندلس مأخوذة من الرسالة الشريفة إلى الأقطار الأندلسية) .
- ــــــــــــ
تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الابيارى ، دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- القونوى قاسم القونوى (ت ٩٧٨هـ) :
أنيس الفقهاء فى تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، تحقيق الدكتور أحمد ابن عبد الرازق الكبيسى .
- ابن كثير : عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)
البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٧ م.
- ابن الكردبوس الشباط (ت ٦٨ هـ) :
تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نصان جديدان ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد .

ـ الكندى أبو عمر بن يوسف الكندى (ت ٣٥٠ هـ) :

ولاة مصر ـ تحقيق حسين نصار ، دار بيروت للطباعة . بيروت ، ١٣٧٩هـ .

ـ المالكى أبو عبد الله بن عبد الله المالكى (ت ٤٥٣هـ) :

رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقيه وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم ، نشر حسين مؤنس ، دار النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥١ م.

ـ الماوردى أبو الحسن على بن حبيب البصرى (ت ٤٥٠هـ) :

الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ .

ـ المراكشى محيى الدين بن محمد عبد الواحد بن على التميمى (ت ٦٢٠هـ):

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

ـ المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على الحسينى (ت ٣٤٦هـ) :

« مروج الذهب ومعادن الجوهر » طبعة الهيئة المصرية . القاهرة ، ١٩٤٦هـ.

ـ مسلم الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت ٢٦١هـ):

صحيح مسلم ، نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة ، المملكة العربية السعودية .

ـ المطرزى أبو الفتح ناصر الدين المطرزى (ت ٦١٦هـ) :

« المغرب فى ترتيب المغرب » ، مكتبة أسامة ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٠٩م.

ـ المقرى ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى : (ت ١٠٤١هـ) :

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربى ـ بيروت .

ـ الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين على ابن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه :

تقويم البلدان ، طبع فى مدينة باريس ، بدار الطباعة السلطانية ١٨٥٠ .

ـ مؤلف مجهول :

« أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم » طبع فى مدينة مجريط بمطبعة ربدنير ، سنة ١٨٦٧م .

ـ مؤلف مجهول :

ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق وترجمة لويس مولينا ، جزءان . المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، ١٩٨٣م.

ـ ابن منظور (ت ٧١١) :

لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .

ـ الناصرى أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥هـ)

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

ـ النويرى شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ)

نهاية الأرب فى فنون الأدب ، تحقيق على محمد البيجاوى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. الجزء الحادى والعشرين .

ـ ياقوت الحموى شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ)

معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ـ اليعقوبى أحمد بن أبى يعقوب (ت ٢٨٢هـ)

تارى اليعقوبى ، جزءان ، ليدن ، ١٩٨٣م.

ـ أبو يعلى الفراء الحنبلى (ت ٤٥٨هـ)

الأحكام السلطانية ، طبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٥٧هـ.

- أبو يوسف القاضى أبو يوسف اليعقوبى بن إبراهيم صاحب الإمام أبو حنيفة (ت١٨٢هـ).

الخراج ، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ، طبعة دار الإصلاح للطباعة / الدمام .

ثالثاً : المراجع العربية :

- إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ م.

- ___________

ملامح التيارات السياسية فى القرن الأول الهجرى ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٧٩م.

- إبراهيم طرخان :

المسلمون فى أوروبا فى العصور الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

- إبراهيم العدوى :

المجتمع الأوروبى فى العصور الوسطى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦١م.

- ___________

موسى بن نصير ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧م.

- ___________

المسلمون والجرمان ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠م ـ ١٣٨٠هـ.

- ___________

الاساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

- أحمد إبراهيم الشريف :

دراسات فى الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

- أحمد بدر :

دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها - دمشق ، ١٩٧٥م.

- أحمد الشعراوى :

الأمويون أمراء الأندلس الأول ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

- أحمد على الملا :

أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوروبية - دار الفكر .

- أحمد مختار العبادى :

فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية .

- ـــــــــــ

دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية .

- ـــــــــــ

فى التاريخ العباسى والأندلسى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢م.

- أحمد مختار العبادى ، والسيد عبد العزيز سالم :

تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

- أكرم ضياء العمرى :

المجتمع المدنى فى عهد النبوه ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .

- بطرس البستانى :

معارك العرب فى الشرق والغرب - دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٩م.

- السيد عبد العزيز سالم :

تاريخ مدينة المريه الإسلامية ، بيروت ، ١٩٦٩م.

- ـــــــــــ

المغرب الكبير ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الإسكندرية ١٩٦٦م.

تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ م.
ـ جلال مظهر :
مآثر العرب على الحضرة الأوروبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠م.
ـ ــــــــــــــ
حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العالمى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة .
ـ جودة حسين :
جغرافية أوروبا الإقليمية ، منشأة المعارف ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية ، ١٩٧٧م.
ـ حسن الباشا :
دراسات فى الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م.
ـ حسين مؤنس :
فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٩م.
ـ ــــــــــــــ
معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مطابع المستقبل ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٠م.
ـ خالد الجنابى :
تنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٤م.
ـ خاد الصوفى :
حضارة العرب فى الأندلس ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٧ هـ.

تاريخ العرب فى الأندلس ، دار الحرية للطباعة ، بغداد .
- خليل إبراهيم السمرائى :
الثغر الأعلى الأندلسى ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٢٦م.
- خير الله طفاح :
معارك العرب الكبرى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٣م.
- خير الله طلفاح :
حضارة العرب فى الأندلس ، دار الحرية للطباعة . بغداد ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- دولت صادق وآخرون :
جغرافية العالم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦م.
- رجب عبد الحليم :
العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف ، دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .
- زكى حسن :
تراث الإسلام ، جزءان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦م.
- سعد زغلول عبد الحميد :
تاريخ المغرب العربى من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال . الإسكندرية ، ١٩٧٩م.
سعيد عاشور :
أوروبا العصور الوسطى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢م.
- ــــــــــــ
بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، دار الأحد ـ بيروت ، ١٩٧٧م.

ـ شكيب أرسلان :

الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان .

ـ ــــــــــ

غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات در مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ، ١٩٧٩م.

ـ شوقى أبو خليل :

عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامى ، در الفكر ، دمشق ، ١٠٤١هـ/ ١٩٨١م.

ـ صالح اللحيدان :

الجهاد فى الإسلام بين الطلب والدفاع ، دار اللواء . الرياض ، ١٣٩٧هـ.

ـ عباس العقاد :

أثر العرب فى الحضارة الأوروبية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٦٣م.

ـ عبد الحليم عويس :

دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ـ عبد الرحمن على الحجى :

التاريخ الأندلسى ، دار القلم ـ بيروت ، دار القلم ، الكويت ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ .

ـ عبد الرحمن على الحجى :

التاريخ الأندلسى ، دار القلم ـ بيروت ، دار القلم ، الكويت ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ.

ـ عبد الرحمن فهمى :

النقود العربية ماضيها وحاضرها ، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤م.

ـ عبد العظيم رمضان :

الصراع بين العرب وأوروبا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

ـ عبد القادر أحمد اليوسف :

العصور الوسطى الأوروبية ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٦٨م.

ـ عبد الكريم التواتي :

مأساة أنهيار الوجود العربي في الأندلس ـ مكتبة الإرشاد ، الطبعة الأولى ـ الدار البيضاء ـ ١٩٦٧م.

ـ عبد الكريم علي باز :

افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ـ عبد المحسن رمضان :

تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ضد المسلمين في الأندلس ، جـ١ ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٧م.

ـ عبد المنعم ماجد :

العلاقات بين الشرق والغرب ، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦م.

ـ عز الدين فراج :

فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية . دار الفكر العربي .

ـ عصام سالم سيسالم :

جزر الأندلس المنسيه ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م.

ـ عفاف صبره :

الامبراطوريتين البيزنطية والرومانية الغربية في زمن شارلمان ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ـ علي حبيبه :

دولة الأمويين ، مكتبة الشباب ، القاهرة

مع المسلمين فى الأندلس ، الطبعة الثانية ، دار الشروق . جدة .
- علي الغمراوى :
مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط ، ط ٢ . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧م.
- عماد الدين خليل :
ملامح الانقلاب الإسلامى ، مؤسسة الرسالة ـ الطبعة السادسة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- عمر فروخ :
العرب والإسلام فى الحوض الغربى من البحر المتوسط ، دار الكتاب العربى ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- لطفى عبد البديع :
الإسلام فى إسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.
- محمد إبراهيم نصر :
منهج الإسلام فى تربية الجندى المسلم ، در الفكر العربى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- محمد حميد الله :
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٣هـ.
- محمد عبد الحميد عيسى :
الفتح الإسلامى للأندلس ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٥م.
- محمد عبد الله عنان :
مواقف حاسمة فى الإسلام ، مؤسسة الخانجى ـ الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين الإسبانية والعربية ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد ، ١٩٧٦م.

- ــــــــــــــــ

دولة الإسلام فى الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩م.

- محمد على دبوز :

تاريخ المغرب الكبير ، جـ٢ ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

- محمد كرد على :

الإسلام والحضارة العربية ، جـ ١ ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

- محمد نعيم ياسين :

افتراءات حول غايات الجهاد ، دار الأرقم للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .

- محمود سعيد عمران :

معالم تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى . دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م.

- محمود شيت خطاب :

قادة الفتح الإسلامى للمغرب العربى ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٩٧٣م ١٣٩٣هـ.

- محمود على مكى :

مدريد العربية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة .

- مصطفى أبو ضيف أحمد :

القبائل العربية فى الأندلس ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٣م.

ـ منى حسن محمود :
المسلمون فى الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٦م.
ـ ــــــــــــ
أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية خلال عصرى الموحدين وبنى مرين ، ١٩٨٢م.
ـ ناجى معروف :
أصالة الحضارة العربية ، الطبعة الثالثة ، در اليقافة بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
ـ نبيه أبو عاقل :
تاريخ خلافة بنى أمية ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٥م.
ـ وفاء عبد الله المزروع :
الخليفة الأموى الحكم المستنصر (٣٥٠هـ ـ ٣٦٦هـ) رسالة ماجستير بكلية الشريعة جامعة أم القرى غير مطبوعة ، ١٤٠٢هـ/ ١٤٠٣هـ .

رابعًا : المراجع الأجنبية المترجمة :ـ

ـ ارشيبا لدولويس
القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال . مكتبة النهضة المصرية .
ـ أشباخ يوسف :
تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٥٨م.
ـ أميركو كاستر :
حضارة الإسلام فى إسبانيا ، ترجمة وتعليق سليمان العطار ، دار الثقافة للنشر والتوزيع .

- انجل جنتالث بالنثيا :

تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

- بروكلمان :

تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكى ، الطبعة العاشرة ، در العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م.

- توماس ارنولد :

الدعوة إلى الإسلام ، طبع بمصر ، مطبعة الشبكشى بالقاهرة ، نشر مكتبة النهضة المصرية .

- جوزيف رينو :

الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وإيطاليا وسويسرا فى القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادى ، تعريب إسماعيل العربى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م.

- جيبون :

اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ترجمة لويس إسكندر ـ در الكاتب العربى للطباعة والنشر .

- حتى ـ فيليب :

تاريخ مسلمى إسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف .

- دوزى رينهارت :

تاريخ مسلمى إسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف .

- رودلف بيترز :

الإسلام والاستعمار ، عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث در شهدى للنشر ، جامعة امستردام .

- زامباور :

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى أخرجه زكى حسين ، حسن محمود ـ القاهرة ، ١٩٥١م.

زيغريد هونكه :

شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون ، كمال الدسوقى ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٧٩م.

ستانوودكب :

المسلمون فى تاريخ الحضارة ، ترجمة محمد فتحى عثمان ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ـ ستودارد لوثر :

حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة عجاج نويض ، مجلدان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٣م.

ـ سيد أمير على :

مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكى

ـ فشر . هـ أ . ل :

تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زياده ، إبراهيم العدوى ، السيد الباز العرينى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦م.

ـ لوبون ـ غوستاف :

حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابى الحلبى .

ـ مانويل جوميث مورينو :

الفن الإسلامى فى إسبانيا ، ترجمة لطفى عبد البديع ، السيد عبد العزيز سالم ، مراجعة جمال محرز ـ الدر المصرية للتأليف والترجمة .

ـ مونتجمرى وات :

فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ترجمة حسين أحمد أمين ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، بيروت ، القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- موسى . هـ. سانت . ل . ب :
ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، راجعه الباز العرينى ، عالم الكتب ، ١٩٦٧م.
- نور الدين حاطوم :
تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
- هارديل ج. م. والاس :
أوروبا العصور الوسطى ، تعريب وتقديم وتعليق حياه الحجى ، جامعة مانشستر ، طبعة الكويت ، ١٩١٩م.
- هامرتن . جون . أ :
تاريخ العالم ، المجلد الرابع ، ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم ، مكتبة النهضة المصرية .

خامسا : المقالات والبحوث :

- إبراهيم مدكور :
الفلسفة ، عن أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية ، أعدت هذه الدراسة بأشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة (يونسكو) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م.
- أحمد فكرى :
التأثيرات الفنية الإسلامية العربية على الفنون الأوروبية ، مجلة سومر ، الجزء الأول والثانى ، المجلد ٢٣ ،بغداد ١٩٦٧م.
- أمين الطليبى :
النقود العربية ، انتشارها وأثرها فى أوروبا فى القرون الوسطى ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد ١٩ ، إصدار الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، العراق ، ١٢٨١م .

بروفنسال ، ليفى :

الشعر العربى والشعر الأوروبى الوسيط ، من مجموعة سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيره ، عبد الحميد العبادى، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥١م.

ـ جمال الدين الرمادى :

الإسلام فى أوروبا ، مجلة الحج ، العدد ١١ ، السنة ١٧ مكة ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

ـ حسين مؤنس :

تاريخ الجغرافيا والجغرافيين ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلدان الحادى عشر ، والثانى عشر مدريد ، ١٩٦٣م ـ ١٩٦٤م.

ـ ــــــــــ

بلاى وميلاد اشتوريش ، مجة كلية الآداب . جامعة فؤاد الأول ، مجلد ١١ ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

ـ ــــــــــ

المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية من المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، مايو ، ١٩٥١م.

ـ روبرت لوبز :

محمد وشارلمان ـ إعادة نظر . بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق إسكندر ، مطابع در النشر للجامعات المصرية ، ١٩٦١م.

ـ ــــــــــ

اثر الشرق فى نهضة الغرب الاقتصادية بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، ١٩٦١م.

ـ رجاء غارودى :

حوار مع المفكر الفرنسى المسلم ، مجلة الإصلاح ، السنة الثامنة ، العدد ٩٢ محرم ١٤٠٦هـ سبتمبر ١٩٨٥م.

- زكي محمد حسن :

اثر الفن الإسلامى فى فنون الغرب ، مجلة الرسالة ، العدد ٩٣ ، السنة الثالثة ، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

- سهير القلماوى ومحمود مكي :

الأدب . دراسة عن أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية ١٩٧٠م.

- عبد الرحمن فهمى :

النقود الصليبية تحت تأثير النفوذ الإسلامى ، مجلة كلية الشريعة ، العدد السادس، السنة السادسة ، مكة ، ١٤٠٢هـ/ ١٤٠٣هـ.

- عبد الله عبد الرحيم عسيلان :

كتاب الإمامة والسياسة فى ميزان التحقيق العلمى ، مجلة كلية اللغة العربية ، الرياض ، العدد الثانى ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- عبد الواحد ذنون طه :

قيام الممالك الإسبانية وعلاقتها مع العرب فى الأندلس ، مجلة أوراق ، مجلة ثقافية يصدرها المعهد الإسبانى العربى للثقافة بمدريد ، ١٩٨٢م / ١٩٨٣م.

- مارك بلوك :

مشكلة الذهب فى العصر الوسيط ، بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، ١٩٦١م.

- محمد رجب البيومى :

الأدب الأندلسى بين التأثيرات والتأثر ، مجلة الحج ، ١٩٦٥م.

- ــــــــــ

جارودى والإسلام ، مجلة التضمن الإسلامى ، السنة ٣٨ الجزء ٩ ، ربيع الأول ١٤٠٤ ، ديسمبر ١٩٨٣م.

- ــــــــــ

الإسبانيون يعترفون بثقافة الإسلام ، مجلة الحج ، العدد ١٠ / السنة ١٩/ ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م ، اصدار وزارة الحج والأوقاف .

- محمود إسماعيل عبد الرازق :

التفسير الاجتماعي لثورة المغاربة في القرن الثاني الهجري ، اشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته ، الجزء الأول ، سلسلة الدراسات التاريخية ، ١ ، ١٩٧٩م.

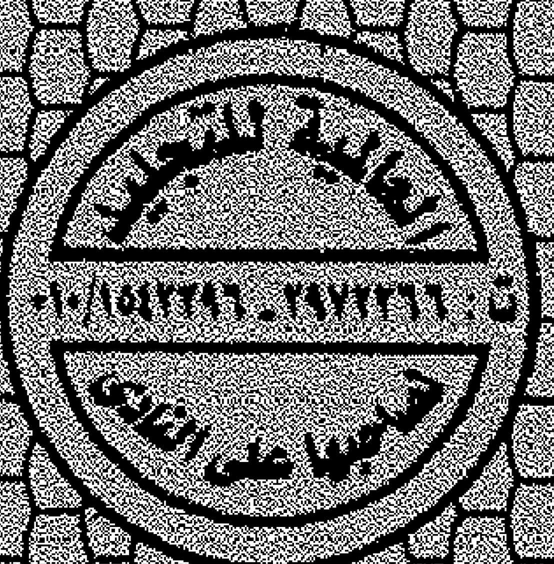
- يوسف حسن نوفل :

إنسانية الحضارة العربية وإبداعها ، مجلة الأزهر ، جـ ٤ . السنة السادسة والثلاثون ، ١٣٨٤هـ. جمادى الآخر / نوفمبر ١٩٦٤م.

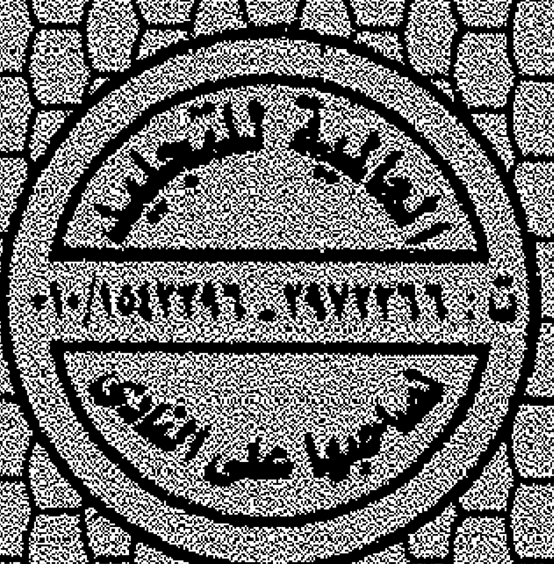
فهرس الموضوعات

تم والحمد لله

مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة ت : ٧٧٩٧٥٥٠



العالمية للتجليد
ت : ٢٩٧٢٢٦١ _ ٠١٠/١٥٤٢٢٩٦
لصاحبها على النادى


العالمية للتجليد
ت: ٢٩٧٢٢٦٦ ـ ٠١٠/١٥٤٢٢٩٦
لصاحبها على النادى